البحث التفسيري عند الإمامية في دراسات المستشرقين

"دراسة نقدية"

د. علي شاكر سلمان العارضي

١٤٤٨هـ ٢٠٢٦م





العنوان:البحث التفسيري عند الإمامية في دراسات المستشرقين
" دراسة نقدية "
المؤلف: د.علي شاكر سلمان العارضي .
النَّاشر: العتبة العبَّاسية المقدَّسة – جمعية العميد العلمية والفكرية – قسم الرسائل والأطاريح الجامعية
الإشراف العلمي
أ.د. احمد صبيح الكعبي
التنفيذ والمتابعة: م.م.ضياء محمد حسن
الادارة الفنية: م.م. حسين صبيح الكعبي
التَّصميم والإخراج: احمد هاشم الحلو
عدد النّسخ: ٥٠٠
١٤٤٨ هـ – ٢٠٢٦ م .
حقوق النَّشر والتَّوزيع محفوظة للعتبة العبَّاسية المقدَّسة – جمعية العميد العلمية والفكرية .

ISBN:9789922263373
الرمز البريدي للعتبة العباسية المقدسة ٥٦٠٠١
رقم صندوق البريد (ص.ب) (٢٣٢)
كربلاء المقدسة – جمهورية العراق



ملاحظة (١)

هذه الدراسة رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية العلوم الإسلامية في جامعة كربلاء وبإشراف الأستاذ المساعد الدكتور ضرغام كريم كاظم الموسوي ، وقد اجيزت في عام ١٤٤١-٢٠٢٠م

ملاحظة (٢)

الآراء المعروضة تعبر عن وجهة نظر كاتبها.



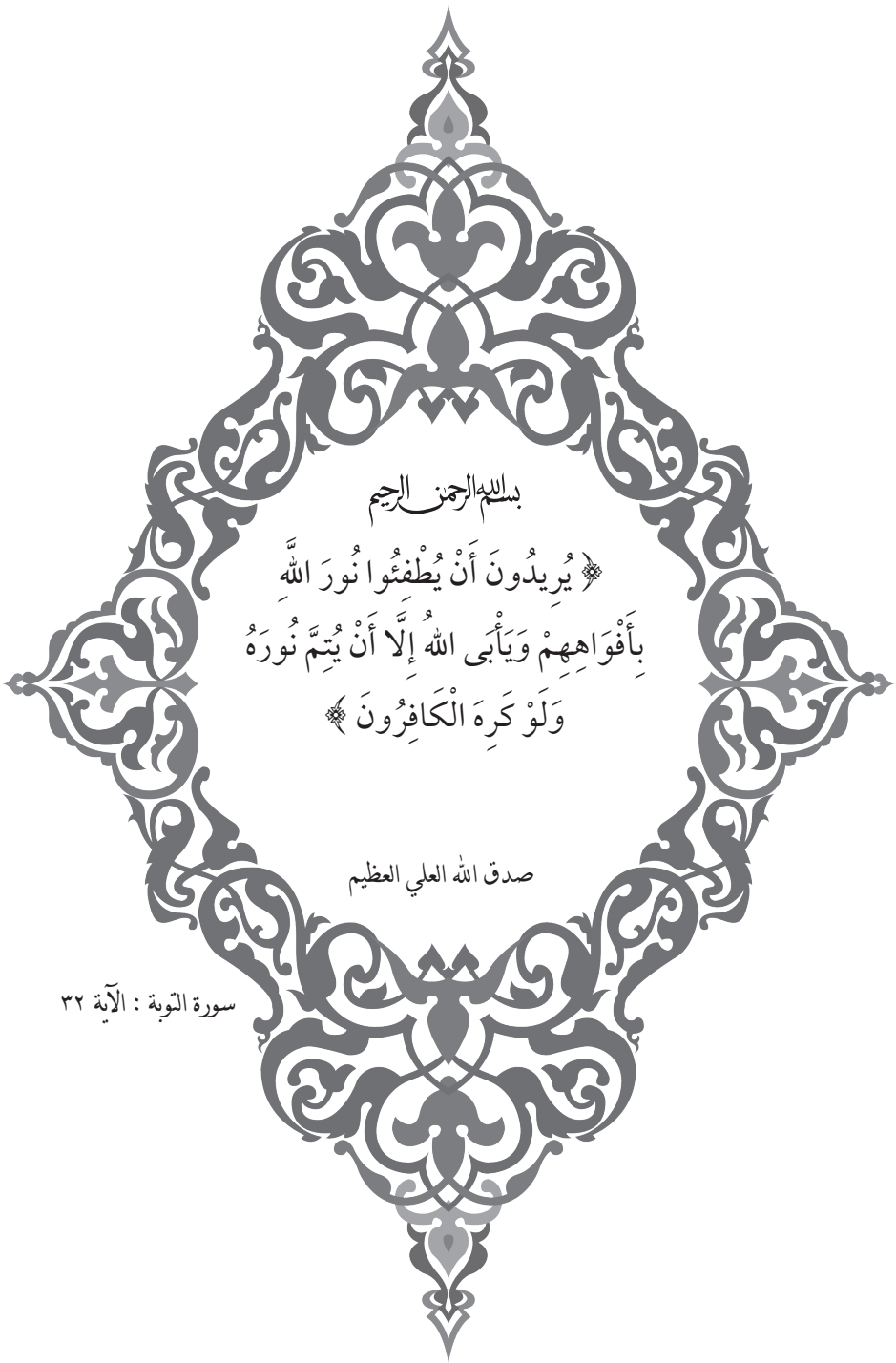
العارضي، علي شاكر سلمان، مؤلف.
البحث التفسيري عند الامامية في دراسات المستشرقين : دراسة نقدية = Interpretive Research among the Imamiyyah in Orientalist Studies : A Critical Study / د. علي شاكر سلمان العارضي.-الطبعة الأولى.-كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، جمعية العميد العلمية والفكرية، قسم الرسائل والاطاريح الجامعية، 1448 هـ = 2026.
301 صفحة ؛ 24 سم. (سلسلة منارات = MANARAT SERIES ؛ 9)
الاصل رسالة جامعية (ماجستير)- جامعة كربلاء، 2020.
يتضمن إرجاعات ببليوجرافية : صفحة 276-301.
ISBN : 9789922263373
1. القرآن والاستشراق والمستشرقين. 2. القرآن -- تفاسير الشيعة -- دفع مطاعن. أ. العنوان.

LCC: BP130.1 .A73 2026
مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة
الفهرسة أثناء النشر

٢٧٠ /٣٨١٢
ع ٢٤٦ العارضي ، علي شاكر سلمان.
البحث التفسيري عند الامامية في دراسات المستشرقين : دراسة نقدية / علي شاكر سلمان العارضي . – ط ١ .– كربلاء : جمعية العميد العلمية ، ٢٠٢٦
٣٠٤ ص . : ٢٤سم. – (سلسلة منارات : ٩) .
١ . الفقه الشيعي (الامامية) – دراسات. أ. العنوان .
رقم الايداع
٢٠٢٦ / ٣٦٢٢ ب. السلسلة

المكتبة الوطنية / الفهرسة اثناء النشر
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٦٢٢) لسنة ٢٠٢٦

دار الكفيل
للطباعة والنشر والتوزيع



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ
بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ
وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾

صدق الله العلي العظيم

سورة التوبة : الآية ٣٢

الاهداء

اعتاد الباحثون أن يُهدوا جهودهم العلمية إلى من تهواهم

الأفئدة وفؤادي يهوى محمد وآل محمد صلوات الله عليهم ....

فإليك يا سيدي يا صاحب الشريعة السمحاء .....

وإلى أخيك ووصيك وحامل اللواء....

وإلى بضعتك السيدة الزهراء....

وإلى ولديك اللَذيْن جللتهم بالكساء....

وإلى الحجج الثمانية النجباء ...

وإلى ولدك صاحب الطلعة الغراء.....

أهدي جهدي هذا .



كلمة الجمعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل كتابه هدىً للناس وبيّناتٍ من الهدى والفرقان، وجعل تدبّر آياته سبيلاً إلى المعرفة، والتفكر في معانيه طريقًا إلى اليقين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

أما بعد؛

فإنَّ النتاج العلمي الذي خلَّفه علماء الإسلام في تفسير القرآن الكريم لم يكن مجرد جهدٍ لبيان الألفاظ أو استنباط الأحكام، بل مثّل مشروعًا حضاريًا متكاملاً لبناء الفكرالإسلامي وصياغة مناهجه المعرفية عبر العصور. وقد حظيت المدرسة التفسيرية عند الإمامية بمكانة متميزة في هذا المضمار، لما امتازت به من تنوع في المناهج وعمق في الاستدلال وارتباط وثيق بالموروث الروائي والعقلي، الأمر الذي جعلها محلَّ اهتمام الباحثين من داخل العالم الإسلامي وخارجه.

والاستشراق جزء من هذا العمق المعرفي ، فمثلما عمد بعض المستشرقين الى دراسة العلوم التاريخية والأدبية بمختلف مجالاتها كذلك انصرف عدد كبير منهم الى دراسة الفكر الإسلامي ومدارسه المختلفة ، في محاولات علمية سعت إلى الفهم والتحليل والتفسير.

ونضع بين يدي قرّاء سلسلة (منارات) واحدة من هذه المحاولات المعرفية الموسومة بـ (البحث التفسيري عند الإمامية في دراسات المستشرقين)، التي ابتعدت عن الوصف والتنظير العلمي واتجهت نحو التحليل والنقد والموازنة بين النصوص، متتبعةً صورة المنهج التفسيري الإمامي في الكتابات الاستشراقية ، ومستعرضةً أبرز القضايا التي تناولها المستشرقون في مباحث العقيدة والفقه وعلوم القرآن، مع الوقوف على الأسس العلمية التي اعتمدها علماء الإمامية في معالجة تلك القضايا ، وبيان مواضع الدقة أو القصور في القراءات الاستشراقية لها.

وقد بُني هذا العمل على فصول متكاملة تجمع بين التأصيل النظري والتطبيق التحليلي؛ فاستهل ببيان المفاهيم والمصطلحات المرتبطة بالبحث التفسيري ، ثم انتقل إلى دراسة جملة من المسائل العقدية وعدد من القضايا الفقهية التفسيرية ، ثم ختم ببحث موضوعات علوم القرآن كالقراءات وجمع القرآن وترتيبه ، وما أُثير حوله من شبهات تتعلق بالتحريف وتعدد المصاحف، في إطار من التحقيق العلمي والحوار المعرفي الرصين.

وإننا إذ نقدّم هذا الإصدار الجديد ، فإننا نؤكد التزام هذه السلسلة برسالتها في نشر البحوث المتخصصة التي تعزز الوعي العلمي، وتدعم الدراسات الجادة في الفكر الإسلامي وتراث أهل البيت عليهم السلام، وتسهم في قراءة النتاج المعرفي قراءةً موضوعية قائمة على الدليل والتحقيق، بعيدًا عن الأحكام المجردة أو التصورات المسبقة.

مبتهلين الى الله في أن يجعل هذا الجهد لبنةً نافعة في صرح المعرفة، وأن ينفع به الباحثين والدارسين، وأن يوفق الجميع لخدمة العلم والحقيقة، إنه ولي التوفيق.

والحمد لله رب العالمين.

أ.د. أحمد صبيح الكعبي

رئيس قسم الرسائل والاطاريح الجامعية

المقدمة

الحمدُ للهِ بقدر رحمته ومداد كلماته وعظيم صنعه، والصلاة الدائمة على خير خلقه أبي القاسم محمد خاتم رُسلهِ وعلى آل بيته ذخيرته لأمته، وبعد:

لا يشك أحد في أنَّ تفسير القرآن يُعد حجر الأساس في جميع علوم الإسلام، فهو يحظى بأهمية كبيرة في جميع مفاصل العلوم الاسلامية ، وإنَّ شرف هذا العلم ومكانته ناتجٌ عن شرف ما يدرسه ويبحث فيه ألا وهو القرآن الكريم، ولا جرَمَ أنَّ ثراء القرآن وتنوع علومه أدى إلى ثراء البحث التفسيري وتنوعه، حتى شمل كل ما جاء في القرآن الكريم من علوم ، وعقيدة وشريعة وغيرها، فصار الخوض في غمار البحث التفسيري شاقًا وشائقًا في الوقت نفسه، شاقٌ لكون الباحث يتعامل مع كتاب الله وما يتمتع به من عمق المعاني وثرائها، ووفرة العلوم وغزارتها، وتشريع الأحكام، وانبساطها، وشائقٌ لأن الخوض فيه لا يخلو من الفائدة و الباحث فيه يزداد علماً ومعرفة .

وإذا كان الحال كذلك فلا ريب في انكباب الدارسين الغربيين على كل ما يتعلق بعلوم الاسلام ومنها البحث التفسيري عند الامامية بعد أنَّ كان من أكثر الدراسات في الغرب اندثاراً وتغييباً لاسّيما في المراحل الأولى للفكر الاستشراقي، أما بعد ظهور الامامية إلى الواجهة السياسية لاسّيما بعد التحول العقدي الذي حصل إبان الدولة الصفوية، وتطور حركة البحث الاستشراقي، التفتت أنظار الباحثين الغربيين نحو دراسة المذهب الامامي وبالاخص بحوث التفسير ، وقد تبلورت تلك الدراسات شيئاً فشيئاً حتى بلغت أوج عظمتها في منتصف القرن التاسع عشر، وامتدت الى القرن العشرين حتى غدت تلك الدراسات والبحوث مما يصعب عدّها ،

لذا سعى الباحث الى تسليط الضوء على أبرز آراء المستشرقين الذين درسوا الآيات الكريمة التي استدل بها الامامية على مباحثهم التفسيرية .

ولعل هناك من يسأل عن الغاية من الخوض في هكذا موضوع ، والجواب أنَّ هناك خللًا ووهنًا لدى المستشرقين في دراساتهم للبحث التفسيري عند الامامية وسبب ذلك أنّهم لم يرجعوا إلى مصادر الامامية وإنما رجعوا إلى ما نقله المخالفون مما أعطى فهماً غير صحيح عن البحث التفسيري عند الامامية ، فجاءت هذه الدراسة لمعالجة هذا ومناقشة ما أثاره المستشرقون من شبهات حوله، فضلاً عن رفد المكتبة الإسلامية بدراسة جديدة في بابها؛ رصدت تلك الدراسات الاستشراقية في هذا الباب من أبواب المعرفة القرآنية فضلاً عن ذلك أنهم أسسوا منهجاً خاصاً بهم لم يكن منصفاً للثقافة الإسلامية، ولا للتراث الامامي ، وهذا بحد ذاته مدعاةٌ للدراسة، وبما أنَّ الامامية تمتلك الحق في مناقشة ما يُكتب حولها في طيات الكتب والبحوث والدوائر المعرفية الغربية وما تنتجه تلك الأدوات المعرفية عنهم، لاسّيما فيما يتعلق بعملية البحث التفسيري، فمن حق العلماء والباحثين من أبنائها تناول تلك الكتابات بالنقد والرد؛ لأن عدم الرد عليها يُعد تسليماً بهذه الآراء، لاسّيما بعد موافقة بعض الباحثين الإسلاميين لأفكار الغرب وترويجهم لتلك الأفكار، ومما حدا بالباحث إلى اختيار موضوع بحثه ، ووسمه بـ " البحث التفسيري عند الامامية في دراسات المستشرقين دراسة نقدية " وكان الدافع الثالث هو عدم إفراد دراسة مستقلة لما كتبه المستشرقون حول البحث التفسيري عند الامامية فشرع الباحث في ذلك، فضلاً عن إصرار الباحثين الغربيين وميلهم لدراسة بحث التفسير الامامي من مصادر الجمهور وإهمال مصادر الامامية فأنتج رؤى مشوهة وأفكارًا خاطئة، ولعل هذا كان الحافز

الأكبر لتوجه الدراسة إلى أمّات كتب الامامية، فضلاً عن ندرة المصادر المترجمة فيما كتبه المستشرقون حول البحث التفسيري عند الامامية مما جعل الأمر أكثر غموضاً لاسّيما بعد الاشتباه بعدم كتابة المستشرقين شيئًا عن التفسير الامامي، هذه الدوافع وغيرها هي ما شجع الباحث للخوض في غمار هذا الموضوع.

وليس الخوض في مجال الاستشراق والتفسير بجديد، ولا يدعي الباحث السبق في هذا المضمار، وإنّما اتبع مسار علماء آخرين ، منهم الدكتور محمد حسين الصغير وكتابه " المستشرقون والدراسات القرآنية"، الذي تناول فيه بعض علوم القرآن وما كتبه المستشرقون حولها وكان أحد مصادر الدراسة، والدكتور عبد الجبار ناجي في كتابه "التشيع والاستشراق عرض نقدي مقارن"، والشيخ حيدر حب الله في بحثه "الاستشراق وتاريخية النص القرآني "الذي سلط فيه الضوء بالرد على ما كتبه المستشرق "جولد زيهر" ، وكتاب "إشكالية فهم النص القرآني عند المستشرقين" للدكتور عادل عباس النصراوي، وكان أحد مصادر الدراسة والذي تناول فيه اختلاف مصادر الفهم الاستشراقي للنص القرآني إلا أنّهُ لم يخصصهُ عند الإمامية، فضلاً عن بعض الدراسات الأكاديمية منها رسالة ماجستير بعنوان " الفهم الاستشراقي لتفسير القرآن الكريم" للطالب عادل ماجد محمد ودراسته متخصصة في فهم المستشرقين لعملية التفسير بصورة عامة ولم يُسلط الضوء على البحث التفسيري بل على فهم المستشرقين للتفسير ، فضلاً عن أنها تكلمت على التفسير بصورة عامة ولم تخصصه عند الامامية، وكذلك الاطروحة الموسومة بـ"الدراسات القرآنية في الاستشراق الألماني" للطالبة سحر جاسم الطريحي

التي خصصت دراستها في المستشرقين الألمان فقط ، والحال نفسه يسري على رسالة الطالب عصام هادي كاظم التي وسمها "بالدراسات القرآنية في الاستشراق السويدي" .

ويود الباحث الإشارة إلى أنّهُ لم يطبق مبدأ الرفض المطلق لآراء المستشرقين، وإنّما حاول استعمال مبدأ المقاربة الحكيمة، ولاسّيما أنَّ تنوع البحث التفسيري أدى إلى تنوع المناهج المستعملة في عملية سبر أغوار الدراسة، فاحتاج الباحث إلى المنهج الوصفي لعرض آراء المستشرقين، وإعطاء الصورة الواضحة لدراستهم للإمامية عبر مقابلة آراء المستشرقين المنصفين مع غيرهم، فضلاً عن المنهج الاستدلالي الذي ساد في بعض الجوانب لاسيما العقدية والفقهية، وإنَّ للمنهج النقدي الدور الأكبر فهو المنهج الأساس في تمييز آراء المستشرقين ودحض الإعتوارات التي فيها لذا كان المنهج الرئيس الذي اعتمده الباحث في رسالته ، ولا ننسى الإشارة إلى تعريف الشخصيات الاستشراقية فضلاً عن بيان بعض المصطلحات التي تطلب من الباحث تعريفها، إضافةً إلى توثيق الروايات التي اعتُمدت للاستدلال بها في الرسالة .

ولاشك في أنَّ الخوض في هذا الموضوع لا يخلو من الصعوبة فقد واجهتُ في تجربتي هذه المشقة ، لكونها الأولى في المضمار النقدي، فضلاً عن ندرة الكتب الاستشراقية الباحثة في التراث الامامي، ولا ننسى ندرة ترجمة الكتب ، والأوضاع التي كان يمر بها العراق الحبيب و الأحداث التي يمر بها العالم من انتشار الأمراض وغيرها والتي شكلت عائقاً في الوصول إلى كثير من المكتبات او الحضور عند العلماء والباحثين .

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أمّات المصادر الامامية التي اعتمد عليها الباحث في استقاء مادة بحثه أمثال كتاب "الاعتقادات "للشيخ الصدوق (ت :٣٨١هـ)، وكتاب "تصحيح اعتقادات الامامية" للشيخ المفيد(ت: ٤١١هـ)، "جمل العلم والعمل" للسيد المرتضى (ت:٤٣٦هـ)، "كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد " للعلامة الحلي (ت: ٧٦٢ هـ)، فضلاً عن المراجع الحديثة .

أما كتب التفسير وعلوم القرآن فقد كان لها نصيب في هذا البحث أمثال "التبيان في تفسير القرآن" للشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠هـ) وكتاب "جوامع الجامع ومجمع البيان في تفسير القران " للشيخ الطبرسي (ت:٥٤٨هـ)، وكذلك "الميزان في تفسير القرآن" للسيد الطباطبائي (ت:١٤٠٢هـ) وغيرها من التفاسير الحديثة والمعاصرة.

وكذلك المصادر الفقهية هي الآخرى لم يستغنِ عنها البحث مثل كتاب "المقنعة "للشيخ المفيد (ت: ٤١١هـ)" النهاية في الفقه "للشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠هـ) " وغيرها من مصادر الفقه الامامي، فضلاً عن المراجع الحديثة، وكان لكتب اللغة نصيب في الدراسة مثل "معجم العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ) "معجم مقاييس اللغة" لأحمد بن فارس(ت:٣٩٠هـ) "ولسان العرب" لابن منظور الأفريقي(ت:٧١١هـ) "تاج العروس" للزبيدي(ت:١٢٠٥هـ)، هذا فضلاً عن كتب المستشرقين المترجمة وبعض الكتب الاخرى التي تتكلم على الدراسات الاستشراقية.

وعلى أساس ذلك قسم الباحث الموضوع إلى مقدمة، وأربعة فصول وأتبعها بخاتمة وتوصيات وقائمة المصادر والمراجع وملخص البحث باللغة الإنكليزية، تناول في المقدمة أهمية الموضوع، وسبب اختيار العنوان،

والصعوبات التي تعرض لها الباحث، ومنهج البحث، وأهم الدراسات السابقة، ثم خطة البحث.

الفصل الأول جاء تحت عنوان " البعد النظري للبحث التفسيري عند الامامية في دراسات المستشرقين " تناولت فيه تعريف العنوان من الناحية اللغوية والاصطلاحية وأهم المصطلحات ذات العلاقة بالبحث التفسيري والاستشراق وماهية البحث التفسيري ومناهجه، ثم تاريخ حركة الاستشراق، وأهم الدوافع الاستشراقية التي وجهت المستشرقين نحو دراسة الشرق.

أما الفصل الثاني فقد جاء تحت عنوان "مباحث التفسير العقدي عند الامامية في دراسات المستشرقين " وقد ضمنته تطبيقات حول آراء المستشرقين في رؤيتهم للعقيدة الامامية كالإمامة والعصمة والتقية والرجعة وعقيدة الامام المهدي عجل الله فرجه وكيفية مناقشة تلك الآراء والادعاءات وبيان زيفها وادعائها.

أما الفصل الثالث فقد كان بعنوان "مباحث التفسير الفقهي عند الامامية في دراسات المستشرقين" وتناولت فيه التقديم لأبرز دراسات المستشرقين لجوانب الفقه الامامي، ثم دراسة بعض المباحث الفقهية منها: آية الوضوء والخمس والزواج عند الامامية ثم أحكام أهل الكتاب وما دار حولها من دراسات وآراء.

والفصل الرابع حمل عنوان "مباحث علوم القرآن عند الامامية في دراسات المستشرقين" وتم دراسة آراء المستشرقين حول مباحث علوم القرآن ومنها: جمع القرآن وترتيبه وتحريفه وتمت الإشارة إلى مصحف الامام علي بن أبي طالب عليه السلام.

اما الخاتمة فقد ذكر فيها الباحث أهم النتائج والتوصيات التي خلص إليها في أثناء خوضه غمار الكتب والمصادر للوصول الى حقيقة بحثه، ثم قائمة المصادر والمراجع التي اعتمد عليها الباحث في استقاء مادة بحثه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفصل الأول

البعد النظري للبحث التفسيري عند الامامية في دراسات المستشرقين

- المبحث الأول : التعريف بمفردات العنوان
- المبحث الثاني : مصطلحات ذات علاقة
- المبحث الثالث : البحث التفسيري عند الامامية مفهومه ونشأته ومناهجه
- المبحث الرابع : الاستشراق نشأته ودوافعه

الفصل الأول: البعد النظري للبحث التفسيري عند الامامية في دراسات المستشرقين

المبحث الأول : التعريف بالبحث التفسيري والاستشراق

مِنْ أَجل الوقوف على حقيقة المفردات اللغوية والاصطلاحية لعنوان البحث لابد مِنْ تتبع جذور تلك المفردات في معاجم اللغة؛ حتى يتسنى للباحث معرفة مدى تطابق تلك المدلولات مع بعضها، وعليه سوف يتناول البحث مدلولات كلٍ مِن البحث التفسيري والاستشراق، وعلى النحو الاتي :

المطلب الأول : البحث التفسيري لغةً واصطلاحاً:

إِنَّ البحث التفسيري مصطلحٌ مركبٌ مِنْ كلمتين «البحث " و"التفسير " وحتى يتسنى لنا الوصول إلى المدلول اللغوي والاصطلاحي الدقيق للمفردتين، لابد مِنْ تناولها على النحو الآتي :

أولاً: البحث لغةً واصطلاحاً:

١ـ البحث لغةً : هُناك استعمالات متعدة لكلمة البحث في اللغة نذكر منها: البحث بمعنى طلب الشيء والبحث والسؤال عنه [١]، وللبحث معنى آخر وهو الإثارة عن طريق السؤال والاستخبار الذي يؤدي إلى العلم [٢]، والبحث يأتي أيضا بمعنى بذل الجهد، أي الجهد الذي يبذله الشخص عند بحثه في موضوع معين، وذلك من طريق القيام بجمع المسائل المختلفة التي تكون على صلة بهذا الموضوع، وإنَّ هذا البحث ما هو إلا ثمرة ونتيجة الجهد الذي قام به الشخص [٣]،

١- ينظر: العين: الخليل بن احمد الفراهيدي ، تحقيق : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، ط٢ ، ١٤٠٩هـ ، دار الهجرة ـ قم ـ إيران ، ٣/ ٢٠٧ .و ينظر : المحيط في اللغة : الصاحب بن عباد ، ط١ ، بلا. ت ، عالم الكتب ـ بيروت ـ لبنان ، ٧٧ . وينظر : لسان العرب : ابن منظور ، ط٣ ، ١٤١٤هـ ، دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ، ٢/ ١١٤ .

٢- ينظر : معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط١ ، ١٤٠٤هـ ، مكتب الإعلام الإسلامي ـ قم ـ إيران ،١/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥ .

٣- ينظر : المعجم الوسيط : إبراهيم مصطفى وآخرون ، بلا .ط ، ١٩٦٠م ، المكتبة الإسلامية للطباعة ـ القاهرة ـ مصر، ١ / ٤٠.

وعبر تتبع المدلولات اللغوية يتبين للباحث أنَّ للبحث في اللغة ثلاثة معان رئيسة الأولى التفتيش عن الشيء وطلبه، والثانية الاستعلام عن الشيء والاستخبار عنه، والثالثة بذل الجهد للحصول على الشيء، وهنا يمكن القول إنَّ المدلول اللغوي لمفردة البحث يدور في فلكين أحدهما مادي أي التفتيش عن شيء معين وطلبه، والآخر معنوي أي الاستعلام عن شيء معين والاستخبار عنه .

٢ ـ البحث اصطلاحاً : هناك تعريفات اصطلاحية عدة لمفردة البحث، اذ يعرف بأنَّه: " الجهد المبذول لاكتساب معرفة حول موضوع من موضوعات العلم والأدب أَو التاريخ ولا يسمى بحثاً علمياً إلا إذا كان قائماً على قواعد البحث العلمي في حصر الموضوعات في مسائله الرئيسة وتتبعها للوصول إلى نتائج مقنعة وربط الأَسباب بالمسببات والمقدمات بالنتائج ويتنوع البحث بحسب مناهجه وأَهدافه وموضوعاته"[١]، ويُعرف كذلك بأَنه " وسيلة للاستعلام والاستقصاء المنظم الدقيق الذي يقوم به الباحث لغرض اكتشاف معلومات أَو علاقات جديدة بالإضافة إلى تطوير وتصحيح أَو تحقيق المعلومات الموجودة فعلاً على أَنْ يتتبع هذا الفحص والاستعلام الدقيق خطوات المنهج العلمي"[٢]، و يُعرف أَيضاً بأَنه " عملية تجتمع لها الحقائق والدراسات وتستوفي فيها العناصر المادية والمعنوية حول موضوع معين ودقيق في مجال التخصص لفحصها وفق مناهج علمية مقررة يكون للباحث منها موقف معين ليتوصل من كل ذلك إلى نتائج جديدة "[٣].

ومن تتبع البحث للمدلولات اللغوية والاصطلاحية لمفردة البحث ظهر أن هناك تقارباً بين التعريفات فكّلها تدل على التفتيش عن شيء معين وطلبه وتتبعه والاستخبار عنهُ، سواء أَكان ذلك من طريق الجهد المادي أم الجهد المعنوي؛

١ – موسوعة المصطلح في التراث العربي : محمد الكتاني ، ط٢، بلا .ت ، مطبعة دار الكتب ـ بيروت ـ لبنان، ١ / ٣٧٦ .
٢ – أصول البحث العلمي ومناهجه : احمد بدر ، بلا .ط ، ١٩٧٣م ، وكالة المطبوعات الكويتية ـ الكويت ، ١٨ .
٣– كتابة البحث العلمي ومصادر الدراسات الإسلامية : عبد الوهاب إبراهيم ، ط٣ ، ١٩٨٦م ، دار الشروق ـ جدة ـ السعودية ، ١٧ .

وذلك بالاستخبار والاستعلام عن الشيء، أَو طلبه في مكان معين، وبهذا لم يبتعد المعنى اللغوي عن المعنى الاصطلاحي.

ثانياً : التفسير لغةً واصطلاحاً :

أ. التفسير لغةً: ذكر أَرباب اللغة لمفردة التفسير معاني متعددة منها: البيان والإيضاح فيقال: فَسّرَ الشيء يَفْسِرهُ إذا أَبانهُ [1] وقيل: "الفاء والسين والراء أَصلٌ صحيحٌ واحدٌ يدل على البيان وإيضاح الشيء "[2]، وهو بهذا يعطي معنى البيان والكشف، وهناك معنى أَخر يستفاد مِنْ لفظة التفسرة أي العينة التي يكتشف الأطباء منها المرض، أي إنَّ المفسر يكشف عن معنى ومراد الله مِنْ الآية الكريمة وما يحيط بها، كما يكشف الطبيب المرض [3] ، وقيل إنَّهُ مأخوذٌ من السفر وهو بمعنى الكشف فيقال : للمرأة سافرٌ إذا كشفت عن وجهها وأَلقت خمارها، ويقال: أَسفر الصبح : أَي إذا بان ضوؤه وظهر [4]، ويذكر الزركشي (ت٧٩٤هـ) إنَّ الراغب(ت:٥٠٢هـ) أَجرى مقارنة ناجحة بين أَصحاب القول الأول الذين يتمسكون باللفظ وأَصحاب القول الثاني الذين يتخلون عنه ويرون أنَّ المعنى حسي، و مفادها أنَّ هناك تقارباً بين "الفسر والسفر" على مستوى اللفظ والمعنى[5].

وهنا يمكن القول : مهما اختلفت آراء العلماء في المدلول اللغوي لمفردة التفسير؛ غير أنَّ المعنى يبقى واحداً وهو البيان والإيضاح والكشف .

١- ينظر : العين : الفراهيدي ،٧/ ٢٤٧. وينظر الصحاح : إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، ط٤ ، ١٤٠٧هـ ، دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان ، ٢ / ٧٨١ .

٢- معجم مقاييس اللغة : ابن فارس ، ٤/ ٥٠٤.

٣- ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل (الراغب الأصفهاني) ، تحقيق : صفوان عدنان داوري ، ط١ ، ١٤١٢هـ ، دار القلم الشامية ، بيروت دمشق، ٦٣٦ . وينظر :الصحاح : الجوهري ، ٢ / ٧٨١ .

٤- ينظر : مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر الرازي ، ضبط وتصحيح : أحمد شمس الدين ، ط١ ، ١٩٩٤ م ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ١٦١ . وينظر : مجمع البحرين : فخر الدين الطريحي ، ط٢ ، ١٣٦٢ش ، منشورات مرتضوي ـ طهران ـ إيران ، ٣ / ٤٣٧ ـ ٤٣٨ .

٥- ينظر: البرهان في علوم القرآن : محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ ، ١٩٥٧م ، عيسى البابي الحلبي وشركاءه ـ القاهرة ـ مصر، ٢/ ١٤٧.

ب ـ التفسير اصطلاحاً :

يُعد التعريف الاصطلاحي للتفسير محل خلاف بين العلماء، ولكن وإنْ حصل خلاف بينهم في اللفظ غير أنَّ المعنى واحد، وهو معرفة معاني الآيات القرآنية للسور المختلفة ومعرفة المراد منها، ومِنْ هذا الاختلاف يجب علينا أنْ نذكر بعض التعريفات للوقوف على حقيقة المعنى الاصطلاحي وعلى النحو الاتي :-

فقد عرّفه الشيخ الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ) بقوله : " كشف المراد عن اللفظ المشكل"[١]، و عرفهُ الزركشي (ت : ٧٩٤هـ) وتوسع في تعريفه وشمل حتى علوم القرآن المختلفة بقوله: "هو علم نزول الآية وسورها وأقاصيصها، والإشارات النازلة فيها، ثم ترتيب مكّيها ومدنيّها، ومحكّمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصّها وعامها، ومطلقها ومقيّدها، ومجّملها ومفسرها"[٢]، وعرّفه الزرقاني (ت: ١٣٦٧هـ) بقوله : " هو علمٌ يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية "[٣] اما الطباطبائي(ت:١٤٠٢هـ) فذكر أنه : " هو بيان معاني الآيات القرآنية والكشف عن مقاصدها ومداليلها"[٤].

وبالنظر إلى ما تقدم يتضح أنَّ المعاني المختلفة لعملية التفسير تدور كلها حول محور واحد، وهو الكشف والبيان عن معاني الآيات الكريمة وحسب مراد الله تعالى، وإنْ جاءت تعابير العلماء مختلفة، ولابد من الإشارة إلى أنَّ المدلولات اللغوية لعملية التفسير تلتقي مع المدلولات الاصطلاحية، بل يمكن القول : إنَّ المدلولات الاصطلاحية قد أخِذت من اللغة .

١- مجمع البيان في تفسير القرآن : ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، تحقيق وتعليق : لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين ، ط١ ، ١٩٩٥م ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان ، ١ / ١٣ .

٢- البرهان : الزركشي ، ٢/ ١٤٨ .

٣- مناهل العرفان في علوم القرآن : محمد عبد العظيم الزرقاني ، ط٣، ١٩٤٣م ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاءه ـ القاهرة ـ مصر، ٢/ ٣.

٤- الميزان في تفسير القرآن : السيد محمد حسين الطباطبائي ، بلا .ط ، بلا. ت منشورات جماعة المدرسين ـ قم ـ إيران ، ١/ ٤.

اما البحث التفسيري بوصفه مركبًا إضافيًا فلم يقف الباحث في حدود اطلاعه على تعريف محدد له بل نجد أنَّ هناك من ذكر أوصافًا لهذا البحث إذ يُطلق على بيان وتفسير كل ما جاء في القرآن الكريم من علوم وتشريعات وعقائد وأحكام وأخلاق وأمثال وعِبر وقصص وغيرها[1] ، وعليه يمكن تعريف البحث التفسيري بأنَّه" دراسة وتتبع وحصر كل انواع المعارف المنبثقة من النص القرآني عبر الكشف والبيان عن مضامين النصوص القرآنية سواء في العقائد أو الفقه أو علوم القرآن او غيرها .

المطلب الثاني : الاستشراق لغةً و اصطلاحاً:

الاستشراق هو من المصطلحات الحديثة وكان محل اختلاف العلماء منذ ظهوره، ولمعرفة هذا المصطلح عن كثب لابد من متابعة جذوره اللغوية ومداليله الاصطلاحية حتى يتمكن الباحث من إماطة اللثام عنه، وعلى النحو الاتي:

أولاً : الاستشراق لغةً :

إنَّ مفردة الاستشراق بصيغتها الحالية لم ترد عند أَرباب اللغة العربية وهذا يتطلب البحث في الجذر اللغوي لكلمة " شرق "والذي بدوره تنبثق منه ألفاظ عدة تكاد دلالاتها تتقارب مع بعضها ، ولذا يشير اللغويون إلى أنَّ " اللفظة مشتقة من موضع شروق الشمس، وإذا قيل أَشرق فلان أَي دخل في منطقة الشروق، وأَشرق الرجال إذا دخلوا في الشرق، والشرقة يقصد بها المكان الذي تخرج منه الشمس في الشتاء حصراً ولا شرقة صيفاً، وأيام التشريق إنَّما جاءت نسبةً إلى طلوع الشمس على الأضاحي"[2]، وقيل إنَّها دالة على الإضاءة[3] .

١- ينظر : المناهج التفسيرية في علوم القرآن : الشيخ جعفر السبحاني ، ط ٤، ١٤٣٢ق ، مؤسسة الإمام الصادق ـ قم ـ إيران ، ٧٥ -٧٦.

٢- ينظر : العين : الفراهيدي ، ٥ / ٣٧ . وينظر : الصحاح : الجوهري ، ٢ / ١٥١. وينظر : مختار الصحاح : الرازي ، ١٧٨. وينظر ، المعجم الوسيط : إبراهيم مصطفى وآخرون ، ١ / ٢٨ .

٣- ينظر : معجم مقاييس اللغة : ابن فارس ، ٣ / ٢٦٤ .

وبهذا فإنَّ المدلول اللغوي لكلمة الاستشراق مشتق من كلمة الشرق، على أنَّ الأحرف (الألف ـ السين ـ التاء) هي أحرف زيادة إذا أُدخلت على الفعل أعطت معنى الطلب، مثل (أعطى) فعل ماض إذا أدخلت عليه أحرف الزيادة يصبح (استعطى) أَي طلب العطية أَو المساعدة من الناس، كذلك الفعل (شرق) إذا دخلت عليه أَحرف الزيادة أصبح (استشرق) أَي طلب الشرق وعلومه [1].

ثانياً : الاستشراق اصطلاحاً:

يُعد مفهوم الاستشراق مِنْ المفاهيم الخلافية عند العلماء و التي أخذت حيزاً واسعاً على المستوى الاصطلاحي؛ وذلك لخطورته وكثرة التأليف فيه، إذ ظهر هذا المصطلح لأول مرة في أحضان الدراسات الغربية ثم انتقل إلى المسلمين، وعليه لابد من تعريفه من منظورين أحدهما غربي والأخر عند علماء العرب المعاصرين وعلى النحو الاتي:

يُعرّف الاستشراق في المدرسة الغربية بأنه " علمٌ مختصٌ بفقه اللغة خاصة، وأقرب شيء إليه إذ أنْ نفكر في الاسم الذي أطلق عليه، كلمة استشراق مشتقة من كلمة شرق تعني مشرق الشمس وعلى هذا يكون الاستشراق علم الشرق أو علم العالم الشرقي "[2]،أما "جويدي"[3] فيعرفه بقوله : "علم من علوم الروح يتعمق في درس أحوال الشعوب الشرقية ولغاتها تاريخها حضارتها "[4]، وهنا يتضح أنَّ التعريف الاصطلاحي للاستشراق عند الغربيين يأخذ طابعاً

١- ينظر : الاستشراق أهدافه وسائله دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون : محمد فتح الله الزيادي ط١ ، ١٩٩٨ م ، دار قتيبة ـ بيروت ـ لبنان ، / ١٧.

٢- الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية "المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكة " : رودي باروت ، ترجمة : مصطفى ماهر ، بلا .ط ، ٢٠١١م، الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة – مصر ، ١٧.

٣- مايكل أنجلو جويدي : مستشرق إيطالي ولد عام ١٨٨٦م أهتم بدراسة اللغة العربية والدين الإسلامي أصبح أستاذ التاريخ والنظم الإسلامية في جامعة روما، له فصل كبير عن تاريخ الدين الإسلامي، وتوفي عام ١٩٤٠م . ينظر : موسوعة المستشرقين : عبد الرحمن بدوي ، ط٣، ١٩٩٣م ، دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان ، ٢١٨-٢٢١.

٤- ينظر : فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر : احمد سمايلوفتش ، بلا. ط ،١٩٩٨م، دار المعارف للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة – مصر ، ٢٢.

عاماً فيشمل كل الشعوب الشرقية دون استثناء ، كما أنَّهُ لا يختص بعلم دون آخر، في حين نجد العلماء العرب المعاصرين قد تطرقوا للمصطلح ، وذكروا له تعريفات كثيرة منها : إنه " أسلوب في التفكير مبني على تمييز متعلق بوجود المعرفة بين الشرق والغرب " أو إنَّهُ "نوع من الإسقاط الغربي وإرادة حكم الغرب للشرق "[1]، ويُعرف أيضاً : "دراسة يقوم بها علماء الغرب لتراث الشرق وبخاصة كل ما يتعلق بتاريخه، ولغاته، وآدابه، وفنونه، وعلومه، وتقاليده وعاداته "[2]، وهناك من يذهب إلى أنَّ الاستشراق أصبح يمثل حرفة يمارسها الباحث بشروط معينة، منها أَنْ يتحلى بمقومات البحث العلمي المتعمق، وأَنْ يكون منتمياً إلى الغرب، وعليه يعرف بأنه " عالم غربي يهتم بالدراسات الشرقية"[3].

ويتضح مما ذكر من تعريفات اصطلاحية للاستشراق بأنَّها تتقارب في معناها وهو دراسة الغربيين لعلوم الشرق وتراثهُ، ويمكن القول إنَّ أقرب التعريفات للمعنى الاصطلاحي ما ذكره صاحب المعجم الأدبي؛ لأنه يفي بما تقتضيه الدراسة إذ شمل كل شيء في دراسات المستشرقين بدءًا بالتراث وانتهاءً بالعادات، وبعد التدقيق بتعريفات الاستشراق نجد أنَّ المعنى اللغوي يلتقي بالمعنى الاصطلاحي .

١- الإستشراق المفاهيم الغربية للشرق : إدوارد سعيد ، ترجمة : محمد عناني ، ط١، ٢٠٠٦م، رؤية للنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ مصر،٤٥.

٢- المعجم الأدبي : جبور عبد النور، ط١، ١٩٧٩م ، دار العلم للملايين ـ بيروت – لبنان ، ١٧.

٣- المستشرقون في التاريخ الإسلامي : علي حسني الخربوطلي ، بلا. ط ، ١٩٨٨م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ مصر، ٢٢.

المبحث الثاني : مصطلحات ذات علاقة :

المطلب الأول : مصطلحات ذات علاقة بالبحث التفسيري :

أولاً: المنهج التفسيري: يُعرف المنهج عند أهل اللغة على أنَّهُ الطريق الواضح المستقيم [١]، أما اصطلاحاً: " فهو الاستفادة من الوسائل والمصادر الخاصة في تفسير القرآن الكريم والتي يُمكن عبرها تبيين وتعيين معنى ومقصود الآية والحصول على نتائج مشخصة" [٢]، ويُعرف أَيضاً بأنه " المسلك الذي يتخذه المُفسر في بيان المعاني واستنباطها مِنْ الألفاظ وربط بعضها مع بعض وذكر ما يدور فيه من آثار وإبراز ما تحمله من دلالات وأَحكام و معطيات دينية أَو أَدبية وغيرها تبعاً لاتجاه المُفسر وثقافته الدينية "[٣]، ولم ترد كلمة المنهج في القرآن الكريم بل وردت كلمة منهاج بقوله تعالى: ﴿**ولكلٌ مِنْكُم جَعّلنا شِرعةً وَمِنهاجا**﴾ [٤] أَي طريقاً واضحاً في الدين فضلاً عن أنَّ الآيات الكريمة تضمنت مفاهيم عديدة كلها تُعد مناهج للمفسر لغرض معرفة مراد الله تعالى [٥]، وذلك عبر ما يستخدمه المُفسر في بحثه من طرق وأدوات كالآيات والروايات واللغة والعلم غيرها ، فإذا كان البحث التفسيري يهدف إلى الكشف عن مراد الله تعالى من كلامه فإنَّ المنهج التفسيري هو الكيفية التي يحصل بها ذلك الكشف [٦].

ومِنْ الجدير بالذكر أنَّ كل بحث تفسيري يجب أَنْ يعتمد على مناهج معينة حتى يكون مثمراً ويتمكن من تحقيق أَهدافه بدقة وبخلاف ذلك ستكون نتائجه

١- ينظر : الفروق اللغوية : أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، تحقيق : مؤسسة النشر الإسلامي ، ط١ ، ١٤١٢هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم ـ إيران ، ٣١٣.

٢- دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن: محمد علي الرضائي ، تعريب : قاسم البيضاني ، ط ٤، ١٣٩٥ش -١٤٣٧ق، مركز المصطفى العالمي ـ إيران ، ٣٤-٣٥.

٣- معالم المنهج التفسيري عند السيد عبد الأعلى السبزواري : كاظم عودة الأسدي ، ط١ ، ٢٠٠٩ م ، مؤسسة العهد الصادق ـ قم ـ إيران ،٥١.

٤- سورة المائدة : الآية ، ٤٨.

٥- ينظر: أساسيات المنهج والخطاب في درس القرآن وتفسيره : محمد المصطفوي ، ط١، ٢٠٠٩م ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ، ٢٥.

٦- مراتب فهم القرآن : طلال الحسن ، ط١، ٢٠١٥م ، مؤسسة العرفان للثقافة الإسلامية ـ بيروت ـ لبنان ، ١١٦.

سلبية وهدامة بل ستؤدي إلى هدم البحث التفسيري برمته، وبهذا تكون العلاقة بين البحث التفسيري والمنهج علاقة وطيدة ، فالبحث التفسيري يهدف إلى معرفة مراد الله تعالى من كلامه، بينما المنهج هو الكيفية التي يستخدمها المُفسر لمعرفة المراد[١] .

وهنا يتضح أَنَّ البحث التفسيري أَعم وأشمل من المنهج التفسيري؛ لأنَّ هذا البحث يقوم على تسخير المناهج التفسيرية كالمنهج القرآني، والروائي، وغيرها كما يعتمد على مصادر عدة كالأثر، واللغة، وغيرها على حين الأخير آلية يستخدمها البحث التفسيري لتحقيق غاياته .

ثانياً :الاتجاه التفسيري : يُعرَف الاتجاه لغةً :بأَنَّهُ الوجهة التي يقصدها الشخص[٢]،واصطلاحاً : " هو تأثير الاعتقادات الدينية والكلامية على المُفسر فتوجه نظرته إلى الآيات بحسب ما يحمله مسبقاً من خلفيات عقدية واتجاهات عصرية "[٣]، وبناءً عليه فإنَّ اتجاه المفسر هو الكيفية والمرتكزات القبلية والخلفيات الذهنية السابقة وذوقه وتأثير الاعتقاد عليه، وهذا كله ينعكس على العملية التفسيرية، والذي يسعى بدوره لتكوين رؤية تفسيرية حول الموضوع الذي يروم تفسيره محاولاً إسنادها للنصوص الشرعية [٤]، أي أنَّ الاتجاه هو موقف أَيديولوجي تمليه الظروف المحيطة بالمفسر ويحدث داخل العملية التفسيرية أو حتى داخل المنهج[٥]، ومن المسلم به أنَّ المتتبع للبحث التفسيري يجد أنَّ الاتجاهات واضحة جداً في عملية التفسير، فمن الصعب بمكان أَنْ يتخلى المُفسر عن خلفياته وركام أفكاره، وبهذا فإن جُل التفاسير يغلب عليها الطابع الاتجاهي، على الرغم من محاولة تقديمها بطرق أفضل وإلباسها حلة جديدة وتلوينها بلون علمي [٦]،

١- ينظر : المنهج التفسيري عند العلامة الحيدري : طلال الحسن ، ط١، ٢٠١٠ م ، دار جواد الأئمة- بيروت – لبنان ، ٣١.
٢- ينظر : لسان العرب : ابن منظور ،١٣/ ٥٥٦ ـ ٥٥٧ .
٣- دروس في المناهج والاتجاهات : محمد علي الرضائي ، ٣٥.
٤- ينظر : المنهج التفسيري عند العلامة الحيدري : طلال الحسن ، ١٤.
٥- ينظر : أساسيات المنهج والخطاب : محمد مصطفوي ، ٣٠.
٦- ينظر : المنهج التفسيري عند العلامة الحيدري : طلال الحسن ، ١٤.

وعلى أية حال فإن أبرز ما يميز البحث التفسيري عن الاتجاه التفسيري هو أَنَّ البحث التفسيري كما مر سابقاً يطلق على كل ما يتعلق بالقرآن الكريم من علوم وما جاء فيه من أحكام وشرائع يحتاج إلى بحث وتفسير بغية كشف المعنى وإزاحة الستار عن كوامنه، بينما مفهوم الاتجاه التفسيري نجده يتعلق بشخص المُفسر نفسه أي ما يؤثر فيه من أفكار سابقة وانتماءات مذهبية وعصرية وثقافات وآداب، وكذلك الأساليب التي كتب بها التفسير أكانت ذاتية أم موضوعية[1].

مما مرَّ يتضح أنَّ الاتجاه التفسيري، ينظر فيه إلى المُفسر نفسه وما يسيطر عليه مِنْ أفكار وآراء وخلفيات فكرية واتجاهات وأجواء سياسية وعقدية وغيرها أَثرت في توجيه النص.

ثالثا : الأسلوب التفسيري : الأسلوب لغةً : يعطي معنى الطريق والمذهب وجمعه أساليب ومنه أساليب الشعر أي مذاهبه [2] ويقال أيضاً للسطر من النخيل أسلوب؛ لأنه ممتد وأخذ فلان أساليب الكلام أي أفانينه [3]، واصطلاحاً: يعرف بأنه:" طريقة عرض النتائج المستدل عليها بواسطة المناهج التفسيرية"[4] أو :"هو النمط التفسيري الذي يعتمده المفسر في الكشف عن مراد الله تعالى بمعنى كيفية تتبعه لآيات الكتاب الكريم"[5]، وبهذا يلتقي المعنى اللغوي والاصطلاحي، وعليه يكون الأسلوب التفسيري هو الطريقة ، والوجهة التي يتّبعها المفسر في عرضه للنتائج التي توصل إليها في أثناء دراسته وتفسيره للآيات أو هو طريق تقريب معاني الكتاب وإيصالها للمكلفين بطريقة مبسطة وعليه يكون الأسلوب التفسيري متنوعاً وخاضعاً لذوق المفسر ، واختصاصه ، وما يرغب به فتارة يكون

١- ينظر : دروس في المناهج والاتجاهات : محمد علي الرضائي ، ٣٥ .
٢- ينظر : المحيط في اللغة : ابن عباد ، ٨/ ٣٢٧.
٣- ينظر : لسان العرب : ابن منظور، ١/ ٤٧٣.
٤- مراتب فهم القرآن : طلال الحسن ، ١٢٢ .
٥- التفسير الموضوعي وإشكالية تحديد المصطلح : إقبال وافي ، مجلة جامعة بابل / العلوم الإنسانية ،٢٠١٧م، مجلد ٢٥، عدد ٣، ١٢٦٤.

موضوعيا وأخرى ترتيبياً وثالثة مفرداتياً وهكذا بحسب ما يختاره المفسر[1].

وبناءً عليه تكون العلاقة بين البحث التفسيري والأسلوب التفسيري أنَّ الأول هو ضابطة كلية تشمل كل عمليات التفسير، ومباحثه ،ومناهجه ، وأساليبه، أي أنّهُ ناظرٌ إلى العملية التفسيرية وما ينطوي تحتها من مباحث تفسيرية وغير خاضعة لذوق المفسر، وميله الخاص ، بل يصب اهتمامه إلى معرفة مراد الله من كلامه، أما الأسلوب التفسيري فهو يتعلق بطريقة المفسر في كيفية انتقائهِ لأسلوب التفسير الذي يخوض فيه وطريقة عرض نتاجه .

المطلب الثاني : مصطلحات ذات علاقة بالاستشراق :

أولاً : الاستغراب : الاستغراب هو من المفردات المغايرة للاستشراق؛ إذ يعرف بأَنَّهُ مأخوذ من الفعل "غرب " ومعناه الاغتراب والتغرب ، وأيضاً ، يعطي معنى غروب الشمس، وله معنى آخر يُراد به البعد[2].

أما المدلول الاصطلاحي للاستغراب فهو دراسة الباحثين الشرقيين للغرب من كل الجوانب ولذا يعرف المستغرب هو من تبحر مِنْ أهل الشرق في إحدى لغات الغرب وآدابها "[3]، وعليه فإنْ الاستغراب هو علم يدعو إلى دراسة البلاد الغربية والاستفادة من ثقافتها، بخلاف التغريب الذي هو قائم على تقليد الثقافات الغربية ، وهنا لابد من التفريق بين الاستغراب والتغريب ؛ إذ إنَّ الاول يعني دراسة التراث الغربي والاستفادة منهُ وترجمتهُ وإيقاف المد الثقافي على الحضارة الإسلامية، أما الثاني فهو تقليد الغرب في عاداته وتقاليده وأفكاره بحيث يؤدي إلى نسخ الهوية العربية، وإحلال الهوية الغربية مكانها و ينطبق هذا

١- ينظر : دروس في المناهج والاتجاهات : محمد علي الرضائي، ٤٢.
٢- ينظر : الصحاح : الجوهري ، ١ / ١٩١ .
٣- ينظر : فلسفة الاستشراق : احمد سمايلوفيتش ، ٣٧.

الأمر على الأشخاص الذين أعجبوا بالثقافة الغربية وأخذوا يتمثلون بها [1].

إنَّ العلاقة بين الغرب والشرق ليست وليدة العصر الحاضر، أو مِنْ مبتكرات الحداثة ، بل إنَّ جذورها موغلة في القدم؛ إذ ترجع إلى العلاقة بين حضارات الشرق القديمة كالأشورية ، والبابلية وحضارات الغرب القديمة كاليونانية ، والرومانية ، وينظر الى الإسلام على أنّه حضارة نشأت في الشرق لذا فهو وريث الحضارات الشرقية [2]، ويبدو أنَّ هناك كثيراً من التساؤلات التي تتبادر إلى أذهان الباحثين من مثل هل هناك علم حقيقي منظم يسمى "الاستغراب"؟، وهل رحلات العلماء العرب وترجمتهم للتراث الغربي سابقاً تُعد من بذور الاستغراب الأولى؟ والظاهر أن من الصعب جداً أنْ نجد من يجزم بذلك على أسس منهجية منظمة كالاستشراق [3]، لهذا تعالت أصوات المفكرين العرب بضرورة وجود علم استغراب يدرس الثقافة الغربية بصورة مُنهجة ودقيقة أسوةً بعلم الاستشراق؛ لأنهم نادوا بأن تُدرس الحضارة الغربية بصورة معتدلة وبعيداً عن تسقيط الآخر مستمداً ذلك من الثقافة الإسلامية وليس كما بَحث الغرب تراثنا بصورة مشوهة منطلقين من خلفيات ثقافية ودينية معينة [4]، أما مهمة هذا العلم فتكمن في إبقاء المحورية العربية السابقة وتقويض المحورية الأوربية بحيث تكون الثقافة العربية هي "الذات" والثقافة الغربية هي "الموضوع"، فضلاً عن دوره في حل الإشكالية التي تشعر بها الشعوب العربية، على اعتبار أنَّ الثقافة الغربية أعلى كعباً من الثقافة العربية " فإذا كان الاستشراق هو عقدة الأنا "الشرق" والآخر "الغرب" فيهدف علم الاستغراب إلى فك العقدة التاريخية المزدوجة بين "الأنا" و"الآخر"

١- ينظر : الاستشراق أهدافه وسائله دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون : محمد فتح الله الزيادي ، ط١ ، ١٩٩٨ م ، دار قتيبة ـ بيروت ـ لبنان، ٢٠ .

٢- ينظر : مقدمة في علم الاستغراب : حسن حنفي، بلا. ط ،١٩٩١م ، الدار الفنية ـ القاهرة ـ مصر، ٥٦.

٣- ينظر : فلسفة الاستشراق : احمد سمايلوفيتش، ٢٥.

٤- ينظر : كنه الاستغراب في فهمنا للغرب : علي بن إبراهيم النملة ، ط٢، ٢٠١٦م ، بيسان للنشر والتوزيع ـ بيروت – لبنان ،٢٤.

والجدل بين مركب النقص عند "الأنا" والعظمة عند "الآخر"[1].

ومما سبق يظهر أنَّ علم الاستغراب علم حديث جداً؛ بل ما زال في طور التكوين ولم يبصر النور ضمن أطر منظمة منهجياً، بحيث لم يتم إرسال بعثات استغرابية أسوةً بالبعثات الاستشراقية التي أرسلت ، وقد فرق الباحث بين الاستغراب ، والتغريب على أنَّ الأول علم له أسس ومناهج إيجابية في حال تطبيقه، ويرمي إلى إرجاع المحورية المفقودة للثقافة العربية والحد من ظاهرة المد الغربي المتنامي، في حين يُعد الثاني ظاهرة سلبية غير مقبولة اجتماعياً وثقافياً.

ثانياً : الاستغراب : إنَّ لفظة الاستغراب مِنْ الألفاظ التي ترتبط بالاستشراق وقد تكون متفرعة منه، والاستغراب لغة "أعرب الرجل إذا فصح القول والمرأة العروب الطيبة" [2]، وجاء في لسان العرب " والعرب خلاف العجم، والعاربة هم الخلص منهم، والمستعربة هم الدخلاء"[3].

أما على النحو الاصطلاحي فيعرف بأنه " علم يختص بدراسة حياة العرب وما يتعلق بهم من حضارة ، وآداب، ولغة، وتاريخ ، وفلسفات، وأديان، وله أصوله، وفروعه، ومدارسه وخصائصه، وأصحابه، وأتباعه، ومنهجه، وفلسفته، وتاريخه، وأهدافه"[4]، أو "هو من تبحر من غير أهل العرب في اللغة العربية وآدابها وتعلق بها وفي دراستها "[5].

لقد وجد هذا المصطلح على يد عدد من الباحثين الغربيين الذين تعمقوا في دراسة القضايا العربية، ولاسيما المدرسة الاسبانية، التي اهتمت حصراً في دراسة التراث العربي في الأندلس، وهاهم المستعربة الاسبان يرفضون وصمهم

١- مقدمة في علم الاستغراب : حسن حنفي ، ٢٩.
٢- العين : الفراهيدي ، ٢ / ١٢٨-١٢٩ .
٣- لسان العرب : ابن منظور ،١/ ٥٨٦ .
٤- فلسفة الاستشراق : احمد سمايلوفيتش ،٣٤.
٥- المصدر نفسه ،١٤ .

بالاستشراق؛ لأنهم ارتبطوا في دراسة اللغة العربية حصراً دون اللغات الشرقية الأخرى كالتركية والفارسية وغيرها [1].

ومما لاشك فيه أنَّ هذا المصطلح قد شغل حيزاً واسعاً في الفكر الغربي؛ إذ إنَّهُ يرمي إلى ترجمة التراث الثقافي العربي الإسلامي إبان حكم الأندلس، وكان نابعاً من حاجة ملحة الى دراسة عالم يكتنفه الغموض، وكيفية وضع الحلول لتطبيع هذا العالم، وقد توسع هذا المفهوم ليشمل كُل من تمعن في دراسة اللغة العربية من غير العرب، سواء أكان غربياً أم ممن يقطنون الشرق كدول الشرق الأدنى فلا ينعتون بأنهم مستشرقون، ولابد من الإشارة هنا إلى أنَّ علم الاستعراب قد أبصر النور في أوربا، وذلك إبان بلوغ حضارة العرب أوج عظمتها في الأندلس، إذ توافدت أفواج مِنْ الدارسين الأوربيين على ارتياد المدارس العربية هناك؛ بهدف تعرّف النتاج العربي، كما يعبر عن ذلك أحد رجال الدين المسيحي بقوله :" إنَّ إخواني في الدين ليجدون لذة كبرى في قراءة شعر العرب وحكاياتهم ويقبلون على دراسة مذاهب أهل الدين والفلاسفة المسلمين لا ليردوا عليها وإنما ليكتبوا من ذلك أسلوباً عربياً جميلاً وصحيحاً"[2]، وهنا يتضح أنَّ الاستعراب قد نضج وتطور في أحضان المدرسة الغربية وهو بهذا يُعد رديفاً للاستشراق ومولداً عنه، فقد كانت الدراسات الاستعرابية منظمة ومدروسة وذات أهداف محددة، هي خدمة الكنائس والأديرة[3] فيما بعد ذلك عبر الإقبال على تحقيق مخطوطات التراث العربي، وإنشاء كراسي لتدريس العربية في الجامعات الغربية وغيرها من

١- ينظر : الحركة الاستعرابية مدرسة كوديرا أنموذجا: مصطفى الغديري، ط١ ، ٢٠٠٣م ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الأول ، وجدة ـ المغرب ،٨١ـ ٨٦ .

٢- ينظر : فلسفة الاستشراق : احمد سمايلوفيتش ، ٦٧

٣- الفرق بين الكنيسة والدير : " الكنيسة هي تطلق على جماعة من المؤمنين يشتركون بنفس العقائد ، أو هي جسد المسيح أو بيت الله المكرس بالعبادة أو بيت الملائكة الذين يسبحون معنا ، أما الدير : فهو المكان الذي يقيم فيه مجموعة من الرهبان والراهبات " . قاموس المصطلحات الكنسية : القمص تادرس يعقوب ملطي ، بلا. ط ، بلا. ت ، مشروع الكنوز القبطية ـ مصر ، ٢٨ ، ١٤ .

الأعمال الاستشراقية، مما يؤيد تنظيم عملية الاستعراب ما صرح به أحدهم" أما عن الكتابة في لغة العرب فإنك واجد فيهم عدداً عظيماً يجدونها في أسلوب منمق بل هم ينظمون الشعر حتى ما يفوق شعر العرب أنفسهم فناً وجمالاً "[1].

بناءً على ذلك يظهر أنَّ مفهوم الاستعراب لا يبتعد كثيراً عن مفهوم الاستشراق؛ إذ أنَّ الأول يشمل كُل من يختص بدراسة اللغة العربية حصراً ، أما الثاني فإنَّهُ ما يهتم بدراسة كل ما يتعلق بالشرق من علوم وغيرها.

المبحث الثالث : البحث التفسيري عند الامامية مفهومه ونشأته ومناهجه

المطلب الأول : البحث التفسيري عند الامامية مفهومه ونشأته :

أولاً: مفهوم البحث التفسيري: لا يرتاب ذو لب أنَّ العبارات الواردة في القرآن عالية المضامين انطلاقاً من كونه كلام الله عزوجل، فهي تحتاج إلى بيان وإيضاح، وبما أنَّهُ جاء شاملاً لعلوم ومسائل متعددة احتاجت كل منها إلى بحث وتفسير، لهذا تعددت بحوث التفسير وتنوعت بحسب تنوع العلوم التي جاءت في القرآن الكريم، والتي تناولها الباحثون والمفسرون بحسب ما يختصون به من علوم فمن خص آيات العقائد بالبحث والتفسير، فهو يدخل تحت طائلة بحث التفسير العقائدي، ومن تناول الآيات التي احتوت على الأحكام ويبين جوانبها الفقهية فهو يدخل تحت مفهوم بحث التفسير الفقهي، ومن شرع في تفسير الآيات التي اشتملت على جنبة إعجازية فهو يندرج تحت بحث إعجاز القرآن وهكذا ... ، وعبر النظر إلى تلك العلوم مجتمعة يتبلور المفهوم الأساس للبحث التفسيري، على أنَّهُ موضوع جامع وضابطة كلية لجزئيات كثيرة تنطوي تحته [2].

وبناءً على ما تقدم يظهر أنَّ مفهوم البحث التفسيري هو مفهوم عام، تندرج تحته مواضيع متعددة، يمكن أنْ يُطلق هذا المفهوم على عملية التفسير برمتها

١ – ينظر : فلسفة الاستشراق : احمد سمايلوفيتش،٦٧.
٢ – ينظر : المصدر نفسه ،٧٦– ٧٥

سواء ما تعلق منها بالأحكام أم بالأخلاق أم بالعقائد، مادام يدخل ضمن ضوابط العملية التفسيرية ويخضع لمناهجها.

نشأة البحث التفسيري عند الامامية: مما لا ريب فيه أنَّ البحث التفسيري عند الامامية قد مر بمراحل عدة منذ بواكير نشأته الأولى؛ إذ ظهرت البحوث التفسيرية تباعاً عن طريق البيان النبوي للقرآن الكريم، وما أدركه المسلمون من ذلك البيان، وأنَّ المتعمق في البحث التفسيري عند الإمامية يجد أنَّ هناك ظروفاً كثيرة ألقت بظلالها على هذا البحث مما جعلته يمر بمراحل متعددة في مسيرته التاريخية، يمكن حصرها بثلاث مراحل هي :

المرحلة الأولى: مرحلة بواكير البحث التفسيري عند الامامية :

إنَّ المتتبع لهذه المرحلة يجد أنَّ جذورها تمتد إلى عصر النبوة من البيان الأول الذي صدر عن النبي الأعظم ﷺ وتفسيره لما أشكل على الصحابة مِنْ الكتاب العزيز، وتنتهي بظهور أولى المصنفات التفسيرية التي ظهرت في القرن الثاني الهجري [1]، لقد انطلقت الشرارة الأولى للبحث التفسيري عندما شرع صاحب الوظيفة الإلهية بتفسيره لكل ما جاء في الكتاب الكريم مِنْ مسائل تحتاج إلى بيان كتفصيل الأحكام الواردة فيه، كما جاء في رواية كعب بن عجرة [2] عن الرسول ﷺ في قوله : " صلوا كما رأيتموني أصلي " [3]، وإيضاح المفردات الغريبة، كتفسيره "فاكهة وأبا " لمن أشكل عليه الأمر [4] وتقييده لما أطلق في قوله تعالى ﴿ **مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ** ﴾[5] فقد قيد الوصية بثلث التركة، وبيانه لما جاء فيه من علوم

١ – ينظر : المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق : محمد حسين الصغير ، ط١ ، ٢٠٠٠ م ، دار المؤرخ العربي - بيروت – لبنان ، ١٣٥ .

٢ – "كعب بن عجرة : من أصحاب رسول الله وأمير المؤمنين صلوات الله عليها " . مستدركات علم رجال الحديث : علي النمازي الشاهرودي ، ط١ ، ١٤١٥هـ ، مطبعة حيدري - طهران - إيران ، ٦ / ٣٠٨ .

٣– بحار الأنوار : العلامة محمد باقر المجلسي ، ط٢، ١٤٠٢هـ ، دار إحياء التراث العربي - بيروت – لبنان ، ٨٢ / ٢٧٩.

٤ – ينظر : التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبي ، بلا. ط ، بلا. ت، مكتبة وهبة - القاهرة - مصر، ١/ ٢٩.

٥ – سورة النساء ، الآية :١٢ .

كتقّييد المطلقات ، وتخصيص العمومات، وغيرها [1]، ومن ينعم النظر فيما صدر عن النبي ﷺ من بيان يجد أنَّهُ قد شرع الأسُس الأولى للبحث التفسيري الذي سارت عليه الأمة فيما بعد، وقد أكمل أئمة الهدىﷺ المسيرة من بعده وأسسوا لمباحث التفسير على اختلاف أنواعها، وهذا واضحٌ من سيرتهم العطرة، وكان في مقدمتهم ربيب الوحي وتلميذ النبوة [2] أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺوقد جاءت رواية أبي عبد الرحمن السلمي [3] أنْ علياً ﷺ مر على قاضٍ فقالﷺ: " أتعرف الناسخ من المنسوخ " فقال لا " قال :إذاً هلكت وأهلكت "[4]، وكذلك استنباطه الأحكام من الآيات كاستدلاله بأنَّ أقل مدة الحمل هي ستة أشهر وذلك عبر مقابلة الآيتين الكريمتين ﴿ **وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ**﴾[5]﴿**وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا**﴾ [6]، ثم سار الأئمة على هذا النهج بعده فشرعوا بمهمة وضع أسس التفسير وكشف النقاب عن كوامن الآيات القرآنية، مستخدمين النهج ذاته ومتسلحين بما ورثوا عن النبي ﷺ من العلم وما أُثر عنه من روايات، وبهذا شرعوا ببيان كل ما تعلق بالكتاب الكريم من علوم وأحكام وعقائد وتشريع وغيره، ويدل على ذلك رواية محمد بن الحسين[7]، عن أبيه، عن بكر بن صالح [8]، عن عبد الله بن إبراهيم

١- ينظر : التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب : الشيخ محمد هادي معرفة ، ط٢، ١٤٢٥هـ الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية ـ إيران ، ١/ ١٥٧- ١٥٨ .
٢- ينظر : التفسير والمفسرون : الذهبي ، ١/ ٨٩.
٣- " أبي عبد الرحمن السلمي : من خواصّ أصحاب عليّ (عليه السلام) " . قاموس الرجال : محمد تقي التستري ، تحقيق : مؤسسة النشر الإسلامي ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم ـ إيران ، ١١ / ٣٩٥ .
٤- وسائل الشيعة : محمد بن الحسن الحر العاملي ، تحقيق : مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث ، ط٢ ، ١٤١٤هـ ، مطبعة مهر ـ قم ـ إيران ، ٢٧ / ٢٠٢ .
٥- سورة لقمان : الآية ، ١٤.
٦- سورة الأحقاف : الآية ، ١٥ .
٧- " محمد بن الحسين : ثقة " . الأبواب (رجال الطوسي) : ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، ط١، ١٤١٥هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم المقدسة ـ إيران، ٣٧٩ .
٨- " بكر بن صالح : ضعيف " . ينظر : رجال الغضائري : احمد بن الحسين الغضائري ، تحقيق : محمد رضا الجلالي ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ، دار الحديث للطباعة والنشر – قم المقدسة ـ إيران ، ٤٤ .

الجعفري[1]، عن يعقوب بن جعفر[2] قال : " كنت مع أبي الحسن ﷺ بمكة فقال له قائل: إنَّك لتفسر من كتاب الله ما لا يسمع فقال:علينا نزل قبل الناس ولنا فُسّر قبل أنْ يُفسّر للناس فنحن نعرف حلاله وحرامه وناسخه ومنسوخه "[3]، وتأسيساً على ما سبق استمر البحث التفسيري في النشوء والتبلور حتى ظهور أولى المصنفات التفسيرية في أواخر القرن الثاني الهجري، ولعل الطابع الذي غلب على البحث التفسيري لهذه المرحلة أنها استندت إلى الأثر الوارد عن النبي الأكرم ﷺ وأهل بيته الأطهار، مما طبعها بطابع روائي بحت، وفي ذلك دلالة على اهتمام المسلمين بعملية تدوين الروايات التفسيرية[4].

وبعد النظر في هذه المرحلة يتضح أنها مرحلة تأسيسية، وجدت فيها جذور لكل أنواع البحث التفسيري، إذ شملت بحوث التفسير اللغوية ، و الفقهية ، والموضوعية ، وعلوم القرآن ، وغيرها ، وتناولتها بالبحث والتفسير لبيان مضامينها وكشف معانيها، كما أنَّها أسست لظهور مناهج التفسير، وبهذا ساد عليها طابع البحث الشفوي فهي لم تُدون إما لندرة أدوات الكتابة أو لمنع التدوين آنذاك .

المرحلة الثانية: مرحلة تدوين البحث التفسيري عند الامامية :

من المؤكد أنَّ المرحلة الأولى للتفسير قد أسست لما بعدها، فمهدت الطريق الى البحث التفسيري الذي أخذ يزدهر ويأتي ثماره بدءًا من عصر النبي ﷺ مروراً بعصر الأئمة وصولاً إلى أصحاب الأئمة وتلامذتهم، ويمكن تحديد البدايات الأولى لهذه المرحلة ببداية المحاولات الأولى لتدوين البحث التفسيري

١- "عبد الله بن إبراهيم الجعفري : ثقة " . معجم رجال الحديث : ابو القاسم بن علي اكبر(السيد الخوئي)، ط٥ ، ١٩٩٢م ، مركز نشر الثقافة الإسلامي ـ إيران ، ١١ / ٩٠ .

٢- "يعقوب بن جعفر : ثقة روى عن أئمة أهل البيت ﷺ " . المفيد من معجم رجال الحديث : محمد الجواهري ، ط٢ ، ١٤٢٤هـ ، مكتبة المحلاتي – قم – إيران ، ٦٧٣ .

٣- تفسير نور الثقلين : الشيخ عبد علي بن جمعة الحويزي ، تصحيح : هاشم الرسولي المحلاتي ، ط ٤ ،١٤١٤هـ ، مؤسسة إسماعيليان ـ إيران ،٤/ ٥٩٥ .

٤- ينظر : مجمع البيان : الطبرسي ، ١/ ٢٤.

من قبل بعض أصحاب الأئمة، إذ جاءت بواكير هذه المرحلة على شكل بحوث تفسيرية متفرقة قد تناول كل منها موضوعاً معيناً وأفرده بالبحث والتفسير، ومن أمثلة الكتب التي ألفت في تلك المرحلة " كتاب "القراءات " لـ أبان بن تغلب (ت:١٤١هـ)[١] وأحكام القرآن" لـ محمد بن السائب الكلبي(ت:١٤٦هـ) وغيرها[٢]، ثم تطورت عملية البحث التفسيري عبر تدوين الروايات التفسيرية وتتبع الأثر النبوي في بيان مباحث التفسير، بهذا جاءت على شكل تفاسير منتظمة مثل تفسير أبي حمزة الثمالي(ت: ١٥٠هـ)[٣] وتفسير العياشي (ت:٣٢٠هـ)[٤]، وكذلك تفسير فرات الكوفي(ت:٣٥٢هـ)[٥] و تفسير القمي(ت:٣٢٩)[٦] ، فضلاً عن تفسير النعماني(ت:٣٦٠هـ)[٧] وغيرها ، وقد شهد القرن الثالث ظهور مباحث التفسير الاشاري ،الذي بدأت بواكيره الأولى في الوسط العرفاني كتفسير "كشف الأسرار" للميَبدي [٨]، أما منتصف القرن السادس الهجري فقد شهدت

١- ." أبان بن تغلب : كان قارئا من وجوه القراء ، فقيهاً ، لغوياً ، توفي سنة ١٤١هـ" . فهرست أسماء مصنفي الشيعة : أبو العباس أحمد بن علي النجاشي ، ط٥ ، ١٤١٦هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم ـ إيران ،١٠

٢- ينظر : تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام : حسين الصدر ، بلا.ط ، ١٩٥١م ـ ، منشورات الأعلمي ـ بيروت ـ لبنان ،٣٢٠.

٣- " أبو حمزة الثمالي : ثابت بن دينار ، وكنيته أبو حمزة الثمالي ، روى عن علي بن الحسين (عليه السلام) ومن بعده ، وكان ثقة ، توفي سنة ١٥٠هـ" . خلاصة الأقوال في معرفة الرجال : الحسن بن يوسف بن المطهر (العلامة الحلي)، تحقيق : جواد القيومي ، ط١ ، ١٤١٧هـ ، مؤسسة نشر الفقاهة ـ إيران ، ٨٥ ـ ٨٦ .

٤- " تفسير العياشي لمحمد بن مسعود العياشي : أبو النضر المعروف بالعياشي : ثقة ، وصنف أبو النضر كتبا منها : كتاب التفسير ، جليل القدر ، واسع الاخبار ، بصير بالروايات ،مطلع عليها ، توفي سنة ٣٢٠هـ " . معجم رجال الحديث : الخوئي ، ١٨ / ٢٣٧ ، ٢٣٩ .

٥- " فرات الكوفي : صاحب التفسير المعروف ، المقصور على الروايات عن الأئمة الهداة ﷺ ، نزيل قم ، والمتوفى بها ، الذي كان من أصحاب الإمام الرضا والجواد والهادي ﷺ ، توفي سنة ٣٥٢هـ" . المصدر نفسه ،١٤ / ٢٧١ .

٦- تفسير القمي لعلي بن إبراهيم القمي : ثقة في الحديث ، صحيح المذهب سمع فأكثر ، كان في عصر الإمام العسكري ﷺ وعاش إلى سنة ٣٠٧ – وقد أكثر ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني الرواية عنه في الكافي – توفي سنة ٣٢٩ هـ .ينظر : تفسير القمي : علي بن إبراهيم القمي ، تحقيق : مؤسسة الإمام المهدي ، ط١ ، ١٤٣٥هـ ، مؤسسة الإمام المهدي ـ قم ـ إيران ، ١ / ٨

٧- " تفسير النعماني لمحمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني : شيخ من أصحابنا ، عظيم القدر ، صحيح العقيدة ، كثير الحديث ،قدم بغداد وخرج إلى الشام ومات بها ، له كتب عديدة ، توفي سنة ٣٦٠هـ " . نقد الرجال :مصطفى التفريشي ، تحقيق : مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، ط١ ، ١٤١٨هـ ، مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث – قم ـ إيران ، ٤ / ٩٣ ـ ٩٤ .

٨- الميبدي : أبو الفضل رشيد الدين الميبدي من مفسري القرن السادس الهجري ولد في إيران في مدينة ميبد أكثر من المنهج الأشاري في تفسيره توفي عام ٥٧٠م . ينظر : التفسير الموضوعي عند أبي الفضل الميبدي في كشف الأسرار وعدة الأبرار : إيمان كنفاني ، أطروحة دكتوراه ـ جامعة ملايا ـ كوالالمبور ، ٢٠١٧م ، ١٥ ـ ١٧ .

حركة البحث التفسيري تطوراً كبيراً إذ تجاوزت طابع التفسير بالروايات إلى بحث التفسير الاجتهادي وكان من نتاجها التفاسير الجامعة كتفسير "التبيان" للطوسي(ت:٤٦٠هـ) وتفسير" مجمع البيان" للطبرسي (ت:٥٤٨هـ) [١]، استمرت حركة البحث التفسيري بالتطور حتى أواخر القرن الثالث عشر، فنجد أنَّ بحوث التفسير في تلك المرحلة بدأت تأخذ أنماطاً متعددة؛ فهي تارة تتجه نحو الروايات التفسيرية وأخرى نحو الجانب الاجتهادي، وثالثة تبحث الآيات من جانب فقهي وهكذا، ومن الجدير ذكره أنَّ هذه المرحلة تُعد الأهم من بين مراحل البحث التفسيري؛ ولعل السبب في ذلك يعود إلى قربها من مصدر التشريع، وتدوينها للتراث التفسيري الذي جاء في بادئ الأمر على شكل بحوث تفسيرية خاصة ببعض الآيات [٢]، وأنَّ هذه المرحلة شهدت ظهورًا وتطورًا لكثير من المباحث التفسيرية كالاشاري والاجتهادي والكلامي، على الرغم من هيمنة الروايات التفسيرية على التفاسير الواردة مما أضفى عليها طابعاً أثرياً.

المرحلة الثالثة: مرحلة ازدهار البحث التفسيري وتجديده:

تُعد هذه المرحلة من أكثر المراحل التي مرَّ بها البحث التفسيري خطورة؛ لأنها وضعت البحث التفسيري في مواجهة التحديات الجديدة للحياة البشرية وما واكبها من ظهور علوم وتوجهات غريبة عن الساحة الإسلامية، وقد ألقت الأخيرة بظلالها على الحركة التفسيرية، وبهذا أخذ طابع التحدي والمواجهة بين الحداثة والبحث التفسيري على أساس شمولية القرآن وصلاحه لكل العصور والأزمنة ، لذا أصبحت الحاجة ملحة إلى ظهور مباحث تفسيرية تتماشى مع تطور

١- ينظر : مجمع البيان : الطبرسي، ١/ ٢٨-٣٠. وينظر : تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام : حسين الصدر ، ٣٢٠ وينظر : التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: محمد هادي معرفة ، ١/ ١٥٨،.و ينظر : دروس في المناهج والاتجاهات : محمد علي الرضائي ، ١١٥

٢- ينظر : أساسيات علم التفسير: مركز المعارف للتأليف والتحقيق ، ط١ ، ٢٠١٧م ، دار المعارف الإسلامية ـ بيروت ـ لبنان ، ٢٠.

الحياة البشرية ، ومؤكدة لمركزية القرآن الكريم ودوره الفاعل في تغطية الأحداث والوقائع [١]، وبناءً على ما أفرزته الحضارة من علوم نتج لنا بحث التفسير العلمي، الذي أخذ على عاتقهُ تفسير الظواهر العلمية، التي وردت إشارات في القرآن الكريم وفق ضوابط وأسس التفسير الصحيحة وليس نعني من ذلك إسقاط النظريات على القرآن [٢]، و لابد من الإشارة هنا إلى إنَّ هذا النوع من البحوث التفسيرية لم يفرد له مؤلف خاص عند الإمامية، إلا أنَّهُ جاء على شكل مباحث في بعض كتب الإمامية ومؤلفاتهم أمثال كتاب السيد هبة الدين الشهرستاني"الهيئة والإسلام " وكتاب الملا هادي الشيرازي "شرح المنظومة "[٣].

في حين نجد أنَّ بعض الباحثين قد أدرك التحديات الاجتماعية وما رافقها من تطورات معاصرة فتوجه لمعالجة هذه المشكلات فبحث التفسير من وجهة نظر اجتماعية ومِنْ أبرز الكتب التي تناولت الموضوع من هذا الجانب تفسير آلاء الرحمن للشيخ البلاغي، وتفسير مواهب الرحمن للسيد عبد الاعلى السبزواري، و "التفسير الأمثل " للشيخ ناصر مكارم الشيرازي، و"تفسير الكاشف "لـ محمد جواد مغنية، ويُعد هذا النوع من البحث التفسيري من أكثرها نضجاً ورواجاً في العصور الحديثة [٤]، وبخلاف ذلك اتجه بعض الباحثين إلى دراسة البناء النصي للقرآن الكريم وملاحظة التركيب الدقيق والسبك العجيب فبحثه من جهة تفسير بنائه وتركيب عباراته مثل " التفسير البنائي للقرآن الكريم للدكتور محمود البستاني "والتفسير التحليلي للدكتور محمد حسين الصغير [٥].

١- ينظر : المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم : محمد حسين الصغير ، ١٤٨ .
٢- ينظر : مناهل العرفان: الزرقاني ، ٢/ ٩٨.
٣- ينظر : دروس في المناهج والاتجاهات : محمد على الرضائي ، ١٨٩ .
٤- ينظر: التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبي ، ٢ / ٥٤٧- ٥٥٠. وينظر: التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب : محمد هادي معرفة ،٢ / ٤٥٣ .
٥- ينظر : التفسير البنائي للقرآن الكريم : محمود البستاني ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ، مؤسسة الطبع التابعة للأستانة الرضوية المقدسة ـ مشهد ـ إيران ، ١/ ٧ـ ١٠ .

وبهذا تميزت هذه المرحلة بأنها مزجت بين مراحل البحث التفسيري السابقة فلم تتخل عن الأثر الشريف ولم تتنازل عن اللغة ولا تركت الاجتهاد ولا الإشارة بل اقتطفت من هذا وذاك فجمعت بين الأصالة والمعاصرة، وإنَّ المتتبع لتاريخ البحث التفسيري عند الامامية يجد أنَّ نشوءه كان نبوياً وتطوره كان على يد الأئمة عليهم السلام وتدوينه على يد أصحابهم، و تشير المصادر إلى أنَّ التطورات الحاصلة على الساحة الإسلامية كان لها أثر في تنوع البحث التفسيري لاسّيما بعد ظهور المذاهب الفقهية والكلامية والباطنية بدءً من عصر التدوين وصولاً إلى عصر الازدهار .

المطلب الثاني: مناهج البحث التفسيري عند الامامية:

ليس هناك شك في أنَّ كلَّ عمل مُنظم سيكون منتجاً وذا ثمار جنية، إذا سار وفق منهج دقيق ومتزن، وإذا أراد البحث التفسيري أن يكون منتجاً لابد له من السير على مناهج محددة ودقيقة، وحتى يتمكن من تحقيق أهدافه بدقة عالية، لذا اعتمد البحث التفسيري على مناهج عديدة فتحت له باباً للولوج إلى معنى الآيات الكريمة، وعليه لابد من إلقاء نظرة على أشهر المناهج المتبعة في عملية البحث التفسيري عند الامامية، ومنها:

أولاً: المنهج القرآني :

يُعد منهج تفسير القرآن بالقرآن مِنْ أهم المناهج المتبعة في العملية التفسيرية؛ إذ تعود جذور هذا المنهج إلى الحقبة الأولى للبحث التفسيري زمن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله - فالدلائل التاريخية تشير إلى وجود هذا المنهج في بيان النبي صلى الله عليه وآله للصحابة لبعض ما أشكل عليهم كما في تفسير قوله تعالى : ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ**﴾[1]، فسأله الصحابة يا رسول الله ومَنْ منا لم يظلم نفسه ؟ فأجاب صلى الله عليه وآله أمَا قرأتم قوله تعالى : ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾[2]

١- سورة الأنعام : الآية ، ٨٢ .
٢- سورة لقمان : الآية ، ١٣ .

ففسر الظلم بالشرك وليس كما ذهب الصحابة [1]، و هذا المنهج وجد في سيرة الأئمة عليهم السلام كتفسير أقل مدة حمل بستة أشهر عند الإمام علي عليه السلام [2]، وتفسير الإمام الباقر عليه السلام مسألة القصر في الصلاة [3]، وعلى الرغم من ذلك فأن هناك إشاراتٍ طفيفة لمعارضة هذا المنهج ذكرها صاحب الميزان[4]،عاداً إياه نوعاً مِنْ أنواع ضرب القرآن بعضه ببعض ، بقصد إظهار الاختلاف المتناقض مستدلاً ببعض الآثار عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام وقد حظيت بردود العلماء[5]، وقد نال هذا المنهج شهرة واسعة من بين مناهج التفسير، بحيث كثر استخدامه حتى أضحى المنهج الأول في البحث التفسيري، وكثر الاستدلال على صحته بالآيات القرآنية والتفسيرات النبوية، وهذا ما صرح به كبار علماء الامامية " كيف يكون القرآن هدىً، وبينةً، وفرقاناً، ونوراً ، مبيناً للناس في جميع ما يحتاجون إليه ، ولا يكفيهم في احتياجهم إليه وهو أشد الاحتياج "[6]، وقد ظهرت بوادره الأولى في تفاسير الامامية عند الطوسي(ت:٤٦٠هـ) في تبيانه والطبرسي (ت:٥٤٨هـ) في مجمعه والطباطائي (ت:١٤٠٢هـ) في ميزانه [7].

بهذا يتضح أنَّ المنهج القرآني مِنْ أكثر المناهج قبولاً في البحث التفسيري، بل هو الدعامة الأساس في البحث التفسيري، ولا غنى للمفسرين عنه، إلا من اختص بجانب معين كالأثر، ولابد من الإشارة إلى أنَّ هذا المنهج ندر إفراد مؤلَّف خاص به عند الامامية سوى كتاب تفسير القرآن بالقران والسنة للدكتور

١- تفسير القرآن العظيم : عماد الدين ابو الفداء اسماعيل ابن كثير القرشي ، تحقيق : سامي محمد سلامة ، بلا. ط ، ١٩٩٩م ، دار طيبة ـ الرياض ـ السعودية ، ٤/ ٤٤٤.

٢- تفسير الصافي : محمد محسن بن مرتضى(الفيض الكاشاني)، صححه وعلق عليه : حسين الأعلمي ، ط ٢ ، ١٤١٦هـ ، مؤسسة الهادي ـ قم ـ إيران ، ٥/ ١٤.

٣- وسائل الشيعة : الحر العاملي ، ٨ / ٥١٧ .

٤- ينظر : الميزان : الطباطبائي ، ٣/ ٨١- ٨٧ .

٥- ينظر : دروس في المناهج الاتجاهات : محمد علي الرضائي ، ٤٨ ـ ٤٩ .

٦- الميزان : الطباطبائي،١/ ١٤.

٧- المنهج التفسيري عند العلامة الحيدري : طلال الحسن ، ٣٥

محمد الصادقي الطهراني ، بل جاء ضمن مجامع التفسير لعلماء الامامية، على أنَّ الاهتمام به إنَّما زاد في العصور الحديثة .

ثانياً : المنهج الروائي :

لقد عُدَّ هذا المنهج من أهم المناهج في البحث التفسيري عند الإمامية بل هو الأساس فيه، ولا يكاد يخلو تفسير من تفاسير الإمامية من هذا المنهج فضلاً عن تفاسير المسلمين، إذ يقوم هذا المنهج على أساس تفسير القرآن بما ورد عن المعصوم ـ النبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام ـ من روايات تتعلق بالتفسير، فقد جمعت هذه الروايات في مصنفات وأطلقوا عليها كتب التفسير الروائي[1] وعليه فقد شرع المفسرون بهذا المنهج، وأصبحوا يستدلون ببحوث التفسير بالأثر الوارد عن النبي وأهل بيته كما في رواية علي بن إبراهيم[2]، عن محمد بن عيسى [3]، عن يونس وعلي بن محمد [4]، عن سهل ابن زياد أبي سعيد[5]، عن ابن مسكان [6]، عن أبي بصير [7]عن أبي عبد الله عليه السلام قال " إن الله أنزل على رسوله الصلاة ولم يسم لهم ثلاثاً ولا أربعاً حتى كان رسول الله ﷺ هو الذي فسر لهم ذلك "[8]، وإن الأئمة عليهم السلام ندبوا إلى هذا المنهج وعدوه الأساس في تفسير القرآن الكريم فقد جاء عن الحسين بن سعيد [9]، بإسناده عن سعد بن طريف [10]، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال

١- ينظر : التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب : محمد هادي معرفة ١/ ٢٩٧-٤٢٣ وينظر : دروس في المناهج والاتجاهات : الرضائي ، ١١٣ .
٢- " علي بن إبراهيم : ثقة " . معجم رجال الحديث : الخوئي ، ١٢ / ٢١٢ .
٣- " محمد بن عيسى : جليل القدر " . الفهرست : ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، تحقيق: جواد القيومي، ط١، ١٤١٧هـ ، مؤسسة نشر الفقاهة ـ قم المقدسة ـ إيران ،٢٠٥.
٤- " يونس وعلي بن محمد : ترحم عليه الشيخ الطوسي " . ينظر : الفهرست : الطوسي، ١٠.
٥- سهل ابن زياد أبي سعيد : ثقة . ينظر : مستدركات علم رجال الحديث : علي النمازي ، ٤ / ١٧٦ .
٦- " ابن مسكان : ثقة عين " . خلاصة الأقوال : العلامة الحلي ، ١٩٤ .
٧- أبي بصير : ثقة ، جليل القدر . ينظر : معجم رجال الحديث : الخوئي ، ٢١/ ٣٠.
٨- الكافي : محمد بن يعقوب الكليني، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري ، ط٥ ، ١٣٦٣ش ، دار الكتب الإسلامية – طهران ـ إيران، ١ / ٢٨٧ .
٩- " الحسين بن سعيد : ثقة " . الأبواب : الطوسي ، ٣٥٥ .
١٠- " سعد بن طريف : صحيح الحديث ، من أصحاب علي بن الحسين والباقر والصادق عليهم السلام " . نقد الرجال : مصطفى التفريشي ، ٢ / ٣٠٩ .

:"فإنما على الناس أنْ يقرؤا القرآن كما نزل فإذا احتاجوا إلى تفسيره فالاهتداء بنا وإلينا "[1]، وعلى هذا الأساس سار المفسرون وجمعوا روايات التفسير وخلفوا لنا تراثاً روائياً منذ مرحلة التدوين إلى عصرنا، كتفسير العياشي، والكوفي، والقمي، والصافي، وغيرها[2]، ولابد من الإشارة إلى أن بعض مفسري الامامية قد تعصب في هذا المنهج ولم يُجز العمل بغيره، حتى أنَّ بعضهم اكتفى بجمع الروايات فقط كـ " تفسير البرهان وتفسير نور الثقلين "[3]، لأنه ينطلق من أدلة تمنع من التفسير ما لم يكن عن المعصوم عليه السلام.

يُفهم مما سبق أنَّ للمنهج الروائي دوراً كبيراً في البحث التفسيري لاسّيما عند الامامية، ابتداءً مِنْ عصر الرسالة حتى عصرنا الحاضر، ولا توجد مؤلفات اختصت بهذا المنهج فقط دون بقية المناهج باستثناء مرحلة نشاط الحركة الإخبارية[4]،وبهذا لم يخُل اي بحث تفسيري من هذا المنهج الأصيل.

ثالثاً: المنهج اللغوي:

لقد نزل القرآن الكريم بلغة العرب قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[5] وقال : ﴿**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**﴾[6]، وعليه فلابد من مراعاة اللغة عند الشروع في البحث التفسيري، وقد أسس لهذا المنهج فيما أثر عن رسول الله صلى الله عليه وآله من روايات تُبين حقيقة هذا المنهج وهذا واضحٌ من سؤال بعض الصحابة عن معنى كلمة باسقات فأجاب صلى الله عليه وآله "طويلات"[7] وكذلك

١- تفسير فرات الكوفي : فرات بن ابراهيم الكوفي ، تحقيق : محمد الكاظم ، ط ١ ، ١٩٩٠م، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ـ طهران ـ إيران ، ٢٥٨. وسائل الشيعة : الحر العاملي ، ٢٧ / ٢٠٢ .

٢- ينظر : المناهج التفسيرية في علوم القرآن : السبحاني ،١٥٩- ١٦٢.

٣- ينظر : الصافي : الفيض الكاشاني ،١/ ٢٠. وينظر : دروس في المناهج والاتجاهات : الرضائي ،١٠٧.

٤- يقصد بالإخباريين : الفقهاء الذين يستنبطون الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة فقط وبعد يأسهم عن دليل الحكم يرجعن إلى أصالة الاحتياط في الشبهات الحكمية والتحريمية . ينظر : أدوار الاجتهاد عند الشيعة الامامية : الشيخ عدنان فرحان ، ط١ ، ١٤٢٨هـ، مطبعة توحيد ـ قم ـ إيران ، ٢٠٨

٥- سورة يوسف : الآية، ٢ .

٦- سورة الشعراء : الآية ، ١٩٥ .

٧- ينظر : التبيان في تفسير غريب القرآن : عماد الدين بن البهائم ، تحقيق : ضاحي عبد الباقي محمد ،ط١، ١٤٢٣هـ ، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت – لبنان ، ١ / ٢٩٩.

سؤال بعض الصحابة " إنَّك لتأتينا بالكلام من كلام العرب ما نعرفه ونحن العرب حقاً فقال ﷺ : إنَّ ربي علمني فتعلمت "[1]، وعلى أساس ذلك سار الصحابة على هذا الطريق، فكانوا إذا أشكلت عليهم مفردة غريبة أرجعوها إلى اللغة، وقد كثر هذا المنهج في أعمال الصحابي الجليل عبد الله بن عباس، وهو تلميذ الإمام علي عليه السلام لاسّيما بعد تعرضه للسؤال من نافع بن الأزرق[2] وطلبه أنْ يفسر له شيئاً مِنَ القرآن وفقاً لكلام العرب ففعل ، في تفسير قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ [3] إذ جاءت كلمة " افتح " بمعنى " اقضِ " وقد أشار إلى قول بنت ذي يزن لبعلها أفاتحك أي أقاضيك [4]، ومما جاء أيضاً تفسير قوله تعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ [5] إذ جاءت كلمة " العزين " بمعنى " الحلق " ذهب صاحب مجمع البيان إلى أن "العزون تعني الجماعات التي تكون متفرقة ومفردها عِزة وإنَّما جاءت بالواو والنون؛ لأنها عوض مثل سنة وسنون "[6]، وقد جاءت بعض تفاسير الامامية تحمل الجنبة اللغوية كتفسير مجمع البيان للطبرسي(ت:٥٤٨هـ) "مجازات القرآن" للشريف الرضي(ت:٤٠٦هـ) " وإنَّ كتب إعراب القرآن تُعد من ما ألف في هذا الجانب و بينما جاء بعضها الآخر مستعملاً هذا المنهج في مباحث ضمنية، كما

١- أصول التفسير وقواعده : خالد عبد الرحمن العك ، ط٢ ، ١٩٨٦ م ، دار النفائس ـ بيروت – لبنان ، ٣٢.
٢- نافع بن الأزرق : هو احد زعماء الخوارج الذين ثاروا على عبد الله بن الزبير في منطقة الاهواز قتل على يد المهلب بن ابي صفرة عند نهر الدجيل . ينظر : احداث التاريخ الاسلامي بترتيب السنين : عبد السلام الترمانيني ط١، ١٩٨٢م، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب – الكويت ، ١/ ٩٢.
٣- سورة الأعراف : الآية ، ٨٩ .
٤- ينظر: تأويل مشكل القران : عبد الله بن عبد المجيد (ابن قتيبة)، تحقيق إبراهيم شمس الدين ، بلا. ط ، بلا. ت ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ،٤٩٣.وينظر : الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكرالسيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، بلا . ط ،١٩٧٤م، الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ مصر ، ٢ / ٥.
٥- سورة المعارج : الآية ، ٣٧ .
٦- ينظر : معاني القرآن : ابو زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق : احمد يوسف نجاتي وآخرون ، ط١ ،بلا.ت ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ـ مصر ، ٣ / ١٨٦. وينظر : مجمع البيان : الطبرسي ، ١٠ / ٣٥٧. و ينظر : التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب : محمد هادي معرفة ، ١ / ٢١٤.

هو حال المناهج الأخرى[1]، والحال إنَّ أبرز ما يميز هذا المنهج أنَّهُ اقتصر على بيان المفردات اللغوية والألفاظ الغريبة،التي اختصت بها بعض القبائل العربية كهذيل وحمّير وغيرها .

رابعاً : المنهج الإشاري :

الإشارة في اللغة : تُعطي معنى الإيماء [2]، وعليه يعرف المنهج الإشاري بأنه " تأويل آيات القرآن الكريم على غير ما ظهر منها بمقتضى إشاراتٍ خفيةٍ تظهر لأهل العلم والسلوك وتقوم على التطابق بينها وبين الظواهر المرادة من الآيات القرآنية بوجه من الوجوه الشرعية"[3]، وقد ظهر هذا المنهج إلى ساحة البحث التفسيري في القرن الثالث الهجري على يد بعض المتصوفة والعرفاء وله تسميات كثيرة منها :" الصوفي، الباطني، العرفاني، الإشاري ، الرمزي، الشهودي" [4]، وقد وجدت إشارات إلى هذا المنهج في كلام الأئمةعليهم السلام كقول الإمام الصادق عليه السلام: " إنَّ كتاب الله تعالى على أربعة أشياء: العبارة، والإشارة، واللطائف والحقائق، فالعبارة للعوام، والإشارة للخواص ، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء"[5]، تباينت آراء المفسرين في شأن هذا النوع من المناهج وفي مدى مقبوليته، فهم بين مؤيد ومعارض، منهم مَنْ حاول الإفادة مِنْ بعض أصنافه بينما رفضه آخر، وعدّه من تأويلات الباطنية ولا أساس له[6]، وقد ازدادت المؤلفات التفسيرية التي اعتمدت على هذا المنهج في العصور الأخيرة كتفسير تسنيم لـ جوادي املي وتفسير مواهب الرحمن للسيد السبزواري، ومن الملاحظ على هذا النوع من المناهج هو قلة استعماله في البحث التفسيري بطريقة محمودة، إلا من خواص

١- ينظر : المناهج التفسيرية في علوم القرآن : جعفر السبحاني ، ١٥٥.
٢- ينظر : لسان العرب : ابن منظور ، ٤/ ٤٣٧.
٣- التفسير والمفسرون : الذهبي ، ٢/ ٢٦١.وينظر : أصول وقواعد التفسير : خالد العك ،٢٠٥.
٤- ينظر : دروس في المناهج والاتجاهات : محمد علي الرضائي ، ٢٣٦.
٥- بحار الأنوار : المجلسي ، ٧٥/ ٢٧٨.
٦- ينظر : أصول وقواعد التفسير : خالد العك ، ٢١٥ .

العلماء الذين اعتمدوه ضمن ضوابط خاصة [1]، وعلى الرغم من وجود إشكالات حول مقبوليته إلا أنه يدخل في عداد مناهج التفسير المعتبرة .

خامساً : المنهج العلمي : ظهر هذا المنهج في أواخر القرن الثالث الهجري ولاسّيما بعد ترجمة علوم الحضارات الأخرى إلى العربية كاليونانية والفارسية وغيرها، وهو يروم الكشف عن الإشارات الواردة في القرآن للعلوم الحديثة وأسرار الطبيعة، وقد عُرّف بأنه " التفسير الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في القرآن ويجتهد في استخراج العلوم "[2]، وقد أثار هذا المنهج جدلاً واسعاً؛ لأنه يتكئ على الطريقة الاستقرائية، وعليه فهو يعجز عن إعطاء نتائج دقيقة وقطعية؛ لعدم تمكنه من الاستقراء التام، إلا إنَّهُ وفي الوقت نفسه يقدم خدمات جليلة للبحث التفسيري، فهو يحرص على جعل المركزية بيد القرآن الكريم والمحافظة على صورة القرآن الإرشادية والدينية، ويجعل باقي العلوم تتفرع منه وبهذا يتمكن من دحض الشبهات التي تُثار حوله من كونه كتابًا دينيًا ولا يحتوي على العلوم [3]، أما فيما يخص أرباب البحث التفسيري فهم منقسمون حول مشروعيته وعدمها الى قسمين، الأول يرى أَنَهُ من المناهج التفسيرية المعتبرة ويتعصب في عدم استعمال غيره، فهم بهذا يُخضعون الآيات إلى نظريات العلم الحديث على الرغم من ثبات بطلانها لاحقاً[4] بينما ينظر القسم الآخر إلى القرآن الكريم على أَنَّهُ كتاب سماوي جاء مِنْ أجل تخليص البشرية من مهاوي الظلال ولم يأت لطرح النظريات العلمية، وبهذا فهم يبعدون القرآن عن ميدان العلوم[5]، والذي عليه

١- ينظر : التفسير والمفسرون : محمد هادي معرفة ، ٢/ ٩٧٢- ٩٨٠.
٢- ينظر : التفسير والمفسرون : الذهبي ، ٢/ ٤٧٤.
٣- ينظر : المنهج التفسيري عند العلامة الحيدري : طلال الحسن ، ٣١.
٤- ينظر : التفسير والتفاسير الحديثة : بهاء الدين خرمشاهي، راجعه : عصام حسين ، ط ١ ، ١٩٩١م ، دار الروضة - بيروت - لبنان ، ٥٩.
٥- ينظر : التفسير العلمي في الميزان : عمر احمد أبو حجر، طبعة ١٩٩١ م، دار قتيبة- بيروت - لبنان ، ٢٩٧.وينظر: دروس في المناهج والاتجاهات : الرضائي، ٢٠١ .

الحال أنَّ العلوم الحديثة والنظريات العلمية إذا كانت تتماشى مع القرآن يمكن إدخالها في إعجاز القرآن العلمي، أما إذا كانت مخالفة لآيات القرآن الكريم فلا يمكن اعتمادها ويشير بعض العلماء إلى هذا المنهج بقولهم :" إنَّ الذين ينادون بإبعاد القرآن عن التفسير العلمي مصيبون كل الإصابة إذا كان التفسير قائماً على الظن والوهم أو التعسف في التأويل، أما إذا كان مستنداً إلى الصريح مِنْ القول معتمداً على اليقين الثابت مِنْ العلم فليس هناك ما يمنع من الاستفادة بنور العلم في إيضاح حقائق القرآن "[1].

مما سبق يتبين أنَّ المنهج العلمي أحد المناهج المعتبرة في تفسير القرآن الكريم، هذا إذا كان يتماشى مع جوهر القرآن، وقد كثر الاهتمام به في العصر الحديث .

سادساً : المنهج العقلي والاجتهادي : يُعرف المنهج العقلي بأنَّهُ ذاك المنهج الذي يستعمل النظر العقلي أكثر مما يستعمل النقل، وعليه يكون مركز الاستدلال هو العقل الرشيد وليس ما جاء عن طريق الأثر، وبهذا فهو يستعمل القرائن العقلية ويجتهد ـ أي يبذل الجهد ـ في استقراء المعنى المراد بدلاً من القرائن الأخرى [2]، وهذا لا يعني أنَّه يتجرد من القرائن الأخرى كلياً؛ لأنَّهُ عندئذٍ سيكون قد دخل تحت طائلة الرأي المذموم، و توجد إشارات إلى هذا المنهج في الأثر الوارد عن النبي ﷺ وكيفية تعلم الصحابة لهذا المنهج [3] وإنَّ جذوره وجدت عند الإمام علي عليه السلام في بعض خطب نهج البلاغة ووجد أيضا في بعض أحاديث الأئمة في تفسير ما يتعلق بالعرش وغيره [4] في حين يرى بعضهم أنَّهُ انطلق في القرن الأول الهجري وبالتحديد في عصر التابعين وقد يرد عليه باجتهاد الخلفاء الأوائل [5]، وقد يتخذ هذا المنهج من بعض أصحاب

١ – التفسير العلمي في الميزان : عمر احمد أبو حجر ، ١١٣.
٢ – ينظر : التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب : محمد هادي معرفة ، ٢/ ٢٤٩.
٣– ينظر : المفسرون حياتهم ومنهجهم : محمد علي ايازي ،ط١ ، ١٣٨٦هـ ، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ـ طهران ـ إيران ، ٤٠.
٤ – ينظر : تفسير نور الثقلين : الحويزي ، ١/ ٢٠٦–٢١٠ ، ٣/ ٣٨٩.
٥ – ينظر : المنهج التفسيري عند العلامة الحيدري : طلال الحسن ، ٢٩.

الفرق لتدعيم آراءهم واعتقاداتهم محاولين لَيّ عنق آيات القرآن الكريم من أجل خدمة توجهاتهم، ومن جانب آخر إنَّ البحث التفسيري لا غِنى له عن هذا المنهج؛ لما له مِنْ أهمية كبيرة في عملية الاستدلال، ومن أبرز كتب التفسير الامامي التي اعتمدت هذا المنهج " التبيان في تفسير القرآن للشيخ الطوسي ومجمع البيان للشيخ الطبرسي "[1] ويبدو أنَّ هناك إشكالاً حول هذا المنهج وهو هل العقلي والاجتهادي منهج واحد أو كل منهما منهج مستقل، وحسم العلامة الطباطبائي هذا الإشكال وجعلهما منهجاً واحداً[2]، وعليه يكون هذا المنهج سلاحاً ذا حدين ، أما أنْ يستعمل بطرق ملتوية فيهدم بحث التفسير ويصيره اتجاهاً ، أو يستعمل بطرق مُثلى فَيُثري بحث التفسير.

المبحث الرابع : الاستشراق نشأته ودوافعه

المطلب الأول : نشأة الاستشراق وتطوره :

مما لاشك فيه أنَّ نشأة الاستشراق قد أثارت جدلاً واسعاً في الأوساط العلمية مما انعكست آثاره على الاستشراق نفسه، إذ لم يتمكن العلماء من تحديد بداية هذا العلم بدقة، بيد أنَّ ما يمكن البت به أنَّ ظاهرة الاستشراق قد تكونت بسبب تزاحم حضارتي الشرق والغرب، وعليه فلابد من تقسيم نشأة الاستشراق إلى ثلاث مراحل، الأولى مرحلة بداية الفكر الاستشراقي، والثانية مرحلة الصراع الديني، والثالثة مرحلة التطور والازدهار، وعلى النحو الاتي :

المرحلة الأولى : المرحلة الفكرية للاستشراق:

يُعد الصراع بين حضارتي الشرق والغرب الخطوة الأولى لبداية الفكر الاستشراقي غير أنَّ المنافسة التقليدية بين الحضارة الفارسية والحضارة اليونانية لعبت دوراً كبيراً في توجيه الفكر الغربي إلى الشرق ، لاسّيما بعد انهيار الحضارة

١- ينظر : المصدر نفسه ،٣٠.

٢- ينظر : الطباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان: علي الالوسي، ط١،١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، معاونية الرئاسة للعلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي ، طهران - إيران ، ٢٤٦.

الفارسية، إذ شرع اليونان باحتلال الشرق لغرض القضاء على تلك المنافسة، مصطحبين معهم العلماء؛ لغرض استكشاف المناطق التي يحاولون السيطرة عليها، وتشير المصادر التاريخية إلى أنَّ أول مؤرخ رافق الحملات اليونانية هو "هيرودوتس[1] " إذ دوَنَّ كل المعلومات عن البلدان الشرقية إبانْ تجواله فيها [2]، وإنَّ لحملات الإسكندر [3] الأكبر دوراً كبيراً في زيادة اهتمام الغرب بحضارة الشرق إذ تمكن من تسقيط المعلومات عن الأمصار التي أراد احتلالها عبر اصطحابه العلماء والمفكرين في حملاته، والمصادر تشير الى أنَّهُ نقل ألواحاً من بلاد بابل الى بلاد الإغريق؛ لغرض الإفادة من علومها ودراستها [4]، وبعد تدهور الحضارة اليونانية تنفس الشرق الصعداء فأسس مدارس لاستقطاب العلماء الذين تم طردهم من مدارس أثينا بعد إغلاقها، كان من أبرزها "جنديسابور[5]"[6] إلا أنَّ الأمر لم يدم طويلاً فسرعان ما ظهرت الحضارة الرومانية على مسرح الأحداث وسارعت باحتلال الشرق سنة ٦٤ق.م وتشير المصادر التاريخية إلى أنَّهم اصطحبوا معهم كبار العلماء لتحصيل المعلومات عن الشرق [7]، هنا يتضح أنَّ كفة الصراع

١- هيرودوتس : هو مؤرخ يوناني عاش ما بين (٤٢٥ ـ ٤٨٥ ق.م) صنف كتاباً جمع فيه الحروب اليونانية والفارسية وقام برحلات مشهورة كثيرة فزار مصر وبابل وصولاً إلى سواحل البحر الأسود. ينظر : معجم اعلام المورد : منير البعلبكي ، ط١ ، ١٩٨١م ، دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان ، ٥ / ٩٩ .

٢- ينظر : نقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية : ساسي سالم الحاج ، ط١ ٢٠٠٢م، دار المدار الإسلامي ـ بيروت – لبنان ، ١ / ٢٨.

٣- الأسكندر : هو أحد ملوك مقدونيا الإغريق ومن أشهر القادة العسكريين والفاتحين عبر التاريخ ، ولد في مدينة بيلا سنة ٣٥٦ ق. ب ، وبحلول عامه الثلاثين كان قد أسس أحد أكبر الإمبراطوريات التي عرفها العالم القديم . ينظر : شخصية الإسكندر المقدوني في الأدب الفارسي شاهنامة فردوسي أنموذجاً : أياد محمد حسين وأمير كاظم عباس ، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ، ٢٠١٧ ، مجلد ٧ ، عدد ١ ، ٣٠٠ ـ ٣٠١ .

٤- ينظر : المستشرقون : نجيب العقيقي ، ط٣ ، ١٩٦٤م ، دار المعارف ـ مصر ، ١ / ١٤ . وينظر : نقد الخطاب الاستشراقي : ساسي الحاج ، ١ / ٣٠.

٥- جنديسابور : مدينة في خوزستان بناها سابور بن أردشير أحد ملوك الفرس وأسكنها من سباهم من الروم وجماعة ممن سباهم وجماعة من جنده ، اشتهرت بعلوم الطب ؛ لأنها احتوت العلماء من بقايا الإمبراطورية اليونانية ، فضلاً عن علماء من المسلمين . ينظر : معجم البلدان : ياقوت الحموي ، بلا.ط ، ١٩٧٧م ، دار صادر ـ بيروت ـ لبنان ، ٢ / ١٧٠ ـ ١٧١ .

٦- ينظر : الفكر العربي ومركزه في التاريخ : دي لاسي أوليري ، ترجمة : إسماعيل البيطار، ط ١، ١٩٧٤م، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت – لبنان / ٤١.

٧- ينظر : نقد الخطاب الاستشراقي : ساسي الحاج ، ١ / ٣٤.

الحضاري تتأرجح بين الشرق والغرب، إلا أنَّ صاحبة الحظ الأوفر هي الحضارة الغربية باستثناء مدة سيادة الدولة الإسلامية ، وأبرز ما يميز هذه المرحلة خلوها من الصراع الديني وانطباعها بطابع الاستعمار، وهذا ما يُلمس من المنافسة الحاصلة بين الحضارات من دون أنْ يكون هناك دورٌ للمؤسسات الدينية .

المرحلة الثانية: مرحلة الصراع الديني :

بعد ظهور الدين الإسلامي في بلاد العرب، شرع الرسول ﷺ لدعوة ملوك العالم الى الإسلام، وهذا الأمر أثار مخاوف العالم المسيحي، ولاسيما بعد المباهلة التي حصلت بين المسلمين متمثلةً برسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام و نصارى نجران، وتوجه المسلمون إلى تحرير الأرض في معركتي مؤتة وتبوك [1]، وبعد توجه المسلمين نحو الفتوحات الإسلامية وبسط النفوذ على الأندلس وفتحها، زاد من تلك المخاوف، ولاسيما بعد أنْ ازدهرت الحضارة العربية وأنشئت المعاهد والمراكز العلمية هناك، مما دفع الغرب إلى استعمال نمطٍ آخر من المواجهة، هو دراسة الحضارة الشرقية بصورة مكثفة، فتوجهت أفواج من الأوربيين لدراسة علوم العرب في الأندلس فنهلوا من المعارف والعلوم ما يساعدهم على خدمة الكنائس والأديرة لاحقاً، وما يؤكد ذلك عودة كثير من هؤلاء الدارسين إلى الأديرة وتأسيس مدارس خاصة بالثقافة العربية لدراستها عن كثب[2]، فضلاً عن اسهامهم بتقديم المعلومات لاستعادة الاندلس، فتقدم الاسبان واستعادوا طليطلة (١٠٨٥م – ٤٨٨هـ) وقاموا باستتابة المسيحيين الذين دخلوا الإسلام في الدير الشهير " كلوني" [3] ثم نشأت فكرة تحول المسيحية الاسبانية إلى مسيحية

١- ينظر : الاستشراق بين الموضوعية والإفتعالية : قاسم السامرائي ، ط١، ١٩٨٣م ، دار الرفاعي ـ الرياض ـ السعودية ، ١٩.

٢- ينظر : الاستشراق في الميزان : منذر معاليقي ، ط١ ، ١٩٩٧م ، المكتب الإسلامي – بيروت – لبنان ، ٢٤.

٣- دير كلوني : هو دير بندكتي أطلق حركة إصلاحية لدعوة أوربا إلى المسيحية ، كان يمثل مع بقية الأديرة الأخرى قوة الديانة المسيحية في القرن العاشر والحادي عشر الميلادي حدثت فيه أول ترجمة للقران الكريم . ينظر : موسوعة تأريخ أوربا : منير الزيدي ، بلا .ط ، بلا. ت ، دار أسامة ـ الأردن ، ١ / ٢٨٩ .

كاثوليكية بسبب الفساد الذي أصابها من الديانة الإسلامية بحسب اعتقادهم[1]، وتأسيساً على ذلك تبلورت النظرة المسيحية إلى الشرق فأنتجت الحملات الصليبية التي عن طريقها حاولوا الاستيلاء على الشرق، فوصلوا إلى الأراضي العربية ونهبوا التراث الفكري العربي، وخير شاهد على ذلك ما وجد في متاحف الغرب من الآثار والتراث العربي، إلا أن مخططاتهم لم تكتمل؛ لأنها اصطدمت بوحدة المسلمين وتماسكهم، وإنّ فشل الصليبيين في احتلال الشرق لم يخفف من حدة التعصب الديني، بل زاد الأمر سوءاً، إذ شرعت الكنيسة تشويه صورة المسلمين عبر إيهام الأوربيين بفكرة أنَّ المسلمين أساؤوا إلى السيد المسيح ﷺ فعمت أفكارهم هذه البلدان الأوربية كافة [2]، فاتخذ طابعاً جديداً وبدأت حرب جديدة ولكن ليس على مستوى السيف بل على مستوى الكلمة، إذ بدأ الترويج إلى دراسة اللغة العربية وترجمة تراث المسلمين الديني، ومن ثم أسسوا مدارس للغة العربية أمثال مدرسة "بادو " [3] وقد نتج عن تلك الأفكار عقد عدة مؤتمرات منها : "مؤتمر فيين الكنسي (١٣١٢م) " كان من نتائجه الاهتمام بدراسة اللغات الشرقية – خصوصاً العربية – وإنشاء كراسي لتدريسها في المؤسسات الأوربية كالجامعات والمراكز الدينية [4].

وبناءً على ذلك فإنْ أبرز ما يميز هذه المرحلة هو الطابع الديني، فلم يتمكن الاستشراق مِن التخلص مِنْ هذا الرداء الذي كسيت به المؤسسة الدينية المسيحية، بل ظل متوسماً به طيلة هذه المرحلة مهما اختلفت أوجه الاستشراق فيها، ولا يمكن إغفال الجانب الاستعماري الذي يظهر كلما سنحت له الفرصة

١- ينظر : الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية : قاسم السامرائي ، ٢١.
٢- ينظر : المصدر نفسه ، ٢١.
٣- ينظر : الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم : مصطفى السباعي، بلا.ط ، بلا.ت ، دار الوراق ـ لبنان ،١٨.
٤- ينظر : الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق : إدوارد سعيد ،٨٠ .

بذلك، كما أنَّ هناك سمة أخرى لهذه المرحلة تتمثل بعدم الموضوعية في دراسة التراث الإسلامي؛ لأن الصراع الذي ساد هذه الحقبة لم يُعط الفرصة للباحثين أنْ يظهروا ذلك، على الرغم من تأثر كثير من الأوربيين بالثقافة الإسلامية.

المرحلة الثالثة: مرحلة التطور والازدهار:

يرمي البحث هنا إلى تتبع البداية الأولى لظهور الاستشراق مصطلحًا وليس فكرًا ورغبة، فالمصادر التأريخية تشير إلى أنْ الاستشراق ظهر في بادئ الأمر عام (١٦٣٠م) ثم تكرر عبر وصف "كلارك" [١] به عام (١٦٩١م) بأنه "استشراقي نابه"؛ وذلك لأنَّهُ برع في اللغات الشرقية [٢] وإنَّ كلمة " مستشرق " وجدت في إنكلترا (١٧٧٩م) ثم في فرنسا (١٧٩٩م) ثم أدخلت إلى قاموس الأكاديمية (١٨٨٣م)[٣]، وإنَّ المتتبع لتطور الدراسات الاستشراقية يجد أنَّ عهد "البابا سلفستر الثاني"[٤] يُعد نقطة التحول في المفهوم الاستشراقي، إذ أخذ الاستشراق طابعاً خاصاً، وذلك عبر فتح مدارس خاصة لتدريس اللغة العربية، ثم تبعها ترجمة القرآن إلى اللاتينية في دير كلوني [٥]، ثم توالى المستشرقون الآخرون على العمل الاستشراقي حتى عام (١٣١٢م) وانعقاد المؤتمر الكنسي الذي أسفر عن تأسيس الكراسي العلمية للغات الشرقية في المؤسسات الأكاديمية في أوروبا، مما دفع الدول الغربية للمنافسة في هذا

١- صموئيل كلارك : مستشرق وفيلسوف إنكليزي ولد عام ١٦٢٥م ، في لندن درس في كلية ميرتون جامعة أكسفورد ، وتخرج منها ثم عُين مشرفاً على مطبعتها ، له مؤلفات عدة منها : معجم الأماكن ذات الأسماء العربية ، مقالة في وصف العروض العربي . ينظر : معجم أسماء المستشرقين : يحيى مراد ، بلا .ط ، بلا . ت ، دار الكتب العلمية. بيروت – لبنان، ٨٩٤.

٢- ينظر : فلسفة الاستشراق : احمد سمايلوفيتش ، ٢٢.

٣- ينظر : تراث الإسلام : جوزيف شاخت و كليفورد بوزورث ، ترجمة : محمد زهير السمهوري وآخرون ، بلا . ط ١٩٩٨م ، عالم المعرفة ـ الكويت ، ١ / ٦٤.

٤- البابا سلفستر الثاني : فرنسي الجنسية ولد في مدينة أورلياك ٩٣٠م ، وأول بابا فرنسي وكان يتقن العربية ، توفي عام ١٠٠٣م ، من أعماله مؤتمر سان بال وجملة خطب ألقاها في محاكمته ، وكان يشجع على دراسة العربية . ينظر : موسوعة المستشرقين : عبد الرحمن بدوي ، ١٧٨ ـ ١٧٩ .

٥- ينظر : الاستشراق والمستشرقون : مصطفى السباعي ، ١٨.

المجال فأنتج لنا كماً كبيراً من المستشرقين الذين عنوا بدراسة الثقافة العربية ففي فرنسا برز "بوستيل" [١] الذي عُد رائد الاستشراق الفرنسي الحديث، اما في إيطاليا فبرز المستشرق "جيراد دي كريمونا"[٢] وكذلك في بريطانيا برز " ادلا اوف بات" [٣] وفي ألمانيا برز نجم "ألبرت الكبير" [٤] الذي برع في العربية، وعرف فلسفة اليونان عن طريقها[٥]، ولابد مِنْ الإشارة إلى أنَّ الرهبان المسيح ساعدوا على زيادة الاهتمام باللغة العربية؛ لأنهم قاموا بترجمة المؤلفات العربية إلى اللغة اللاتينية، وبهذا بقيت الكنائس مراكز للمد الاستشراقي طيلة عقود، إنَّ تمرد بعض ملوك أوروبا على سلطة الكنيسة ساعد على نشر الوعي الثقافي كما هو الحال عندما قرر "فريدرك الثاني" [٦] إرجاع نظام التعليم السابق وفتح كراسي تدريس العربية إذ كان ملهماً بها [٧]،ومما لا ريب فيه أنَّ هذا المصطلح تطور وكثر الاحتياج إليه بعد الثورة العلمية والنهضة الحضارية في أوروبا في القرن السادس عشر، لاسّيما بعد اكتشاف الطباعة (١٥٨٦)[٨] وازداد الاحتياج إليه بعد أنْ توجهت أنظار الأوربيين إلى غزو الشرق، فتمكنوا من الاستيلاء على الشرق الأقصى وأرسلوا المستشرقين تحت غطاء معين لتسقط المعلومات

١- بوستيل : مستشرق فرنسي ولد عام ١٥١٠م ، في مدينة دولري اهتم بجمع المخطوطات الشرقية ، توفي عام ١٥٨١م . ينظر : موسوعة المستشرقين : عبد الرحمن بدوي ، ١٣٥ ـ ١٣٨ .
٢- جيراد دي كريمونا : مستشرق إيطالي ولد عام ١١٤٠م ، أصبح راهباً بندكتياً ، اهتم بدراسة العربية ترجم عدد كبير من الكتب العربية منها رسائل الكندي في العقل والمعقول ، توفي عام ١١٨٧م . ينظر : المستشرقون : العقيقي ، ١/ ١٢٦ .
٣- أدلا اوف بات : مستشرق وراهب انكليزي ولد عام ١٠٧٠م ، في مدينة بات نسب إليها ، اهتم بالثقافة العربية ، توفي عام ١١٣٥م . ينظر : المستشرقون : العقيقي ، ١ / ١٢١ ـ ١٢٢.
٤- البرت الكبير : مستشرق ألماني ولد عام ١٢٠٠م ، كان راهباً ومحاضراً في علم اللاهوت في باريس توفي عام ١٢٨٠م . ينظر : معجم أعلام المورد : منير البعلبكي ، ٦٢ .
٥- ينظر : معجم أسماء المستشرقين : يحيى مراد ، ٦٠ – ٦٨ .
٦- فريدريك الثاني : ولد عام ١١٩٤م وتوفي عام ١٢٥٠م ، ترأس الإمبراطورية الرومانية وملك صقلية تميز عهده بالصراع مع البابوية من أجل السيطرة على إيطاليا . ينظر : معجم اعلام المورد : منير البعلبكي ، ٣٢٣.
٧- ينظر : معجم أسماء المستشرقين : يحيى مراد ، ٦٠ – ٦٤.
٨- ينظر : تراث الإسلام : شاخت وبوزورث ، ١ / ٥٢.

عن البلاد العربية، فكان من نتاج هذه المعلومات أنْ تقدم نابليون[1] إلى مصر في حملته العسكرية (١٧٩٨م) مصطحباً معه العلماء وحاملاً معه آلات الطباعة الحديثة، و كان لمعرفتهم باللغة العربية أثر كبير في تحقيق أهداف الحملة، إذ استقطب العلماء وقربهم وأنشأ مطبعة في مصر ، كل ذلك ساعد على تطور الحركة الاستشراقية[2]، وفي بدايات القرن التاسع عشر ازدهرت الحركة الاستشراقية وأصبحت على درجة عالية من التنظيم بحيث أخذت على عاتقها تأسيس الجمعيات والمعاهد العلمية " كالجمعية الأسيوية" والتي أنشئت في فرنسا و"الجمعية الشرقية الأمريكية " والجمعية الشرقية الألمانية وغيرها كثير[3] حتى تجلت مرحلة الازدهار بعقد المؤتمر الدولي للاستشراق (١٨٧٣م) وكان في فرنسا كما استمرت المؤتمرات بالانعقاد حتى ربت على الثلاثين مؤتمراً[4]، وبهذا أسهمت الجمعيات إسهاماً كبيراً في زيادة الوعي الاستشراقي عبر نشر الدوريات والمجلات التي تخص العالم الإسلامي، وقد زاد عدد هذه المجلات حتى وصل إلى أكثر من ثلاث مائة مجلة [5]، إنَّ أبرز ما تميزت به هذه المرحلة تجردها عن الغطاء الديني وهذا ما يبدو للباحث من الوهلة الأولى إلا أنَّ الأمر ليس كذلك، فقد بقيت الكنيسة محتضنة لهذا المصطلح أبان مدة تطوره، بيد أن بعض حركات التمرد على يد بعض الباحثين وبعض الملوك ساعد على تحرر الاستشراق من الطابع الديني وبقي مرافقاً له مدة طويلة، إلا إنَّها لم

١- نابيون بونابرت : قائد عسكري وسياسي فرنسي إيطالي الأصل، بزغ نجمه في أحداث الثورة الفرنسية، وقاد عدَّة حملات عسكرية ناجحة ضدَّ أعداء فرنسا في حروبها الثورية. حكم فرنسا في أواخر القرن الثامن عشر بصفته قنصلاً عامًا، ثم بصفته إمبراطورًا في العقد الأول من القرن التاسع عشر، حيث كان لأعماله وتنظيماته تأثير كبير على السياسة الأوروبية... https://:wiki/org.wikipedia.ar .تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢٣/ ١٠/ ٢٠١٩

٢- ينظر : الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق : إدوارد سعيد ، ١١٣.

٣- ينظر : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري : محمود حمدي زقزوق ، ط دار المعارف ١٩٩٧م ، دار المعارف – القاهرة – مصر ،٤٤.

٤- ينظر : المصدر نفسه ،٤٤.

٥- ينظر : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري : محمود حمدي زقزوق ،٣٤-٤٤.

تفلح في تحرره من الطابع الاستعماري الذي ظل ملازماً له، أضف إلى ذلك أنَّ أعمال الاستشراق في هذه المرحلة اتخذت طابعاً مختلفا فقد سادها بعض الإنصاف ، وعبر ملاحظة نشأة الحركة الاستشراقية وتطورها يتضح أنَّها تدور حول محورين أساسين المحور الأول هو الفكر الذي انبثق منه الاستشراق وهو قديم جداً، والمحور الثاني هو المصطلح الذي ظهر في أواسط القرن التاسع عشر .

المطلب الثاني: دوافع الاستشراق :

لاحظ الباحثون بالشأن الاستشراقي أنَّ الاستشراق يتولد مِنْ عدة دوافع هي :

أولاً: الدوافع الدينية: إنَّ الدافع الديني يحتل مركز الصدارة بين الدوافع المولدة للاستشراق، خصوصاً بعد ظهور الدين الإسلامي، وتوجه بعض الغربيين لدراسة اللغة العربية متأثرين بها، مما سبب شعورًا لدى أصحاب الديانة المسيحية بالغبطة والمنافسة، وهنا لابد أنْ تقف الكنيسة أمام المد الإسلامي وتثبت لأبنائها الدارسين للعربية أحقيتها المطلقة، و بناءً على ذلك لجأ الرهبان والقساوسة [1] إلى استعمال طرق خاصة، فرسموا صورة مشوهة للدين الإسلامي على أنَّهُ مستل من الديانات السابقة – اليهودية، المسيحية، الوثنية – متناسين أنَّ الإسلام قد أشرق نوره على أوروبا في القرون الوسطى بعد أنْ كانت تعيش في ظلام دامس[2]، فهم يهدفون مِنْ وراء ذلك حماية العقائد المسيحية عبر حجب الحقيقة الإسلامية الناصعة عن الشعوب المسيحية، وأنَّ هناك هدفاً آخر سعت الجهات الدينية آنذاك إلى تطبيقه يتمثل بمحاولة تنصير المسلمين عن طريق تكثيف حملات التبشير و التشكيك

١ – الفرق بين الراهب والقس : الراهب هو شخص أحب الله واشتاق أن يقضي كل حياته بالعبادة وهو يعيش بتولاً بلا زواج ولا يمتلك شيئًا إلا الضروريات مطيعاً لأبيه الروحي ، أما القس فيسمى ابرشيفيتيروس أي شفيع ؛ لأنه يصلي عن شعب الله وهو يرعى شعب الله ويهتم بهم كأنهم أولاده . ينظر : قاموس المصطلحات الكنسية : تادرس يعقوب ملطي ، ١٥ ، ٢٦ .

٢– ينظر : فلسفة الاستشراق : احمد سمايلوفيتش ، ٤٨.

بعقائدهم[1]، ومن هذا المنطلق لم يتحرر المستشرقون من سلطة الكنيسة " انَّ الاستشراق السامي والاستشراق الإسلامي لم يكونا قد حررا نفسيهما إلا إلى درجة ضئيلة من آثار الخلفية الدينية التي انشقا منها أصلاً "[2]، وبقيت الحال هكذا حتى ارتدى الاستشراق رداء الحضارة الحديثة، وخلع رداء الكنيسة إلا إنَّه لم يتخلص منه تماماً بل ظل مستتراً بثوب آخر " سقطت معظم الجامعات المنشأة في بلاد المسلمين تحت الأيدي الخفية للاستشراق والتبشير والدائرة الاستعمارية وغدت خططها ومناهجها وتوجيهاتها تخضع بطريق غير مباشر لما تفرضه تلك الأيادي "[3].

وهنا يتضح أنَّ الدافع الديني هو الدافع الأول وبلا منازع في تولد الحركة الاستشراقية ولم تستطع التخلص منه مهما حاولت؛ لأنَّ بذور الاستشراق الأولى قد نمت في أحضان الكنيسة وسار تحت غطائها، بهذا ظلت صاحبة الكلمة الأولى في مسيرته البحثية حتى عصرنا الحاضر.

ثانياً : الدوافع السياسية : قد يبدو للباحث من الوهلة الأولى أنَّ بذور الحركة الاستشراقية قد نمت في حاضنة المؤسسة الدينية، ولم يكن للمؤسسات الاستعمارية دورٌ يذكر، إلا أنَّ الأمر لم يكن كذلك، فقد ارتبطت الحركات الاستعمارية بنشأة الاستشراق ارتباطاً وثيقاً؛ لأنها كانت تنظر إلى الاستشراق على أنَّهُ الأداة الطيعة والمتنفس الوحيد لتنفيذ مخططاتها الاستعمارية لاسيما بعد نهوض أوربا صناعياً واحتياج الأخيرة إلى المواد الأولية والأسواق، وعلى هذا الأساس ظهرت النزعة الاستعمارية نحو الشرق ـ العالم العربي ـ وبهذا احتاج الاستعماريون إلى معرفة تلك الشعوب فاستعانوا بما أنتجته أيدي المستشرقين [4]، وبناءً على ذلك قدم المستشرقون

١- ينظر : آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره : عمر إبراهيم رضوان ، ط١٩٩٢،١م ، دار طيبة ـ الرياض – السعودية ، ١ / ٢١.

٢- الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق : إدوارد سعيد ،٢٦٥.

٣- أجنحة المكر الثلاث وخوافيها التبشير الاستشراق الاستعمار : عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، ط٨ ، ٢٠٠٠م، الدار الشامية ـ بيروت ـ لبنان ، ١٥٣.

٤- ينظر : الاستشراق والمستشرقون : مصطفى السباعي ،١٧.

خدماتهم للحركات الاستعمارية على طبق من ذهب، فتارةً يستفيد الاستعمار من رحلات المستشرقين الفردية إلى بلاد الشرق وتسقيطهم للمعلومات ومواقع القوة والضعف وأماكن إقامة الجيوش [١] وأخرى كانت خدماتهم للاستعمار مباشرة كما هو الحال في إرسال البعثات البريطانية إلى الأردن وشبه جزيرة العرب وكذلك المستشرقون الذين عملوا في شركة الهند الشرقية [٢] وثالثة استفاد من المستشرقين الذين كرسوا جهودهم في دراسة طوائف المجتمع العربية والدينية والقبلية، وبهذا كانت خدماتهم تقوم على إثارة الطفرات الطائفية والاقتتال الداخلي بين المجتمع[٣] ورابعة تمثلت في المستشرقين الذين عملوا منتسبين في جيوش الدول الاستعمارية وبهذا قدموا خدمات استشراقية إلى جانب العمل الأكاديمي[٤]، ويستنتج من ذلك أنَّ العمل الاستشراقي قد تم تسخيره لخدمة المطامع الاستعمارية بشكل أو بأخر، سواء على المستوى غير المقصود عبر جهود المستشرقين أنفسهم أو على المستوى المقصود والمدروس، مثل إرسال البعثات ومنتسبين الجيوش، لاسيما بعد ارتفاع النزعة الاستعمارية في أوروبا .

ثالثاً : الدوافع العلمية : تحظى الدوافع العلمية بمكانة مرموقة من بين الدوافع التي ساعدت على ظهور الاستشراق؛ لما لها من دور فعال في إيجاد الروابط الإنسانية بين حضارة الشرق والغرب، ومن المعلوم أنَّ الغرب يدين بالكثير من جوانب تطوره للحضارة الشرقية ؛ وذلك لما أفرزته الأخيرة من علوم وما نزل على ارضها من أديان و شرائع وتعاليم، وبهذا ينظر الغرب لحضارة الشرق على أنها كنز ثمين[٥]، ومن المؤكد أنَّ أوروبا قد عرفت قيمة

١- ينظر : ١٣.الاستشراق أهدافه وسائله دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون : محمد فتح الله الزيادي ، ط١ ، ١٩٩٨ م ، دار قتيبة - بيروت - لبنان ، ٤١-٤٣

٢- ينظر : المصدر نفسه ، ٤١-٤٣

٣- ينظر : آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره : عمر إبراهيم رضوان ،١ / ٢١.

٤- ينظر : الاستشراق وسائله أهدافه : الزيادي ، ٤١-٤٣

٥- ينظر: فلسفة الاستشراق :احمد سمايلوفينتش، ٥١.

الحضارة الشرقية ـ العربية ـ وأدركت أنَّ نهضتها لا يمكن أنَّ تتم إلا إذا قامت بتصدير تلك الحضارة إلى بلدانها، ومن ثم تأهبت لسبر أغوار تلك الحضارة والخوض في بحار علومها الزاخرة، فكانت دراستهم لتلك العلوم تدور حول محورين : الأول تتبع العلوم الناضجة وتحديدها ومن ثم نقلها إلى أوروبا لِتُعينها على نهضتها المرتقبة وتمثلت أعمالهم في دراسة علومها ونقل مخطوطاتها وتراثها العلمي و التتلمذ على يد كبار علمائها والسفر إلى حيث يقطنون [1]، حتى ربا ما تم نقله وترجمته من كتب ومخطوطات ثمينة على ثلاثمائة الف من نفائسها، تنوعت بين علوم طبيعة و طب وعلوم الإنسان وغيرها حتى غدت هذه المدونات الغذاء الروحي للنهضة الأوربية الحديثة[2].

أما المحور الثاني فقد تناول بعض المستشرقين التراث الشرقي ـ العربي الإسلامي ـ بدراسات بعيدة عن التعصب يدفعهم لذلك حُب الاطلاع على تراث الأمم وحضارتها ولهذا كان نصيبهم من الخطأ أقل من أقرانهم، فاتسمت أبحاثهم بقربها من النظرة الإسلامية بخلاف غيرهم من المستشرقين[3]، ومن الجدير بالذكر عدم التسليم المطلق بحيادية هؤلاء المستشرقين وذلك لعدم تخلصهم مِنْ الأخطاء؛ ولعدم معرفتهم مكامن اللغة العربية وأجواء الحضارة الإسلامية بل يجب تتبع كتاباتهم الأخرى فقد تكون هذه الموضوعية نسبية و بالأخص فيما يتعلق بدراسات القرآن[4]، وبهذا حرص الغرب على سبر أغوار حضارة المسلمين منذ نشأتها وترجمة تراثها وتصديره للغرب لتحيا أوطانهم بما جادت به عقول المسلمين، متخذاً

١ – ينظر: الاستشراق وجه آخر للاستعمار: عبد المتعال محمد جبري ، ط١ـ١٩٩٥م، مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ مصر ، ٢٣.
٢ – ينظر: الاستشراق وجه اخر للاستعمار: عبد المتعال محمد جبري ، ٥٤.
٣ – المصدر نفسه.
٤ – ينظر: المستشرقون والدراسات القرانية: محمد حسين الصغير ، ط١، ١٩٩٩، دار المؤرخ العربي ـ بيروت ـ لبنان ، ١٥.

لتحقيق غرضه منهجين مختلفين أحدهما قائم على سلب التراث والأخر موضوعي في ترجمته لتراث الشرق، مع عدم التسليم المطلق بما أنتجته أيدي الباحثين الغربيين .

رابعاً : الدوافع الاقتصادية : تُعد الدوافع الاقتصادية مِنْ أقوى الوسائل التي ساعدت على نشوء الاستشراق ومن ثم تطوره وازدهاره؛ فهي توجه الإنسان نحو طلب الرزق والسعي لطلب العيش الكريم، ومِنْ أجل الوصول إلى هذه الغاية استعمل الاستشراق كل الوسائل المتاحة، ومن أبرزها تعلم لغة البلدان المستهدفة [١] وبهذا ساهمت البعثات الاستشراقية في تحديد ثروات الشرق ومكامنها وتسقيط المعلومات عنها؛ لأنها إحدى الأهداف التي يروم الغرب الاستيلاء عليها، وكان للنهضة الأوربية وازدهار الصناعة تأثيرا كبير على حركة التجارة العالمية، واحتاج الغرب إلى أسواق لتصريف منتجات الصناعية وكذلك للمواد الخام، وبهذا ساعدت البعثات الاستشراقية في تحديد ثروات الشرق وأماكن وجودها كما ساهمت على إجهاض النمو التجاري في تلك البلدان حتى تبقى أسواقا لتصريف بضائعهم [٢]، وحتى يكون الرواج من نصيب منتجاتهم وبضائعهم، أنشئت المؤسسات التجارية والأسواق المالية وعُين المستشرقون مدراء عليها لاسيما ممن أهتم باللغة العربية [٣]، ومن الجدير بالذكر أنَّ بعض الرحالة الغرب استعمل الاستشراق مهنة جيّدة، إذ إنَّ أرباب المكتبات وتجار الكتب كانوا يحثون على نشر كل ما يتعلق بالثقافة العربية والإسلامية بسبب الإقبال عليها وبهذا حملوا المخطوطات والتراث إلى أوروبا[٤]، وبناءً على ذلك

١- ينظر : فلسفة الاستشراق : احمد سمايلوفيتش،٤٥.
٢- ينظر : آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره : عمر إبراهيم رضوان ، ١ / ٣٠.
٣- ينظر : الاستشراق والتبشير قراءة تاريخية موجزة : محمد السيد الجلنيد ، بلا. ط ، ١٩٩٩م ، دار قباء- مصر ، ٢١.
٤- ينظر : فلسفة الاستشراق : احمد سمايلوفيتش ، ٤٦.

يبرز الدافع الاقتصادي كأحد الدوافع القوية التي ساعدت على تكوين الحركة الاستشراقية؛ وذلك لما فيه من المغريات المادية والمناصب والشهرة وما يحظى به من دعم الحكومات والمؤسسات الأخرى وما رافقه من رواج تجاري لتراث الشرق، وانطلاقاً من هذه الأمور كثرت أعداد المستشرقين .

خامسا: الدوافع التاريخية: مما لا ريب فيه أنَّ الأحداث التاريخية التي رافقت نشوء الفكر الاستشراقي قد لعبت دوراً كبيراً في تطوره لاحقاً، إذ إنَّ المنافسة التقليدية بين حضارة الغرب والشرق أخذت أشكالاً عدة تبعاً لتلك الأحداث، فهي تارة تكون بناءة وأخرى هدامة وأخرى هادئة وأخرى عنيفة، ولكن ما يمكن القطع به أنَّ وتيرة المنافسة أخذت ترتفع شيئاً فشيئاً في الآونة الأخيرة حتى بلغت الذروة عند مجيء الإسلام وارتفاع شوكة المسلمين [1]؛ وذلك لما قدمه الأخير من حضارة راقية بلغت عنان السماء، ومنذ تلك اللحظة بدأت أنظار الغرب تتجه نحو هذه الحضارة محاولين استنزافها وهدمها؛ لأنها أصبحت نداً قوياً لحضارتهم، وعلى هذا طفقوا يدرسون علومها وتراثها مستخدمين وسائل شتى، ولاشك أنَّ لبعض الظروف التاريخية الأخرى أثراً في تبلور الفكر الاستشراقي منها احتلال الأتراك للقسطنطينية ودفع المسيحيين الجزية للمسلمين، ومنها قطع طرق التجارة البرية بين أوروبا والشرق، مما دفع الأوربيين للجوء الى الطرق البحرية عبر رأس الرجاء الصالح، وكذلك ارتفاع النزعة الاستعمارية في العصر الحديث، وتقسيم الدول الشرقية بين دول الغرب، وتوجه نابليون لاحتلال الشرق وغيرها "[2]، وعلى أساس ذلك راح الغرب ينكر فضل الحضارة الإسلامية في تلقيه للعلوم وأُسُس الثقافة، وَمَجَّد فلاسفة أثينا وروما وعزا

١- ينظر : لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم : الأمير شكيب ارسلان ، بلا .ط ، ٢٠١٧م، مؤسسة هنداوي ـ مصر ، ١٥ -١٦.

٢- ينظر : فلسفة الاستشراق : احمد سمايلوفيتش ،٤٤ .

الفضل لهم بذلك، متناسياً نور الإسلام الذي أشرق على أوروبا وغير مجرى الحياة الفكرية فيها [1]، وعليه يمكن النظر إلى كل تلك الأحداث التاريخية على أنها عوامل مهمة ساعدت في نشأة الفكر الاستشراقي وتبلوره وتطور مفهومه، وإن تلك الأحداث كانت المهد الذي ترعرعت فيه الحركة الاستشراقية هذا إذا لم تكن الجذور الأولى لإنطلاقه .

١ - ينظر : المصدر السابق ،٤٣.

الفصل الثاني

"مباحث التفسير العقدي عند الامامية في دراسات المستشرقين "

- المبحث الأوَّل: علم العقائد مفهومه ودراسات المستشرقين حوله
- المبحث الثاني: تفسير الامامة في دراسات المستشرقين .
- المبحث الثالث: تفسير العصمة عند الامامية في دراسات المستشرقين.
- المبحث الرابع: تفسير التقية عند الامامية في دراسات المستشرقين.
- المبحث الخامس: تفسير الرجعة عند الامامية في دراسات المستشرقين.
- المبحث السادس: تفسير عقيدة المهدي عند الامامية في دراسات المستشرقين

الفصل الثاني: مباحث التفسير العقدي عند الامامية في دراسات المستشرقين

المبحث الأول: علم العقائد مفهومه ودراسات المستشرقين حوله

المطلب الأول: مفهوم العقائد لغةً واصطلاحاً:

أولاً: العقائد لغةً: إنَّ لفظة العقائد جاءت مِن الأصل "عقد" وله في اللغة معانٍ عدة منها: الثبات [1]، والاعتقاد بالشيء أي اتخاذه، ولا يمكن لأي شيء أنْ ينزع هذا الاعتقاد عنهُ أي أنَّ هذا الشيء يتميز بالثبات [2].

ثانياً: العقائد اصطلاحاً: إنَّ علم العقائد هو العلم الذي يتكفل بدراسة المعتقدات التي يؤمن بها الإنسان مثل صفات الخالق وأفعاله وكذلك مختلف المباحث العقدية كالتوحيد، والنبوة، وما يتعلق بها، والامامة، و المعاد، وغيرها من المعتقدات، فمن هنا يمكن تعريف العقائد بأنها: "مجموعة المفاهيم النظرية الراجعة إلى خالق الكون وصفاته وأفعاله "[3]، والعقيدة هي :" الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى مُعتقد، وهي نوع من العقد التكويني؛ لأنَّ الانسان يعقد قلبه على ما آمن به في الدين، فيجمع القلب أطرافهُ عليه أو يجمع القلب أطراف الشيء فيقال عقد القلب عليه، وهي في الدين ما يقصد به الاعتقاد دون العمل في مقابل الأحكام الفرعية، والعقيدة الحسنة السالمة من الشك والارتياب، وهي التزام قلبي يتصف بالرسوخ والثبات " [4].

من هنا يتضح التقاء المعنى اللغوي والاصطلاحي لمفهوم العقائد والتي تعني الاعتقاد والإيمان بشيء معين من قبل الانسان يتميز بالثبات والرسوخ .

المطلب الثاني: دراسات المستشرقين لعقائد الامامية:

من المسلم به أنّهُ لا يمكن إغفال الدور المهم الذي تؤديه العقيدة في تهذيب

١- ينظر : العين : الفراهيدي ، ١ / ١٤٠.
٢- ينظر : معجم مقاييس اللغة : ابن فارس ، ٤ / ٨٦.
٣- بداية المعرفة : حسن مكي العاملي ، بلا.ط ، ٢٠٠٩م ، دار المجتبى ـ النجف الأشرف ـ العراق ، ١٩ .
٤- الحقائق والدقائق في المعارف الإلهية : فاضل الصفار ، ط١ ، ٢٠١٥م ، دار المحجة البيضاء ـ بيروت ـ لبنان ، ١ / ١٢ .

المجتمع، والذي ينعكس على كل مفصل من مفاصل الحياة البشرية للمكلفين، وعلى هذا الأساس انطلق المستشرقون في دراساتهم حول عقائد الامامية، وقبل الخوض في غمار تلك الدراسات والإفصاح عن كنهها، لابد من بسط الأساس الذي تسير عليه الدراسة عند المستشرقين الدارسين للأحداث السياسية وسيرة النبي الأكرم ﷺ وحركات المعارضة في الاسلام، دارسين لعقائد الامامية؛ لأنهم في إطار تلك الدراسات تناولوا علاقة اهل البيت عليهم السلام بالأحداث الاسلامية الدائرة في تلك الحقبة التي عاشوا فيها ، سواء السياسية أم الدينية؛ لأنهم القطب الذي تدور حوله رُحى الإسلام، لاسيما في مسألة خلافة النبي الأكرم ﷺ وما رافقها مِن أحداث، وقد يندر وجود مستشرق تطرق إلى تلك الأحداث ولم يتناول عقائد الامامية، ومن الضروري تسليط الضوء على أهم المدارس الاستشراقية التي تناولت الجانب العقائدي عند الامامية، وعلى النحو الاتي :

اولا: المدرسة السويدية: إذ تُعد من أبرز المدارس التي توجهت لدراسة عقائد الامامية لاسّيما بمستشرقيها الكبار أمثال "كارل تورنبيرج "[1] تناولت هذه المدرسة العقائد الامامية ضمنياً ولم تفرد لها مؤلفات مستقلة أسوةً ببقية المدارس الاخرى، لذا تُعد دراسة المدرسة السويدية للعقائد الامامية خجولة بعض الشيء قياساً بما قدمته مدارس الاستشراق الاخرى[2].

ثانيا: المدرسة الألمانية: يمكن القول وبلا تردد إنَّها رائدة المدارس الأوربية التي تناولت العقائد الامامية؛ إذ أنتجت لنا مستشرقين ظلت كتاباتهم طيلة عقود هي التي تنير الدرب لأجيال المستشرقين الآخرين الذين يرومون الكتابة عن

١- كارل تورنبيرج : مستشرق سويدي ولد عام ١٨٠٧م ، اشتهر في التاريخ الإسلامي وعلوم العربية . ينظر : موسوعة المستشرقين : عبد الرحمن بدوي ، ١٦١ ـ ١٦٢ .

٢- ينظر : التشيع والاستشراق عرض نقدي مقارن لدراسات المستشرقين عن العقيدة الشيعية وأئمتها : عبد الجبار ناجي الياسري ، ط١، ٢٠١١م، منشورات الجمل – بغداد – العراق، ٢٠٥ ، ٣٤٩.

هذا الموضوع، ومن أبرز المستشرقين الالمان يظهر اسم المستشرق "فون كريمر"[١] الذي صنف في الفرق الاسلامية متناولاً الامامية كأحد تلك الفرق ومسلطاً الأضواء على مسألة الامامة، والعقيدة المهدوية، فضلاً عن بعض العقائد الاخرى، وكذلك "نولدكة"[٢] الذي صنف في هذا الجانب أيضا مسلطاً الضوء على عقائد الامامية ومن بينها قضية "الامامة وعقيدة المهدي "لاسّيما عبر بحثه عن الامام الحسين عليه السلام كما قدم دراسة أخرى عن الشيعة مسلطاً الضوء فيها على جانبين رئيسين الاول : هو تحويل الشيعة إلى فرقة عنيفة والثاني إدماجهم في السلطة الحاكمة [٣]، بينما نجد أنَّ المستشرق "مولر"[٤] قد سار في طريق مختلف عن باقي الباحثين فقام بتحقيق كتاب "الشيخ الصدوق" "كمال الدين وتمام النعمة"، وسلط الضوء على بعض جوانب العقائد الامامية لاسيما خلافة النبي صلى الله عليه وآله في كتابه " تاريخ الخلفاء" باحثاً مسألة أحقية الامام علي عليه السلام وبعض العقائد الاخرى كالغيبة والتقية وغيرها [٥]، ولم يجف رافد المدرسة الالمانية للاستشراق الحديث فقد قدم المستشرق "هاينز هالم"[٦] إسهاماً واضحاً عبر كتابه "الشيعة في العالم"

١- فون كريمر : مستشرق نمساوي الاصل ألماني الجنسية ولد في فيينا عام ١٨٢٨م عمل قنصلاً في مصر اهتم بدراسة الشعر العربي من أبرز مؤلفاته تاريخ حضارة المشرق تحت حكم الخلفاء ، تاريخ الفرق في الإسلام . ينظر : المهدي المنتظر رؤية استشراقية : رباح صعصع الشمري ، ط١ ، ٢٠١٩م، مركز الدراسات الستراتيجية – النجف الأشرف – العراق، ٣٥ .

٢- ثيودور نولدكة: باحث ومستشرق وعالم ألماني ولد في عام ١٨٣٦ في مدينة هاربوج لقب بشيخ المستشرقين امتاز بغزارة إنتاجه الثقافي من ابرز مؤلفاته تأريخ النص القرآني والذي عد الأساس لكل من جاء بعده من المستشرقين حصل على الدكتوراه وهو في سن العشرين . ينظر : موسوعة المستشرقين : عبد الرحمن بدوي، ٤٩٥.

٣- ينظر : الممانعة البنيوية الشيعية قراءة في رؤى المؤرخين والمستشرقين للتراث الشيعي : عبد الأمير كاظم زاهد ، مجلة كلية الفقه ، جامعة الكوفة ، العدد ٢٨، ١٥ .

٤- مولر : مستشرق ألماني ولد عام ١٨٤٨م ، وتوفي عام ١٨٩٢م ، اهتم بكتاباته عن الإسلام في تركيا ودول البلقان من أهم أعماله نظرية المهدي في الإسلام . ينظر : المستشرقون : العقيقي ، ٢/ ٧٤٣ .

٥- ينظر التشيع والاستشراق : عبد الجبار ناجي ،٣٤٧.

٦- هاينز هالم : هو مستشرق ألماني معاصر مختص في شؤون الطوائف الإسلامية والشيعية كالإسماعيلية والإثني عشرية ، درس التاريخ والدراسات السامية في جامعة بورن ، حاز على لقب الدكتوراه ، تلقى تعليمه في بورن تحت إشراف المستشرقة أنا ماري شيمل ، عمل محاضراً لمدة وجيزة في جامعة السوربون ، له عدة مؤلفات في الشؤون الإسلامية والشيعة وتاريخ العرب منها الشيعة في العالم . ينظر : الغنوصية في الإسلام : هاينز هالم ، ترجمة : رائد الباش ، ط١ ، ٢٠٠٣م ، منشورات الجيل ـ بيروت ـ لبنان ، ٤ .

الذي عالج فيه أيضاً مواضيع العقيدة الامامية [١]، فضلاً عن إسهام المستشرق الالماني "جيرهارد كونسلمان"[٢] في كتابه "سطوع نجم الشيعة" الذي غطى عبره جوانب العقائد الامامية [٣]، ولا ننسى دراسات المستشرق "فلهاوزن"[٤] فقد أسهم بثلاثة أعمال عُني في طياتها بالجانب العقدي عند الامامية كان أبرزها كتابه "المعارضة السياسية في صدر الاسلام الخوارج والشيعة " [٥]، فضلاً عن كتابات البروفيسور "مادلونك "[٦] الذي ناقش مسألة الخلافة مطولاً لاسيما خلافة الامام أمير المؤمنين عليه السلام وذلك في كتابه "الاتجاهات الدينية في إيران الاسلامية"، أما المستشرق المجري "جولد زيهر" [٧] هو الآخر يدخل تحت مظلة المدرسة الألمانية؛ لأن كتاباته وبحوثه تصدر باللغة الألمانية وقد تناول بدوره تلك العقيدة في أكثر من موضع لاسيما كتابه العقيدة والشريعة وكتابه مذاهب التفسير الإسلامي، وبحوث متفرقة مثل أدب الجدل الشيعي السني، ومذهب التقية في الإسلام وغيرها [٨].

١- ينظر : الشيعة : هاينز هالم، ترجمة محمود كيبو، ط١ ، ٢٠١١م ، شركة الوراق للنشر- بغداد- العراق ، ١٩ - ٥٧.

٢- جير هارد كونسلمان : هو من أشهر الصحفيين الألمان وقد عمل وقتًا طويل محققاً بالتلفزيون الألماني ومن خلال عمله صار على دراية كبيرة بالتطورات السياسية في منطقة الشرق الأوسط وله مؤلفات كثيرة ومتنوعة منها سطوع نجم الشيعة . ينظر : الغدير والتأسيس لحكومة الإمام علي في فكر المستشرقين : كريم جهاد الحساني ، مجلة دراسات إستشراقية ، العتبة العباسية المقدسة ، السنة الثالثة ، ١٤٣٧هـ -٢٠١٦م ، العد الثامن ، ١١٢ .

٣- ينظر: سطوع نجم الشيعة : جيرهارد كونسلمان ،ترجمة محمد ابو رحمة ، ط١، ١٩٩٢م، مكتبة مدبولي- القاهرة- مصر ، ٢٧ومابعدها .

٤- يوليوس فلهاوزن: مستشرق ألماني ولد في قرية هاملتون عام ١٨٤٤م وتوفي عام ١٩١٨م، بدأ مشواره العلمي بدراسة اللاهوت المسيحي ثم توجه لدراسة اللغات الشرقية في جامعة تونجن ، برع في علم نقد النصوص الدينة كنصوص العهد القديم ، توجه لدراسة الإسلام وأنتج كتباً عديدة منها محمد في مكة ، أديان عرب الجاهلية ، الخوارج والشيعة . ينظر : موسوعة المستشرقين : عبد الرحمن بدوي ، ٤٠٨.

٥- ينظر : أحزاب المعارضة السياسية في صدر الإسلام الخوارج والشيعة : يوليوس فلهاوزن ، ترجمة عبد الرحمن بدوي بلاط، ١٩٥٨م، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة- مصر، ١٤٧-٢٦٤.

٦- ولفرد مادنلوك : مستشرق ألماني معاصر ولد عام ١٩٣٠م انتقل إلى أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية اهتم بالكتابة عن حياة الرسول من أبرز مؤلفاته خلافة محمد . ينظر : خلافة محمد بحث حول الخلافة في وقت مبكر : ولفرد مادلنوك ، عرض ونقد : هاشم الميلاني ، ط١ ، ٢٠١٥م ، دار الكفيل- كربلاء المقدسة- العراق ، ٥ .

٧- جولد زيهر : مستشرق مجري ولد عام ١٨٥٠م تميزت كتاباته بالتشكيك في الإسلام له مؤلفات عدة منها : مذاهب التفسير الإسلامي ، العقيدة والشريعة ، الإسلام والدين البارسي ، توفي عام ١٩٢١م . ينظر : موسوعة المستشرقين : عبد الرحمن بدوي ، ١٩٧- ٢٠٣ .

٨- ينظر : التشيع والاستشراق : عبد الجبار ناجي ، ٢٠٥.

المدرسة الفرنسية: وتأتي في المرتبة الثانية للدارسين للعقيدة الشيعية والتي تحتوي على أكبر المفارقات في تاريخ دراسة التشيع؛ لكونها ضمت أشد المستشرقين تعصباً وهو المبشر "هنري لامنس"[1]، وفي الوقت نفسه أكثرهم إنصافاً وأعني بذلك المستشرق "هنري كوربان"[2] ولا يعنينا تقيم المستشرقين بقدر ما تعنينا دراستهم، وعليه فقد أسهم المستشرق "لامنس" إسهاماً واسعاً في دراساته حول عقائد المذهب الامامي لاسيما في كتبه التي ألفها والتي منها "فاطمة وبنات محمد" وكتابه "معاوية والآخر" الذي تعرض فيه إلى الامام علي عليه السلام وحادثة التحكيم والخوارج وحتى إلى بعض الأئمة كالإمامين "الحسن والحسين" ناهيك عن البحوث المنشورة في المجلات الغربية [3]، بينما أسهم المستشرق "كوربان" هو الآخر إسهامات واسعة أيضاً فقد صنف ثلاثة كتب تناولت في طياتها كثيراً مِن المفاهيم العقدية عند الامامية كان أبرزها كتابه "الامام الثاني عشر" الذي تناول فيه عقائد الغيبة والتقية والمهدي وغيرها ،وكتابه "في الاسلام الايراني"وكتابه " تاريخ الفلسفة الاسلامية "[4]، وهكذا توالت دراسات المدرسة الفرنسية للعقائد الامامية ويُعد كتاب المستشرق "لويس أرنولد [5] عقيدة الامامية الاثني عشرية " مِن أكثر كتب المدرسة الفرنسية تخصصاً في هذا الجانب و يُعد رافداً جديداً

١- هنري لامنس : مستشرق بلجيكي ولد عام ١٨٦٢م عرف بتعصبه ضد الإسلام تلقى دراسته في الكلية اليسوعية في بيروت ، له مؤلفات كثيرة حول سيرة النبي من أشهر كتبه فاطمة وبنات محمد . ينظر : موسوعة المستشرقين : عبد الرحمن بدوي ، ٥٠٣ .

٢- هنري كوربان : فيلسوف ومستشرق فرنسي ولد عام ١٩٠٣م عمل محافظا للمكتبة الوطنية بباريس ، درس الإسلام وبشكل خاصّ مذهب الشيعية فترجم أمهات الكتب في هذا المجال من السهروردي إلى صدر الدين الشيرازي وحقّقها وعلّق عليها، له عدة مؤلفات منها جوانب روحية في الإسلام الإيراني ، وتوفي ١٩٧٨م . ينظر : المصدر نفسه ، ٤٨٢ -٤٨٥.

٣- ينظر : التشيع والاستشراق : عبد الجبار ناجي ،٣٤٩.

٤- ينظر : في الإسلام الإيراني جوانب روحية وفلسفية : هنري كوربان ، ترجمة : ذوقان قرقوط ، ط١، ١٩٩٣م، القاهرة - مصر ،٥٩ -١٠٧ و٢١٥- ٣٠٢. وينظر : الإمام الثاني عشر : هنري كوربان ، ط١ ، ١٤٢٨ هـ- ٢٠٠٧م ، دار الهادي - بيروت ـ لبنان ، ٥١- ٢٤٩.

٥- لويس أرنولد : مستشرق فرنسي اهتم بدراسة العقائد الإسلامية لاسيما التشيع ألف كتاباً أسماه عقيدة الامامية الاثني عشرية. ينظر : المهدي المنتظر رؤية استشراقية : رباح صعصع الشمري ، ٣٧ .

يضاف للإسهامات السابقة، ولابد من الإشارة إلى كتاب المستشرق الكبير "دار مستر"[١] والذي حَمَلَ عنوان " المهدي من نشأة الإسلام حتى اليوم " وهنا يمكن القول إنَّ نظرة المستشرقين بدأت تزداد نحو مزيد من التخصص أكثر من سابق عهد، ولعل هذه الكتب هي أبرز ما تمخضت عنه المدرسة الفرنسية وليس كل ما نتج منها، لاسيما في ما يتعلق بتناول عقيدة الامامية وتتبع جذورها ويمكن عدها قوام الاستشراق الفرنسي [٢].

المدرسة البريطانية: لم تتخلف المدرسة البريطانية عن باقي الدارسين للعقائد الامامية فقدمت هي الاخرى دراسات وافرة عن جل العقائد الامامية، ويبدو اسم المستشرق الإنجليزي "لويس بيلي " [٣] من الأسماء البارزة في هذه المدرسة فضلاً عن المستشرق "جيمس فريزر "[٤] صاحب كتاب "المهدي في عيون رحال انجليزي" الذي تناول فكرة المهدي أو المنقذ وما يرتبط به من عقائد وأيديولوجيات وما هي وجهات الارتباط بينها والعقائد السماوية الاخرى، ولا ننسى الإضافة الكبيرة للمدرسة البريطانية عبر المستشرق "دونالدسون"[٥] في كتابه " عقيدة الشيعة" الذي تناول فيه حياة الأئمة بشكل منفصل كما سلط الضوء على جغرافية التأريخ الامامي عبر توثيقه لمراقد الأئمة الأطهار ثم خصص بعض الفصول لمناقشة بعض المبادئ العقدية الخاصة بالإمامية مثل التقية، والعصمة،

١- دار مستر : مستشرق فرنسي ولد عام ١٨٤٩م اهتم بدراسة اللغات الشرقية وبالأخص الفارسية من أهم أثاره " المهدي من نشأة الإسلام حتى اليوم . توفي عام ١٨٩٤م . ينظر : المستشرقين : العقيقي ، ٢٠٤ .

٢- ينظر : المهدي المنتظر رؤية استشراقية : رباح صعصع الشمري ، ٣٥ -٣٨.

٣- لويس بيلي : مستشرق وسياسي بريطاني ولد عام ١٨٢٥م عمل مقيماً سياسياً في الحكومة البريطانية في الخليج العربي من أبرز مؤلفاته رحلة إلى الرياض . ينظر : رحلة إلى الرياض : لويس بيلي ، ترجمة : احمد اطفيش ، ط١ ، ٢٠١٠م ، هيئة أبو ظبي للتراث ـ الإمارات ، ١٤ .

٤- جيمس فريزر : مستشرق اسكتلندي ولد عام ١٨٥٤م ، اهتم بدراسة اللغات لاسيما الأرامية له مؤلفات عدة أبرزها كتاب القفص الذهبي ، توفي عام ١٩٤١م . ينظر : القفص الذهبي دراسة في تاريخ السحر والدين : جيمس فريزر ، ترجمة : نايف الخوص ، ط١ ، ٢٠١٤م ، دار الفرقد ـ دمشق ـ سوريا ، ٦ .

٥- دوايت م دونالدسون : مستشرق بريطاني ، ولد عام ١٨٨٤ وتوفي ١٩٧٦م، اهتم بدراسة التشيع له عدة مؤلفات في هذا المجال أبرزها كتاب سلمان الفارسي وكتاب الزواج العرفي في الإسلام وكتاب الإسلام في الهند وكتاب عقيدة الشيعة الذي ترجم في العراق وأعيد طبعه في لبنان ، ينظر : معجم أسماء المستشرقين : يحيى مراد ، ٥٢٥.

والرجعة، والعقيدة، المهدوية، وغيرها معتمداً على أمهات الكتب الامامية [١]، والمستشرق "كانون سل"[٢] أيضاً ترك أثره في الجانب العقائدي؛ إذ نشر بحثاً في أحدى المجلات أسماه "تبجيل علي أو تقديس علي " دارت مباحثه حول الفرق المنحرفة عن الخط الامامي، لاسيما ممن يضفون صفة التأليه لأهل البيت عليهم السلام، وله بحث آخر أسماه "الاثني عشرية "وعلى هذا النهج سار عدد كبير من رواد الاستشراق البريطاني أمثال المستشرق " السير توماس ارنولد "[٣] وغيرهم[٤].

المدرسة الامريكية: لم يختلف الحال في المدرسة الامريكية التي تُعد حديثة العهد بهذا الجانب نوعاً ما؛ إذ شهدت غزارة في الكتب التي درست عقائد التشيع لاسيما في العصور الحديثة وأنتجت مستشرقين كبار صنفوا في هذا الجانب أمثال "كولين تيرنر[٥]" الذي كان له مصنفان لدراسة العقائد الامامية الأول "التشيع والتحول في العصر الصفوي" درس فيه عقائد الامامية ، ثم أفرد له عنواناً خاصاً بعقيدة المهدي عليه السلام وما يرتبط بها من مبادئ عقدية كالغيبة، والانتظار، وغيرها والاخر أسماه "الاسلام الأسس" وحاول في كليهما ربط عقيدة المهدي عليه السلام بالاساس المسيحي الذي حرص المستشرقون على ارجاع العقائد إليه دائماً[٦]،وكذلك دراسات المستشرق "ايرام لابيدس " [٧] حول هذه العقيدة فقد صنف كتاباً في هذا الجانب "تاريخ

١- ينظر : التشيع والاستشراق : عبد الجبار ناجي ، ٢٢٨.

٢- كانون سل : مستشرق انكليزي ولد عام ١٨٣٩م وتوفي عام ١٩٣٢م درس اللاهوت وحصل على الدكتوراه فيه اهتم بدراسة اللغة العربية والفارسية من أهم أثاره الإسلام وتدوين القرآن .ينظر: المستشرقون : العقيقي ،٢/ ٤٩٣.

٣- توماس أرنولد : مستشرق انكليزي ولد عام ١٨٦٤م امتاز بتعاطفه مع الإسلام ، له مؤلفات عدة منها : الدعوة الإسلامية ، توفي عام ١٩٣٠م . ينظر : موسوعة المستشرقين : عبد الرحمن بدوي ، ٩ ـ ١١ .

٤- ينظر : التشيع والاستشراق : عبد الجبار ناجي ، ٣٦٠.

٥- كولين تيرنر: مستشرق بريطاني ولد في بيرمنغهام ١٩٥٥م ، حصل على شهادة البكلوريوس في اللغتين العربية والفارسية من جامعة دورهايم في انكلترا ، ثم حاز على شهادة الدكتوراه ، عن أطروحته الحركات الاجتماعية والسياسية في إيران الصفوية ، اعتنق الإسلام عام ١٩٧٥م ، تركزت أبحاثه على الفلسفة وعلم الكلام . ينظر : التشيع والتحول في العصر الصفوي : كولين تيرنر ، ترجمة : علي عبد الساتر، بلا.ط، بلا. ت ، منشورات الجمل ، بغداد – العراق ، ٤ .

٦- ينظر : الإسلام الأسس : كولين تيرنر ، ترجمة : نجوان نور الدين ، ط١ ، ٢٠٠٩م، الشبكة العربية ـ بيروت – لبنان ، ٣٢١-٣٢٣. وينظر : التشيع والتحول في العصر الصفوي : كولين تيرنر ، ٥٠ –٥٤.

٧- ايرام لابيدس : مستشرق أمريكي معاصر من أصل اسكتلندي عمل أستاذاً فخرياً للتاريخ الإسلامي في جامعة كاليفورنيا من أبرز مؤلفاته تاريخ المجتمعات الإسلامية . ينظر : المهدي المنتظر رؤية استشراقية : رباح صعصع الشمري ، ٤٠ .

المجتمعات الاسلامية "، أشار فيه إلى هذه العقيدة في موضعين الأول تحت عنوان "الإسلام الشيعي" والاخر تحت عنوان "الجماعات الاسلامية ومجتمعات الشرق الاوسط " والمستشرق "دوكلاس كرو"[١] أيضاً كان له نصيب في هذه الدراسة عبر بحث نشر في كتاب حفريات الاستشراق، ولا يمكن إهمال دور المستشرق الأمريكي "موسى متى"[٢] ، قدم دراسة جيدة في هذا المجال ميز عبرها بين التشيع السياسي و التشيع المعتدل، فضلاً عن المستشرق المعاصر "برنارد لويس "[٣] الذي يحسب على المدرسة الامريكية؛ لانتقاله للعيش في أمريكا فقد أنتج كتب ومصنفات عدة عنيت بالجانب العقدي عند الامامية كان من أبرزها " إيران في التاريخ" والاخر "الشيعة في التاريخ " تناول فيها مسائل دخول التشيع إلى إيران [٤].

المدرسة الايطالية: لقد جاءت دراسات المدرسة الايطالية لعقائد الامامية طفيفة باستثناء بعض المستشرقين أمثال "كيتاني"[٥] وكتابه حوليات الاسلام، والمستشرق "موسكاتي"[٦] الذي تناول في كتابه "صحيفة أبي هاشم محمد بن الحنفية" ودرس الآراء الامامية ، لاسيما في ميدان العقائد عبر تتبعه لآراء الامام الصادق عليه السلام وكيفية تأسيس الامام لعقائد المدرسة الامامية، كذلك المستشرقة "فيشيا فاغيليري"[٧]

١- دوكلاس كرو : مستشرق أمريكي معاصر اهتم بدراسة التشيع والحركات الإسلامية له مؤلفات عدة أبرزها قراءة التشيع في العراق . ينظر : المهدي المنتظر رؤية استشراقية : رباح صعصع الشمري ، ٤٠ .

٢- موسى متى : مستشرق أمريكي معاصر اهتم بالكتابة التاريخية من أبرز مؤلفاته كتاب الموازنة في التاريخ ، غلاة الشيعة. www .syriucstudies .Com //http: . تم الإطلاع عليه بتاريخ ٩ / ٣ / ٢٠٢٠ .

٣- برنارد لويس : مستشرق أمريكي معاصر ولد عام ١٩١٦م ، في بريطانيا ثم انتقل للعيش في أمريكا اهتم بدراسة التشيع من أبرز أعماله أصول الإسماعيلية توفي عام ٢٠١٨م . ينظر : المستشرقون : العقيقي ، ٢/ ٥٦١ ـ ٥٦٢ .

٤- ينظر : التشيع والاستشراق : عبد الجبار ناجي ، ١٩٣ .

٥- ليونيل كايتاني : مستشرق إيطالي ولد عام ١٨٦٩م ، اشتهر بكتابه حوليات الإسلام ثم أصدر كتاباً تناول فيه مدة أربعين سنة هجرية أي من الهجرة حتى وفاة الإمام علي (عليه السلام) توفي عام ١٩٣٥م . ينظر : موسوعة المستشرقين : عبد الرحمن بدوي ، ٤٩٣ ـ ٤٩٦ .

٦- موسكاتي : مستشرق إيطالي ولد عام ١٨٨٠م وتوفي عام ١٩٢٧م عني بالدراسات التاريخية والمخطوطات الإسلامية واللغات السامية من أبرز أعماله مجموعة محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى . ينظر : المستشرقون : العقيقي ، ١/ ٤٠١ .

٧- فيشيا فاغيليري : مستشرقة إيطالية ولدت عام ١٨٩٣م اهتمت بدراسة اللغة العربية تخرجت من جامعة نابولي اشتهرت بدفاعها عن الإسلام من أبرز مؤلفاتها محاسن الإسلام . http//org.Wikipedia .ar: .تم الإطلاع عليه بتاريخ ٩ / ٣ / ٢٠٢٠ .

التي دافعت عن الأئمة وفندت أفكار القس المتعصب "هنري لامنس" عبر بحثها عن غدير خم ، وكذلك كتاباتها حول الخوارج والامام علي عليه السلام والذي كشفت النقاب عبره عن حادثة خلاف الامام علي عليه السلام مع الخوارج وقضية التحكيم [١]، كذلك المستشرق "جبرييلي"[٢] ، كانت له إضاءة واضحة في المجال العقدي عبر كتابه " أصول حركة الخوارج" الذي سلط الضوء فيه على الأحداث التي رافقت تلك الحركة، فضلا عن دراسة المستشرق " ديلا فيدا " [٣] لاسيما في دراسته التي وسمها بـ"الخليفة علي"[٤].

المدرسة الهولندية: التي تجلت آراؤها في هذه العقيدة عبر كتابات المستشرق "فان فلوتن"[٥] الذي أولى اهتماماً بالغاً بالعقائد الامامية؛ إذ صنف كتابين في هذا المضمار الأول تحت عنوان" السيطرة العربية التشيع والمعتقدات المهدية" تناول فيه جوانب هذه العقيدة [٦]، والآخر "مقتل الحسين" الذي كشف الستار فيه عن واقعة كربلاء، كذلك المستشرق "دوزي"[٧] وكتابه "تاريخ المسلمين" في اسبانيا كانت له إشراقات في الجانب العقدي، ولا ننسى جهود المستشرق "فنسنك"[٨] صاحب كتاب "العقيدة الاسلامية"[٩].

١- ينظر : الممانعة البنيوية الشيعية : عبد الأمير كاظم زاهد ،١٩.
٢- جبرييلي : مستشرق إيطالي ولد عام ١٨٧٠م في مدينة كاليميرا اهتم بالشعر العربي وكتب في السيرة النبوية عصر وحياة محمد ، توفي عام ١٩٤٢م . ينظر : موسوعة المستشرقين : عبد الرحمن بدوي ، ١٧٦ .
٣- ديلا فيدا : مستشرق إيطالي ولد عام ١٨٨٦م ، من أسرة يهودية امتاز بغزارة إنتاجه العلمي من أبرز مؤلفاته خصائص الساميين واهتمامه بالنقوش اليونانية . ينظر : المصدر نفسه ، ٢٤٦-٢٤٩.
٤- ينظر: التشيع والاستشراق : عبد الجبار ناجي ، ٣٥٦ .
٥- فان فلوتن : مستشرق هولندي امتاز بغزارة إنتاجه المعرفي من أبرز أعماله العباسيون وخراسان قدم كتاب المحاسن والأضداد . ينظر : المستشرقون : العقيقي ،٢ / ٦٦٢ ـ ٦٦٣ .
٦- ينظر : أبحاث في السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات المهدية في ظل خلافة بني أمية : فان فلوتن، ترجمة : إبراهيم بيضون ، بلا . ط، ١٩٩٦م ، دار النهضة العربية ـ بيروت – لبنان ، ٦٩ –١٣٢.
٧- دوزي : مستشرق هولندي ولد عام ١٨٢٠م امتاز باهتمامه بالمعاجم اللغوية مثل معجم الألفاظ الأسبانية والبرتغالية المأخوذة من اللغة العربية ، توفي عام ١٨٨٣م . ينظر : موسوعة المستشرقين : عبد الرحمن بدوي ، ٢٥٩ ـ ٢٦٣ .
٨- فنسنك : مستشرق هولندي ولد عام ١٨٨٢م ، تتلمذ على يد كبار العلماء اهتم بالحديث وضع فهرساً لكتب الصحاح الستة " توفي عام ١٩٣٩م . ينظر : المصدر نفسه ، ٤١٧ ـ ٤١٨ .
٩- ينظر : الممانعة البنيوية الشيعية : عبد الأمير كاظم زاهد، ١٩.

المدرسة الروسية: برزت كتاباتها عن العقيدة الامامية عبر دراسات المستشرق "ايفانوف"[1] الذي صنف كتاباً عن الاسماعيلية والتشيع حيث سلط الضوء فيه على الأحداث التي دارت بين أنصار العقيدة الامامية وبين السلطة الأموية، والمستشرق "مارسينكو فسكي"[2] كان له إسهام ملحوظ في دراسة هذه العقيدة إذ عني بدراسة تراث الشيخ الكليني والشيخ المفيد[3].

وهناك دراسات متفرقة لبعض المستشرقين جديرة بالذكر لاسيما دراسات المستشرق الاسرائيلي "جوزف الياش"[4] في أطروحته" علي بن أبي طالب في المذهب أو العقيدة الاثني عشرية" حاول المستشرق في هذه الدراسة الجمع بين الدور القيادي للامام وبين الدور العقدي، وكذلك دراسة المستشرق الإسرائيلي "إيتان كوهلبرغ[5]" في بحثه "الشيعة الأوائل في التاريخ" تناول فيه بعض جوانب العقيدة الامامية لاسيما مسألة الامامة ، وكذلك عقيدة المهدي عجل الله فرجه والغيبة وغيرها، ولعل هذه ابرز الدراسات الاستشراقية على المستوى العقدي .

المبحث الثاني: دراسات المستشرقين في تفسير الامامة

تُعد الامامة أبرز مسألة عقدية في التراث الاسلامي لاسّيما عند الامامية وهي الاصل الرابع مِن أصول الدين والاعتقاد بها مساوٍ للاعتقاد بالأصول الأخرى، ولأهمية هذا الاصل العقدي توجه المستشرقون لدراسته وتفاوتت آراؤهم حوله

١- إيفانوف : مستشرق روسي اهتم بدراسة العقيدة الإسماعيلية والجوانب الفلسفية من أهم أعماله المخطوطات الإسماعيلية في المتحف الأسيوي ، وثائق فارسية لدراسة الحلاج . ينظر : المستشرقون : العقيقي ،٣/ ٩٧٠-٩٧١.

٢- مارسينكو فسكي : مستشرق روسي ولد عام ١٨٠٠م ، درس العربية حتى أصبح أستاذاً لها في جامعة بطرسبرغ ، اهتم بدراسة الشعر العربي وترجم ملحمة عنتر ، توفي عام ١٨٥٨م . ينظر : المصدر نفسه ، ٣/ ٩٣٤-٩٣٥.

٣- ينظر : الممانعة البنيوية الشيعية : عبد الأمير كاظم زاهد ، ١٩.

٤- جوزف الياش : مستشرق إسرائيلي معاصر اهتم بدراسة علوم القرآن عند الإمامية لاسيما سورتي النور والولاية وما نشر حول قرآن الشيعة. ينظر : الإمام علي وإشكالية جمع القرآن : عبد الجبار ناجي ، ط١ ، ٢٠١٧م، دار الرافدين- بيروت لبنان ، ١٥٤ ـ ١٦٠ .

٥- ايتان كوهلبرغ : مستشرق إسرائيلي معاصر ولد عام ١٩٤٣م في تل أبيب ودرس فيها ثم عمل أستاذاً فخرياً في قسم اللغة العربية في الجامعة العبرية في القدس ،كانت دراساته حول الإمامة وما يتعلق بها . ينظر : المستشرق المعاصر ايتان كوهلبرغ وحديث الإمامية : مصطفى مطهري ، ترجمة : اسعد مندي الكعبي ، ط١ ، ٢٠١٤م، دار الكفيل ـ كربلاء – العراق ، ٩ ـ ١١

وللوصول إلى حقيقته لابد من جلاء مفهومه عند الامامية أولاً ثم استعراض دراسات المستشرقين حوله وكالأتي:

المطلب الأول: مفهوم الامامة عند الامامية:

أولاً : تعريف الامامة لغةً واصطلاحاً :

أولاً: الامامة لغةً: للإمامة في اللغة معنى واحد ويستعمل في دلالات عديدة منها: التقدم، فيقال أمَّ القوم في الصلاة أي تقدمهم[١]، ومنها: الاقتداء، فتُطلق على العالم الذي يُقتدى به فيقال مؤتمين بفلان أي مُقتدين به [٢]، ومنها: الأصل، فيقال مأخوذة من الأم التي هي أصل كل شيء[٣] ، وقيل الأم القصد [٤].

ثانياً: الامامة اصطلاحاً: وردت لمصطلح الامامة عند علماء الامامية تعريفات عدة نذكر منها : تعريف المحقق الحلي (ت: ٦٧٦هـ) بقوله : " الامامة رئاسة عامة لشخص من الاشخاص بحق الاصل لا نيابة عن غير هو في دار التكليف " [٥] ، وعرفها البحراني (ت:٦٧٩هـ) بقوله : " الامامة رئاسة عامة لشخص من الناس في أمور الدين والدنيا " [٦] وعرفها محمد جواد مغنية (ت: ١٤٠٠هـ) بأنها "رئاسة عامة إلهية ، خلافة عن رسول الله ﷺ في أمور الدين والدنيا وتولي السلطة المطلقة التي كانت للنبي ﷺ دون استثناء "[٧]، ووافقهم في هذا التعريف السيد المرعشي

١- ينظر : العين : الفراهيدي ، ٨/ ٤٢٦. وينظر : لسان العرب : ابن منظور ، ١٢/ ٣٤.
٢- ينظر : العين : الفراهيدي ،٨/ ٤٢ . وينظر : معجم مقاييس اللغة : ابن فارس ، ١/ ٢٨. وينظر : لسان العرب : ابن منظور ، ١٢ / ٢٥ .
٣- ينظر : العين : الفراهيدي ، ٨/ ٤٢٦. وينظر : لسان لعرب : ابن منظور ،١٢/ ٣٢.وينظر: مجمع البحرين : الطريحي ، ٦/ ٩ . وينظر : تاج العروس في جواهر القاموس : محمد بن محمد بن عبد الرزاق الزبيدي ، تحقيق : علي شيري ، ط١ ، ١٤١٤هـ ، دار الفكر - بيروت - لبنان ،١٦ / ٢٦ - .
٤- ينظر : لسان لعرب : ابن منظور ، ١٢ / ٢٤ .
٥- المسلك في أصول الدين : جعفر بن الحسن بن يحيى(المحقق الحلي) ، تحقيق : رضا الأستادي ، ط٢ ، ١٤٢١هـ ، مجمع البحوث الإسلامية - مشهد - إيران ، ١٨٧ .
٦- النجاة في القيامة في تحقيق أمر الإمامة : ابن ميثم البحراني ، ط١ ، ١٤١٧هـ ، مؤسسة الهادي - قم - إيران ، ٤١.
٧- إمامة علي بين العقل والقرآن : محمد جواد مغنية ، وثق أصوله وعلق عليه : سامي الغراوي ، ط١ ، ٢٠٠٥م ، دار الكتاب الإسلامي - إيران ، ٣١.

(ت: ١٤١١هـ) [١] ، وهنا يلاحظ أنَّ المدلولات الاصطلاحية جاءت متقاربة فيما بينها على الرغم من اختلاف تعابير العلماء فيها.

تقدم مفهوم عقيدة الامامة في القرآن الكريم بآيات عدة منها قوله تعالى :﴿**وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾[٢]، يذهب جل مفسري الامامية بأنها دالة على الامامة؛ لأنَّ الامامة منزلة خاصة ودرجة عالية على أساس أنَّ إبراهيم عليه السلام كان نبياً إلا أنَّهُ سعى لينال هذه الدرجة والآية دلالتها على الامامة واضحة [٣]، كذلك قوله تعالى : ﴿**يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا**﴾ [٤]، لقد اجمع مفسرو الامامية على أنَّ هذه الآية دالة على الامامة والقيادة الروحية المتمثلة بالنبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت [٥] عليهم السلام .

ولا أدل على ذلك مما جاء في رواية محمد بن يحيى[٦]،عن أحمد بن محمد،عن الحسن بن محبوب[٧]،عن عبد الله بن غالب[٨]،عن جابر[٩]،عن أبي جعفر عليه السلام قال : " قال : لما نزلت هذه الآية : " يوم ندعو كل أناس بإمامهم " قال المسلمون : يا رسول الله ألست إمام الناس كلهم أجمعين؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا

١- شرح إحقاق الحق : السيد المرعشي ، تعليق : السيد شهاب الدين المرعشي النجفي ، بلا.ط ، بلا.ت ، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي - قم - إيران، ٧/ ٤٨٢ .
٢- سورة البقرة : الآية ، ١٢٤.
٣- ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، تحقيق وتصحيح : أحمد حبيب قصير العاملي ، ط١ ، ١٤٠٩هـ ، مكتب الإعلام الإسلامي ـ قم ـ إيران ، ١ / ٤٤٩ . وينظر : مجمع البيان : الطبرسي ، ١ / ٣٧٧ . وينظر الميزان : الطباطبائي ، ١/ ٢٧٦. وينظر : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل :الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، بلا.ط ، بلا.ت ، مدرسة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ـ إيران ، ١/ ٣٦٦ -٣٧١.
٤- سورة الإسراء : الآية ، ٧١ .
٥- ينظر: تفسير القمي : القمي ، ٢/ ٢٣. وينظر : التبيان : الطوسي ، ٦ / ٥٠٤ .وينظر : الميزان : الطباطبائي ، ١٣/ ١٦٩.وينظر : الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة : محمد الصادقي الطهراني ، بلا .ط ، بلا .ت ، دار الأميرة ـ لبنان ، ١٧ / ٢٦٢ .
٦- " محمد بن يحيى : ثقة عين " . خلاصة الأقوال في معرفة الرجال : العلامة الحلي ،٢٦٠.
٧- " الحسن بن محبوب : ثقة " . الفهرست : الطوسي ، ٩٦ .
٨- " عبد الله بن غالب : ثقة " . خلاصة الأقوال : العلامة الحلي ، ١٩٢ .
٩- " جابر : ثقة " . الأبواب : الطوسي، ١٢٩.

رسول الله إلى الناس أجمعين، ولكن سيكون من بعدي أئمة على الناس من الله من أهل بيتي، يقومون في الناس فيُكذَّبون، ويظلمهم أئمة الكفر والضلال وأشياعهم، فمن والاهم، واتبعهم وصدقهم فهو مني ومعي وسيلقاني، ألا من ظلمهم وكذبهم فليس مني ولا معي وأنا منه برئ "[1]، وتعتقد الامامية بأَنَّ " الامامة أصل مِن أصول الدين لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها، ولا يجوز فيها تقليد الآباء والأهل والمربين مهما عظموا وكبروا، بل يجب النظر فيها كما يجب النظر في التوحيد والنبوة، كما تعتقد أنَّها كالنبوة لطفٌ مِن الله تعالى، فلا بد أنْ يكون في كل عصر إمام هاد يخلف النبي في وظائفه مِن هداية البشر وإرشادهم إلى ما فيه الصلاح والسعادة في النشأتين، وله ما للنبي ﷺ من الولاية العامة على الناس لتدبير شؤونهم ومصالحهم وإقامة العدل بينهم ورفع الظلم والعدوان كذلك، وعلى هذا فالامامة استمرار للنبوة، والدليل الذي يوجب إرسال الرسل وبعث الانبياء هو نفسه يوجب أيضاً نصب الامام بعد الرسول "[2]، وبهذا يظهر جلاء هذه العقيدة في المنظور الامامي .

المطلب الثاني: دراسات المستشرقين في تفسير الامامة:

لقد حُظيت مسألة الامامة في فكر المستشرقين باهتمام بالغ إذ تمخضت أقلامهم عن سيل من الآراء حول هذا الأصل، بعضها جاء متأثراً بالخلفيات العقدية والفكرية لأصحابها الذين تجاهلوا التراث الاسلامي المستفيض في الدلالة عليها، وبعضها تحلى بالموضوعية في دراسته جاعلاً سبيل البحث والاستقراء هو الأساس في معرفة الحقيقة مسلطين الضوء على جوانب البحث المعتمدة منها : الأساس القرآني للإمامة ومنها الحادثة التي وَلَدّتْ الامامة ـ تنصيب الامام علي

١- الكافي : الكليني ، ١ / ٢١٥ . كنز الدقائق وبحر الغرائب : محمد بن محمد رضا القمي المشهدي ، تحقيق : حسين درگاهي ، ط١ ، ١٩٩٠م ، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ـ طهران ـ إيران ، ٧ / ٤٥٦ .

٢- عقائد الإمامية : الشيخ محمد رضا المظفر ، تقديم : حامد حفني داود ، بلا .ط ، بلا. ت ، منشورات أنصاريان – قم- إيران ، ٦٥ ـ ٦٦ .

عليه السلام ـ ، فضلاً عن الإشكالية في كيفية تنصيب الإمام هل هي انتخاب أو خلافة أو وصية وعلى النحو الاتي:

أولاً : دراسات المستشرقين للآيات القرآنية الدالة على الإمامة :

لا يوجد أدنى شك أنَّ الإمامة في أساسها تستند إلى القرآن الكريم، فضلاً عن وصية النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وهذا ما لم يرتضه عدد من المستشرقين الذين يتذرعون في عدم وجود أصل قرآني للإمامة ، في حين درسها غيرهم بموضوعية وخرج بنتائج قاطعة بوجودها ، مِنْ أبرز المنكرين للإمامة المستشرق المجري "جولد زيهر" الذي يرى أنَّ جل عقائد الإمامية تفتقر إلى هذا الأساس، إذ يقول " ذلك أنَّ علماء الدين عند هذه الطائفة ـ أي الشيعة ـ لم يضنوا بجهد في سبيل أنْ يجدوا مبادئهم المتميزة بعقيدتهم الدينية والسياسية ـ الإمامة ـ ثابتة في القرآن على وجه إيجابي "[1]، غير أنَّ المستشرق لا يخفى عليه وجود آيات قرآنية تتناول هذا الأصل لكنه سعى إلى مناقشة بعض الآيات التي تدل على هذا المبدأ، على أنَّها مِنْ تفسيرات الموالين للإمام علي عليه السلام كقوله تعالى : ﴿**إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾[2] ، على أنَّ سعيد بن جبير نقل تفسيرها عن ابن عباس على أنها نازلة في حق الإمام علي عليه السلام فيقول المستشرق : " حقاً يرجع هذا إلى الاعتراف بحجية علي عليه السلام في العلم فحسب لا إلى حقه وحقوق بنيه السياسية، بيد أنَّ الناس قد بدؤوا أيضاً في عهد مبكر باستخراج الأدلة الشرعية على هذه الحقوق من القرآن"[3]، ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى دراسة المستشرق الإنجليزي "كانون سل" الذي يُعد من النافين للأصل القرآني للامامة والذي يرى أنَّ الإمامية تحاول ربط هذه العقيدة في القرآن عبر تغيير ترتيب بعض الآيات منها

١- مذاهب التفسير الإسلامي : جولد زيهر ، ترجمة : عبد الحليم النجار ، ط الأميرية ، ٢٠١٣م، المركز القومي للترجمة ـ القاهرة - مصر، ٢٨٦ .
٢- سورة الرعد : الآية ، ٧ .
٣- مذاهب التفسير الإسلامي : جولد زيهر ، ٢٩١ .

قوله تعالى : ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [1] على أنَّ الامامية تقرأها" ويتلوه شاهدٌ منهُ إماماً ورحمة ومن قبله كتاب موسى " على أنَّ الشاهد المذكور في الآية هو الإمام علي عليه السلام وكلمة "منه" تعني من النبي صلى الله عليه وآله وهذا لا يعتمد على نص القرآن المعتمد[2].

اما من يؤيد الأساس القرآني للإمامة واعني بذلك المستشرقة "لالاني" [3] في كتابها " الفكر الشيعي المبكر في تعاليم الامام الباقر" مستعرضةً عدداً من الآيات التي تشير إلى مسألة الإمامة ثم تناقش كل آية على حدة، ولا يريد الباحث الإطالة أو التكرار بقدر ما يريد الاشارة إلى دراسة المستشرقة التي تُعد رداً قاطعاً على المنكرين ، إذ تقول : " وتوحي المصادر الشيعية في مناقشتها لطبيعة الامامة وأساسها بأن الباقر عليه السلام قد شدد كثيراً على الآية القرآنية (٥ : ٥٥) : **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ** " [4] ، وفي صدد مناقشة هذه الآية تطرقت المستشرقة إلى الاختلاف النحوي والدلالي الوارد في تفسيرها في كونها مختصة بالإمام علي عليه السلام أم شاملة لكل المؤمنين، ومعالجةً للإشكالات الواردة حول هذه الآية في ضوء مصادر الامامية ثم تخلص إلى نتيجة أنها تصريح بحق الامام علي عليه السلام في الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله [5]، كذلك تسلط الضوء على الآية القرآنية : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**﴾[6]،

١- سورة هود : الآية ، ١٧ .

٢- ينظر : تدوين القران: كانون سل ، ترجمة : مالك مسلماني،١٥. http://www.muhammadanism.org

٣- الرزينة لالاني : عضوه وباحثة في مركز الدراسات الإسماعيلية ، ومتخصصة في الشؤون العربية ، حاصلة على شهادة الدكتوراه في العلوم الإسلامية ، من جامعة أدنبرة ، كانت لها مشاركات عديدة حول الأدب العربي كما عملت محاضرة في معهد الدراسات الإسماعيلية . ينظر : الإمام زين العابدين في فكر المستشرقين : كريم جهاد الحساني ، مجلة دراسات استشراقية ، صيف ٢٠١٨ م، العدد ١٥ ، ، ١٤٨ .

٤- الفكر الشيعي المبكر في تعاليم الإمام الباقر : الرزينة لالاني ، ترجمة : سيف الدين القصير ، ط١ ، ٢٠٠٤م ، معهد الدراسات الإسماعيلية - بيروت - لبنان ، ٨٩ - ٩٠ .

٥- ينظر : المصدر نفسه ، ٩٠ - ٩١ .

٦- سورة النساء : الآية ، ٥٩ .

على أنَّها أساس قرآني للإمامة، إذ تقول : " وهذه الآية مِن الآيات المثيرة للجدل أكثر من تلك التي سبق ذكرها إذ إنَّ المشكل الواضح هنا هو هوية أولي الأمر فقد وصلتنا روايات كثيرة تقدم اقتراحات متنوعة بعضها يجزم أنَّ أولي الأمر هم الحكام وأخرى أنهم العلماء، أما تفسير الإمام الباقر عليه السلام لهذه الآية فهو أن أولي الأمر هم الأئمة من آل بيت محمد صلى الله عليه وآله "[1].

ثم تستعرض المستشرقة الخلاف الذي حصل في تحديد مصداق أولي الأمر بين فئات المفسرين فطبقاً لمصادر العامة أنهم الخلفاء أو علماء الأمة، وطبقاً لمصادر الإمامية أنهم الأئمة عليهم السلام ثم تتوالى الباحثة في ذكر استدلالات الإمام الباقر للآيات القرآنية التي تُثبت عن طريقها مصداق أولي الأمر في النهاية [2]، وفي خضم ذلك تظهر آية التبليغ دليلاً قويًا وحاسماً على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام والتي تناولتها المستشرقة عبر إجراء مقارنة تفسيرية بين ما صدر من الإمام الباقر عليه السلام في تفسيرها من جهة وبين تفسير علماء أهل السنة من جهة أخرى، إذ تقول : " وطبقاً للباقر عليه السلام فإن الله لم يُنزل الآية (٥ : ٣) **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** ، إلا بعد إظهار الولاية وتأييدها، أما موقف الباقر عليه السلام في اليوم أكملت لكم ...) الواردة في مختلف مصادر الشيعة فهو واضح جداً لقد نزلت هذه الآية كما يقول بمناسبة تعيين علي اماماً في غدير خم " [3]،ثم تكمل دراستها للآيات الدالة على الامامة عبر تناولها لآية القربى وبعض الآيات الأخرى فضلاً عن تتبعها لأساس الإمامة من الحديث الشريف مسلطةً الضوء على طريقة الإمام الباقر عليه السلام في الاستدلال والرد على أقوال النافين والمنكرين للأساس القرآني للإمامة، والحق أنَّ دراسة المستشرقة كانت جديرة بالاهتمام

١- الفكر الشيعي المبكر في تعاليم الإمام الباقر : الرزينة لالاني ، ٩٥ .
٢- ينظر : المصدر نفسه ، ٩٦-٩٨ .
٣- المصدر نفسه، ٩٤ .

لأمرين : الأول : إنَّها تناولت الامامة وأساسها من القرآن والسنة ولم تعتمد على دراسات وكتب المستشرقين السابقين بل اعتمدت على مصادر الامامية، والثاني : الموضوعية والجدية التي تحلت بها الباحثة في عرض الآراء والأفكار وطرحها ومناقشتها .

ثانياً: دراسات المستشرقين لحادثة الغدير:

لا يخفى على المهتمين بالبحث العقدي في القرآن الكريم أنّ مسألة الغدير تُعد من المسائل الجوهرية التي ضربت في صميم عُمق الرسالة الخاتمة، على أساس أنها الحدث الأبرز من بين الأحداث الاسلامية التي أدت لاكتمال الدين الاسلامي بتصريح القرآن الكريم نفسه، قال تعالى : ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** ﴾[1]، يرى مفسرو الامامية أنَّ هذه الآية نازلة في حادثة تولية الامام أمير المؤمنين [2]عليه السلام، بل يمكن عدها أساساً متمماً للإطار التبليغي للرسالة المحمدية ومن دونه لم يكتمل التبليغ بدليل قوله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾[3]، وهنا يتفق مفسرو الامامية على إنَّ هذه الآية نازلة في قضية الغدير حصراً علاوةً على أنَّها تدل على التبليغ الفوري من قبل النبي صلى الله عليه وآله [4]، والمستشرقون في هذا الجانب قد أكدوا الالتزام في الأمانة العلمية في عرض الأدلة والوقائع التي حيكت في طيات التاريخ [5]، لاسّيما حول الحادثة التي تم تنصيب شخص الامام الذي يخلف النبي هرمياً في الأمة ومن هو؟، فطفقوا إلى البحث في هذا المضمار وخرجوا

١- سورة المائدة : الآية ، ٣ .

٢- ينظر : تفسير فرات الكوفي : فرات الكوفي ، ١١٧. وينظر : تفسير القمي : القمي ، ١/ ١٦٢. وينظر : التبيان : الطوسي ، ٣/ ٤٣٥ .وينظر : الميزان : الطباطبائي ، ٥/ ١٩٧.

٣- سورة المائدة : الآية ، ٦٧.

٤- ينظر : تفسير العياشي : ابو النظر محمد بن مسعود العياشي ، تحقيق : هاشم الرسولي المحلاتي ، بلا.ط ، بلا.ت ، المكتبة العلمية الإسلامية – طهران ـ إيران، ١/ ٣٣١ -٣٣٣ . و ينظر : تفسير القمي : القمي ، ١/ ٢٥٢. و ينظر الميزان : الطباطبائي ، ٦/ ٤٩.

٥- ينظر : عقيدة الشيعة : دوايت دونالدسون ، ط٢، ١٩٩٠م ، مؤسسة المفيد ، بيروت – لبنان ، ٢٢.

بنتيجتين الأولى : ذهب إليها بعض المستشرقين المعتدلين أمثال المستشرق هنري كوربان الذي سلط الضوء في دراسته على تفسير بعض الآيات القرآنية الكريمة الدالة على تلك الحادثة لاسيما في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾[1] كونها أساس قرآني لحادثة الغدير ؛ وأنَّ العلماء الربانيين هم أهل البيت عليهم السلام[2]، والثانية : دراسة الآيات الدالة على حادثة الغدير بعيداً عن الاعتدال من أبرزهم المستشرق "كانون سل" الذي يرى أنَّ الامامية تعتقد أنَّ هناك كلمات حُذفت من الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[3]) وهذه الكلمة إنما حُذفت لدلالتها على نص الامامة وبهذا يقرأها الشيعة "يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك [في علي] حتى يكتمل النص [4] وبهذا يرى المستشرق أنَّ النبي صلى الله عليه وآله لم يوحي بنظام محدد أو شخص معين يقوم مقامه في خلافة الأمة، متغافلين عن حادثة الغدير التي حازت مساحة واسعة من الاهتمام في مصادر الفريقين.

وهنا يمكن القول انهم لم يلتزموا الموضوعية على الرغم من تعهدهم بالموضوعية في الدراسة ؛ لأنهم لم يتمكنوا من التخلص من الركام الفكري الاوربي القديم، واعني بهم اصحاب الاتجاه الثاني، الذي يؤيده المستشرق" لويس سيدو"[5] الذي نفى حادثة الغدير وتنصيب الامام علي عليه السلام بالكلية، وذهب إلى أنَّ النبي صلى الله عليه وآله لم يترك نظاماً للخلافة مما فسح المجال للمنافسة على السلطة[6] متجاهلاً الروايات الدالة

١- سورة المائدة : الآية ، ٦٧.
٢- ينظر : تاريخ الفلسفة الإسلامية : هنري كوربان ، راجعه وقدم له : موسى الصدر ، ط٢ ، ١٩٩٨م ، عويدات ـ بيروت ـ لبنان ، ٨٥.
٣-سورة المائدة :الاية ، 67.
٤- ينظر : تدوين القرآن : كانون سل ، ١٥ .
٥- لويس سيديو : مستشرق فرنسي ولد في باريس عام ١٨٠٨م تعلم على يد والده اللغات الشرقية والرياضيات حضر محاضرات المستشرق الفرنسي سيلفستر دي ساسي في كلية فرنسا، ثم أصبح سكرتيراً له، اهتم بعلم الفلك عند العرب، ومن أشهر مؤلفاته (خلاصة تاريخ العرب) توفي عام ١٨٧٥ م . ينظر : موسوعة المستشرقين : عبد الرحمن بدوي ،٣٤٥ -٣٤٧.
٦- ينظر : تاريخ العالم : لويس سيدو ، ترجمة : عادل زعيتر، بلا .ط ، ١٩٤٨م ، دار إحياء الكتب العلمية ـ القاهرة – مصر ، ١٢٥ -١٢٦.

على هذه الحادثة، بينما أنكر المستشرق "كونسلمان" هذا الأصل على الرغم من نقله لبعض مناقب الامام علي عليه السلام مدعياً أنَّ النبي صلى الله عليه وآله ترك الأمر للأمة بعده[1]، وذلك بعدم تنصيب أي شخص في حياته متناولاً الموضوع على أنَّهُ سلطة لا غير إذ يقول :" وبالرغم من هذا التطور فإن محمداً صلى الله عليه وآله ترك أمر تنظيم خلافته ومع أنَّهُ كان يعيش في ديار مدينة يثرب بضعة رجال أكفاء إلا أنَّهُ لم يشأ إعطاء أحد منهم سلطة في حياته "[2]، والحال أنَّ المستشرقين تجاهلوا كل الأدلة التي تؤيد هذه الحادثة تعمداً، والذي يؤكد ذلك أنَّها مذكورة عند الفريقين، حتى لو سلمنا أنَّه قد اعتمد على مصادر الجمهور ولم يلجأ لمصادر إمامية فنجد أنَّ حادثة الغدير مذكورة عندهم [3] ، وهذا يفصح عن نوايا المستشرقين وعدم موضوعيتهم، أما المستشرق "دونالدسون"، فأنه يميل إلى رأي لا يخلو من الغرابة متكأً بذلك على العادات والتقاليد العربية لتبرير عدم القبول بتولية الإمام علي عليه السلام إذ يقول : "ومن المهم أنْ نلاحظ أنَّ سن علي[عليه السلام] كان عند وفاة الرسول (٣٣) سنة فهو لا يزال حدثاً بالنسبة لعرف القبائل العربية لتولي المسؤولية الإدارية الكبرى فليس من الشاذ أنْ يختار الناس منهم أكبر منه سناً "[4].

والحق أنّ كلام المستشرق يحتوي على مفارقتين، الأولى: إنَّهم اعتمدوا على صغر سن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مما أدى إلى عدم القبول به خليفة، ويرد عليه أنَّ كبر السن لا يمكن أن يُعد مقياساً للقيادة ، ولو كان كذلك لكان والد الخليفة الأول أحق بها منه؛ لأنه كان حياً وقتها وهو أكبر منه سناً، فضلاً عن أنَّ أبا

١- ينظر : سطوع نجم الشيعة : جيرهارد كونسلمان ، ٣٥-٣٦.
٢- المصدر نفسه ، ١٢ -١٣ .
٣- ينظر : تفسير الثعلبي : احمد بن محمد الثعلبي ، تحقيق : أبي محمد بن عاشور ، ط١، ٢٠٠٢م، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ، ٤/ ٩٢. وينظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الالوسي ، تحقيق : علي عبد الباري عطية ، ط١ ، ١٤١٥هـ ، دار الكتب العلمية ـ بيروت – لبنان ، ٣/ ٣٥٩.
٤- عقيدة الشيعة : دونالدسون ، ٣٥ -٣٦.

بكر لم يكن أكبر الموجودين في السقيفة سناً [١]، والثاني: إنَّهُ أشار إلى أنَّ الأعراف هي التي منعت الناس من القبول بالامام خليفة، ولم يشر إلى الإرادة الإلهية التي نصبت الامام، وبهذا يشير إلى تفضيل الأعراف على الشريعة من قبل الصحابة[٢] بخلاف ذلك تجرد بعض المستشرقين عن خلفياتهم العقدية وأحكامهم المسبقة وتطلعوا إلى الحقائق الناصعة، مؤكدين أنَّ النبي ﷺ قد ترك بعده نظاماً خاصاً لإدارة شؤون الأمة، وذلك في واقعة مشهورة عند المسلمين عامة تسمى " الغدير"[٣]، ومن أبرز هؤلاء المستشرق "كاراي دي فو" [٤] الذي أعجب بشجاعة الامام علي عليه السلام إذ يقول : " ومن اللافت للنظر أنَّ البارون يجمع بشكل واضح بين شجاعة الامام علي البدنية والروحية من جهة، وبين خلافته على المسلمين من قبل النبي الأعظم محمد ﷺ من جهة أخرى، تلك الخلافة التي أكدها النبي محمد ﷺ يوم غدير خم "[٥] والمستشرق "ريشار"[٦]هو الآخر يذهب إلى تقرير هذه الحادثة في أكثر من موضع على أنَّها أمر مسلم به عند الفريقين إذ يقول : " وأول قضية تراثية يتسلح بها الشيعة من غير أنَّ ترفضها السنة رفضاً كلياً، وهي تلك التي تجعل ولاية الخلافة لعلي ابن عم النبي وصهره ولاية شرعية،

١- ينظر : التاريخ الإسلامي الخلفاء الراشدون : محمود شاكر ، ط ٨ ، ٢٠٠٠م ، المكتب الإسلامي - بيروت - لبنان ، ٢٢.
٢- ينظر : مناظرات في الإمامة : عبد الله الحسن ، ط١ ، ١٣٢٧هـ ، منشورات دليل - قم - إيران ، ٤ / ٦٩ - ٧٠ .
٣- الغدير: وهو عيد يحتفل به المسلمون في يوم الثامن عشر من ذي الحجة كل عام ، هذه الحادثة وقعت سنة ١٠ هجرية في واد شديد الهجر تتفرق منه الطرق إلى العراق واليمن ومصر فنزل إليه الوحي يأمره بتنصيب الإمام علي عليه السلام بإمرة المؤمنين بعده فجمع الناس ونصب له منبر من أكتاف الإبل وبلغ بالولاية . ينظر : الغدير في الكتاب والسنة والأدب : العلامة عبد الحسين احمد الأميني النجفي ، ط١ ، ١٩٩٤م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان ،١/ ٢٧ -٢٩.
٤- من أبرز المستشرقين القائلين بهذا الرأي كراي دي فو ، يان ريشار ، واشنطن أرفنج ، دوايت دونالدسون ، المستشرق دومنيك ، لويس سيدو. ينظر : الغدير والتأسيس لحكومة الإمام علي في فكر المستشرقين : كريم جهاد الحساني ، ١٠٣ - ١٠٧.
٥- كاراي دي فو : من أبرز المستشرقين الفرنسيين في القرن التاسع عشر ولد في عام ١٨٦٧م، اهتم بدراسة العقيدة الإسلامية ، امتاز بنشاطه العلمي وكثرة مؤلفاته منها مفكرو الإسلام ، ابن سينا والغزالي . ينظر : موسوعة المستشرقين : عبد الرحمن بدوي ، ٤٦٢ -٤٦٣..
٦- يان ريشار : مستشرق فرنسي معاصر ولد عام ١٩٤٨م متخصص في الإيرانيات من أبرز مؤلفاته الإسلام الشيعي https://:org.wikipedia.ar/wiki . تم الإطلاع عليه بتاريخ ٩ / ٣ / ٢٠٢٠ .

على جماعة المسلمين "[1] ، مؤكدا أنَّ ما كان يريده الرسول ﷺ شيء وما حدث بعده شيء آخر إذ يقول: " ولكن النبي قبل موته ببضعة أسابيع يعود من أول حج وآخر حج له إلى المدينة، ويقال إنَّهُ توقف في غدير خم، وهو واحة على طريق المدينة، وفي لحظة ما، أخذ يد علي اليمنى ....."[2] ، ثم يذكر الحادثة، بينما نجد المستشرقة "كارين أرمسترونغ" [3] قد سلطت الضوء على المسألة من جانب آخر إذ أقرت بأن الامام علي عليه السلام وصي لرسول الله ﷺ و بلا شك، ثم قرنت بين منصب الوصي ومنصب النبي وهذا يعني مخالفة الإمام على كونه وصيًا لرسول الله ﷺ تُعد مخالفة للنبي [4]، والمستشرق "دومنيك سوردل"[5] أيضاً سلط الضوء على هذه الحادثة في أثناء حديثه عن الأعياد والمناسبات الامامية إذ يقول : "وعيد الغدير أوعيد ذي الحجة أو عيد غدير خم، حيث أعلن محمد ﷺ تنصيب علي عليه السلام خليفةً له "[6]، وفي خضم تلك الدراسات تقف حادثة تنصيب الإمام علي عليه السلام حقاً لا يستنكره ذو لب ونوراً لا يحجبه غبار الاستشراق وشاخصاً لا تغطيه أنامل المدلسين .

ثالثاً: دراسات المستشرقين للإمامة والخلافة:

لاشك أنَّ المسلمين متفقون على أنَّ هناك شخصًا ما يقوم مقام النبي ﷺ في أمور الدين والدنيا بعد وفاته، ويطبق حدود الله ويقود الأمة ويرشدها إلى ما فيه

١- الإسلام الشيعي عقائد وأيديولوجيات : ايان ريشار ، ترجمة : حافظ الجمالي ، ط١ ، ١٩٩٦م ، دار عطية ـ بيروت ـلبنان ، ٣٤.

٢- ينظر : الإسلام الشيعي عقائد وأيديولوجيات: يان ريشار ، ٣٤.

٣- كارين ارمسترونغ: مستشرقة وراهبة انجليزية ولدت عام ١٩٤٤م، التحقت بجامعة أكسفورد لدراسة الأدب الانجليزي، ترفض وصمها بالمستشرقة، لها عدة مؤلفات القدس مدينة واحدة وثلاثة أديان وكتاب محمد سيرة النبي .ينظر : معجم أسماء المستشرقين : يحيى مراد ، ٨٤٨.

٤- ينظر : الإسلام مرآة الغرب محاولة جديدة في فهم الإسلام : كارين ارمسترونغ ، ترجمة : محمد الجورا ، بلا .ط ، ٢٠٠٢م ، دار الحصاد ـ دمشق – سوريا ، ٢٩٥.

٥- دومنيك سوردل : مستشرق فرنسي ولد في سنة ١٩٢١م، من أبرز مؤلفاته كتاب وصفة الدواة والقلم ، مفهوم الإمامة في مطلع القرن الحادي عشر في رأي الشيخ المفيد . ينظر : معجم أسماء المستشرقين : يحيى مراد ، ٤٥٦.

٦- الإسلام العقيدة السياسة والحضارة : دومنيك سوردل ، ترجمة : علي مقلد ، ط٢، ١٩٩٨م ، دار التنوير ـ لبنان، ١١٧-١١٨.

خير الدنيا والآخرة، ولكنهم مختلفون في كيفية تنصيب هذا الشخص هل هي تعيين إلهي أم الامر متروك للمسلمين[1]، وهم على ذلك قسمان : ذهب الامامية إلى أنَّها تعين ولطفٌ إلهي؛ لأن حكمة الله اقتضت أنْ لا يجعل الأرض من دون شخص يقرب الناس إلى الخير ويبعدهم عن الشرور والمعاصي وبما أنَّ النبوة ختمت يكون الإمام هو ذلك الخليفة وعليه يكون التنصيب عقلياً وشرعياً[2]، بينما ذهب جمهور العامة إلى أنَّ المسألة غير واجبة على الله؛ بل إنَّ الأمر موكول للأمة تختار من تشاء لقيادتها وعليه يكون التنصيب شرعيا عبر إجماع الأمة أو البيعة [3] ، بهذا يظهر أنَّ الخلاف بين المسلمين بمسألة الامامة خلافا سطحي، إذ تعتقد بها كل فرق المسلمين إلا إنهم يرونها من فروع الدين؛ لأنها رئاسة في الأمور الدنيوية، بينما يراها الامامية من أصوله، وهي امتداد لوظيفة النبوة ما خلا الوحي.

أما دراسات المستشرقين حول الامامة والخلافة فنجد أنَّها كانت متباينة فبعضهم جعلها على شكل صراع سلطوي، وآخر تمسك بمسألة الأسبقية وأرجعها إلى الأيام الأولى للرسالة الاسلامية ـ إلى بيعة الدار ـ بينما ذهب بعضهم إلى أنَّها انتخاب وليس وصية، ولعل ذلك ناتج من تجردهم عن الجانب العقدي ونظرتهم للامامة بمنظار مادي، علاوة على بعدهم عن بيئة الثقافة الاسلامية، لذا جاءت بحوثهم متباينة في هذا الجانب، ومن أبرز المؤرخين الغربيين الذي

١- ينظر : إمامة علي بين العقل والقرآن : محمد جواد مغنية ، ٨٨ .

٢- ينظر : مناهج اليقين في أصول الدين : الحسن بن يوسف بن المطهر (العلامة الحلي) ، تحقيق : محمد رضا القمي ، ط١ ، ١٤١٦هـ ، مطبعة ياران ـ إيران، ٣٠٠. وينظر : نور الإفهام في علم الكلام : حسن اللواساني ، تحقيق: إبراهيم اللواساني، ط١ ، ١٤٢٥هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم ـ إيران، ١/ ٣٧٦. وينظر : الكلام الإسلامي المعاصر : عبد الحسين خسرو بناه ، ترجمة : محمد حسين الواسطي ، ط١ ، ٢٠١٦م ، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع ـ كربلاء المقدسة ـ العراق ، ٣/ ٤١.

٣- ينظر : شرح الأصول الخمسة : عبد الجبار بن أحمد المعتزلي ، تحقيق : عبد الكريم عثمان ، ط٣ ، ١٩٩٦م، مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ مصر، ٧٥ ، ٧٦٢. وينظر : المسائل الخمسون في أصول الدين : فخر الدين الرازي ، تحقيق : أحمد حجازي ، ط٢، ١٩٩٠م ، دار الجيل ـ بيروت ـ لبنان ، ٧١ . وينظر : شرح المقاصد : مسعود بن عمر التفتازاني، تحقيق : عبد الرحمن عميره ، ط٢ ،١٩٩٨م ، عالم الكتب ـ بيروت ـ لبنان، ٥/ ٢٣٣.

ربطوا مسألة الخلافة بالقدم والأسبقية في الاسلام هو المستشرق" ميرسيا إلياد"[١] مشيراً إلى دعوة النبي ﷺ لعشيرته الواردة في قوله تعالى : ﴿**وانذر عشيرتك الأقربين**﴾[٢]، والتي أفرزت لنا حادثة بيعة الدار، هي دلالة على قِدم الإمام علي عليه السلام في الاسلام، ومن ذلك كله خرج بنتيجة أنَّ النبي ﷺ قد نصب الإمام علي عليه السلام خلفية له بناءً على ذلك، أي لأنه أول من أسلم[٣]، والمستشرق الإسرائيلي "مئير بار اشر"[٤] أيضاً كان له إسهام في تفسير الآية التي تشير إلى أساس الإمامة والإنذار الأول إذ يرى أنَّ هناك زيادات يعتقد الشيعة أنها حُذفت من النص القرآني أو يجب تغييرها حتى يستقيم المعنى منها قوله : ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾[٥] بزيادة "ورهطك منهم المخلصين" وهذه حسب القراءة الشيعية علي وآله[٦]، ثم يضيف البروفيسور "جيفري"[٧] في إطار تفسيره لهذه الآية بعض العبارات على أنَّ الامامية تقرأها مع هذه الزيادة "وهم أهل بيتك ومن تبعك من المؤمنين فإن عصوك ورهطك منهم المقربين فقل أني بريء مما تعلمون "[٨] وهنا يمكن القول إنَّ الزيادة المزعومة التي تبناها المستشرقون على نص القرآن الكريم ، لم تكن في الواقع إلا من باب التفسير المعنوي والقراءات القرآنية التي تروم إلى بيان

١- ميرسيا الياد : مستشرق وكاتب روماني ولد في العاصمة الرومانية بوخارست ١٩٠٧م، تنقل بين لشبونة وبوخارست بعد حصوله على الدكتوراه من الهند في اليوغا ، درس في السوربورن ثم التحق بجامعة شيكاغو لدراسة المثيولوجيا ، وتاريخ الأديان من أبرز مؤلفاته تاريخ الأفكار والمعتقدات بثلاثة أجزاء . ينظر : الإمام زين العابدين عليه السلام في فكر المستشرقين دراسة وتحليل : كريم جهاد الحساني ، ١٥٠ .

٢- سورة الشعراء : الآية ، ٢١٤ .

٣- ينظر : تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية : مير سيا الياد ، ترجمة :عبد الهادي عباس ، ط١ ، ١٩٨٦ م ، دار دمشق ـ دمشق ـ سوريا ، ٣/ ٧٧، ٩٠ ، ١٤٣ -١٣٦ .

٤- " مئير بار اشر : مستشرق إسرائيلي معاصر يعمل أستاذا في الجامعة العبرية في أورشليم له مصنفات عديدة منها قراءات مختلفة وإضافات للشيعة الإمامية على القرآن .ينظر الإمام علي عليه السلام وإشكالية جمع القرآن :عبد الجبار ناجي ، ٢٦١.

٥- سورة الشعراء: الآية ، ٢١٤ .

٦- ينظر : الإمام علي عليه السلام وإشكالية جمع القرآن : عبد الجبار ناجي ، ٢٦٥.

٧- آرثر جفري : مستشرق استرالي عين أستاذا في الجامعة الأمريكية بمصر ثم في جامعة كولومبيا له مؤلفات عديدة منها كتاب القران وكتاب الاختيار في الإسلام ، الجدل الإسلامي المسيحي ، تاريخ محمد ، ونصارى مكة ". ينظر معجم أسماء المستشرقين : يحيى مراد ، ٢٧٢

٨- ينظر : الامام علي عليه السلام واشكالية جمع القران : عبد الجبار ناجي ، ٢٦٨.

المعنى وليس زيادة على نص القرآن ، والى هذا يميل ثلة من المستشرقين أبرزهم المستشرق "ايرفنج" [١] الذي أشار في موضعين من كتابه إلى الواقعة التي حدثت في بيت النبي ﷺ لما دعا عشيرته وتم من خلالها اختيار الامام علي عليه السلام وصياً [٢].

في حين نجد أنَّ مستشرقين اخرين قد استخدموا أيديولوجيات مختلفة كالمستشرق "هنري ماسيه" [٣] الذي جعل المسألة على شكل صراع سلطوي مشيراً إلى أنَّ الامام علي عليه السلام كان بإمكانه الفوز بعد اندلاع هذا الصراع فهو يقول : " اندلعت أزمة سياسية حول موضوع خلافة محمد وتصارع المكيون والمدنيون على السلطة "[٤]، ويؤيد هذا الراي يقيناً المستشرق "روم لاندو"[٥] عبر إصراره على أنَّ الرحيل المفاجئ للرسول ﷺ قد ترك الأمة الوليدة بدون قائد وهذا أدى إلى الصراع [٦]، وكذلك المستشرق "كونسلمان" إذ يقول :" يؤمن الشيعة أنَّ النبي ﷺ كان يبغي حفظ أعلى سلطة في الدولة الاسلامية لأفراد عائلته ومن هنا نفهم أمر تفضيل علي عليه السلام " [٧]، وكأن المستشرق لم يقرأ الأدلة التي تشير إلى تنصيب الامام فجعل الأمر سلطة دنيوية، يبدو أنَّ المستشرقين المؤيدين لهذا الرأي لم يطلعوا

١ – واشنطن ايرفنج : مستشرق أمريكي ولد عام ١٧٨٣م توفي سنة ١٨٥٩م ، برز كدبلوماسي في النصف الأول من القرن التاسع عشر امتاز باهتمامه بعلوم الشرق ، له عدة مؤلفات محمد وخلفاءه وأسطورة الوادي الناعس . ينظر : معجم أسماء المستشرقين : يحيى مراد ، ١٨٧ .

٢– ينظر : محمد وخلفاءه : واشنطن ايرفنج ،ترجمة : هاني يحيى نصري ،ط١، ١٩٩٩م، المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء ـ المغرب ، ١٢٣ ، ٤٥٨ .

٣– هنري ماسيه : مستشرق فرنسي ولد عام ١٨٨٦اشتهر من بين العلماء بنقله للأدب الفارسي عمل أستاذاً في جامعة الجزائر ، ومديراً للمدرسة الوطنية للغات الشرقية ، وعضواً في مجمع الكتاب والأدب ، والمجمع العلمي بدمشق ، له عدة مؤلفات منها روضة الورد للسعدي الشيرازي ، الإسلام والمذاهب والمؤسسات القضائية . ينظر: المستشرقون : العقيقي، ٣/ ١٠٦٨ .

٤– الإسلام : هنري ماسيه ، ترجمة : بهيج شعبان ، ط ٣ ، ١٩٨٨م، منشورات عويدات ـ بيروت– باريس، ٥٧ .نقلاً عن الغدير والتأسيس لحكومة الإمام علي في فكر المستشرقين : كريم الحسباني ، ٩٨ .

٥– روم لاندو : مستشرق انكليزي ولد عام ١٨٩٩م ، كان متخصصاً في الثقافة العربية وكانت اهتمامته منصبه على المغرب العربي ، وله مؤلفات عدة منها : العرب والإسلام ، فرنسا والمغرب ، دعوة إلى المغرب . ينظر : المستشرقون : العقيقي،٢/ ٥٥٦ .

٦– ينظر : الإسلام والعرب : روم لاندو، ترجمة : منير البعلبكي، بلا .ط ،١٩٦٢م ،دار العلم للملايين ـ بيروت – لبنان، ٣٤

٧– سطوع نجم الشيعة : جيرهارد كونسلمان ، ٤٨.

على الأدلة والحوادث التي تشير إلى أنَّ النبي ﷺ قد ترك بعده نظاماً ليتمسك به المسلمون في إدارة شؤونهم فجعلوا الأمر سلطة دنيوية، فهذا إنَّ دل على شيء فهو يدل على ضيق نظرة المستشرقين وسطحيتهم .

في حين نجد أنَّ هناك مستشرقين اخرين ذهبوا الى معنى اعمق في طرحهم للموضوع كالمستشرق تويال[1] الذي يرى أن هناك تتابعًا بين الولاية و النبوة؛ لأن النص القرآني يحمل ظاهراً وباطناً وبهذا يحتاج إلى شخص يقوم بتأويل النص القرآني "قيم للقرآن "، أما الاعتماد على النص القرآني وحده لا يكفي"[2] .

وعليه تكون نظرة المستشرق تويال أوضح من غيره، إذ أشار إلى مسألة أكثر أهمية غفل عنها كثيرٌ من المستشرقين وهي مسألة وجود القيم على الكتاب ـ عِدل الكتاب ـ مشيراً إلى أنَّ القرآن له باطن وظاهر وهذا الأمر يحتاج إلى شخص يؤوله؛ لأنَّ الاعتماد على القرآن وحده غير كاف وهنا يظهر دور الامامة، ويؤيد ذلك قول المستشرق المعتدل" كوربان" : " إنَّما نحتاج في ذلك إلى رجل ملهم ذي إرث روحي، يمسك بالظاهر والباطن معاً، وهذه حجة الله وقيم الكتاب والإمام، وهكذا ينحصر مهد الفكر في تمعن حقيقة الامام في شخص الأئمة الاثني عشر"[3]، في حين نجد أنَّ كونسلمان يدعي أنَّ المسلمين لجأوا إلى انتخاب الشخص الذي يقود الأمة بعد وفاة النبي ﷺ [4]، وذلك بعدم تنصيب خليفة في حياته، ولعل المستشرق لم يفرق بين الإمامة والخلافة فأخذ يشير إلى منصب الخلافة" أي السلطة الدنيوية " وليست الامامة" السلطة الدينية "؛ لأن الامامة لا

١- فرانسوا تويال : مستشرق فرنسي عمل مديراً للدروس في المدرسة الحربية العليا ، ومستشاراً لرئيس مجلس الشيوخ الفرنسي ، امتاز بغزارة إنتاجه العلمي حتى بلغت مصنفاته خمس وعشرون كتاباً من أبرزها : الشيعة في العالم. ينظر : الشيعة في العالم صحوة المستبعدين وإستراتيجيتهم : فرانسوا توبال، ترجمة : نسيب عون ، ط١ ، ٢٠٠٧م، دار الفرابي ـ بيروت – لبنان ، ١٥ ـ ١٦ .

٢- الشيعة في العالم : فرانسوا تويال، ٤٠

٣- تاريخ الفلسفة الإسلامية : هنري كوربان ،٩٤.

٤- سطوع نجم الشيعة : جيرهارد كونسلمان ، ٣٥ -٣٦ .

تكون إلا بالنص، بينما الخلافة تكون بعدة طرق منها الانتخاب ومنها غيره [1] اذ يقول :" وبالرغم من هذا التطور فإن محمداً ﷺ ترك أمر تنظيم خلافته ومع أنَّهُ كان يعيش في ديار مدينة يثرب بضعة رجال أكفاء إلا إنَّهُ لم يشأ إعطاء أحد منهم سلطة في حياته " [2]، والحق أنَّ نظرة المستشرق إلى الموضوع تفتقر لمقومات الأمانة العلمية وتتسم بالتناقض، فبينما يتبنى المستشرق هذا الرأي ينقل في مكان آخر أنَّ النبي ﷺ كان يَستخلِفْ الإمام علي عليه السلام في أثناء غيابه على المدينة إذ يقول :" مثل هذه الأحداث دفعت الرسول ﷺ أنَّ يسلم أمور الحكم في يثرب في أثناء غيابه لعلي عليه السلام الذي يثق به "[3] ،وهنا يمكن القول : إذا كان الإمام عليه السلام مصدر ثقة النبي ﷺ على المدينة في إثناء غيابه دون غيره، فكان الأولى أنْ يكون كذاك بعد مماته، فكيف يدعي أنَّهُ لم يوص وتركها انتخاباً، لاسّيما كون السيرة العملية للنبي ﷺ حجة على المسلمين[4]، وهذه تعد من البديهيات في الوسط الاسلامي ومن ثم يظهر ضعف نظرة المستشرق في طروحاته .

وهنا يلحظ أنَّ دراسات المستشرقين حول الإمامة كانت متباينة فبعض المستشرقين أنكر وجود عملية تنصيب إمام بعد النبي ﷺ يقود الامة وقلل من شأنها وشكك فيها وذهب إلى تأويلات بعيدة مشيراً إلى أنَّها تارة تكون بالانتخاب وأخرى ترك حرية الاختيار للأمة، بينما اعترف جل المستشرقين على أنَّ النبي ﷺ قد عين شخصاً يقود الأمة بعده وهو الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام، والحق يظهر بطلان المنكرين والمشككين وأصحاب الانتخاب والخلافة؛ لأنهم تجردوا عن الحيادية في تعاملهم مع الأدلة معتمدين على حكم سابق، ويعزز رأي المؤيدين

١- موسوعة الفقه الإسلامي : محمد بن إبراهيم التويجري ، ط١ ، ٢٠٠٩م ، بيت الأفكار الدولية ـ الرياض ـ السعودية، ٥ / ٣٠٠ ـ ٣١٠.

٢- سطوع نجم الشيعة : جيرهارد كونسلمان ،١٢ -١٣

٣- المصدر نفسه ، ١٢ .

٤- ينظر : الموجز في أصول الفقه : الشيخ جعفر السبحاني ، ط١ ، ٢٠١١م ، دار جواد الأئمة ـ بيروت ـ لبنان ، ١٦٢ .

والمثبتين لتوافر الأدلة على ذلك، فضلاً عن أنَّ المستشرقين قد درسوا التراث الاسلامي ولم يجد الباحث على حد اطلاعه أنَّهم استعملوا كلمة شورى التي تمسكت بها المذاهب الاسلامية، ليس لأنهم لم يطلعوا عليها بل لأنهم تغافلوا عنها وهذا ما يميل إليه الباحث .

المبحث الثالث: تفسير مبدأ العصمة عند الامامية في دراسات المستشرقين

يحتل مبدأ العصمة مكانة سامية بين المبادئ العقدية عند الامامية؛ وذلك لما يترتب عليه من خطر كبير في عملية التبليغ بأكملها؛ إذ إنَّ القول بعدم العصمة يؤدي إلى جواز صدور السهو والغلط من المشرع الاسلامي ـ النبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام وهذا مما لا يُقبل بأي حالٍ من الأحوال، وهنا يتحتم الوقوف على بيان مفهوم العصمة وحقيقتها، ثم دراسات المستشرقين حولها وعلى النحو الآتي:

المطلب الأول: مفهوم العصمة عند الامامية:

أولاً: العصمة لغةً: إنَّ المدلول اللغوي للعصمة في معاجم اللغة يعطي معنى المنع [1]، وبيّنها ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ) بقوله: " العين والصاد والميم أصلٌ واحدٌ صحيحٌ يدل على إمساك ومنع وملازمة، والمعنى في ذلك كله واحد " [2]، وبهذا يكون المدلول اللغوي للعصمة المنع.

ثانياً :العصمة اصطلاحاً: هناك تعاريف عدة عند علماء الامامية لمبدأ العصمة نذكر منها :

تعريف البحراني (ت: ٦٧٩هـ) اذا قال بأنها : " صفة للانسان يمتنع بسببها من فعل المعاصي ولا يمتنع منه بدونها " [3]، وعرفها الشيخ المظفر (ت: ١٣٨٣هـ)

١- ينظر : العين: الفراهيدي ، ١/ ٣١٣ .وينظر: المحيط في اللغة: الصاحب بن عباد ، ١ / ٣١٤ . وينظر: تاج العروس: الزبيدي ، ٤ / ٣٢٢ . وينظر : لسان العرب : ابن منظور ، ١٢ / ٤٠٣ .

٢- معجم مقاييس اللغة : ابن فارس ، ٤ / ٣٣١ .

٣- قواعد المرام في علم الكلام : ابن ميثم البحراني ، تحقيق : أحمد الحسيني ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ ، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي ـ إيران ، ١٢٥ .

بأنها : " التنزّه عن الذنوب والمعاصي، صغائرها وكبائرها، وعن الخطأ والنسيان، وإنْ لم يمتنع عقلاً على النبي أنْ يصدر منه ذلك، بل يجب أنْ يكون مُنزّهاً عمّا ينافي المروءة، كالتبذّل بين الناس من الأكل في الطريق، أو الضحك العال، وكل عمل يستهجن فعله عند العرف العام"[1]، وعرفها الشيخ السبحاني بقوله : " هي قوة تمنع صاحبها من الوقوع في المعصية والخطأ حيث لا يترك واجباً ولا يفعل محرماً"[2]، ومن هنا يتبين أنَّ المدلولات الاصطلاحية للعصمة تكاد تتحد في المعنى وإنْ اختلفت العبارات، والباحث يميل إلى ترجيح التعريف الاخير ؛ لأنه كان جامعاً ومانعاً لمفهوم العصمة، وبهذا تحمل العصمة في المنظور الامامي معنى الصيانة من الزلل والخطأ.

استدل علماء الامامية على مفهوم العصمة من القرآن الكريم بآيات عدة منها: قوله تعالى : ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم**﴾[3]، إنَّ الاستدلال في هذه الآية هي إطاعة ولاة الأمر وصفة الطاعة هنا مطلقة أي مقترنة بطاعة الله ثم طاعة الرسول وهذا الأمر لا يتحقق إلا إذا وجدت العصمة؛ لأنَّ ولي الأمر الذي تجب طاعته لو كان غير معصوم وأمر بالمعصية تحرم طاعته، وهذا يلزم وقوع الضدان[4]، واستدلوا أيضاً بقوله تعالى : ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[5]، إذ يرى مفسرو الامامية أنَّ هذه الآية هي خير دليل على عصمة الأئمة ؛لأنَّ المقصود بالطهارة هنا ليس الطهارة الظاهرية التي تشمل الجميع[6] ولقد " استدل علماؤنا بهذه الآية على عصمة الرسول والصديقة

١- عقائد الإمامية : المظفر ،٥٤.
٢- أضواء على عقائد الشيعة الإمامية وتاريخهم: الشيخ جعفر السبحاني ، ط١ ، ١٤٢١هـ ، دار مشعر ـ طهران ـ إيران ، ٣٨٨.
٣- سورة النساء : الآية ، ٥٩.
٤- ينظر : مجمع البيان : الطبرسي ،٣/ ١١٤
٥- سورة الأحزاب : الآية ، ٣٣ .
٦- ينظر : تفسير القمي : القمي ، ٢/ ١٩٣. وينظر: التبيان : الطوسي ،٨/ ٣٣٩، وينظر : مجمع البيان : الطبرسي ، ٨/ ١٥٦، وينظر : الميزان : الطباطبائي ، ١٦/ ٣١٠. وينظر الأمثل : ناصر مكارم الشيرازي ، ١٣/ ٢٤١.

والأئمة الإثني عشر عليهم السلام، ومعنى العصمة أنْ يكون في الإنسان - بلطف الله سبحانه - وازع يمنعه عن العصيان مطلقاً بدون أن ينافي ذلك اختياره، كالأم الحنون التي فيها وازع يمنعها عن قتل ولدها، وهذا الوازع من قبله سبحانه، ولا ينافي اختيارها "[1]، واستدلوا كذلك بقوله تعالى: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[2]،فسرها الشيخ محسن قرائتي بقوله: " لا يستند القرآن وما ينقله النبي صلى الله عليه وآله عن الله إلى الأهواء والميول والرغبات بل إلى الوحي وحده، وبين الرغبات والأهواء والوحي تنافرٌ وتباعد "[3]، وهذا هو معنى العصمة وهي أمر ثابت لا يكاد يقول أحد بخلافه والامامية تقول بعصمة النبي صلى الله عليه وآله المطلقة قبل البعثة وبعدها وكذلك أهل بيته الكرام على أساس أنهم الامتداد الطبيعي لرسول الله[4]، وهذا يترتب عليه أنَّ يكون النبي صلى الله عليه وآله معصوماً قبل البعثة وبعدها ومن كبائر الذنوب وصغائرها منذ الولادة إلى الوفاة وهذا الامر يسري على أئمة أهل البيت عليهم السلام بوصفهم الامتداد الطبيعي لرسول الله[5].

أما منشأ العصمة فإنّ العلماء مختلفون فيه وهم على آراء شتى فمنهم من أرجعها إلى الألطاف الإلهية[6]، لأنَّ المعصوم نفسه تتوافر فيه تلك الملكة المانعة من الفجور حتى إنَّه لم يرتكب صغيرة ولا كبيرة، فضلاً عن دور الالهام الالهي في بلورة هذه الملكة[7]، ومنهم من أرجعها إلى انكشاف عواقب المعاصي ومحاسن

١- تقريب القرآن إلى الأذهان: السيد محمد الحسيني الشيرازي، ط١، ٢٠٠٣م، دار العلوم - بيروت - لبنان، ٤/ ٣٣٣.
٢- سورة النجم: الآيتان، ٣- ٤.
٣- تفسير النور: محسن قرائتي، ٩/ ٢٩٧.
٤- ينظر: أوائل المقالات: الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد، تحقيق: إبراهيم الأنصاري، ط٢، ١٩٩٣م، دار المفيد - بيروت - لبنان، ٦٥.
٥- ينظر: دلائل الصدق لنهج الحق: الشيخ محمد حسين المظفر، ط١، ١٤٢٢هـ، مؤسسة آل البيت- قم - إيران، ٤/ ٢١.
٦- يقصد باللطف الإلهي بأنه: " عبارة عما يدعو إلى فعل واجب أو يصرف عن قبيح ". الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد: ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، ط٢، ١٩٨٦م، دار الأضواء- بيروت- لبنان، ١٣٠.
٧- ينظر: كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: الحسن بن يوسف بن المطهر (العلامة الحلي)، ط١، ١٩٨٨م، منشورات الأعلمي- بيروت - لبنان، ٣٤٢.

الطاعات وعدها باعثاً حياً على هذه الملكة أي أنَّ العلم اللدني [1] بمآل المعاصي وثواب المحاسن هو الذي يوصل جوهر الإنسان، وبعبارة أخرى تؤدي المشاهدة الحضورية دوراً كبيراً في توليد العصمة فضلاً عن المعاتبة على مبدأ ترك الأولى، ثم إنَّ اجتماع هذه الأمور في شخص يؤدي به إلى هذه الدرجة أي العصمة [2] وبهذا تكون العصمة من المقررات العقدية الأصيلة في المدرسة الإمامية وهي شاملة لكل الأنبياء بدءاً من النبي آدم عليه السلام إلى النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وآله فضلاً عن الأئمة عليهم السلام.

المطلب الثاني: دراسات المستشرقين في تفسير مبدأ العصمة عند الامامية :

لا جرم أنَّ الموروث الاسلامي قد شكل عائقاً أمام المد الاستشراقي، وحال دون تحقيق أغراض كثير من المستشرقين والمبشرين، لاسّيما في بعض مفاهيمه العقدية ومنها : عقيدة العصمة؛ إذ وقف الباحثون الغربيون أمام مصطلح جديد لم يتطرق إلى أذهانهم في الديانات السابقة ولم تقرره عقائدهم المحرفة، فدارت اقلامهم حولها من مفاصل شتى، تارة شرعوا في تفسير الآيات الدالة على العصمة كقوله تعالى : ﴿**فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾ [3] كما ذهب المستشرق كوربان إلى أنَّ النبي صلى الله عليه وآله أخذ أفضل العناصر في المجتمع الإسلامي وهم أهل الكساء وهذا يدل على عصمتهم، وكذلك استدل على العصمة بقوله تعالى : ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ [4] إذ يقول :" وثمة آية أخرى تقدس مجموعة الأسماء نفسها من خلال ذريتهم من إمام إلى إمام حتى الإمام الثاني عشر؛ لأن هذا الارتفاع ولأن هذه القرابة في الدم

١- يقصد بالعلم اللدني بأنه : " أن يتوصل للشيء من خلال معرفة مبادئه وأسبابه ،وهذا ما يسمى بالعلم الحضوري أو اللدني ، والذي من آثاره هو الإطلاع على أسرار وغيب العالم ، كما حصل مع الخضر وموسى عليهما السلام" . حقيقة علم آل محمد وجهاته : السيد علي عاشور ، بلا.ط ، بلا.ت ، بلا.ب ، ٥٧ .

٢- ينظر : دلائل الحق لنهج الصدق : محمد حسين المظفر ، ٤/ ٢٤.

٣- سورة آل عمران : الآية ، ٦١ .

٤- سورة الأحزاب : الآية ، ٣٣ .

ليست هي الوحيدة التي تشكل العصمة "[1]،وبهذا يشير المستشرق كوربان الى ان القرابة من النبي ﷺ ليس هي من تعطي العصمة بل اللطف الالهي يقف وراء ذلك ، وتارة أخرى يشككون في أصل إسنادها إلى القرآن الكريم كما زعم المستشرق "جولد زيهر" :" لقد وقف التفسير الشيعي للقرآن الذي بلغ الغاية القصوى من التأويل التحكمي المتعسف في العثور على آيات قرآنية تؤيد هذا النظام المقرر"[2]، بينما يعود ليسلط الضوء عليه من منظور مقارن بين المسلمين متخذاً من شخصية النبي الاكرم ﷺ أنموذجاً في الدراسة، وماهية هذا المبدأ العقدي عند المسلمين هل هو نسبي أم مطلق؟، مستندين إلى بعض الأحاديث التي أوردوها والتي مفادها أن النبي ﷺ كان يستغفر في كل يوم مئة مرة ، وأنه كان يدعو أن يغفر الله له ؛ ولو لم يكن له ذنب لما استغفر الله ، ولما دعا ، ولما نزل عليه ﷺ قوله تعالى: ﴿ **لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ** ﴾ [3].

ثم يذهبون إلى أنَّ المسلمين يرون العصمة على أنَّها لطفٌ إلهي لشخصية النبي ﷺ ولا يمتد إلى الأئمة عليهم السلام بعده[4] ، ولاشك أنَّ المستشرق حمل الذنب الوارد في الآية الكريمة على معناه اللغوي أي الخطيئة أو مخالفة التكليف، ولم يجهد نفسه في تتبع الآية في تراث الإسلام ولاسيما عند الامامية التي تشير إلى أنَّ الاستغفار المذكور لم يكن على مخالفة تكليفية من النبي ﷺ على أمر مولوي [5] ، بل يرجعها أرباب التفسير إلى الحادثة التي تشير إلى قيام النبي ﷺ بدعوته المباركة في مكة وما رافقها من قيامه على الوثنية من حروب غزوات؛ إذ أنَّ هذا العمل

١- في الاسلام الايراني جوانب روحية وفلسفية الشيعة الاثنا عشرية : هنري كوربان ، ، ترجمة : ذوقان قرقوط ، ط١، ١٩٩٣م ، مكتبة مدبولي - مصر ٧٩.

٢- العقيدة والشريعة : جولد زيهر ، نقله إلى العربية وعلق عليه : محمد يوسف موسى ، علي حسن عبد القادر ، عبد العزيز عبد الحق ، ط٢، بلا. ت ، دار الكتب الحديثة ـ مصر ، ١٩٦.

٣- سورة الفتح : الآية ، ٢.

٤- العقيدة والشريعة : جولد زيهر ، ٢٠٨ - ٢٠٩.

٥- يقصد بالأمر المولوي بأنه : " هو ما يصدر من المولى على نحو الطلب الحقيقي لمصلحة موجودة في متعلقة غالباً " . معجم مصطلحات الفقه وألفاظه : ضرغام كريم كاظم الموسوي ، ط١ ، ٢٠١٩م ، دار الفرات ـ بابل ـ العراق ، ١١١ .

يُعد سيئة في عرف المشركين "فالمراد بالذنب - والله أعلم - التبعة السيئة لدعوته ﷺ عند الكفار والمشركين وهو ذنب لهم عليه كما في قول موسى لربه: ﴿**وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ**﴾[1]، وما تقدم من ذنبه ﷺ هو ما كان منه ﷺ بمكة قبل الهجرة، وما تأخر من ذنبه ﷺ هو ما كان منه ﷺ بعد الهجرة، ومغفرته تعالى لذنبه هي ستره عليه بإبطال تبعته بإذهاب شوكتهم وهدم بنيتهم"[2].

أما المستشرق "دونالدسون" فقد أعطى حيزاً كبيراً لموضوع العصمة في كتابه "عقيدة الشيعة" فخصص باباً كاملاً لمناقشة أصل هذه الفكرة وكيفية نشوئها عند الامامية نافياً كونها من الأمور التي تسربت للإسلام من الديانات الأخرى، ومشيراً إلى أنَّ القرآن الكريم في غير موضع يؤكد وقوع الذنوب من الانبياء مثل آدم، وموسى، وداوود، وغيرهم، إذ يقول:" إنَّ من المهم ملاحظة أنّ القرآن نفسه لا يؤيد عصمة الانبياء ففي أماكن كثيرة يشير القرآن إلى ذنوب آدم وموسى..."[3]، ويستدل بقوله تعالى: ﴿**قُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ، فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ**﴾[4]، على أن هذه الآية تؤكد عدم عصمة الانبياء وكذلك يستشهد بقوله تعالى : ﴿**قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ**﴾[5] في حادثة قتل نبي الله موسى عليه السلام للرجل القبطي، وكذلك يذكر القرآن قصة نبي الله داوود عليه السلام بقوله تعالى : ﴿**وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ**﴾[6]، وغيرها من الآيات التي تتطرق إلى هذا المعنى مؤكداً عدم وجود العصمة في الاسلام ، بل إنَّ أصل وجودها وتطورها يعزوه إلى علم الكلام الامامي بقوله :"وإذا نظرنا إلى القضية من الوجهة

١- سورة الشعراء : الآية ، ١٤ .
٢- الميزان : الطباطبائي ، ١٨/ ٢٥٤.
٣- عقيدة الشيعة : دونالدسون ، ٣٢٦.
٤- سورة البقرة : الآية ، ٣٥.
٥- سورة القصص : الآية ، ١٥.
٦- سورة ص : الآية ، ٢٤.

التاريخية فمن المحتمل أنْ تكون فكرة عصمة الانبياء مدينة في اصلها واهميتها التي بلغتها بعدئذٍ إلى تطور علم الكلام عند الشيعة"[1]، وبقراءةٍ أخرى يؤكد المستشرق أنَّ عقيدة العصمة هي من اختراعات الامامية إذ يقول : " فإن الشيعة الناقمين لكي يثبتوا دعوة الأئمة تجاه ادعاءات الخلفاء السنيين، أظهروا عقيدة عصمة الرسل بصفتهم أئمة أيضاً أو هداة للناس "[2].

إنَّ المتتبع لدراسة المستشرق "دونالدسون" يجد أنَّها تحتوي على ثلاث محطات رئيسة الأولى : يفند عبرها تسرب عقيدة العصمة من الديانات السابقة، ويؤكد أنَّ هذا المفهوم لم يتمتع به الانبياء في الديانات السابقة لاسيما اليهودية، والثانية : إنَّهُ ادعى أنَّ القرآن لم ينف وقوع الذنب على يد الانبياء مستدلاً بعدة آيات ظاهرها يدل على ذلك، والثالثة : إنَّهُ ادعى أنَّ نشأة العصمة ترجع إلى علم الكلام الامامي، والبحث يوافقه في المحطة الأولى؛ لأنَّ المصادر تشير إلى أنَّ مفاهيم الديانات السابقة خلت من العصمة فهم ينسبون الذنوب إلى الانبياء علناً، أما فيما يتعلق بتصريح القرآن الكريم بذنوب الانبياء فنجد أنَّ مفسري الامامية يشيرون إلى أنَّ هذه المخالفة التي عدها المستشرقون ذنباً هي مخالفة أمر ارشادي[3] وليس أمرًا مولويًا وعليه لا تعد ذنباً بمعنى المعصية كما أرادها المستشرقون؛ لأن الانبياء معصومون من المعصية وفي هذا يقول الطباطبائي(ت: ١٤٠٢هـ) :" ومعصية آدم ربه – كما أشرنا إليه آنفاً وقد تقدم تفصيله – إنما هي معصية أمر إرشادي لا مولوي والانبياء عليهم السلام معصومون من المعصية والمخالفة في أمر يرجع إلى الدين الذي يوحى إليهم من جهة تلقيه فلا يخطئون، ومن جهة حفظه فلا ينسون ولا يحرفون، ومن جهة إلقائه إلى الناس وتبليغه لهم قولاً فلا يقولون إلا الحق الذي أوحي إليهم وفعلاً فلا يخالف

١ – عقيدة الشيعة : دونالدسون ، ٣٢٧ –٣٢٨.
٢ – المصدر نفسه ، ٣٢٨.
٣– الأمر الإرشادي : " هو ما يصدر من المولى لا على نحو الطلب الحقيقي وإنما هو لغرض الإخبار عن مصلحة " . معجم مصطلحات الفقه وألفاظه : ضرغام الموسوي ، ١١١ .

فعلهم قولهم ولا يقترفون معصية صغيرة ولا كبيرة؛ لأن في الفعل تبليغاً كالقول، وأما المعصية بمعنى مخالفة الامر الارشادي الذي لا داعي فيه إلا إحراز المأمور خيراً أو منفعة من خيرات حياته.....خارجتان من مجرى أدلة العصمة وهو ظاهر»[1].

أما قوله إنَّ نشأة العصمة سببها علم الكلام الإمامي فهو مردود من أساسه؛ لدلالة الآيات السابقة عليها، نعم يمكن القول أنَّ تطور هذا المفهوم وظهوره كان ناشئاً بسبب المناظرات الكلامية التي ساهمت في تطور علم الكلام، وهنا يمكن القول إنَّ هذه العقيدة الوحيدة التي لم يثيروا حولها إشكالية الاقتباس من الديانات الأخرى؛ لأن معتقداتهم تفتقر إلى هذا المبدأ، باستثناء المستشرق "فلهاوزن" الذي أرجع أصول العقائد الامامية إلى جذور يهودية فقام بعرض بعض المفاهيم العقدية عند الامامية كمفهوم الامامة، والعصمة، وعقيدة الامام المهدي عجل الله فرجه، وغيرها وقارنها بأصل يهودي في أثناء كلامه عن نشوء الحركات الأولى للتشيع[2]، غير إنَّ دراسة لمفهوم العصمة بين التراث الامامي والديانة اليهودية تدحض رأي المستشرق فلهاوزن وتظهر خطأه فيما ذهب إليه، فمن المسلم به أنَّ اليهود ينسبون إلى أنبياءهم الخطيئة ولا يقرون لهم بالعصمة من الزلل والخطأ بل وجدت في كتب العهدين إساءات كبيرة للشخصيات الدينية عند اليهود كالقتل والزنا وغيرها ونكتفي بقول أحد علماء اليهودية إذ يقول :" بحسب التناسخ فإن الإنسان العادي ليس الوحيد الذي يقترف الذنوب بل حتى الانبياء والملوك، حتى ان النبي صلى الله عليه وآله موسى فشل أمام الله [تعالى]عندما ملكه الغضب "[3]، على أنْ لا ننسى الاشارة إلى بعض كتابات المفكرين اليهود

١- ينظر: الميزان : الطباطبائي، ١٤/ ٢٢٢.
٢- ينظر : أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام (الخوارج والشيعة) : يوليوس فلهاوزن، ترجمة : عبد الرحمن بدوي ، بلا . ط ، بلا . ت، مكتبة النهضة العربية ـ القاهرة – مصر ، ٢٣٨ – ٢٦٢.
٣- ذرية إبراهيم مقدمة عن اليهودية للمسلمين : روبين فاير ستون ، ترجمة : عبد الغني بن إبراهيم ، بلا. ط ، بلا. ت ، معهد هاريت و ريرت للتفاهم الدولي بين الأديان ـ اللجنة اليهودية الأمريكية ، ٢٨.

التي أشارت إلى هذا المبدأ، لاسيما ممن ترعرع في بيئة إسلامية فهم يرون أن النبوة كمال في الأشخاص وهذا الكمال لا يتأتى إلا بعد ترويض النفس ، وبالجملة فيه إشارة إلى العصمة [١]، أما العصمة عند الامامية فهي تختلف تماماً عنها في التراث اليهودي؛ لأن الامامية تنظر الى العصمة على أنها من المراتب السامية التي لا يصدر معها السهو والخطأ بحال من الأحوال، بل هي من الألطاف والاعدادات الالهية التي خص بها الله أولياءه لتحملهم الوظائف الالهية، والإقرار بالعصمة عند الامامية يسري على جميع الانبياء السابقين من غير استثناء؛ لأنها ملكة غير مجزأة ، ولا نسبية ، بل كمال مطلق[٢] ، فضلاً عن أنَّ بعض المستشرقين رد هذا الرأي كـ "دونالدسون" إذ يقول :" ومن المهم أنْ نتحرى عن أصولها فهي لم تأت عن طريق الأسفار الدينية اليهودية؛ لأن دراسة العهد القديم ولو بصورة سطحية تدلنا بوضوح على أنَّ نفوذ أنبياء بني إسرائيل لا يعزى إلى عصمتهم"[٣] وهذا يفند مزاعم المستشرق فلهاوزن ، كذلك المستشرق "ريشار" في كتابه "الاسلام الشيعي" يتكلم على صفات الإمام عند الشيعة جاعلاً العصمة أحد هذه الصفات إذ يقول :" ولابد للإمام أن تتوفر فيه بعض الشروط المبدئية :كأن يكون على علم بشؤون الدين ويكون عادلاً حقاً ومنصفاً وكاملاً منزهاً عن الخطأ (أو معصوماً).... وهكذا فإن الامام المعصوم يصل الجماعة بالعالم اللامرئي "[٤]، مؤكداً أنَّ مبدأ العصمة نوعٌ من الكمال، أما المستشرق "فان فلوتن" فهو يرى أنَّ مبدأ العصمة متجذر في قلوب الناس مشيراً إلى كلام الامام أمير المؤمنين عليه السلام إذ يقول :" ومن البديهي

١- ينظر : دلالة الحائرين : موسى بن ميمون ، عارضه بأصوله عن العربية والعبرية : حسين اتاي ، بلا. ط بلا. ت ، مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة – مصر ، ١/ ٣٨٩.

٢- ينظر : النكت الإعتقادية : الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد ، تحقيق : رضا المختاري ، ط١، ١٤١٣هـ ، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ـ قم ـ إيران ، ٣٦ -٣٧.

٣- عقيدة الشيعة : دونالدسون ، ٣٢٤.

٤- الإسلام الشيعي : يان ريشار ، ١٩.

في ظل الايمان بعصمة الامام المتأصل في قلوب الناس أنْ ينظر إلى هذا الاخير على أنه المرجع الوحيد في التفسير وثمة عبارة تنسب لعلي عليه السلام يقول ((أحلم الناس صغاراً وأعلم الناس كباراً، إلا إنا أهل البيت من علم الله علمنا وبحكم الله حكمنا ومن قولٍ صادق سمعنا فأن تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا معنا راية الحق ومن يتبعها لحق ومن تأخر عنها غرق))، ولعل هذا الاعتقاد نفسه قد حمله كثير من أئمة أهل البيت عليهم السلام ومعناه ((الهادي إلى الطريق القويم)) وهذا ينطبق على الامام الأخير من آل علي عليه السلام بما يرتبط فيه من مفهوم العصمة"[1]، مشيراً إلى أنَّ هذا الاعتقاد قد راج مع فقدان الأمل في الإصلاح إلا في حال استلم الحكم أحد أفراد آل البيت عليهم السلام.

في حين عقد المستشرق الألماني " هاينز هالم" في كتابه "الشيعة في العالم " بحثاً خاصاً للعصمة سماه "الاربع عشر المعصومون" مشيراً فيه إلى بضعة أمور منها عدد الأئمة إذ يقول: " يطلق الشيعة على النبي محمد وابنته فاطمة والأئمة اسم الاربع عشر المعصومون وهذا يعني أنَّ الاربع عشر المذكورين معصومون من الخطأ والخطيئة "[2]، ولعل دراسة المستشرق في هذا الجانب تمتاز بالصحة ووضوح الرؤية، ثم أشار إلى أهمية الأقوال والأحاديث الصادرة من الأئمة ومنزلتها بوصفهم أنَّهم لا يخطئون إذ يقول : " ولذلك تتمتع الأقوال المنقولة عنهم والنصوص المكتوبة بصلاحية غير محدودة، فكل شيعي مؤمن يمكنه الاعتماد عليها بصورة مطلقة"[3]، ثم يؤكد أنَّ الامامية قد حرصت على جمع كل ما يتعلق بالأئمة من أقوال حتى عدت أساس الفقه الامامي، بخلاف غيرهم ، وهذا يدل على مكانة الأئمة عليهم السلام في التشريع وهذا نابع من العصمة، فضلاً عن أن العصمة قد حصرت بأشخاص الأئمة فقط فحتى

١ - السيطرة العربية التشيع والمعتقدات المهدية : فان فلوتن ، ٧٧ - ٧٨.
٢- الشيعة في العالم : هاينز هالم ، ٤٩.
٣- المصدر نفسه ، ٤٩.

كبار العلماء "آيات الله " لا يمتلكون هذه الصفة؛ لأنهم بشر ومعرضون للخطأ وهذا يعطي أفضلية التغيير والتطور للفقه الامامي [1]، ولابد من القول : إنَّ دراسة المستشرق قد سادها بعض الانصاف ، لأنه اشار الى اهتمام الامامية بما يصدر عن الائمة من اقوال وافعال سواء على المستوى الفقهي ام غيره ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى دراسة المستشرق " كوربان" التي تستحق التأمل؛ لأنَّها تجاوزت دراسات المستشرقين التقليدية، بل يمكن عدها رداً على من أنكر العصمة أو قلل من أهميتها، إذ توسعت تلك الدراسة لتشمل أصول القصص الواردة في الديانات السابقة حول خواص بعض الاشخاص النورانية، علاوة على الروايات الاسلامية التي تشير إلى بعض الحقائق الإلهية وحاول الربط بينها وبين مفهوم عصمة الأئمة، إذ يشير المستشرق أنَّ أتباع الديانة المانوية[2] يقدمون الصلاة إلى "شيغا ابن آدم الموجهة للأربعة عشر إيواناً من نور " [3]، وكذلك "الاربعة عشر مركباً التي ركبها يسوع للوصول إلى هذا العالم "[4] ، فضلاً عن الروايات الاسلامية مثل حادثة الاسراء والمعراج التي رأى فيها النبي ﷺ الأنوار الاربعة عشر حول العرش وروايات جابر الأنصاري عن لوح السيدة فاطمة عليها السلام وغيرها تنتهي بعصمة الأئمة عليهم السلام ، إذ يقول :" وجميع تلك الروايات بعددها الوافر تتسم في توسيع آراء الشيعة ..... فالحجة التي يحلو أنْ تتأملها ملياً هي العصمة الممنوحة بعطاء إلهي لشخص الأئمة"[5] يبدو أنَّ دراسة المستشرق كوربان كانت اخف وطأة وأكثر انصافًا من غيره.

وهنا يظهر أنَّ عقيدة العصمة عقيدة حقة وردت في الكتاب والسنة وتمسك بها الامامية على إساس ذلك ، امتازت بعض دراسات المستشرقين حولها بالسطحية

١- ينظر : الشيعة في العالم :هاينز هالم ، ٥٠.
٢- المانوية : " ديانة فارسية قديمة تقول بوجود قوتين في الكون النور والظلمة سميت كذلك نسبة الى ماني بن فتق بابك بن أبي برزام " . نشوء المذاهب والفرق الإسلامية : حسين الشاكري ، ط١ ، ١٤١٨هـ ، مطبعة ستارة - قم - إيران ، ١٥.
٣- في الإسلام الإيراني جوانب روحية وفلسفية الشيعة الاثنا عشرية : هنري كوربان ، ٧٧.
٤- المصدر نفسه ، ٧٧.
٥- المصدر نفسه ، ٧٨.

لعدم استقراء الادلة بصورة صحيحة، في حين أن هناك دراسات امتازت بعمق النظرة لاعتمادها على المصادر الامامية وهذا يبين حقيقة العصمة وثبوتها في التراث الإسلامي .

المبحث الرابع: تفسير مبدأ التقية عند الامامية في دراسات المستشرقين

من المبادئ العقدية الأخرى التي تميز بها الامامية من المذاهب الاسلامية الأخرى هو مبدأ التقية؛ إذ يُعد هذا المبدأ من المختصات العقدية الثابتة في المذهب الإمامي؛ بل أصبح يُمثل السمة الغالبة على المتدينين بهذا المذهب، ولم تغب هذه العقيدة عن دراسات المستشرقين، وهنا من الضروري الوقوف على حقيقة هذه العقيدة عند الامامية ثم معرفة دراسات المستشرقين حولها.

المطلب الأول: مفهوم التقية عند الامامية:

أولاً: التقية لغةً: إنَّ لفظة التقية قد اختلف في اشتقاقها على قولين الأول: مأخوذة من الفعل " وقى " ومعناه الحفظ والصيانة [1]، والثاني: مأخوذة من الفعل "اتقى" فيكون معناها الوقاية والحماية [2]، وعليه يكون المدلول اللغوي لمبدأ التقية هو الحفظ والحيطة والحذر في حال الخوف.

ثانياً: التقية اصطلاحاً:

عَرّفها الشيخ المفيد (ت: ٤١٣هـ) بقوله: " هي كتمان الحق، وستر الاعتقاد، ومكاتمة المخالفين، وترك مظاهرتهم بما يعقب ضرراً في الدين أو الدنيا " [3]، وعرفها الشيخ الأنصاري(ت: ١٢٨١هـ) بقوله : " الحفظ عن ضرر الغير بموافقته في قول أو فعل مخالف للحق"[4].

من هنا يتضح للبحث توافق المدلول اللغوي مع المدلول الاصطلاحي للتقية،

١- ينظر : تاج العروس : الزبيدي ، ٢ / ٣٠٥.
٢- ينظر : لسان العرب : ابن منظور ، ١٥ / ٤٠٤ .
٣- تصحيح اعتقادات الامامية : الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد ، تحقيق : حسين درگاهي ، ط٢ ، ١٩٩٣م ، دار المفيد - بيروت - لبنان، ١٣٧ .
٤- التقية : الشيخ مرتضى الأنصاري ، تحقيق : فارس الحسون ، ط١، ١٤١٢هـ ، مؤسسة قائم آل محمد ـ قم - إيران ، ٣٧.

وعليه يكون معناها إظهار شيء وإخفاء عقيدته الأساس بغية تجنب الضرر، وهي عند الامامية من المبادئ الأساس في العقيدة الاسلامية، ومن الأمور التي أقرها القرآن الكريم في آيات عدة يكتفي الباحث بذكر بعض النصوص الدالة على التقية كقوله تعالى : ﴿ **لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً** ﴾[1]، إذ يرى جل المفسرين أن السبب الذي أدى إلى نزول هذه الآية هي أنَّ كفار قريش كانوا يؤذون المؤمنين في بادئ الدعوة فأجاز لهم الاسلام كتمان حقيقة عقائدهم وإظهار خلافها، حرصاً منه على أرواحهم[2]، وكذلك قوله تعالى : ﴿**مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ**﴾[3]، يرى المفسرون أنَّ هذه الآية دالة على الرخصة في التقية وإنَّما نزلت بسبب ما حل بآل ياسر من عذاب المشركين لهم فصبر بعض وسايرهم بعض ظاهراً إلا أنَّ قلبه مليء بالإيمان، ومن المعلوم أنَّ التشريع إذا نزل على أثر حادثة أو واقعة يكون تطبيقه أوكد من غيره[4]، أما من السنة الشريفة فقد دلت الروايات على مشروعية هذا العمل، فقد روي عن ابن أبي عمير[5] عن هشام بن سالم[6] عن أبي عمر الأعجمي [7] قال : قال لي أبا عبد الله ﷺ : " يا أبا عمر إنَّ تسعة أعشار الدين في التقية ولا دين لمن لا تقية له والتقية في كل شيء إلا في النبيذ والمسح على الخفين"[8].

١- سورة آل عمران : الآية ، ٢٨.
٢- ينظر : التبيان : الطوسي ،٢/ ٤٣٥. وينظر : الميزان : الطباطبائي ، ١٣/ ٢٦٢.
٣- سورة النحل : الآية ، ١٠٦ .
٤- ينظر : التبيان : الطوسي ، ٦/ ٤٢٨-٤٣٥. وينظر : الميزان : الطباطبائي : ٣/ ١٥٣.
٥- " ابن أبي عمير : ثقة ". مستدركات علم رجال الحديث : علي النمازي ، ١ / ١٩.
٦- " هشام بن سالم : ثقة ". رجال النجاشي : النجاشي، ٤٣٤ .
٧- أبي عمر الأعجمي : ثقة " . جامع الرواة : محمد علي الأردبيلي ، بلا. ط ، ١٤٠٣هـ ، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي – قم – إيران ، ٢ / ٤٠٧ .
٨- الكافي : الكليني ، ٢ / ٢١٧.

أخضع علماء الامامية التقية للأحكام التكليفية فتارة تكون واجبة ولا يمكن تركها في حال من الأحوال إلا بظهور القائم ومن يتركها يخرج عن الملة [١] وأخرى تكون مستحبة من دون وجوب ،أي إنَّها من مقررات الشارع المقدس تجري في حال الشعور بالضرر على المال والنفس [٢]، وثالثة تكون محرمة لاسّيما إذا كانت تتعلق بالدماء أو الأعراض[٣]، ورابعة تكون مكروهة أي إذا كان تركها وتحمل الأذى أولى، إذا كان المُكلف قادرًا على ذلك، وإنَّ للتقية حدًا في المنظور الإمامي لا كما يعتقد بعض أن الأمر مسموح به في كل وقت، فهي تجري في بعض الأمور الجزئية في حال التعرض للضرر في النفس والمال والأمور التي يحكم العقل بجريان التقية فيها في حال الخوف، أما في الكليات فلا تقية فيها مع الاطمئنان[٤]، وهذا ما تقضي به الفطرة أيضاً حين التعرض للضرر، ومن المعهود أنَّ الجور الذي وقع على أتباع أهل البيت عليهم السلام في كل الأزمنة ليس بقليل مما حدا بهم لتطبيق هذا المبدأ في عقائدهم حتى غدت هذه سمة تتميز بها الامامية .

المطلب الثاني: دراسات المستشرقين في تفسير مبدأ التقية عند الإمامية:

إنّ دراسة اراء المستشرقين المفسرة لعقيدة التقية عند الامامية قد افضت الى نوعين من الدراسة:

النوع الاول: اتسم بالسطحية وضيق الأفق ولم يتناول الموضوع بطريقة منصفة، إذ يذهب المستشرق "جولد زيهر" إلى أنَّ التقية لا تستند إلى أصل قرآني بل إنَّ الإمامية أخذوها من الغير وعدوها من المبادئ العقدية عندهم إذ يقول : " ولم تتضح هذه النظرية للشيعة في مبدأ الأمر إلا أنَّ عداهم من المسلمين أخذوا

١- ينظر : الإعتقادات : محمد بن علي بن الحسين القمي (الشيخ الصدوق)، تحقيق : عصام عبد السيد ، ط٢ ، ١٩٩٣م ، دار المفيد ـ بيروت ـ لبنان ، ١٠٧.

٢- ينظر : مواهب الرحمن في تفسير القرآن : السيد عبد الأعلى السبزواري ، ط٥ ، ٢٠١٠م ، مطبعة نكين ـ قم – إيران ، ٣/ ١٤٩.

٣- ينظر: التقية : مرتضى الأنصاري، ٣٩.

٤- ينظر: أضواء على عقائد الشيعة الإمامية وتأريخهم: السبحاني، ٤٠٦.

بها وقروها استناداً إلى الآية القرآنية ((**ولا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ....إلا أن تتقوا منهم تقاة**)) [1]، وقد استعان بها الخوارج في حركتهم "[2].

ويبدو أنَّ المستشرق قد جانب الموضوعية في دراسته؛ لأنَّهُ اطلع على الأصل القرآني لتلك العقيدة ومع ذلك أنكرها عند الامامية ونسبها للخوارج بينما نجد إنَّ الحوادث التاريخية تُفند زعم المستشرق بأنَّ الخوارج أول من عمل بها، وتؤكد أنَّ التقية أقرت في الوسط الاسلامي إبان الحادثة التي تعرض لها الصحابي عمار بن ياسر [3]، وكان الأمر في بداية الدعوة الاسلامية أي حتى قبل ظهور الخوارج وبهذا يظهر زيف ادعائه وبطلانه وفقره المعرفي بتراث الامامية في هذا المنحنى.

ثم يواصل المستشرق "جولد زيهر" دراسته ويشير إلى أنَّها ليست عقيدة حقيقية لها أصول تشريعية، بل هي مما ولدته الأخطار المحيطة بالمذهب الامامي التي جعلتهم يبتدعون هذا النوع من الأفكار، وكل امامي يجب عليه أنْ يخفي اعتقاده، بل يجب عليه أنْ يبالغ في إخفائه حتى لا يصيبه الأذى أو الضرر على حد تعبيره إذ يقول: "وإنْ الأخطار التي تحيق دائماً برجال الشيعة قد أوجدت في بيئتهم نظرية خلقية أفردتهم بصفة بارزة وطبعتهم بطابع خاص وترتبط هذه النظرية ارتباطاً وثيقاً بالضرورة الحتمية التي تنجم عما يبذله الشيعة من جهود سرية "[4]، وهنا نلمس التناقض الواضح الذي وقع به المستشرق فبينما يشير إلى إنَّ التقية كانت نتيجة الظروف التي دفعت الامامية إلى ذلك، يعود ليثبت أنَّ غيرهم استمدها من الآية الأنفة الذكر ثم أخذها الامامية منهم حتى عُدت من مقرراتهم العقدية.

١- سورة آل عمران: الآية، ٢٨.
٢- العقيدة والشريعة: جولد زيهر، ٢٠٢.
٣- عمار بن ياسر بن كنانة بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس صحابي جليل من صحابة النبي أسلم في بداية الدعوة الإسلامية تعرضت أسرته للقتل في سبيل الدعوة الإسلامية على يد مشركي مكة ،بايع الإمام علي بعد وفاة النبي وقتل في معركة صفين . ينظر : الطبقات الكبرى : أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، ط١، ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان ، ٣/ ١٨٦- ١٨٨.
٤- العقيدة والشريعة : جولد زيهر ، ٢٠٢.

والحق أنَّ المستشرق لم يكن موفقاً في دراسته؛ لأنَّ ادعاءه بأنَّ مبدأ التقية لم يستند إلى القرآن الكريم لم يكن صائباً هو الآخر، فمسألة استنادها للقرآن الكريم واضحة لا تقبل الشك، بل هي من المبادئ الاعتقادية التي اشترك بها المسلمون كافة [1]، إذ استعمل هذا المبدأ في بداية الدعوة الإسلامية الصحابي الجليل عمار بن ياسر في واقعة مشهورة ذكرت عند رسول الله ﷺ وأقرها القرآن الكريم [2] بقوله تعالى: ﴿**مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ**﴾ [3] وهذه دلالة صريحة على استعمال مبدأ التقية ، ولم يكتف المستشرق بضرب الأساس القرآني لمبدأ التقية، بل تناوله على أنَّهُ نوع من المراوغة والخداع لتمرير ما يريدون وهذا واضح من كلام المستشرق "جولد زيهر" إذ يقول : " فمن اليسير أنْ نتصور أي مدرسة للمخاتلة والغدر تنطوي عليها تعاليم مبدأ التقية الذي أصبح ركناً من أركان المذهب الشيعي "[4]، فالمستشرق وصف التقية بالغدر ولم يُشر لماهية الغدر الموجود في التقية، ولو سلمنا بقول المستشرق لكان الامامية استعملوها لمكاسب دنيوية أو مادية لا من أجل الحفاظ على العقيدة أو النفس وثبات هذه العقيدة ورودها في الكتاب والسنة كما بُينت سابقاً فضلاً عن وجودها عند المسلمين كافة وجلاء مفهومها عند الامامية فأي حديث للمستشرق "جولد زيهر" او غيره من المستشرقين عن كونها لا أصل لها من القرآن والسنة ؟؛ ولم ينفك المستشرق "جولد زيهر" ليعود مرة أخرى ويدعي أنها نوع من الجمعيات السرية التي تسعى إلى هدم

١- ينظر : الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل : أبو القاسم محمود بن عمر بن احمد الزمخشري ، ط٣ ، ١٤٠٧هـ ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت – لبنان ،١/ ٣٥١. ينظر : مفاتيح الغيب : الفخر الرازي، ط٣ ، ١٤٢٠هـ ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ، ٨/ ١٩٣. وينظر : محاسن التأويل : محمد جمال الدين بن محمد بن سعيد القاسمي ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، ط١ ،١٤١٨هـ ، دار إحياء الكتب العلمية ـ بيروت – لبنان ،٢ / ٣٠٤. وينظر : تفسير المراغي : احمد بن مصطفى المراغي ،ط١ ، ١٩٤٦م ، مطبعة البابي الحلبي وأولاده ـ مصر ،٣ / ١٣٦.

٢- ينظر : أضواء على عقائد الشيعة الإمامية وتأريخهم : السبحاني ، ٤٠٦.

٣- ينظر : المصدر نفسه ، ٤٠٦.

٤- العقيدة والشريعة : جولد زيهر ، ٢٠٢.

الإسلام من الداخل بقوله :" إنَّ حركتهم عبارة عن دعاية خفية مستترة أكثر مما هي مقاومة مكشوفة وهذا مما يجعلها مخالفة لغيرها من الفرق" [1].

ولا ريب في أنَّ الرأي القائل بأنَّ التقية نوع من أنواع الغدر والمراوغة أو هي حركة داخلية هدامة تحاول ضرب الاسلام من الداخل لا يعدو كونه تخرصاً، فالتقية لم تكن على شكل جمعيات سرية أو حركات منظمة كما زعم المستشرق، بل هي سلوك ديني يسلكه أشخاص معينون يحاولون الحفاظ على عقائدهم، فضلاً عن أنَّ المستشرق تغافل عن الظروف التي مر بها أتباع مدرسة الامامية على الرغم من أنَّهُ تبناها في بادئ الأمر، فضلاً عن أنَّ الحركات التي يتكلم عليها المستشرقون في نشأتها مختلفة عن مبدأ التقية؛ لأنها تنشأ في ظروف طبيعية ويكون التخطيط لها بصورة مدروسة، بينما نجد أنَّ نشأة التقية كانت تحت ظروف قاسية بسبب الممارسات القسرية للأنظمة الحاكمة والتطرف الديني مما أدى بأصحابها إلى كتمان عقائدهم خوفاً من الضرر[2].

وبعد تتبع أصول هذه العقيدة يظهر أنَّها قد استعملت في الديانات السابقة إذ تشير المصادر إلى أنَّ أحد المقربين من فرعون كان يظهر خلاف عقيدته فكانت النتيجة نجاة نبي الله موسى وهذا يدل على استعمالها في الديانة اليهودية [3] وقد مُدح في القرآن الكريم بقوله : ﴿**وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ**﴾ [4]، وهنا نتساءل بحسب ادعاء المستشرق "زيهر" هل تُعد هذه الحادثة حركة مراوغة أو منظمة سرية أو انها عقيدة صحيحة ؟، في حين ينظر المستشرق الالماني "هاينز هالم " للموضوع من جانب آخر فيشير الى إنَّ

١- العقيدة والشريعة : جولد زيهر ، ٢٠٢.
٢- ينظر : جهاد الشيعة في العصر العباسي الأول : سميرة مختار الليثي ، بلا .ط ، بلا .ت ، دار الجيل الجديد ـ بيروت ـ لبنان ، ٢٤ ـ ٣٠ .
٣- الميزان : الطباطبائي ، ١٧/ ٣٢٨.
٤- سورة غافر : الآية ، ٢٨.

الشيعة تدعي أنَّ مبدأ التقية هو خطة إنقاذ إلهية مشككاً في هذا المبدأ العقدي إذ يقول: " وهناك تعليق شيعي يقول ((بعد وفاة محمد تولى علي على مدى ثلاثين عاماً منصب الامام، لكنه ظل ٢٤عاماً وستة أشهر غير قادر على استلام مقاليد الحكم وتعين عليه خلال هذه الفترة ممارسة التقية والتظاهر بالرضا اتقاءً للشر)) وتعد الشيعة غالباً سكوت علي بأنه جزء من خطة إنقاذ إلهية "[1].

أما المستشرق "ريشار" فلم يتخلف عن ركب المستشرقين الذين درسوا هذا المبدأ، غير أنَّهُ لم يصرح عن هذا المفهوم مباشرةً بل تناوله بالإشارة إذ يقول :" ولكن الأعمق من ذلك أن استبعاد الرجل عن الخلافة جعله يستبطن الأمر، ويزيد سمو الخلافة التي كان يعتقد أنَّها حقه"[2]، ثم يرجع سبب هذه العقيدة أي التقية إلى الإخفاق العسكري للامامية إذ يقول :" إنَّ إخفاق الشيعة عسكرياً أدى إلى التأكيد على العنصر أو البعد المقدس، أي الاعتقاد بسر الامامة، ..... وإلى الاعتراف الضمني بسلطة أخرى زمنية "[3]، ويجد الباحث أنَّ ما ذهب إليه المستشرق لم يكن دقيقاً لأنه ربط استخدام التقية بالإخفاق العسكري وليس بالأساس الشرعي لها .

والمستشرق اليهودي "كوهلبرغ" كان له إسهام ملحوظ في دراسة المبادئ العقدية عند الامامية ، ولاسّيما دراسته لآراء الشيعة الإمامية في عقيدة، على أساس أنَها من المبادئ التي تميز بها الشيعة نتيجة للظروف التي مرَّ بها مذهبهم، عاداً الامامية أقلية تعرضت للاضطهاد في كل الامور الاجتماعية والسياسية وعلى مدى العصور، فضلاً عن الصراع القائم بين السلطات وأتباع أهل البيت، إلا إنَّهُ ذكر أيضاً عدم اتفاق الامامية حول التقية في

١- الشيعة : هاينز هالم ، ٢٤.
٢- الإسلام الشيعي : يان ريشار ، ٣٥.
٣- المصدر نفسه ، ٤٤.

أثناء استعراضه لبعض آراء الإمام علي عليه السلام مبيناً اختلاف العلماء الشيعة في هذا المجال، محاولاً إثبات عدم الانسجام بين علماء المذهب الإمامي [1]، ولا ضير في أنْ تتسم آراء المستشرق بهذا النوع من التطرف وعدم الموضوعية؛ لأنَّ غرضه كان التركيز على الخلافات بين الامامية وبين غيرها من الفرق، فضلاً عن الخلاف بين الامامية مع بعضها ، وعليه من المؤكد أنْ تنحرف تلك الدراسات عن المنهج، وفي خضم تلك الآراء المتضاربة يظهر المستشرق "كوربان" الذي أشار إلى مبدأ التقية وإلى الظروف التي رافقت هذا المبدأ بالقول : " لم تسر الأمور إلى أحسن عندما انتهى حكم الأمويين وجاء العباسيون إلى السلطة فاضطر الأئمة إلى البقاء في منازلهم ملتزمين بالتقية، الكتمان أو نظام التخفي "[2]، ثم يرجع استعمال مبدأ التقية إلى تفسير أكثر مركزية من غيره مشيراً إلى الأسرار الإلهية الحكمة الإلهية فيقول :" هي ودائع وأمانات، وتسليمها لمن لا يستحقها يُعد تحميلاً وتجاوزاً لقدرته : "وهذا هو السبب في أن الأئمة أنفسهم ألزموا مريديهم بالتقية "[3].

اما النوع الثاني من الدراسة فقد اتسم بالحكمة والموضوعية وسعة الافق كدراسة المستشرق " كوربان الذي استفاد من بعض الآيات القرآنية كدلالة على عقيدة التقية عند الامامية، منها: قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا**﴾[4]على أنَّ هذه الآية دالة على عدم إفشاء الأسرار الإلهية الا لمن كان اهلاً لها وهو مبدأ التقية إذ يقول "وهذا يعني إن الله يأمركم أنْ لا تؤدوا الأمانات إلا لمن كان جديراً لذلك وكان وارثاً لأمانة العرفان الإلهي" [5].

١- ينظر : المستشرق المعاصر ايتان كوهلبرغ وحديث الإمامية : مصطفى مطهري ، ١٠٧.
٢- في الإسلام الإيراني جوانب روحية وفلسفية : هنري كوربان ، ١٠٨.
٣- المصدر نفسه ، ١١٩.
٤-سورة النساء : الآية ، ٥٨.
٥- تاريخ الفلسفة الإسلامية : هنري كوربان ، ٨٤.

ومن استقصاء هذه الآراء وصل البحث الى نوعين من الدراسة نوع اتسم بالسطحية وضيق الأفق ولم يدرس الموضوع من ناحية علمية فجاءت دراسته مضطربة لاسيما المستشرقون الذين ادعوا أن هذه العقيدة لا أصل لها من القرآن الكريم، والإمامية من تحاول أنْ تنسبها للقرآن؛ لأنَّها من مقرراتها العقدية المهمة أو أنها نوع من الجمعيات السرية،ولم يكن هذا إلا مجرد ادعاء ورأي قائم على الأهواء الشخصية ولا دليل عليه، بل ثبت بطلانه عبر الأدلة؛ لأن الغرض من ورائه تعميق الهوة في العقائد الإسلامية بين فرق المسلمين بدليل أنه اعترف بوجوده عند المسلمين ولكنه تناوله عن الإمامية على أنه نوع من المراوغة والغدر، وأنه تجاهل ذكره في الديانات السابقة وأغفل الآيات الدالة عليه، والنوع الآخر اتسم بالانصاف وبذلك تبطل مزاعم المستشرقين المشككين، وتثبت هذه العقيدة الحقة، وهذا ما يميل إليه الباحث .

المبحث الخامس: تفسير مبدأ الرجعة عند الإمامية في دراسات المستشرقين

تُعد الرجعة من الأمور التي أثارت جدلاً واسعاً في ساحة الاسلام العقدية، فقد أصبحت من العقائد الخلافية بين الفرق الاسلامية، فمنهم من أقرها ومنهم من أنكرها وقد أتاح هذا الأمر الفرصة إلى دخول المستشرقين في التشكيك بهذا المبدأ العقدي، وهنا لابد من دراسة هذا المفهوم وتفسيره عند الإمامية وبيان أبرز دراسات المستشرقين حوله وعلى النحو الاتي:

المطلب الأول: مفهوم الرجعة عند الإمامية:

أولاً: الرجعة لغةً: إنَّ المدلول اللغوي للرجعة يعطي معنى العودة والكرة [١]، قال ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ) : "الراء والجيم والعين: أصلٌ كبيرٌ مطردٌ مُنقاس، يدل على ردٍ وتكرار، تقول رجع يرجع رجوعاً إذا عاد " [٢]، وقيل : إنَّ الرجعة هي العودة إلى الدنيا قبل يوم القيامة [٣].

ثانياً : الرجعة اصطلاحاً : عرفها الشيخ المفيد (ت: ٤١٣هـ) بأنها :" إحياء جماعة من الناس قبل قيام الساعة للقصاص من أعدائهم وتحقيق العدل الإلهي في الأرض " [٤]، وبيّنها السيد المرتضى (ت: ٤٣٦هـ) بقوله : " اعلم أنَّ الذي تذهب الشيعة الامامية إليه أنَّ الله تعالى يعيد عند ظهور إمام الزمان المهدي عليه السلام قوماً ممن كان قد تقدم موته من شيعته، ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ومشاهدة دولته، ويعيد أيضاً قوماً من أعدائه لينتقم منهم، فيلتذوا بما يشاهدون من ظهور الحق وعلو كلمة أهله " [٥]، وهنا يلحظ تقارب المدلولات اللغوية مع المدلولات الاصطلاحية لمبدأ الرجعة فكلاهما يدل على العودة وتكرار الحياة.

وليس ثمة ريب في أنَّ مفهوم الرجعة عند الامامية هو عودة بعض الناس إلى الدنيا قبل يوم القيامة؛ لغرض القصاص من الظالمين وإقامة العدل الالهي، وبهذا تكون من المسلّمات عندهم، إذ وردت هذه العقيدة في الكتاب الكريم بآيات عدة ويكتفي البحث بذكر بعض النصوص كقوله تعالى : ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ**.....﴾ [٦]، يشير المفسرون إلى أنَّ هذه الحادثة

١- ينظر : العين : الفراهيدي ، ١ / ٢٢٥ـ٢٢٦ . ينظر : المحيط في اللغة : الصاحب بن عباد ، ١ / ٤٨.
٢- معجم مقاييس اللغة : ابن فارس ، ٢ / ٤٩٠ .
٣- ينظر : العين : الفراهيدي ، ١ / ٢٢٥ـ٢٢٦ .
٤- المسائل السروية : الشيخ محمد بن النعمان المفيد ، ط١، ١٤١٣هـ ، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ـ قم - إيران ، ٣٢.
٥- رسائل الشريف المرتضى : علي بن الحسين بن موسى (الشريف المرتضى) ، تقديم : أحمد الحسيني ، بلا.ط ، ١٤٠٥هـ، مطبعة سيد الشهداء - قم ـ إيران ، ١ / ١٢٥ .
٦- سورة البقرة : الآية ، ٢٤٣.

دليل على الرجعة، فقد أحيا الله هؤلاء القوم بعد موتهم، وهي إحدى قصص القرآن التي تتحدث بصراحة عن إرجاع أناس إلى الدنيا بعد موتهم وقد عاشوا بعدها زمناً طويلاً ثم ماتوا بآجالهم، وهذا مفهوم الرجعة عند الامامية [1]، كذلك قوله تعالى: ﴿**أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ .....**﴾[2]، وهذه الآية تشير إلى أنَّ هذا الشخص قد أماته الله مدة طويلة من الزمن بلغت مائة سنة ثم أحياه، وهذا معنى الرجعة[3] ثم إنَّ المتأمل في هذه الآية الكريمة يتضح أنَّ عقيدة الرجعة قد حصلت فعلاً في الديانات السابقة؛ لأنها جاءت في اطار القصص القرآني، وعليه يكون بالإمكان حدوثها في الاسلام على " أنه لا استحالة في الإحياء بعد الموت في هذه الدنيا " [4]، وكذلك قوله تعالى: ﴿**وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ**﴾[5]، مفهوم هذه الآية يدل على الرجعة؛ لأنَّ المسلمين أجمع مطبقون على أنَّ الخلائق تعود إلى الله يوم القيامة وبلا خلاف في ذلك، بينما نجد الآية تكلمت على الذين هلكوا فقط أنهم يحرمون من الرجعة وهي بهذا تقرر أنَّ هناك رجعة قبل يوم القيامة [6] وتعتقد الامامية أنَّ الرجعة حق وعبارات العلماء مصرحة بهذا المفهوم " وعقيدتنا في الرجعة أنَّها حق"[7]، و الاجماع قائمٌ على عقيدة الرجعة عند الامامية[8]، وادعى الحر العاملي بعدم تخلف أحد من الامامية لا من المتقدمين ولا من المتأخرين عن القول بالرجعة [9].

١- ينظر : التبيان : الطوسي ، ٢ / ٢٨٣ .
٢- سورة البقرة : الآية ، ٢٥٩ .
٣- ينظر : زبدة التفاسير : الملا فتح الله الكاشاني ، تحقيق : مؤسسة المعارف ، ط١ ، ١٤٢٣هـ ، مؤسسة المعارف الإسلامية - قم - إيران ، ١ / ٤١٢ .
٤- مواهب الرحمن : عبد الأعلى السبزواري ، ٤ / ٣٢١ .
٥- سورة الأنبياء : الآية ، ٩٥.
٦- ينظر : مجمع البيان : الطبرسي ، ٧/ ١١٢.
٧- أوائل المقالات : المفيد ، ٧٧.
٨- ينظر : المسائل السروية : المفيد ، ٣٠ .ينظر : مختصر بصائر الدرجات : الحسن بن سليمان الحلي ، ط١ ، ١٩٥٠م ، منشورات المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف ـ العراق ، ٣٢. وينظر : شرح أصول الكافي : صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي ، ط١ ، ١٤٢٥هـ ، مؤسسة الأبحاث الثقافية ـ طهران ـ إيران ، ٣٤- ٤٣ .
٩- ينظر : الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة : محمد بن الحسن الحر العاملي ط١ ،١٤٠٣هـ ، منشورات نويد ـ طهران - إيران ،٣٤.

والحق أنَّ هذا المفهوم يخضع إلى طائفتين من الآراء الأولى عند القدماء فهم يتوسعون فيه بحيث يشمل النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام وأهل الإيمان المحض والكفر المحض [1].

بينما خصه بعضهم بعودة النبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام، والثانية: ما يذهب اليه بعض العلماء المحدثين في القول بالرجعة وعدمها غير ضار:" وليس التدين بالرجعة في مذهب التشيع بلازم، ولا إنكارها بضار، وإنْ كانت ضرورية عندهم، ولكن لا يناط التشيع بها وجوداً وعدماً، وليست هي إلا كبعض أنباء الغيب، وحوادث المستقبل"[2].

وإنَّ المتأمل في المدلولات اللغوية والاصطلاحية وكذلك أقوال الامامية للرجعة يجد أنها متقاربة فكلها تدل على العودة إلى الدنيا قبل يوم القيامة وإنْ اختلفت طرق التعبير عنها.

المطلب الثاني: دراسات المستشرقين في تفسير الرجعة عند الامامية:

إن دراسة اراء المستشرقين حول مفهوم الرجعة قد انقسمت الى ثلاثة اتجاهات رئيسة، **الاول** : هو رأي مُنكر لمبدأ الرجعة ، ويدعي أنّها من مبتكرات الامامية انفسهم ، ولا سند لها في القران الكريم ولعل " كونسلمان " يأتي في مقدمة القائلين بهذا الرأي والذي يرى أنَّها من مبتكرات شخصية عبد الله بن سبأ [3] الجدلية الذي أفاد بدوره من تفسير قوله تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ**

١- ينظر : تصحيح اعتقادات الإمامية : المفيد ، ٩٠.

٢- أصل الشيعة وأصولها: محمد حسين آل كاشف الغطاء، تحقيق : علاء آل جعفر، ،ط١، بلا. ت، مؤسسة الإمام علي ـ قم – إيران ، ١٦٧.

٣- عبد الله بن سبأ : شخصية يعتقد بعض بوجودها ويعتقد بعض آخر أنها شخصية خرافية لا أساس لها من الواقع، كان من الغلاة بحب علي بن أبي طالب عليه السلام ومدعيًا لإلوهيته، ويقال أنه أصل هذه الفكرة كان يهودياً من أهل اليمن ، أظهر الإسلام وأخذ ينشر بين الناس أنه وجد في التوراة أن لكل نبي وصياً وأن علياً وصي محمد، وأن علياً أراد قتله ولكن نهاه عبد الله بن عباس فنفاه للمدائن بدل قتله . ينظر : تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية : محمد أبو زهرة ، بلا. ط ، بلا .ت ، دار الفكر العربي ـ القاهرة – مصر ، ١ / ٣٦ –٣٧.

إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ [1]، في أنَّ النبي سيعود عودة حتمية وهو بلا شك يستعين بأهم أنصاره المخلصين وفي مقدمتهم علي عليه السلام [2]، ويرد عليه ان ابن سبأ هذا شخصية يهودية مزعومة اختلف فيه المستشرقون فضلاً عن علماء المسلمين فبعضهم قال بوجوده والآخر رفضه[3] يؤيده في هذا الراي المستشرق "جولد زيهر" على أنها لا تستند إلى القرآن الكريم بل إنَّ الامامية من يجتهدون في نسبتها إلى القرآن لإعطاء المشروعية لها إذ يقول :" لقد جهد الشيعة في تبيان الأساس الديني لهذه العقيدة والدفاع عنها .....حتى استغرقت جزءاً كبيراً من مؤلفاتهم" [4]، مدعياً أنَّ الامامية قد أوَّلوا الآيات القرآنية لإثباته ويعطي أمثلة على ذلك مستدلاً بقوله تعالى : ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾ [5]، ثم يعلق على ذلك : "وهم بطبيعة الحال المهدي عجل الله فرجه ومن معه، كل هذه الآيات وكثير غيرها يراد بها كما يبدو أن تحمل في أسلوب شديد القسر والإكراه على الرجعة" [6].

يبدو أنّ المستشرقين ادعوا أنّ مبدأ الرجعة لم يستند إلى أصل قرآني والقرآن الكريم لم يقرر هذا المبدأ بل الامامية من تسعى لإثباته. والواقع يثبت عكس ما يدعون فقد صرحت آيات القرآن الكريم بهذه العقيدة وفي مناسبات متعددة كما بينا ذلك في المطلب الأول.

الاتجاه الثاني: فالقائلون به يفسرون مبدأ الرجعة على أنها متسربة من الديانات القديمة أو العادات الشعبية وأخرى ينكرون استنادها للقران الكريم،

١- سورة القصص : الآية ، ٨٥.
٢- ينظر : سطوع نجم الشيعة : جير هارد كونسلمان ، ٢٣.
٣- ينظر : الحقيقة السبئية وعمق صلتها بالفكر الشيعي : عبد الله سالم مليطان ، بلا .ط ، بلا .ت ، مكتبة مدبولي ـ القاهرة مصر ، ٦.
٤- العقيدة والشريعة : جولد زيهر،٢١٦.
٥- سورة الأنبياء : الآية ، ١٠٥.
٦- مذاهب التفسير الإسلامي : جولد زيهر ، ٣٣٤.

ونستهل المؤيدين لذلك الرأي بهذه العبارة : "وفكرة الرجعة ذاتها ليست من وضع الشيعة أو عقائدهم التي اختصوا بها ويحتمل أنْ تكون قد تسربت للاسلام عن طريق المؤثرات اليهودية "[1]، ويؤكد هذا القول المستشرق "أرنولد" [2] الذي يذهب إلى أنَّها من مبتكرات الديانات السابقة وليس من عقائد الاسلام الأصيلة، فعند أهل الكتاب اليهودية تنتظر عودة المسيح والمسيحية تنتظر عودة المعزي [3].

اما المستشرق "جولد زيهر" فقد اتسمت اراؤه بالتناقض، فما لبث أن تبنى رأي سلفه القائل: بتسرب عقيدة الرجعة عند الامامية من أصحاب الديانات الأخرى إذ يقول :"فعند اليهود والنصارى أنَّ النبي إيليا رُفع إلى السماء وأنَّهُ لابد أنْ يعود إلى الأرض في آخر الزمان لإقامة دعائم الحق والعدل، ولاشك أنَّ إيليا هو النموذج الأول لائمة الشيعة المختفين الغائبين ...."[4].

ويلحظ ان المستشرق لم يعط أي دليل على أنَّ إيليا هو نموذج أئمة الشيعة الأول، ليعود الى نقض رأيه هذا عبر تبني اتجاه ثالث هو أنْ الرجعة تجاوزت حدود الديانات السماوية إلى ثقافة الشعوب كالمغول والحبشيين وغيرهم ممن يعتقدون بغياب قادتهم وملهميهم وينتظرون رجعتهم إذ يقول:" ونصادف في البيئات غير الاسلامية عقائد مماثلة لهذه مقترنة بأمانٍ أُخروية مستخلصة منها : فرقة الدوستيين التي أنكرت موت مؤسسها "دوسيتيوس" وتؤمن بخلوده، وكما أن فيشنوا في عقيدة الفايشنافاس الهندية سيعود إلى الظهور وينتظر مسيحيو

١- العقيدة والشريعة : جولدزيهر ، ٢١٧.
٢- ارنولد: مستشرق انكليزي ولد عام ١٨٦٤م، تعلم في جامعة كامبردج ثم قضى سنوات عديدة في الهند ، عمل أستاذا للفلسفة في لاهور ، أول من جلس على كرسي الأستاذية في قسم اللغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية في لندن ، حاضر في الجامعات المصرية ، كان من المعجبين في الإسلام ، له آثار عدة منها : رسامو القصر ، وذكر المعتزلة في كتاب المنية والأمل للسيد المرتضى ، والدعوة إلى الإسلام توفي عام ١٩٣٠م . ينظر : المستشرقون : العقيقي ، ٢/ ٥٠٤ ـ ٥٠٥ .
٣- ينظر : الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية : سيرت .و أرنولد ، ترجمة : حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين وإسماعيل النحراوي ، بلا. ط ، بلا .ت ، مكتبة النهضة العربية ـ مصر ، ١٨٤.
٤- العقيدة والشريعة : جولد زيهر، ٢١٥.

الحبشة رجعة ملكهم تيودور كمهدي في آخر الزمان ..." [1] ، والحال أنّ "جولد زيهر" قد جافى الصواب في الدلالة على ما ذهب اليه من آراء من خلال تناقض ما طرحهُ وابتعاده عن الامانة العلمية .

أما فيما يتعلق بالمستشرقين الذين نادوا بفكرة الاقتباس من الديانات السابقة، فلا يكاد ينفك هذا الادعاء عن مخيلتهم، بل يحاولون اثباتهُ عنوةً عبر تكراره وإنْ سلمنا بقولهم وهذا لا يمكن فهذا يرجع إلى أنَّ الديانات كلها ذات مصدر واحد ، أي أنْ ما جاء في اليهودية والمسيحية والاسلامية مصدره واحد هو الوحي الالهي، وبما أنَّ الاسلام لم يكن بدعاً من الديانات الأخرى فقد قال سليم بن قيس [2] عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله : " يكون في هذه الأمة كل ما كان في بني إسرائيل حذو النعل بالنعل و القذة بالقذة" [3] ، وهذا الكلام فيه دلالة على أنّ الامة الخاتمة لم تكن بمعزل عن الامم السابقة بل خاضعة للسنن الالهية التي جرت على الامم الماضية ، فضلاً عن هيمنة الديانة الاسلامية على باقي الديانات؛ لأنها جاءت حاوية لما في الديانات السابقة من عقائد وشرائع وأحكام ومهذبة لها، فضلاً عن أنَّ المسلمين لم ينكروا هذه العقيدة ولم يدّعوا أنَّهم أول من أوجدها، بل يعرفون جيداً أنَّها مما كان عند غيرهم فأقرها الإسلام لحماية أتباعه وصيانة عقائدهم بل إنَّ إقرارها من سماحة الإسلام وألطافه .

أما من قال بأن الامامية تؤول الآيات من أجل إسناد عقائدها، فهو بهذا يشير إلى ذم عملية التأويل، والحال أنها عملية مشروعة دأب المسلمون على ممارستها ، بل وجدت في سنة النبي صلى الله عليه وآله وهي قسيمة لعملية التفسير إذ إن بعض

١- المصدر نفسه ،٢١٥.

٢- " سليم بن قيس : ثقة روى عن أمير المؤمنين " . الأبواب : الطوسي ، ٦٦ .

٣- من لا يحضره الفقيه : محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي(الشيخ الصدوق)، تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري ، بلا .ط ، بلا. ت ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم ـ إيران ، ١ / ٢٠٣ .

الآيات لا يمكن حملها على ظاهر اللفظ بل لابد من تأويلها ضمن شروط معينة، منها أنْ يكون هناك أثر وارد يحملها على هذا المعنى سواء من النبي أو الأئمة، والامامية لم تخرق هذه القاعدة في تأويلها فقد دلت الآثار النبوية على تأويل الآيات في هذا الجانب ومنها : رواية ابن أبي عمير عن حماد [1] عن أبي عبد الله عليه السلام قال : "ما يقول الناس في هذه الآية: ﴿**وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا**﴾[2] قلت : يقولون إنَّها في القيامة ، قال:ليس كما يقولون إنَّها في الرجعة، يحشر الله في القيامة من كُلّ أمّة ويدع الباقين ، إنَّما آية القيامة ﴿**وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا**﴾[3]"[4].

وبعد إثبات مفهوم الرجعة عند الامامية عبر آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، يتضح أنَّ هناك تناقضًا واضحًا في منهج المستشرقين فبينما نجدهم ينكرون مبدأ الرجعة ويعيبونه على الامامية نجدهم في الوقت نفسه يقرونه عند الديانات السابقة، و الحق إذا كان هذا المبدأ غريباً كما يدعون كان الأولى أنْ يكون غريباً عند الجميع وليس عند الامامية فقط، وهناك تناقض آخر في منهجهم أيضاً، وهو إنكارهم انتساب هذا المبدأ إلى القرآن الكريم والحال أنهم يعترفون به؛ لأن بعضهم ناقش الآيات التي طرحت في الاستدلال على هذا المبدأ مدعياً أنَّ الامامية تؤول الآيات الكريمة لصالحها في هذا المجال، وعليه يظهر أنَّ مفهوم الرجعة من المفاهيم المتجذرة في كل الديانات فضلاً عن الإسلام ، إلا إنَّ المستشرقين لا يقبلون إلا بتشويه صورة الامامية عن طريق الادعاءات الواهية .

١- "حماد : ثقة " . ينظر : الفهرست : الطوسي ، ١١٦.
٢- سورة النمل : الاية ،٨٣.
٣- سورة الكهف : الاية ، ٤٧.
٤- ينظر : نور الثقلين : الحويزي ، ٣/ ٢٦٦.

المبحث السادس: تفسير عقيدة المهدي عند الإمامية في دراسات المستشرقين

المطلب الأول: مفهوم عقيدة الإمام المهدي عليه السلام عند الإمامية:

أولاً: أهمية الاعتقاد بالإمام المهدي عليه السلام عند الامامية:

إنَّ عقيدة الامام المهدي عليه السلام من الأمور المسلم بها عند الامامية، ولاسيما الاثني عشرية، والقول بها لا يحتاج إلى مزيد مؤونة؛ لأنه يُعد من ضرورات المذهب، إذ يمثل جزءًا من المنظومة العقائدية عند الامامية الاثني عشرية لأنَّ الامام المهدي عليه السلام هو المكمل لسلسلة الأئمة في خلافة النبي صلى الله عليه وآله، وقد استدل الامامية على هذه العقيدة من القرآن الكريم عبر بعض الآيات الكريمة منها: قوله تعالى: ﴿**لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ [1] إذ يرى المفسرون أنها دالة على الامام المهدي عليه السلام؛ لأنه أحد مصاديق هذه الآية والظهور لا يكون إلا بعد الغياب[2]، قال الشيخ محسن قرائتي في تفسير هذه الآية: " إن هذه الآية لم يتحقق مضمونها على أرض الواقع بعد، ومن جهة ثانية نعلم أنَّ الله تبارك وتعالى قد وعد بالحاكمية المطلقة والشاملة للإسلام، وهو جل وعلا لا يخلف الميعاد، إذن نستنتج في ضوء ما ورد في روايات كثيرة أنها تتحدث عن ظهور الامام المهدي عليه السلام " [3] وكذلك قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾ [4]، إذ يرى المفسرون أنَّ هذه الآية دالة على وراثة الأرض في زمن ظهور الامام المهدي عليه السلام؛ لأنها وراثة دنيوية تكون فيها الغلبة للإسلام وللدين الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى لعباده [5]،

١- سورة التوبة: الآية، ٣٣.

٢- ينظر: التبيان: الطوسي، ٥ / ٢٠٩. وينظر: مجمع البيان: الطبرسي، ٥/ ٤٥. وينظر: زبدة التفاسير: الملا فتح الله الكاشاني، ٣/ ١٠٥. وينظر: تقريب القرآن إلى الأذهان: السيد محمد الشيرازي، ٢ / ٣٩٢.

٣- تفسير النور: محسن قرائتي، ٣ / ٣٨٩.

٤- سورة الأنبياء: الآية، ١٠٥.

٥- ينظر: التبيان: الطوسي، ٧ / ٢٨٤. وينظر: مقتنيات الدرر وملتقطات الثمر: علي الحائري، بلا. ط، ١٣٣٧ ش، مطبعة الحيدري ـ طهران ـ إيران، ٧ / ٢٠٢. ينظر: الميزان: الطباطبائي، ١٤/ ٣٣٠.

وقوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً**﴾[1]، فسر علماء الامامية هذه الآية على أنها نازلة في حق الامام المهدي عجل الله فرجه وفي أصحابه عندما يستخلفون الأرض[2]، ثم إنَّ المتتبع لتراث الامامية يجد أنَّ هذه المسألة تدخل في اطار الأخبار الغيبية التي صدرت عن رسول الله صلى الله عليه وآله والتكذيب بها يُعد تكذيباً لرسول الله [3]، وترى الامامية أنَّه ولد سنة (٢٥٥هـ) ثم غاب بعد وفاة الامام العسكري[4] عليه السلام؛ لأن الامامة لا تنقطع في حال من الأحوال، أي أنَّ الأمة لا يمكن أنْ تخلو من إمام والدين لا يستقيم إلا إذا كان على رأسه رجل عظيم (مصلح) يجمع الناس على التوحيد ويدفع كيد المحرفين والمبطلين، ولابد من الاشارة إلى ما ذكره الشهيد الصدر من تقسيمه لفكرة المهدي، إذ قسمها على ثلاثة أقسام ، **الاول** : المنقذ الذي تعتقد به الديانات السابقة، **والثاني**: والمهدي الذي يعتقد به المسلمون عامة، **والثالث** : والامام المهدي عجل الله فرجه بن الحسن العسكري عليه السلام الذي هو قوام عقيدة الامامية[5]، ولا يخفى دور أئمة الهدى في التمهيد والإعداد للفكرة المهدوية عبر سيرتهم الكريمة لاسيما الامامين الهمامين علي الهادي عليه السلام والحسن العسكري عليه السلام فقد كانا دائماً يستعملون المكاتبات والمراسلات لتمهيد نفوس الناس على تقبل فكرة غيبة الإمام فضلاً

١- سورة النور : الآية ، ٥٥.
٢- ينظر : التبيان : الطوسي ، ٧/ ٤٥٧ .و ينظر : مجمع البيان : الطبرسي ، ٧/ ٢٦٧ . وينظر : تقريب القرآن إلى الأذهان : السيد محمد الشيرازي ، ٣/ ٧٢٠ .
٣- ينظر : شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة : الحسن بن يوسف بن المطهر(العلامة الحلي) ، ط ١، ١٤٢٨هـ، مركز الحقائق الإسلامية ، قم – إيران، ١٩١ . وينظر : عقائد الإمامية : المظفر ٩٠. وينظر : الإمام المهدي من المهد إلى الظهور : السيد محمد القزويني ، ط١، ١٤٠٥هـ – ١١٩٨٥م ، مؤسسة الوفاء ـ قم – إيران ١٩.
٤- ينظر : عقائد الإمامية : المظفر ، ٩٠. وينظر : الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل : الشيخ جعفر السبحاني، ط٧ ، ١٤٣٠هـ ، مؤسسة الإمام الصادق ـ قم ـ إيران ، ٤/ ١٣٤.
٥- ينظر : موسوعة الإمام المهدي تاريخ ما بعد الظهور :السيد محمد صادق الصدر ، ط١ ، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧م ، دار الزهراء ـ قم ـ إيران ، ٣/ ٨.

عن أنَّ بعض السفراء كان على عهد الامام الهادي عليه السلام، لاسيما السفير الأول [1].

ثانياً: خصائص العقيدة المهدوية :

١ـ غيبة الامام المهدي عجل الله فرجه عند الامامية : إنَّ المتأمل في مصطلح الغيبة يجد أنَّ له عمقاً تاريخياً كبيراً؛ إذ ضربت جذورها في سيرة الانبياء السابقين، سواء كانت غيبة أبدية أو مؤقتة ففي الديانات السابقة نجد أنَّ النبي إدريس عليه السلام قد غاب عشرين عاماً تحرزاً من ظلم قومه، وكذلك نبي الله صالح عليه السلام غاب عن أمته وكان حينها كهلاً ولما عاد لم يعرفوه، الأمر نفسه ينطبق على النبي إبراهيم عليه السلام إذ غُيب في أثناء ولادته خوفاً من طاغية عصره[2] وكذاك النبي موسى عليه السلام غاب عن قومه أربعين ليلة حتى فتنوا، بينما أنصار المسيح ينتظرون منقذهم (المخلص) وهو غائب عنهم ولم يتمكن أحد من رؤيته، فضلاً عن النبي محمد صلى الله عليه وآله كان يغيب عن قومه ليتعبد في غار حراء، وبهذا يظهر أن هذا المفهوم ليس غريباً عن الأذهان ولا عن المعتقدات، فالغيبة تُعد " من سنن الله تعالى الجارية في خلقه منذ أن أرسل الرسل وبعث الانبياء إلى عباده لاختبارهم واستخلاص الصالح منهم وينكشف بهذا الاختبار مراتب الخلق وحقائق الإنسان، ويمتاز أيضاً من يصدق في الدعوة بالعدالة والصلاح عمن ينتحلها ويدعيها كذباً والله تعالى عالم بها لكن ليعرف كل شخص حقيقة نفسه وتتم حجة الله البالغة على خلقه، هذا ومما امتحن الله تعالى به الأمم السابقة غيبة أنبيائهم وأوصياء أنبيائهم، لاختبار حالهم وجرت هذه السنة الالهية إلى الأمة المحمدية "[3]، وبما أنَّ الأمر كذلك فلم تكن غيبة الامام المهدي عجل الله فرجه

١- ينظر : دور الأحداث التاريخية في بيان معتقدات أهل البيت : مصطفى مطهري ، ترجمة : اسعد الكعبي ، ط١، ٢٠١٤م، منشورات دار الكفيل ـ كربلاء المقدسة ـ العراق ، ١٨٩ .

٢- ينظر : إلزام الناصب في إثبات الحجة على الغائب : الشيخ علي اليزدي الحائري ، بلا . ط ، بلا . ت، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت- لبنان ، ٢٥٢- ٢٥٩ .

٣- الإمام المنتظر عجل الله فرجه من ولادته إلى دولته : السيد علي الحسيني الصدر، طبعة٢٠٠٢م ، مكتبة نرجس ـ قم المقدسة ـ إيران،١٣٣ـ ١٣٤ .

بدعاً من ذلك التاريخ، والغيبة عند الامامية ليست من بناة أفكارهم كما تبين، وهنا يتضح أنَّ مفهوم الغيبة من المفاهيم العقدية الأصيلة الثابتة عند الامامية، وقد وردت مفاهيم مماثلة لها عند الأمم السابقة وكذلك في الاسلام، وبهذا يظهر أنَّ الإيمان بالامام المهدي عجل الله فرجه "الفكرة المهدوية " من عقائد الامامية التي لها أدلتها ومرتكزاتها القائمة عليها، أرسى قواعدها النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام وتم التمهيد لها على أكمل وجه.

٢ـ الانتظار في عصر الغيبة وأهميته عند الامامية : إنَّ عقيدة الانتظار من الأمور المسلم بها في عصر الغيبة والشخص المنتظر له من الأجر ما له؛ لأنَّ الاعتداد لهذا الأمر له عواقب وآثار جمة حتى عدت هذه العقيدة ناشئة من وطأة الظلم والجور : " إنّ الجيش الذي ينتظر الجهاد من أجل الحريّة سيكون في حالة استعداد كامل، فيأتي بالسلاح المناسب ويصلح ما عنده من سلاح، ويهيّأ المتاريس، ويُعدّ لهم ما استطاع من قوّة، ويقوّي المعنويات، فالجيش الذي لا يعيش في هذه الحالة، ولا يكون بهذا الاستعداد، لا يُعدّ منتظراً للجهاد والدفاع عن الوطن، فلو قال : أنا منتظر، فهو كاذب "[1]، فضلاً الروايات الدالة على اهمية الانتظار كما في رواية علي بن عقبة [2]، عن موسى النميري [3]، عن علاء بن سيابة [4] قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : " من مات منكم على هذا الأمر منتظراً له كان كمن كان في فسطاط القائم "[5] .

١ – الإمام المهدي المصلح العالمي المنتظر : محمد جواد الطبسي ، نقله للعربية عبد السلام الترابي ، ط٢، بلا . ت، دار الهدى ،٧٧.
٢– علي بن عقبة : ثقة " . الفهرست : الطوسي ، ١٥٤ .
٣– موسى النميري : ثقة " . مستدركات علم رجال الحديث : علي النمازي ، ٥ / ٢٦٣ .
٤– علاء بن سيابة : ثقة " . المصدر نفسه ، ٥ / ٢٦٣ .
٥– بحار الأنوار : المجلسي ،٥٢/ ١٢٥.

المطلب الثاني : دراسات المستشرقين في تفسير عقيدة الامام المهدي عليه السلام :

أولاً : آراء المستشرقين حول الامام المهدي عليه السلام : يبدو أن فكرة وجود مخلص ينتظره العالم بأسره أمرٌ مسلمٌ به في الديانات السماوية كافة ، وقد شغلت هذه القضية أذهان العلماء والباحثين قديماً وحديثاً سواء أكانوا مسلمين أم مستشرقين، فأخذوا يتتبعون جذور هذه العقيدة وما يرتبط بها من مبادئ في الديانات السابقة ومقارنتها بما في الاسلام، وقد ظهر هذا الطرح بعد توجه المستشرقين لدراسة فرق الاسلام وبالذات فرق الشيعة، خصوصاً في منتصف القرن التاسع عشر، وهنا لابد من الوقوف على حقيقة دراسات المستشرقين حولها، بيان رؤى المستشرقين حول عقيدة المهدي التي هي الأخرى لم تخل من التباين وانعكاس المؤثرات العقدية والبيئية؛ فصدر منهم طعن في أصولها القرآنية و أرجعها آخر إلى أصول مسيحية ويهودية بينما مزجها آخر بثقافات الشعوب، على حين ساد بعض الإنصاف على الآخرين ودرسوها ضمن الاطار الامامي. إن رؤية المستشرقين الأولى لهذه العقيدة جاءت مدعية افتقارها إلى الأساس القرآني، أي أنَّ القرآن الكريم خلا من الآيات الدالة عليها، وقد تبنى المستشرق "دونالدسون"هذه الرؤية والذي يشير إلى أن كلمة "المهدي" لم ترد في القرآن بل ما جاء بدلاً منها هو الهادي إذ يقول :"ولم ترد هذه الصيغة في القرآن بل وردت في صيغة الفاعل "وإنَّ الله لهاد الذين امنوا إلى صراط مستقيم" (سورة الحج الآية : ٥٣) وقال: "**وكفى بربك هادياً ونصيراً**" (سورة الفرقان الآية ٣٠) إنَّ هذه الآيات لا علاقة لها بانتظار المهدي عليه السلام ولكن بعضهم اختار من هاتين الآيتين أساساً لموضوع واسع حول انتظار مجيئه مستندين إلى بعض الاحاديث المنسوبة للرسول"[1]، ثم يعود فجأة ويقرر :" يفسر الشيعة كلمة القائم الواردة في سورة الرعد ٣٢(**أفمن هو قائم على كل**

١ – عقيدة الشيعة : دونالدسون ، ٢٣٠

نفس بما كسبت) بأنه المهدي عليه السلام "[1] ويؤيد هذا الادعاء المستشرق "تيرنر" الذي يشير إلى أنَّ اسم الامام المهدي عليه السلام لم يرد بالقرآن الكريم وإنما ورد الهادي فضلاً عن تشكيكه بوجود عقيدة المهدي أساساً إذ يقول :" وعليه فلا يوجد دليل بيّن جليّ في القرآن على شخص مُسدد إلهياً سيظهر في آخر الزمان ليخلص المستضعفين من مظلوميتهم ويقيم العدل والمساواة، إنَّ وجد هكذا نص في الاسلام فهو لا يملك أساساً قرآنياً "[2]، وهنا يظهر أنَّ المستشرقين يبحثون في القرآن عن آية نصية تتكلم على الإمام المهدي أو العقيدة المهدوية، وهذا يعكس النظرة الضيقة والسطحية لدراساتهم التي وصمت نفسها بالمادية غالباً، بخلاف ذلك استدل المستشرق الفرنسي "هنري كوربان" على هذه العقيدة من القرآن بقوله تعالى : ﴿**لَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾ [3] إذ يقول :"ولعل التراث العام الذي ورثه الانسان من تعاليم السماء في أغلب الاديان يجعله ينتظر ظهور مصلح كامل يعيد الحق إلى نصابه ويطبق ما تمناه الانبياء للبشر تطبيقاً كاملاً غير منقوص والقرآن يشير في مواضع عديدة إلى هذا المستقبل "[4] ثم يشير إلى الآية الكريمة على أنَّها مصداق لحكومة الامام المهدي عليه السلام في آخر الزمان وبهذا يؤكد أساس عقيدة المهدي من القرآن، في حين مال بعض المستشرقين إلى أيديولوجية مختلفة فحاول أنْ يسحب هذه العقيدة إلى ساحة الديانات السابقة من أبرزهم المستشرق "ميرسيا الياد " الذي يرى أنَّ المهدي عليه السلام نفسه هو عيسى المسيح إلا أنَّ هناك من ينسبه إلى الاسلام إذ يقول :" فبالنسبة لبعضهم أنَّ المهدي عليه السلام كان يسوع عيسى عليه السلام ولكن أكثرية رجال الدين جعلوه

١- مصدر سابق ، ٢٣٢.
٢- التشيع والتحول في العصر الصفوي : كولين تيرنر ، ٣٠٧.
٣- سورة الأنبياء : الآية ، ١٠٥
٤- تاريخ الفلسفة الإسلامية : هنري كوربان ، ٢٦ -٢٧.

منحدراً من أسرة النبي ﷺ "[1]، وكذلك المستشرق "سنوك هورجرونيه" [2] كانت نظرته تتجه إلى الاتجاه نفسه إلا إنَّها مختلفة بعض الشيء؛ إذ يؤكد أنَّ فكرة وجود المهدي عجل الله فرجه في الاسلام هي نظير فكرة وجود المسيح في اليهودية، محاولاً ربط الفكرة بالعقائد الألفية[3]، إلا إنَّهُ يرى أنَّ المسيح الحقيقي (يسوع) يحكم بعد مدة الألف عام أي في يوم الحساب على حد تعبيره[4] ولكن هناك من انعكست رؤيته إلى ثقافة الشعوب وهو الكاتب "ستانلي بول"[5]، مشيراً إلى الثقافات القبلية، كثقافة الاسبان الذين ينتظرون عودة ملكهم "رودريك" الذي هُزم. أما العرب فيعتقدون بأنه حي وسيعود ليخلصهم فضلاً عن أنَّ هذه الفكرة وجدت في الأدب الانجليزي أيضاً إذ يقول :" ولكن نهاية لذريق بقيت سراً خفياً إلى اليوم، فقد وُجدت فرسه وخفاه عند شاطئ النهر بعد يوم من المعركة .....فقد ألبسوا الملك الراحل حللاً قدسية خفية الأسرار لم يخلعوها عليه من قبل .....وخلعوا عليه صفات المنقذ المخلص، كما فعل الانجليز بالملك آرثر فاعتقدوا أنَّهُ سيعود مرة أخرى من مقره في جزائر المحيط بريئاً من جراحه ليقود المسيحين لقتال الملحدين "[6]، والحقيقة أنّ المستشرق هنا يحاول أنْ يقول: إنَّها من صنع خيال

١- تاريخ الأفكار والمعتقدات الدينية : ميرسيا الياد ، ٣/ ١٣٦.
٢- كريستيان سنوكهورجرونيه : مستشرق هولندي ولد في عام ١٨٥٧ وتوفي عام ١٩٣٦ م، درس اللاهوت في جامعة ليدن وتخصص بقسم اللغات السامية . ينظر : تاريخ حركة الاستشراق الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين : يوهان فوك ، ترجمة : عمر لطفي العالم ، ط٢، ٢٠٠١م، دار المدار الإسلامي ـ بيروت – لبنان ، ٢٤٢.
٣- العقائد الألفية : هي معتقد إيماني تعود جذوره إلى الديانة اليهودية ويعرف بالماشيحية الزمنية انتقل إلى البروتستانتية المسيحية ، إذ يعتقدون بأن المسيح سيعود إلى هذا العالم مع الملائكة والقديسيين ليحكم الأرض لمدة ألف عام . ينظر : نبوءات المعاد ونهاية العالم في الأديان السماوية : سومية حجاج ، بلا. ط ، بلا .ت ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ، ١٣٣.
٤- نقلاً عن : أحزاب المعارضة الدينية في صدر الإسلام الخوارج والشيعة : يوليوس فلهاوزن ، ٢٤٦.
٥- ستانلي لين بول : مستشرق بريطاني. عمه إدوارد وليام لين، ولد في لندن، عام ١٨٥٤وتوفي عام ١٩٣١م ، عمل في المتحف البريطاني، وبعد ذلك اشتغل بالبحث في مصر حول علوم المصريات. شغل كرسي الأستاذية للدراسات العربية في جامعة دبلن له مؤلفات كثيرة اسرات المحمديين ، العرب في اسبانيا . ينظر : المستشرقون : نجيب العقيقي ،٢/ ٥٦٤.
٦- قصة العرب في اسبانيا : ستانلي لين بول ، ترجمة : علي الجارم ، ط١، ٢٠١٤م ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ـ القاهرة – مصر ، ٢٦.

الشعوب المهزومة وليست عقيدة حقيقةً، نعم في بادئ الأمر يبدو ممكناً، ولكن لمن لم يطلع على القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ، أما مع كثرة الروايات [1] الدالة عليها فلا يبقى شك على أنَّها من صميم عقائد الامامية، ولا ننسى إشارات المستشرقين إلى التشابه بين عقيدة المهدي عجل الله فرجه وبين الأفلاطونية الحديثة إذ نادى بذلك جملة من المستشرقين أمثال "جولد زيهر" :" وقد ظهرت أيضاً في البيئات الشيعية محاولات رمت إلى مزج عقيدتي الإمامة والمهدوية بنظرية الفيض في الأفلاطونية الحديثة"[2]، ويقول المستشرق تويال : " ففي مجال المحتوى الديني لجأ الشيعة وتفرعاتهم، بعد فترة، إلى تطور اجتهاداتهم اللاهوتية المستوحاة غالباً من الفلسفة الأفلاطونية الحديثة "[3]، وعلى غرار ذلك تناول المستشرق "فلوتن"هذه العقيدة على نحو لم يميز بين من تقلدها لغرض سياسي وبين من اعتقد بها عن يقين، فأشار إلى أنَّها تُستعمل من قبل الشعوب المهزومة على أنَّها تتكرر كثيراً في التراث الديني، إذ يقول :" والصورة نفسها تتكرر، ولكن بأشكال مختلفة لدى شعوب أخرى مهزومة بالقضية أو الأمل دون أنْ تكون بالضرورة من المشرق، ولم تكن فكرة "المهدي" المنقذ من ابتكار الشيعة في المشرق فغالباً ما تداولها الثوار على الحكم الأموي لإضفاء مسحة عقائدية"[4]، فالمستشرق يريد إثبات أنَّ كل الثورات تستعمل هذه الفكرة لارتباطها العقدي بحياة الناس حتى أضحت شعاراً لها ولحكامها وبهذا أخرجها من الطابع العقدي ومزجها بالطابع السياسي، مؤكداً أنها استعملها المختار الثقفي الذي حرص على ربط ثورته بعقيدة المهدي ليضمن نجاحها، فضلاً عن استعمال الخلفاء أنفسهم لها كالعباسيين والأمويين حسب زعمه إذ يقول :" وما لبثت شخصية "المهدي" في وقت ما، أنْ لبست من

١- ينظر : بحار الأنوار: المجلسي ، ٥٢/ ١٢٢ -١٣٠
٢- العقيدة والشريعة : جولد زيهر ،٢٣٩.
٣- الشيعة في العالم صورة المستبعدين : فرانسوا تويال ، ٣٧.
٤- السيطرة العربية التشيع والمعتقدات المهدية في ظل خلافة بني أمية : فان فلوتن ، ١٧١.

هم في السلطة والمعارضة على السواء، فالخليفة العباسي الأول أعلن أنَّه "المهدي" الذي تحقق الخلاص من الأمويين على يديه ..... أما الأمويون فكان لهم منقذهم الذي يعرف بـ "السفياني" وربما كان اتخاذ هذا الاسم من دون "المرواني" له علاقة بالرمز الذي يمثله السفيانيون كرمز للدولة الأموية"[1]، ويبدو أنْ المستشرق قد أسهب في هذه المسألة فجعل لكل عائلة منقذاً خاصاً، بقدر تركيزه على تكرار الاستعمال لهذه المسألة وتطفل السياسة على العقائد، وقد خلط في مفاهيم العقيدة وأسماء الخلفاء والعوائل الحاكمة فجعل من السفياني الذي يسبق ظهور الامام حسب ما جاء في الروايات [2] مهدياً بالنسبة إلى الدولة الأموية كذلك خلط بين الخليفة العباسي المهدي و عقيدة المهدي عجل الله فرجه الشريف بشكل عام، ويبدو أنْ عدم وضوح الصورة لدى المستشرق أوقعه بهذا الإشكال، ثم يؤكد على أنّ هذه العقيدة أكثر تطوراً عند الشيعة من غيرهم في المجتمعات الشرقية إذ يقول : " أما المهدية كنظرية شيعية فكانت الأكثر تطوراً في المجتمعات الشرقية حيث كانت نتاج معاناة قاسية ونضال سياسي مرير"[3]، ولم يتخلف عن الآخرين في هذا الطرح بل يوافق من سبقه على أنَّها من نتاج الظروف وليس عقيدة دينية لها أسسها في الدين الاسلامي، وهذا يدل على إنَّهُ قد اعتمد على كتابات المستشرقين الآخرين ولم يرجع إلى مصادر الامامية، وعلى النقيض من تلك الدراسات تظهر دراسات أخرى لمستشرقين تحلوا بروح البحث العلمي في دراسة هذه العقيدة، متجاوزين الخلفيات العقدية السابقة ومتجردين عن الأهواء والقصص أمثال المستشرق الفرنسي "كوربان" فقد ألف كتاباً كاملاً حول هذه العقيدة أسماه "الامام الثاني عشر" تناول فيه عقيدة المهدي عند الامامية وساير تطورها سواء كفكرة في

١- مصدر سابق، ١٧٢.
٢- ينظر : موسوعة الإمام المهدي : محمد صادق الصدر، ٣/ ١٥٩ -١٨٦.
٣- السيطرة العربية التشيع والمعتقدات المهدية في ظل خلافة بني أمية : فان فلوتن ، ١٧٢.

الديانات أم عقيدة امامية صادقة، ثم خصص فصلاً كاملاً لتتبع حياة الامام بدءاً من روايات النبي ﷺ التي تؤكد وجوده وانتهاءً بالأخبار الدالة على غيبته وسفراءه، ثم تكلم عن كيفية ولادته والقدرة الإلهية التي جاءت بالأميرة الرومية إلى سامراء واختفاء الحمل والولادة العجيبة، ثم خصص فصلاً آخر عن غيبته [١] .

ولا يخفى أنَّ احتكاك المستشرق بالإمامية هو من أضفى سمة الاعتدال على كتاباته، وكذلك المستشرق "يان ريشار "هو الآخر تجرد عن الأهواء في نظرته إلى هذه العقيدة فقد خصص جزءاً من "كتابه الإسلام الشيعي" يتحدث فيه عن عقيدة الامامية بوجود شخصية الامام المهدي عجل الله فرجه بدءاً من قدوم السيدة نرجس وكيفية التقاء نسب عيسى عليه السلام بنسب محمد ﷺ مروراً بمرحلة السفارة والغيبة حتى ألقاب الإمام إذ يذكر منها :" أما ألقابه الأكثر شيوعاً فهي الحجة وقائم آل محمد (أي ذلك الذي ينهض) ويبعث أو يثور من أسرة محمد[ﷺ]والقائم بأمر الله .... والمهدي[عجل الله فرجه] .....وصاحب الزمان"[٢]، أما المستشرق الألماني "بيتر هاينة"[٣] فقد نظر إلى الموضوع بحيادية وأدلى برأيه بإنصاف مشيراً إلى أنَّ العقيدة المهدوية كما هي عقيدة معترف بها عند الامامية، أيضاً متجذرة في التراث الإسلامي عموماً وأشار إلى أحاديث نبوية تؤيد ذلك[٤]، وبهذا يتضح أنَّ دراسات المستشرقين حول عقيدة المهدي كانت متفاوتة ومتباينة فقد اتسمت بجانبين الأول : محاولة إجهاض القضية

١- ينظر : في الإسلام الإيراني جواب روحية وفلسفية الشيعة الاثنا عشرية : هنري كوربان ، ٥١ -٩٢.
٢- الإسلام الشيعي : يان ريشار ، ٦٩.
٣- بيتر هاينة : مستشرق ألماني متخصص في الشؤون الإسلامية ، درس في جامعتي مونستر وبورن ، ثم عمل أستاذاً للدراسات الإسلامية في جامعة هامبولت ، درس الفلسفة في جامعتي مونستر وبغداد ، حصل على الدكتوراه عام ١٩٧٩م ، من أهم أعماله كتاب الإسلام وغيره . https // w w w .lq .css :
٤- ينظر : الإسلام : بيتر هاينة ، ترجمة : أسامة الشحماني ، ط١ ، ٢٠١٢م ، ديوان المسار للنشر ـ دبي – الإمارات، ٢٢٧ -٢٢٨.

المهدوية وطمس معالمها وزلزلتها في أذهان من يؤيدها أو يريد الاعتقاد بها، حتى شُوهت الصورة الناصعة لها في منظور الشعوب الغربية وهذا ما يريدونه، وذلك عبر الطعن في أصولها ومحاولة ربطها بعقائد الديانات السابقة أو ثقافة الشعوب على أنَّها نوع من القصص الملهمة أو الانقسام والفتن والثورات التي حدثت في عصور الإسلام مستعملين منهج الاجترار وتكرار الآراء فضلاً عن دراسة المفهوم عند الامامية وإهماله عند غيره، بينما أضفى الثاني على دراسته النزعة العلمية والتجرد من الأهواء وتتبع جذورها مسلطاً الضوء على أهم جوانبها العقدية.

ثانياً : آراء المستشرقين حول الغيبة : أما الأمر المهم والمرتبط بالعقيدة المهدوية فهو الغيبة وهو الآخر لم يخلُ من دراسات المستشرقين له؛ فقد حرص المستشرقون على تناولها والكشف عن حقائقها، وللوقوف على حقيقة تلك القضية لابد من استطراد آراء الباحثين الغربيين حولها ومن المستشرقين الدارسين لهذا المصطلح المستشرق "فلهاوزن" الذي يرى أن غيبة الامام مصطلح وضع في قبال الرجعة على أنها من الأمور التي وضعتها الشيعة أي بما أنَّ هناك رجعة فلابد من أنْ تكون هناك غيبة، أو إنَّها كانت قد حصلت لبعض الأئمة من غير الامام المهدي عجل الله فرجه إذ يقول :" فقالوا بمرحلة ((غيبة)) دورية للإمام الصادق عليه السلام ثم سموا في مقابل ذلك من جديد ((رجعة))"[1]، والمستشرق هنا قد أخطأ في تناوله لهذه العقيدة من عدة وجوه الأول: إنَّها من وضع الشيعة، وبهذا ينفي كل أصولها العقدية وكل الروايات التي دلت عليها، وثانياً : جعل مفهوم الغيبة متكرراً بصورة دورية وعلى يد الامام الصادق عليه السلام ولم يقم دليل على ذلك، ونسي أنَّ الأئمة عليهم السلام يمهدون لهذه الغيبة عبر تعليم شيعتهم على الاتصال

١ - أحزاب المعارضة الدينية في صدر الإسلام الخوارج والشيعة : فلهاوزن ، ٢٤٩.

بالأئمة عن طريق الخواص؛ لأن الامام كان ظاهراً للعيان ولم يدعِ أحد أنَّه غاب إلا الناووسية[1]، وبعد وفاته اختلفت الفرق في كون إسماعيل هو الإمام وأنه غاب؟[2] والآخر نادى بالإمام الكاظم عليه السلام أنه غاب ؟[3]، وليس من الإنصاف أنْ تحمل هذه المفاهيم الخاصة عند بعض الفرق على الشيعة عامة.

أما المستشرق "هالم" فقد عقد مبحثاً خاصاً لمناقشة عقيدة الغيبة عند الشيعة الامامية، ادعى فيها مسألة عدم إنجاب الامام الحادي عشر ولداً يخلفه وأنّ مصادر الشيعة تعترف بذلك ، وسميت تلك الفترة "بالحيرة " وعلى أثرها ادعت الامامية أنَّ الإمام المهدي عجل الله فرجه قد ولد ولكنّ أباه خبأه عن السلطة آنذاك، على أنَّ بعض خواص الشيعة قد شاهدت شخصه الكريم، والحق أنَّ المستشرق قد أشكل عليه الأمر كما أشكل على غيره من، قبل فالروايات الصريحة تؤكد أن الامام العسكري عليه السلام قد انجب بعده ولداً بل حرصت على ذكر أوصافه ووقت ولادته بدقة متناهية منها رواية الفضل بن شاذان [4]عن محمد بن حمزة بن الحسن [5] قال : سمعت أبا محمد عليه السلام يقول: " ولد ولي الله وحجته على عباده وخليفتي من بعدي، مختوناً ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين عند طلوع الفجر "[6] ، ولعل السبب واضح في اختلاف الآراء في ولادة الامام عجل الله فرجه فقد كان مقصوداً لإيهام السلطة العباسية بانقطاع نسل الإمام عجل الله فرجه ومن ثم إيقاف ملاحقة الأئمة وإيقاع الجور عليهم، إلا أنَّ المستشرق أصابه الإيهام أيضاً، ثم

١- الناووسية هي فرقة من فرق الشيعة ادعت أن الإمام جعفر الصادق لم يمت وأنه هو المهدي وروت الروايات على ذلك وسميت بالناووسية نسبة إلى زعيمهم الذي يسمى عجلان بن ناووس أو نسبة إلى مدينة ناوسا . ينظر: فرق الشيعة : الحسن بن موسى النوبختي ، ط١، ٢٠١٢م، منشورات الرضا- بيروت – لبنان ، ١١٥

٢- ينظر : فرق الشيعة : النوبختي ، ١١٤ -١١٥.

٣- ينظر : المصدر نفسه ، ١١٤- ١٣١.

٤- " الفضل بن شاذان : ثقة " . رجال النجاشي : النجاشي ، ٣٠٧ .

٥- " محمد بن حمزة بن الحسن : ثقة " . خلاصة الأقوال : العلامة الحلي ، ٢٦٠ .

٦- معجم أحاديث الإمام المهدي (عجل الله فرجه) : الشيخ علي الكوراني ، ط١ ، ١٤١١هـ ، مؤسسة المعارف الإسلامية – قم- إيران ، ٤ / ٢٤٠ .

أشار إلى مسألة الغيبة الصغرى إذ يقول :" انه ظل أربعة أجيال يتصل بأمته المتيمة بواسطة سفير يبلغها تعليماته بواسطة الرسائل، مثل هذه الرسائل كانت تتداول فعلاً داخل الطائفة ولم تزل تنقل حتى اليوم يسمي الشيعة هذه المرحلة ((الغيبة الصغرى))"[1]، وكذلك أشار إلى مسألة الغيبة الكبرى قائلاً :"ولكن بعد ذلك قرر الامام الغائب ايقاف هذه الاتصالات أيضاً والانزواء كلياً عن البشرية، ووصم بالكذب كل من يدعي في المستقبل أَنَّهُ اتصل به وبذاك بدأت سنة ٩٤١ م/ ٣٢٩هـ مرحلة الغيبة الكبرى "[2]، وهنا يقرر المستشرق أنَّ الامام من أوقف الاتصالات وقرر الابتعاد عن البشرية متناسياً الإرادة الالهية، ثم إنَّ الاطلاع على التوقيع الصادر من الامام إلى سفيره الرابع يعلمه بعدم الوصية لأحد بعده[3] وهنا يثبت بطلان ادعاء المستشرق، بينما نجد أنَّ المستشرق "الياد" يشير إلى غيبة الإمام عجل الله فرجه إشارة فهو لا يصرح بذلك علناً إذ يقول :" إنَّ الامام الخفي لعب دوراً حاسماً في التجربة الصوفية للإسماعيلية والفروع الشيعية الأخرى "[4]، ثم يكمل "وتحسن الإشارة إلى أنَّ الصورة الخرافية للإمام المستور قد اتصلت مراراً بأسطورة أخروية للمهدي، لغة القائد أو الدليل (أي الذي أهدي من قبل الله) وهذا التعبير لا يوجد في القرآن"[5]، وهنا نجد أنَّ المستشرق ينفي مسألة الغيبة بالكامل بل ينفي القضية المهدوية جملةً وتفصيلاً جاعلاً منها نوعاً من الأساطير أو الخرافات أو الحركات الصوفية وأخيراً يزعم أنها لم ترد في القرآن الكريم، الحال ليس كذلك فليس كل ما يرد في ظاهر القرآن الكريم يمكن الاعتقاد به، وليس كل شيء لم يرد في القرآن لا يمكن الاعتقاد به، فهناك آيات قرآنية ظاهرها يدل

١- الشيعة في العالم : هالم ، ٤٨.
٢- المصدر نفسه ، ٤٨.
٣- ينظر : عقيدة الشيعة : الميرزاعلي الحائري ، ط٢ ، شبكة الفكر الالكترونية ، ٢٨/ ٢ / ٢٠٢٠ ، ٤١.
٤- تاريخ الأفكار والمعتقدات الدينية : ميرسيا الياد، ٣/ ١٣٦.
٥- المصدر نفسه ، / ٣/ ١٣٦.

على التجسيم وهذا ما لا يمكن الاعتقاد به بل له تأويلات تنسجم مع تلك العقائد يمكن استمدادها من سيرة النبي، فضلاً عن بعض الأحكام التي لم يذكرها القرآن ولكن العمل بها واجب كالشخص الذي يقتل أباه لا يستحق أنْ يرثه، وهكذا وهذا حال الغيبة، أما المستشرق "دونالدسون" فكانت له رؤية أخرى فذهب إلى أنَّ عقيدة الغيبة قد تعارفت عليها كل فرق الشيعة إلا أنّها قد تطورت على يد الاسماعيلية إذ يقول :" كانت عقيدة الغيبة التي قالت بها في أول الأمر فرق متباينة من الشيعة الأُوائل وقد تطورت أخيراً على يد الإسماعيليين وانتشرت انتشاراً واسعاً"[1]، ولا يخفى على أحد أنَّ المستشرق الانجليزي لم يخلع رداءه العقائدي لذلك اتسمت دراسته بانحرافها عن جادة الصواب؛ لأنه لم يعطِ دليلاً واحداً على أنَّ تطور عقيدة الغيبة حصل على يد الاسماعيلية، إلا إنَّ ما يمكن البت به أنَّ المستشرقين عندما توجهوا لدراسة التشيع اصطدموا بالفرقة الاسماعيلية التي كانت تدين بها الدولة الفاطمية، ولعل هذا السبب وراء زعم المستشرق، ثم يكمل " ولما اختفى الإمام الثاني عشر للشيعة الامامية نحو سنة ٢٦٠هـ(٨٧٤) اتخذ الاثنا عشرية عقيدة الغيبة ..... والعقيدة السائدة أنَّ هناك غيبتين تعرف الأولى بالصغرى والثانية بالغيبة الكبرى، ففي الأولى يعتبر أنَّ الإمام كان يتصل بشيعته بواسطة وكلائه الأربعة المتعاقبين"[2]، والمستشرق "كوهلبرغ" هو الآخر كان له إسهام غريب في مسألة الغيبة، لاسيما في أثناء حديثه عن تاريخ الشيعة الامامية الأوائل حيث يقسم تلك العقيدة إلى ثلاثة أدوار إذ يقول : "الأول دور الثورة المهدوية (١٢٦ -٢٣٠ / ٧٤٤ -٨١٨) اذ تم تركيبها من الغيبة مع ظهور قائم آخر الزمان (المصلح)، والثاني بدأ من ٢٠٨ إلى ٢٦٠/ ٨١٨ -٨٧٤م وهو دور أزمة الامامة وظهور علماء مختصين في الدين وهذه الأزمة تحدث

١ - عقيدة الشيعة : دونالدسون ، ٣٤٧.
٢- المصدر نفسه ، ٣٤٨.

عندما يصبح الطفل الصغير إماماً فكانت قيادته تجري من قبل منظومة وكلاء المجتمع الامامي..... والدور الثالث يتزامن مع الغيبة الصغرى"[1]، والحق إنَّ هذا التقسيم يحتاج إلى مزيد من التأمل فقد يبدو غريباً أول الأمر إلا إذا حُمل على الأدوار التمهيدية التي قام بها الأئمة للعقيدة المهدوية، وإذا أمعنا النظر في التأريخ المذكور نجده يرجع الدور الأول إلى زمن الامام الصادق عليه السلام بيد أنَّ المستشرق "كونسلمان" تناول عقيدة الغيبة من منظار مختلف فسلط الضوء عليها بوصفها فكرة لا تنحصر بشخص معين بل يمكن ممارستها من قبل أشخاص محترمين من الشيعة لاسيما في ظل الظروف التي تعانيها الشيعة اذ أشار إلى نماذج من الذين أدعو أنَّهم المهدي عجل الله فرجه ، مشيراً إلى محمد بن الحنفية، وإسماعيل بن الامام الصادق عليه السلام على أنَّ الوضع المتأزم هو ما جعل الشيعة تقرر مثل هكذا عقائد كالتقية والغيبة وغيرها إذ يقول: " في ذلك الوضع اللامحتمل، المفروض من قبل العباسيين هو ما حفز الامامين عليهما السلام على الأخذ بممارسات جديدة : مثل التقية للهرب من القمع، والتفويض بالسلطة أو إقامة النيابة عن الامام لتبرير الولاء لإمام سجين يمثله في غيابه كوكيل عنه، وأخيراً مثل الاختفاء حتى نهاية العالم"[2]، وعلى النقيض من ذلك يظهر أنَّ هناك مستشرقين اتسمت دراساتهم بالموضوعية اتجاه هذه العقيدة كان من أبرزها دراسة المستشرق " كوربان " الذي شغلت قضية غيبة الامام عجل الله فرجه مساحة واسعة في كتاباته اذ سلط الضوء على عقيدة الغيبة بقسميها الصغرى والكبرى إذ يقول "وفي الواقع الغيبة غيبتان، أو غيبة على درجتين ثمة الغيبة التي يسميها العلماء "الغيبة الصغرى" والتي بدأت من عام وفاة الامام الحسن عليه السلام (٢٦٠/ ٨٧٣ -٨٧٤) واستمرت حتى عام (٣٢٩- ٩٤٠

١- الشيعة الأوائل في التاريخ : ايتان كوهلبرغ، ترجمة : رضا يازي نيا ، مصطفى مطهري ، مجلة دراسات استشراقية ، العتبة العباسية ، خريف ٢٠١٤م ، العدد الثاني ، ٢٢٩.
٢- الإسلام الشيعي : يان ريشار ،٦٩.

-٩٤١)وثمة التي بدأت منذ ذلك التأريخ والمستمرة إلى الآن والتي يسميها العلماء الشيعة "الغيبة الكبرى"[١] ، والمستشرق "تويال" قد استوفى فكرة الغيبة بصورة أدق من غيره مفرقاً بين غيبة الامام المهدي عجل الله فرجه وبين صعود النبي عيسى عليه السلام إلى السماء ومؤكداً لما للغيبة من أهمية كبيرة في العقائد الشيعية، إذ يقول :" أما محمد المهدي فيعتبر الشيعة أَنَّهُ قد غاب، وهذه الغيبة هي في أساس اعتقاد الشيعة الاثني عشرية .....هذه الفكرة عصية على الفهم فالأمر ليس صعوداً إلى السماء كما في الدين المسيحي، بل غيبة شاءها الله كي يسمح لمحمد المهدي عجل الله فرجه أن يقود الناس بطريقة خفية"[٢]، وهذا الطرح يتماشى مع التطبيق الفعلي للمعتقد الامامي ثم يكمل قوله : "وفكرة غيبة الامام هذه لها لدى الشيعة تأثير مهم على محتوى هذا الايمان ونتائجه؛ لأنها تفسر طابعه النهيوي، فالشيعة ينتظرون نهاية العالم وعودة الامام، باعتبار أن هذه العودة هي بشكل أو بآخر نهاية التاريخ وانتصار الله في مصائر البشر"[٣]، ويبدو أنَّ الدراسة التي قدمها المستشرق هي النموذج الفعلي بين نماذج الدراسة المطروحة لكونها متسمة بالموضوعية، ثم يشير المستشرق "ريشار" إلى غيبة الامام عجل الله فرجه ويصفها بالاختفاء إذ يقول :" وعلى ذلك فأن الشيعة منذ العام ٨٧٤ من التأريخ الميلادي يعيشون في إطار الأئمة الاثني عشر أو تحت لواءهم والحق أنَّ الامام الثاني عشر قد اختفى فيما يرى الشيعة في هذا التاريخ "[٤] والمتتبع لدراسات المستشرقين يجد أنَّ لديهم مصطلحًا يتكرر دائماً هو الاختفاء أو الاحتجاب أو الانزواء ونادراً ما يستعملون مصطلح غيبة، وهذا يدل عل سطحية الدراسة لديهم وانطلائها بالصبغة المادية وتجاهلها للجانب العقدي .

١- الإمام الثاني عشر : هنري كوربان ، ٧٣ -٧٤.
٢- الشيعة في العالم صحوة المستبعدين : فرانسوا تويال ، ٣٩.
٣- المصدر نفسه ، ٤٠.
٤- الإسلام الشيعي : ايان ريشار ، ٢٠.

ثالثاً: آراء المستشرقين حول الانتظار المهدوي: درس عدد من المستشرقين عقيدة الانتظار عند الامامية ومن أبرز من تناول هذا المبدأ العقدي "لوثروب ستودارد"[1]، الذي يرى أنَّ جميع الاديان السماوية تنتظر المنقذ إذ يقول :" اتفقت الاديان السماوية الثلاث على ظهور واحد في آخر الزمان، فاليهود لا زالوا منتظرين المسيح الذي يجدد ملكهم قبيل انقراض الدنيا والنصارى ينتظرون المسيح الذي بشرت به الانبياء ويقولون برجوعه في آخر الوقت لإبادة الدجال الذي يُنبئ به يوحنا والمسلمون عندهم المهدي أيضاً الذي يظهر قبل قيام الساعة ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً....."[2]، وعلى هذا تكون عقيدة الانتظار أمرًا تشترك به الديانات السماوية ولابد من الإشارة إلى بعض الآراء التي تربط عقيدة الانتظار بالقرآن الكريم إذ أشار المستشرق "دونالدسون" إلى أن فقهاء الشيعة يعلقون آمالًا كبيرة على انتظار المهدي ويسندون ذلك إلى القران الكريم إذ يفسرون الآيات الواردة فيها كلمة (الهداة) بأنه المهدي إذ يقول :" أما عند الشيعة فأن انتظار مجيء المهدي من الاعتقادات الأساسية ويفسرون الهداة الوارد ذكرهم في القرآن هم الأئمة"[3]، مشيراً إلى أنَّ الشيعة ترى أنَّها نازلة في حق الأئمة من اهل البيت عليهم السلام وهم ينتظرون عودة المهدي ليقيم دولة العدل[4] لاشك أنَّ الآيات الكريمة التي أشار إليها المستشرق وشكك بها، هي وعد من الوعود الربانية التي لم تتحقق بعد، بل تُعد الرافد النفسي الأكبر لعقيدة الانتظار عند الشيعة الامامية تلك

١- لو ثروب ستودارد : مؤرخ وصحفي أمريكي ولد عام ١٨٨٣م في مدينة بروكلين ، ،درس في جامعة هارفارد ، من أشهر آثاره: "حاضر العالم الإسلامي" "الثورة على الحضارة" و"الإنسانية تحت سيطرة العلم" وتوفي عام ١٩٥٠م . ينظر : حاضر العالم الإسلامي : لوثروب ستودارد ، ترجمة : عجاج نويهض ، ط٣، بلا .ت ، دار الفكر- بيروت – لبنان ،١/ ٤٤.

٢- عقيدة انتظار المهدي في الفكر السياسي المعاصر : ناهدة محمد زبون ، رسالة ماجستير جامعة بغداد ، كلية العلوم السياسية ،١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م،٢٣.

٣- عقيدة الشيعة : دونالدسون ، ٢٣٢.

٤- الأمثل : ناصر مكارم الشيرازي ، ١٢/ ١٧٥.

العقيدة التي بشر بها الانبياء جميعاً وختمت البشارة على يد النبي الأكرم ﷺ بظهور المنقذ الالهي في ذريته، وهذا يدحض زعم المستشرق، أما رؤى المستشرق المجري "جولد زيهر" لهذه العقيدة لم تكن موضوعية فتارة يشير إلى أنَّ الامامية قد أخذتها عن الديانات الأخرى وأخرى يحاول حرفها عن مسارها، فنجده يلمح إلى أنَّ النبي إيليا لم يمت بل صعد إلى السماء وأتباعه ينتظرون عودته كما يَعدهُ المثل الأول لائمة الشيعة، وبهذا تكون الامامية أخذوها عن المسيحية، وأخرى يرى أنَّها موجودة في ثقافات الشعوب كالمغول الذين ينتظرون عودة جنكيز خان وغيرهم من الشعوب القائلة بهذا المبدأ ثم يتناولها عند الإمامية على أنَّ المخلص هو محمد بن الحنفية الذي ينتظره الشيعة[1]، والحق أنَّ هذا ما قالت به إحدى فرق المذهب الشيعي وليس الشيعة كلها فالإسماعيلية نادت بإسماعيل ابن الإمام الصادق عليه السلام، والامامية نادت بالمهدي محمد بن الحسن عجل الله فرجه، فضلاً عن أنَّ وجود هذه العقيدة عند الديانات الأخرى لا يعني أنها مقتبسة منها؛ بل هي دلالة على مصدرها الواحد وأنَّها موجودة في شرع من قبلنا، مؤكداً أنَّ الاعتقاد بها كان بدافع الاستبداد والظلم، لقد أجهد المستشرق نفسه من أجل إثبات أنَّ عقيدة المهدي ليست من عقائد الشيعة الأصيلة بدليل إنَّهُ بقي يستطرد أصولها بالديانات الأخرى وثقافات الشعوب وتغافل عن الأدلة الواردة في الإسلام، بينما يرى المستشرق "هالم" أنَّ الانتظار أصبح سمة من سمات الامامية بل هو ما يميز الإمامي من غيره، وبما أنَّ الامامية تجهل عودة الإمام عجل الله فرجه فهي تنتظر رجوعه قبل يوم القيامة، مشيراً إلى أنَّ في بعض المدن الإسلامية كان الشيعة ينتظرون ظهور الامام عجل الله فرجه عبر طقس يجهزون فيه جواداً لكي يعتليه الامام، ثم أكد المستشرق وجود فكرة المنقذ الالهي(

١- ينظر : العقيدة والشريعة : جولد زيهر ، ٢١٥ -٢١٧.

المصلح) في عموم الوسط الاسلامي إلا أنَّ عقيدة الانتظار ليست مركزية عند المذاهب الاخرى [١]،والحقيقة أنَّ ما تكلم به المستشرق الالماني هو ما يطابق الواقع الفعلي لجمهور المسلمين من الناحية العقدية؛ إذ لم تكن تحتل عقيدة الانتظار ثقلاً عقدياً في المذاهب الاسلامية الأخرى، ولذا فإن عقيدة الانتظار عند الجمهور غير بارزة قياساً بما عند الامامية، أما ادعاؤه بأن الطقوس الشيعية تجهز حصانا ليعتليه الامام ﷺ فهذا نابع من بعض المنحرفين عقدياً أو سذج الطائفة ومن ثم لا يحسب على الامامية هذا إنْ وجد أصلاً ، فضلاً عن كونه استقاه ممن يحاول طمس معالم الهوية الامامية ، وتشويه صورتها ، لاسيما إنَّهُ في هذا الأمر لم يأتِ بجديد بل تابع أقوال بعض المذاهب[٢]، وعلى هدي سابقيه سار المستشرق "تيرنر" في عرضه لمفهوم الانتظار عند الشيعة إذ يرى أنَّ مفهوم الانتظار مفهوم سلبي نابع من الترقب والمحن التي ألمت بالشيعة دون علمها بمحتوى تلك المحن، واصفاً الشيعة بضيق الفكر لاسيما في تفسيرهم للفتن والمآسي على أنَّها نتيجة طبيعية لغيبة الامام، ثم يكمل رأيه لو كان الأئمة على يقين بحتمية انتصارهم وقربه لأنذروا أتباعهم بذلك[٣]، يوافقه على ذلك المستشرق الفرنسي "الفريد بل"[٤] الذي يقول : " الشيعة يسهرون على بقاء العقيدة في وجود المهدي وعلى التمهيد لمجيئه ليرفع عن الناس المظالم والمهانة"[٥]، وإنَّ المتتبع لرؤى المستشرق تيرنر يقف عبرها على أمور عدة منها : إنَّهُ أهمل الاطلاع على التراث الامامي الذي يعد الانتظار

١- ينظر: الشيعة في العالم: هاينز هالم ، ٤٧ ـ ٤٨ .
٢- ينظر: شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة: العلامة الحلي،١٩١.
٣- ينظر: التشيع والتحول في العصر الصفوي: كولين تيرنر ، ٣٢٠ -٣٢٣.
٤- الفريد بل مستشرق فرنسي ولد عام ١٩٢٠ أقام زمناً في إفريقية الشمالية، وكان مديراً لمدرسة تلمسان. ووضع (فهرساً) بالعربية والفرنسية، لمكتبة جامع القرويين بفاس ، وله كتاب بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، و كتاب نظرة في الإسلام عند قبائل البربر. ينظر: الأعلام : الزركلي ط١٥، ٢٠٠٢م ، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان ، ٢/ ٧.
٥- الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى اليوم: الفريد بل، ترجمة: عبد الرحمن بدوي ، ط٣ ، ١٩٨٧م ، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت – لبنان ، ١٥٤

والثبات على الشدائد والمحن من العقائد، ومنها أنَّ عرض تلك الروايات قد يؤدي إلى فشل مخطط الظهور أو أنَّ الإرادة الالهية حالت دون ذلك، فضلاً عن أنَّ التفصيل لتلك الحوادث والمحن لا داعي لذكره بل يكتفي بمواضع الاعتبار منه وهو ما استعمله القرآن الكريم إذ اكتفى بذكر مواضع العبرة[1]، أما المستشرق المعتدل "هنري كوربان" فيرى أنَّ عقيدة الانتظار بدأت مع بداية الغيبة الكبرى وأساسها الوصية التي صدرت من الامام إلى سفيره الرابع بعدم إيكال الأمر إلى شخص آخر؛ لأنَّ الإرادة الالهية قد شاءت بالغيبة الكبرى، و منذ تلك اللحظة بدأ برأي المستشرق "التاريخ المستور" وبدأ معها انتظار الشيعة لمنقذهم إذ يقول : "فالانتظار للامام الغائب عجل الله فرجه ليس حدثاً يمكن أنْ ينبجس اعتباطاً في يوم ما بل لابد من إشراقه في قلوب المؤمنين الشيعة "[2]، وهنا يمكن القول أن رؤية المستشرق "كوربان" قد طابقت العقيدة الامامية، وقد يكون المستشرق قد استمده من كلام الأئمة عليهم السلام، وهنا يظهر أنَّ عقيدة الانتظار من الأعمال العبادية التي دلت عليها سنة المعصوم وتمسك بها الامامية كعقيدة راسخة بانتظار الطلعة البهية لصاحب العصر والزمان، تناولتها دراسات المستشرقين على سبيل التشكيك والإنكار وأخرى على سبيل البحث والاستقصاء والاعتدال، تم تأكيد بطلان الآراء الذاهبة لذلك وإثبات صحة هذه العقيدة وتأييد الآراء المعتدلة ، وهذا يراه الباحث .

١- ينظر : موسوعة الإمام المهدي : محمد صادق الصدر ، ٣/ ١٨٣-١٨٦.
٢- تاريخ الفلسفة الإسلامية : هنري كوربان ، ١٣٨.



الفصل الثالث

"مباحث التفسير الفقهي عند الإمامية في دراسات المستشرقين"

- المبحث الأوّل: علم الفقه مفهومه ودراسات المستشرقين حوله.
- المبحث الثاني: بحث تفسير آية الوضوء عند الإمامية في دراسات المستشرقين.
- المبحث الثالث: بحث تفسير آية الخُمس عند الإمامية في دراسات المستشرقين.
- المبحث الرابع: بحث تفسير آية المتعة عند الإمامية في دراسات المستشرقين.
- المبحث الخامس : تعدد الزوجات عند الإمامية في دراسات المستشرقين.
- المبحث السادس: أحكام أهل الكتاب عند الإمامية في دراسات المستشرقين.



الفصل الثالث: مباحث التفسير الفقهي عند الامامية في دراسات المستشرقين:

المبحث الأول: علم الفقه مفهومه ودراسات المستشرقين حوله:

المطلب الأول: مفهوم الفقه لغةً واصطلاحاً:

أولاً: الفقه لغةً:

للفقه في اللغة معنى واحد وهو العلم والفهم، وله استعمالات عدة منها: العلم في الدين فيقال للعالم في الدين فقيها[1]، وقال ابن فارس(ت ٣٩٥ هـ):" الفاء والقاف والهاء أصل واحد صحيح يدل على إدراك الشيء والعلم به تقول فقهت الحديث أفقهه وكل علم بشيء فهو فقه، يقولون لا يفقه ولا يفقه ثم اختصَ بذلك علم الشريعة فقيل لكل عالم بالحلال والحرام فقيه وأفقهتك الشيء إذا بينته لك" [2].

ثانياً: الفقه اصطلاحاً :

للفقه على المستوى الاصطلاحي تعريفات عدة، أبرزها تعريف العلّامة الحلي (ت٧٢٦هـ) بقوله :" على العلم بالأحكام الشرعية الفرعية العملية بطرقها المختلفة، أو المستمدة من الأدلة التفصيلية "[3] ، وعَرّفهُ الشهيد الأول (ت: ٧٨٦هـ) بقوله : "هو العلم بالأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية" [4]، يُلاحظ على تعريف الفقه في اللغة والاصطلاح أنَّهما يلتقيان في المعنى ذاته فمعنى الفقه هو العلم، ويُعد الفقه من الفروع المهمة في الشريعة الإسلامية فموضوعه الأساس هو أفعال المكلَفين ، وعناوين الفقه: الواجب، الحرام، المستحب، المكروه والمباح، ويستنبطها الفقيه بالرجوع إلى الأدلة الأربعة : الكتاب، السنة،

١- ينظر : العين : الفراهيدي ، ٣ / ٣٧٠. وينظر : لسان العرب : ابن منظور ، ج١٣/ ٥٢٢. وينظر : مجمع البحرين : الطريحي ، ٦/ ٣٥٥.

٢- معجم مقاييس اللغة : إبن فارس، ٤ / ٤٤٢.

٣- نهاية الوصول إلى علم الأصول : الحسن بن يوسف بن المطهر (العلامة الحلي) ، بلا .ط ، ١٤٢٥هـ ، مؤسسة الإمام الصادق ـ إيران ، ١/ ٦٤.

٤- القواعد والفوائد : محمد بن مكي العاملي(الشهيد الاول) ، تحقيق : السيد عبد الهادي الحكيم ، بلا. ط ، بلا. ت ، منشورات دار المفيد ـ قم ـ إيران ، ١ / ٣٠.

الإجماع، العقل، وفي حال لم يجد الحكم في الأدلة الأربعة ينتقل إلى الأصول التي تحدد وظيفة المكلَف[1].

المطلب الثاني: دراسات المستشرقين على المستوى الفقهي عند الامامية:

من المسلم به أنَّ الاستشراق لم يفارق أي مفصل من مفاصل الحضارة الاسلامية حتى أدلى برأيه فيه، وبحث التفسير الامامي لم يسلم من تلك الآراء، لاسّيما الجانب الفقهي فقد حظي بنصيبه منها؛ إذ أنَّ دراسة الفقه تهيء للباحث الأرضية المناسبة لتعرف طبيعة المجتمع الذي ينوي دراسته، وهذا ما حرص الباحثون الغربيون على مزاولته ولو ضمنياً، ولا يخفى على الأذهان أنَّ دراسات المستشرقين للفقه الامامي من القلة بمكان قياساً بما أفرزته أيدي المستشرقين من نتاج بحثي تجاه بقية أنواع المعرفة الإسلامية؛ وذلك لندرة المستشرقين المتخصصين فيه واعتماد الاخرين على كتابات غيرهم، فضلاً عن اتساع أبواب المعرفة الفقهية وتنوعها، عدا إشارة المستشرق "جولد زيهر" فإن المستشرق "كري" ألف في فقه الامامية كتاباً أسماه "الشريعة الاسلامية "[2]، اذ شغلت مسألة نشوء الفقه الاسلامي أذهان الباحثين الغربيين مدة تربو على القرن وأثارت خلافات وجدلًا بين المستشرقين أنفسهم، فقد درسوا أسباب نشوء الفقه الاسلامي عموماً فضلاً عن الفقه الامامي وقد أرجعوه إلى مصادر عدة يأتي في المقام الأول الأساس العقدي الذي بني عليه الفقه، أي إلى مسألة الامامة والخلاف على السلالة التي ترث النبي صلى الله عليه وآله في المجال التشريعي، فتمسك بعضهم بالأئمة عليهم السلام وأخذ الفقه منهم وهذا أنتج لنا مدرسة فقهية متكاملة سميت بـ "مدرسة الامامية" بينما تمسك الآخر بالصحابة وأخذ الفقه منهم وهو الآخر أنتج مدرسة

١- ينظر : فقه الحرية دراسة فقهية في الحرية وقيودها : حسن قدردان ملكي ، تعريب : السيد علي الموسوي ، ط١ ، ٢٠٠٨م ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي - بيروت - لبنان ، ٣١ .
٢- ينظر : العقيدة والشريعة : جولد زيهر، ٣٨٤.

فقيهة سميت بـ "مدرسة الصحابة"[1]، وبهذا تكون جذور الفقه الامامي قديمة قدم الإسلام نفسه، بينما أرجعه المستشرق "هالم" إلى مرحلة نشوء المدارس الفقهية في القرن الثاني الهجري على أن مؤسسه الامام الصادق عليه السلام معتمداً على التسمية إذ يقول :"ولذلك تعتبره الشيعة أهم شخصية في جميع المسائل الدينية والفقهية إذ إن المراجع اللاحقة للفقه الشيعي تحتوي على آلاف الأقوال والفتاوى الصادرة من الامام جعفر عليه السلام، ولذلك يسمي الشيعة مذهبهم الفقهي باسمه "المذهب الجعفري "[2]، ويؤيد هذا الرأي "فان فلوتن" في كتابه "السيطرة العربية التشيع والمعتقدات " إذ يرى أنَّ الفقه الامامي نشأ متأخراً لاسّيما على يد المُنظر الأول للفقه الامامي "الامام الصادق عليه السلام" وكان يتكأ على ركيزتين على حد تعبيره الأولى حادثة الغدير والثانية غزارة علوم الأئمة [3]،ويمكن القول إنَّ هناك تقاربًا في القولين الأول والثاني، فكلاهما أرجعه إلى الأئمة، بخلاف المستشرق "شاخت" الذي أرجعه إلى المذاهب الإسلامية عند أهل السنة على أساس أنَّ الامامية قد اقتبسوا الفقه من المذاهب الاسلامية الأخرى [4] .

أما بالنسبة لمصادر الفقه الامامي من وجهة نظر المستشرقين فهي لا تختلف عن مصادر الفقه عند أهل السنة، إلّا في أمور طفيفة فالمصدران الأساسيان هما القرآن والسنة وهما أساس الأحكام الشرعية عند الفريقين، إلا أنَّ الاختلاف وقع على مستوى الأدلة الأخرى كالإجماع الذي لم يعده المستشرقون في دراستهم أحد المصادر الأساسية في التشريع الامامي، بل جعلوا بدلاً منه حجية قول الامام عليه السلام، على أنَّ الامامية لا تعترف بالإجماع فضلاً عن أنَّهم يرون أنَّ الامامية لا تعطي

١- ينظر : في تاريخ التشريع الإسلامي : ج . ن . كولسون ، ترجمة : محمد احمد سراج ، ط١ ، ١٩٩٢م، المؤسسة الجامعية - بيروت - لبنان ، ١٤١
٢- الشيعة في العالم : هاينز هالم ، ٤٢.
٣- ينظر : السيطرة العربية التشيع والمعتقدات المهدية : فان فلوتن ، ١٦١.
٤- ينظر : في تاريخ التشريع الإسلامي : كولسون ، ١٤٢.

العقل دوراً في الاستنباط الفقهي [١]، ولم يرق المستشرقون في دراستهم للمصادر الثانوية في عملية الاستدلال الامامي إلى مستوى الموضوعية؛ لأن ادعاءهم أن الامامية لا تعترف بالإجماع ولم تعط العقل أهمية في التشريع لم يكن مصيباً، بل يُعد الإجماع الكاشف عن رأي المعصوم هو أحد أعمدة التشريع في الفقه الامامي فضلاً عن كون المدرسة الامامية من المدارس التي أعطت العقل العملي أهمية كبيرة في التشريع شريطة أنَّ يكون في طول الكتاب لا في عرضه [٢]، ولم يقف المستشرقون عند هذا الأمر، بل توجهوا لدراسة الفوارق الفقهية بين المذاهب الاسلامية مقارنةً بالمذهب الامامي ، حتى أضحت السمة الغالبة على كتاباتهم وطبعتها بهذا الطابع ، ومن أبرز المستشرقين الذين اتسمت كتاباتهم بهذه السمة المستشرق "ماكدونالد "[٣]في كتابه "تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية في الإسلام" ، وأسهم "نولدكة" ببحث حول الفروق الفقهية أسماه "بحوث تذكارية " كذلك المستشرق "جولدزيهر" أيضاً كانت له كتب عدة منها "العقيدة والشريعة "تعرض فيها إلى مقتطفات من تلك الفروق ومنها " أدب الجدل السني الشيعي " وكذلك بحثه "مقالات في التأريخ الأدبي للمناظرات بين السنة والشيعة "وبحثه تعداد الفرق الاسلامية المنشور في مجلة الأديان [٤]، بينما نجد أنَّ المستشرق "كولسون"[٥] يشير إلى مسألة الاختلاف في المذاهب الفقهية في الاسلام مستدلاً

١- ينظر : مصدر سابق ، ١٤٣ -١٤٦.

٢- ينظر : نهاية الأفكار في مباحث الألفاظ : بحث تقرير أغا ضياء الدين العراقي ، تأليف :محمد تقي البروجردي بلا .ط ، بلا .ت ، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين ، قم - إيران ، ٢/ ٢٦٤.

٣- ماكدونالد : مستشرق ولد عام ١٨٦٣م وتوفي عام ١٩٤٣م ، تعلم في جلاسكو ثم رحل إلى برلين وتعلم عند زاخاوا، كانت له إسهامات واضحة منها : التصوف الإسلامي المسيحي . ينظر : المستشرقون : العقيقي ، ١/ ١٠١-١٠٢.

٤- العقيدة والشريعة : جولد زيهر ٣٤٥.

٥- ن. ج. كولسون : مستشرق انجليزي اهتم بالكتابة عن الفقه الاسلامي وتدريسه في جامعة لندن ، تتلمذ على يد المستشرق جوزف شاخت ، درس القانون الانجليزي ، له عدة مؤلفات منها في تاريخ التشريع الاسلامي ، وجوانب نظرية في الفقه الاسلامي .ينظر في تاريخ التشريع الاسلامي : ج .ن. كولسون :ترجمة ،محمد احمد السراج ، تعليق ، د حسن محمود عبداللطيف ،ط١، ١٩٩٢، المؤسسة الجامعية للداسات والنشر ، بيروت ـ لبنان ،٥.

بقول "شاخت"[1] الذي لا يؤيد فكرة الاختلاف ، إذ يقول :"إنَّ مذهب الخوارج والشيعة لا تختلف عن المذاهب الفقهية عند أهل السنة بأكثر ما تختلف هذه الأخيرة بينها "[2]، أضف إلى ذلك حاول بعض المستشرقين الإشارة إلى الاختلاف بين الامامية أنفسهم في المسائل الفقهية وكيفية استنباط الأحكام الشرعية طبعاً كانت أناملهم تشير إلى فرقتي "الإخبارية والأصولية " [3] أي من اعتمد على الكتاب والسنة فقط ورفض العقل وبين من أقره [4]، ولا ننسى الإشارة إلى جهود المستشرق الالماني البروفسور "مادلونك" في المجال الفقهي ؛ إذ أسهم بدراسة مقارنة بين الفقه الامامي والفقه الزيدي في كتابه "الفقه الامامي والفقه الزيدي " فضلاً عن دراسته لكثير من الأمور التي كانت مثار جدل واسع بين العلماء في بحثه "الجدل الشيعي حول شرعية الخراج " وفي المضمار نفسه ألف كتاباً أسماه "علم الفقه الفلسفي الاسلامي" تكلم فيه على مباحث الفقه الامامي[5]، ولابد من التذكير بكتاب المستشرق البريطاني "ماكدونالد " الذي وسمه بـ " تطور الفقه والشريعة " سلط الضوء فيه على كثير من الجوانب الفقهية ، أما المستشرق "تيرنر" فقد خصص ملحقاً في كتابه أسماه "تطور الفقه الامامي" الذي أورد تحته جملة من المباحث الفقهية كالصلاة ، الحج ، وغيرها [6]، ولم يفت المستشرقون أيضاً جانب دراسة الروايات التي يعتمد عليها الفقه الامامي في استدلاله مؤكدين

١-جوزف شاخت : مستشرق الماني ولد عام ١٩٠٢م امتاز بدراسته للفقه الإسلامي له مؤلفات عدة منها :أصول الفقه المحمدي توفي عام ١٩٦٩م . ينظر : موسوعة المستشرقين : عبد الرحمن بدوي، ٣٦٦ـ ٣٦٨ .

٢- في تاريخ التشريع الإسلامي : كولسون ، ١٤٢ .

٣- يقصد بالإخباري : " الفقيه المستنبط للأحكام الشرعية من الكتاب والسنة فقط وبعد يأسه عن دليل الحكم يرجع إلى أصالة الاحتياط في الشبهات الحكمية والتحريمية " . أدوار الاجتهاد عند الشيعة الامامية : الشيخ عدنان فرحان ، ط١ ، ١٤٢٨هـ، مطبعة توحيد ـ قم ـ إيران ، ٢٠٨ . والأصوليين : " هم الذين يلجأون في مقام استنباط الأحكام الشرعية إلى الأدلة الأربعة من الكتاب والسنة والإجماع والعقل " . مصادر الاستنباط بين الأصوليين والإخباريين : محمد عبد الحسين الغراوي ، ط١ ، ١٩٩٢م ، دار الهادي ـ بيروت ـ لبنان ،٣٩ .

٤- العقيدة والشريعة : جولد زيهر ، ٣٨٩.

٥- ينظر : التشيع والاستشراق : عبد الجبار ناجي، ١٦٢ -١٦٥. وينظر : الممانعة البنيوية عند الشيعة : عبد الأمير كاظم زاهد ، ١٥ .

٦- ينظر : الإسلام الأسس : كولين تيرنر ، ٣٢١.

التزام الامامية في الروايات الصادرة عن طريق أهل البيت فقط ، حتى أصبحت المؤلفات الحديثية عند الامامية تختلف عنها عند العامة مؤكدين سيطرة الامامة على الفقه الشيعي ، أما من تبنى هذا الرأي فهو المستشرق "كولسون" في كتابه "في تاريخ التشريع الاسلامي " وكذلك المستشرق "جولد زيهر" في كتابه "العقيدة والشريعة "والمستشرقة "لالاني" التي اعتنت بدراسة الروايات التي صدرت عن الامام الباقر ﷺ لاسيما في المجال الفقهي ، وذلك في أثناء دراستها للإمام في كتابها "الفكر الشيعي المعاصر"[1]، ولا بد للبحث من ذكر دور السياسة في هذا الجانب فقد سعت بعض الحكومات إلى نشر الكتب وإرسال البعثات وإثارة الفروق بين المجتمع المسلم بما يتماشى مع أهدافها الاستعمارية فقد نشرت الحكومة البريطانية كتاب "شريعة محمد" الذي تناول بعض جوانب الفقه الامامي، فضلاً عن المستشرق "جون بيلي"[2] الذي نشر عدداً لا بأس به من الأسس الشرعية عند الامامية بمساندة الحكومة ، ثم عادت لتسهم بنشر دراسات مقارنة بين المذهب الحنفي وبين المذهب الامامي، فضلاً ترجمة العديد من الكتب الامامية مثل كتاب "حياة القلوب للمجلسي"[3].

هذا فضلاً عن كتابات بعض السياسيين والدبلوماسيين أمثال المستشرق "تويال" في كتابه "الشيعة وصورة المستبعدين في العالم" الذي أشار عبره إلى كيفية إفتاء علماء الدين ودور المبشرين الشيعة في تحول إيران إلى المذهب الشيعي [4].

أما أكثر مباحث الفقه الامامي إطناباً في أعمال المستشرقين فهو الزواج ، لاسيما "زواج المتعة أو الزواج المؤقت" فنجد كثيراً من المستشرقين درسوا هذا

١- ينظر : الفكر الشيعي المبكر في تعاليم الإمام محمد الباقر : الرزينة لالاني ، ١٣٥ -١٤٠.
٢- جون بيلي : مستشرق انكليزي ولد عام ١٨٧١م اهتم بدراسة اللغة العربية من أبرز مؤلفاته معاني المفردات العربية اهتم بدراسة الآثار المصرية والقبور الإسلامية . ينظر: المستشرقون : العقيقي ، ٢/ ٤٥٥.
٣- ينظر : https://www.alrasd.net/articles/arabic/ ٤٨٤ . تم الاطلاع عليه بتأريخ ١١/ ١/ ٢٠٢٠.
٤- ينظر : الشيعة في العالم صورة المستبعدين : فرانسوا توبال، ٥٠ – ٥٢.

النوع من الزواج ضمن مصنفاتهم وكان من بينهم المستشرق "وستر مارك"[١] في كتابه "تاريخ الزواج البشري" والذي تطرق فيه إلى الزواج المؤقت عند الامامية ، وكذلك المستشرق "روبرتون سميث"[٢] في كتابه " الزواج عند عرب الجاهلية " الأمير "ليونيل كايتاني في كتابه حوليات الإسلام " هو الآخر تناول مسألة الزواج المنقطع ناهيك عن كتاب "براون"[٣] الذي أسماه "عام بين الفرس"[٤]، ولابد من التذكير بكتاب المستشرق "ريشار " الذي سلط الضوء على هذا النوع من الزواج بطريقة قصصية أكثر من تركيزه على الجانب الفقهي[٥].

بينما نجد أنَّ بعض الباحثين الغربيين نظر إلى الفقه الامامي عبر عادات الأشخاص فاسقط العادات والتقاليد والثقافات الشعبية على الفقه وأعني بذلك المستشرق جولد زيهر في كتابه العقيدة والشريعة، كذلك "المستشرق بولاك" الذي كان طبيباً خاصاً للشاه الإيراني في كتابه" فارس البلاد وأهلها " تناول فيه مسألة نجاسة أهل الكتاب عند الشيعة، مشيراً إلى أنَّ أحد المقربين للشاه كان يغسل عينيه إذا رأى كتابياً[٦].

وفي الختام يتوصل بعض المستشرقين إلى نتيجة منصفة بعض الشيء وهي أنَّ الفقه الامامي ليس مستمداً من فقه أهل السنة، بل له أصوله، وأسسه إذ يقول كولسون :"ومن ثم فأن فقه الاثني عشرية لا يمكن اعتباره مذهباً مستمداً من مذاهب أهل السنة عُدل سطحياً ليتلاءم مع معتقداتهم السياسية، وإنما يبدو

١- وستر مارك مستشرق انكليزي اهتم بدراسة طقوس الزواج في الإسلام له مؤلفات عدة منها : الاحتفال بالزواج في المغرب ، الشعائر والعقيدة في المغرب . ينظر : المستشرقون : العقيقي ، ٢ / ٥٠٨.
٢- روبرتون سميث : مستشرق اسكتلندي ولد عام ١٨٤٦م اهتم بدراسة اللغة العربية جلس على كرسي اللغة العربية من أبرز أثاره محاضرات عن أديان الساميين توفي عام ١٨٩٤م . ينظر : المصدر نفسه ،١/ ٢٨٩ .
٣- براون : مستشرق انكليزي تخصص بالأدب الفارسي ولد عام ١٨٦٢م اشتهرت كتاباته ومن أشهر مؤلفاته عام بين الفرس توفي عام ١٩٢٦م . ينظر : موسوعة المستشرقين : عبد الرحمن بدوي ، ٧٩-٨١ .
٤- ينظر العقيدة والشريعة جولد زيهر ، ٣٩٠.
٥- ينظر : الإسلام الشيعي : ايان رشار ، ٢٣١-٣٤٨.
٦- ينظر : العقيدة والشريعة : جولد زيهر ، ٣٩١.

تعبيراً طبيعياً نتج عن فهم خاص بهم لطبيعة الإسلام وارتبط ارتباطاً بما لا يقبل الانفصام بمذهبهم "[1].

ومن هنا يتضح أنَّ المستشرقين الذين درسوا الفقه الامامي لم يفردوا له مؤلفات مستقلة بل تناولوه ضمنياً في أثناء دراساتهم لبحوث أخرى، لذا جاءت دراساتهم متفاوتة نسبياً، ومن المُسَلّم به أنَّ جُل المستشرقين الباحثين في هذا المجال قد اعتمدوا على كتابات المستشرقين الآخرين، ثم أنَّ غالبية تلك البحوث امتازت بالمقارنة مع المذاهب الاخرى، وبهذا لم تغط دراسات المستشرقين جميع فروع الفقه الامامي .

المبحث الثاني: بحث تفسير آية الوضوء عند الامامية في دراسات المستشرقين

المطلب الأول: مفهوم الوضوء عند الامامية:

أولاً: تعريف الوضوء لغةً واصطلاحاً:

١ـ الوضوء لغةً: جاءت لفظة الوضوء من الأصل وَضَأ ومعناه في اللغة الحُسن والنظافة[2] ، قال ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ) : " وضأ : كلمة واحدة تدل على حسن ونظافة، والوضوء : الماء الذي يتوضأ به، والوضوء فعلك إذا توضأت من الوضاءة وهي الحسن والنظافة كأنَّ الغاسل وجهه وَضّأه أي حَسّنه " [3] وقيل مأخوذٌ من الميضأة أي المطهرة [4]، وبهذا يكون الاستعمال اللغوي للوضوء دالاً على الطهارة والنظافة.

ثانياً : الوضوء اصطلاحاً: هناك تعاريف عدة وردت للوضوء نذكر منها : الوضوء : " تطهير أعضاء مخصوصة بالماء لتنظف ويرفع عنها حكم الحدث لتستباح

١- في تاريخ التشريع الإسلامي : كولسون ، ١٥٦.
٢- ينظر : العين : الفراهيدي ، ٧/ ٧٦ -٧٧. وينظر : لسان العرب : ابن منظور ، ١ / ١٩٤ ـ ١٩٥ .
٣- معجم مقاييس اللغة : بن فارس ، ٦ / ١١٩ .
٤- ينظر : لسان العرب : ابن منظور ، ١ / ١٩٤ .

بها العبادة الممنوعة "[1]، وعُرف في معجم لغة الفقهاء بأنه : " الماء الذي يتوضأ به ، وهو غسل ومسح أعضاء مخصوصة بينها الشارع الحكيم "[2]، وعُرف كذلك بأنه : " غسل الوجه واليدين بالماء ومسح مقدمة الرأس والرجلين مقارنة بين التعبد أو التطهر ، وقد يطلق على الماء الذي يتوضأ به"[3]، من هنا يتضح أنَّ المعنى اللغوي يلتقي مع المعنى الاصطلاحي بأنَّ المراد من الوضوء هو تطهير أعضاء مخصوصة من البدن قبل الصلاة ، أو أي عمل عبادي آخر يحتاج إلى طهارة .

ثانياً: آية الوضوء وتفسيرها عند الامامية:

قال تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ**﴾ [4]، ذهب مفسرو الامامية إلى أنَّ هذه الآية الكريمة دالة على مشروعية الوضوء وكيفيته ، أي على المسح على القدمين ، فضلاً عن دلالتها على تحديد الأعضاء المشمولة بهذا الحكم، واستناداً إلى ذلك يبين الشيخ الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ) الكيفية التي على المكلف تطبيقها في الوضوء وكذلك الحكم المستفاد من هذه الآية هل هو الغسل أو المسح بقوله: " معناه إذا أردتم القيام إلى الصلاة، فعليكم الوضوء،" **فاغسلوا وجوهكم**" هذا أمر منه سبحانه بغسل الوجه والغسل: هو إمرار الماء على المحل، حتى يسيل، والمسح أنَّ يبل المحل بالماء، من غير أنَّ يسيل، واختلف في حد الوجه : فالمروي عن أئمتنا عليهم السلام، أنَّهُ من قصاص شعر الرأس، إلى محادر شعر الذقن ،طولاً ، وما دخل بين الإبهام والوسطى عرضاً،" **وأيديكم إلى المرافق**" أي : واغسلوا ذلك أيضاً، والمرافق : جمع مرفق، وهو المكان الذي يرتفق به أي : يتكأ عليه من اليد ، " **وامسحوا برؤوسكم**" : وهذا أمر بمسح الرأس، والمسح: أن تمسح شيئاً بيديك، ويجب أن

١ – الثمر الداني : صالح عبد الحميد الأزهري ، بلا. ط ، بلا. ت ، المكتبة الثقافية – بيروت– لبنان ، ٢٥ .
٢– معجم لغة الفقهاء : محمد قلعجي، ط٢ ، ١٩٨٨م ، دار النفائس – بيروت– لبنان ، ٥٠٥ .
٣– معجم مصطلحات الفقه وألفاظه : ضرغام الموسوي ، ٧٠٦ .
٤– سورة المائدة : الآية ، ٦ .

يمسح منه ما يقع عليه اسم المسح ، "**وأرجلكم إلى الكعبين**" وقالت الامامية : فرضهما المسح دون غيره "[1]، وهي من الآيات ذات الجنبة الفقهية الدالة على الحكم الشرعي الذي يقضي بمسح القدمين في الوضوء دون غسلهما [2]، وفي ظل تفسير الآية يذهب أرباب التفسير الفقهي من الامامية إلى بيان كيفية الوضوء الواردة في الآية " فاغسلوا وجوهكم "هنا أمرٌ حقيقي بالوجوب ، أي يجب إمرار الماء على الوجه من محادر الشعر حتى قصاص الذقن ولا يشترط الدلك في ذلك، "وأيديكم إلى المرافق " إلى" تستعمل بمعنى "مع" وهنا تقضي الضرورة بدخول المرفق في عملية الغسل حتى وإنْ كان للغاية "**وامسحوا برؤوسكم** " قيل الباء أما للتبعيض أو زائدة ولكن الأصح أنّها للإلصاق أي تضمين الفعل معنى الإلصاق، والتقدير: ألصقوا المسح برؤوسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب وعدمه، بل الحد المقرر للمسح عند الامامية مقدم الرأس، "وأرجلكم" اختلفت القراءات في هذه الكلمة بين النصب ، والجر ، واتفقت الامامية قالوا بالجر وعليه حكمها العطف على الرؤوس أي المسح لدلالة الروايات وإجماع أئمة أهل البيت عليهم السلام [3] مما تقدم من تفسيرات للآية المباركة يتضح أنها تصب في رافد واحد هو مشروعية المسح على القدمين وعدم مشروعية غيره، وقد بيّن العلماء والمفسرون بأن الوضوء واجب لكل صلاة حسب ما ورد في الآية ، ثم بينوا هيئة الوضوء وهو غسل الوجه واليدين ومسح الرأس والقدمين كما تقدم .

١- مجمع البيان : الطبرسي ، ٣/ ٢٨٣ ، ٢٨٤ .
٢- ينظر : تفسير العياشي : العياشي ،١/ ٢٩٨. و ينظر : الميزان : الطباطبائي ، ٥/ ٢٢٠. و ينظر: الأمثل : ناصر مكارم الشيرازي ، ٣/ ٦١٧. و ينظر :زبدة التفاسير : الملا فتح الله الكاشاني، ٢ / ٢٢٣ ـ ٢٢٥ .وينظر : تفسير الكاشف : محمد جواد مغنية ، ط٣ ،١٩٨٠ ،دار العلم للملايين ، بيروت ـ لبنان ، ٣/ ٢٢-٢٣.
٣- ينظر : كنز العرفان في فقه القران : المقداد بن عبد الله السيوري ، تحقيق : سيد محمد القاضي ، ط١، ١٤١٩هـ ، المجمع العالمي لتقريب الاذهان – طهران – ايران ، ٩ –١٥.

المطلب الثاني: دراسات المستشرقين لآية الوضوء عند الامامية:

حرص المستشرقون على دراسة الآيات القرآنية ذات الطابع الفقهي، لاسّيما تلك الآيات التي كانت تحمل في طياتها أحكاماً فقهية متعددة أو كانت أحكامها تحتاج إلى مزيد من التأمل، ومن عادة الدراسات الاستشراقية أن توجه اهتمامها بمثل تلك الاختلافات فلم تفتها هذه الفرصة، فتوجهت لدراسة الآيات الخاصة بالجوانب الفقهية، وفي خضم تلك الآراء تظهر آية الوضوء أنموذجًا من الآيات التي حملت حكمين فقهيين هامين في الشريعة الإسلامية؛ الأول مسح القدمين أو غسلهما في الوضوء، والثاني جواز المسح على الخفين أو عدمه.

أولاً: دراسات المستشرقين لكيفية الوضوء عند الامامية:

درس المستشرقون هذه الآية الكريمة الدالة على الوضوء ضمن إطار الخلاف الفقهي بين مذاهب المسلمين ومغزى الحكم الشرعي المستفاد من هذه الآية، هل هو غسل القدمين في أثناء الوضوء كما نادت به مدرسة الجمهور، أم هو مسح القدمين في أثناء الوضوء كما نادت به مدرسة الامامية؟ ينقل لنا المستشرق " شاخت "هذه الصورة في إطار تناوله لهذه المسألة إذ يقول:" أما فيما يتعلق في المسألة الأولى فإنَّ هناك دليلاً كافياً يوحي بأنَّ المسح كان مسألة خلافية بين العلماء لفترة طويلة قبل أنْ تصبح العوائق المذهبية مؤسسة بشكل ثابت وحازم، ويدور النزاع حول تفسير السطر الأخير من الآية القرآنية المتعلقة بالوضوء (٥:٦) ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ..... وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ**﴾، قرأ أهل الشيعة الكلمة الأخيرة .....على أنّها تعني القدمين بصورة المصدر المحدد بحرف الجر(ب) أما أهل السنة فقد اعتبروا من جهة أخرى أرجلكم مفعولاً به مباشراً لفعل اغسلوا وقرأوها أرجلكم بفتح اللام ولذلك

تمسك أهل الشيعة بالمسح على القدمين بينما أصر آل السنة على غسلها "[1]، بينما درسها المستشرق "جولد زيهر "ضمن نطاق التغيير في الحركات القرآنية إذ يقول :" وبهذا ندخل دائرة اختلاف الحركات في المحصول الواحد للحروف الصامتة حيث ينشأ من ذلك اختلاف نحوي فحسب .....بيد أنَّ هذا الاختلاف في الحركات قد يدعو إلى تغييرات أبعد مدى من حيث المعنى..... وفي اختلاف الحركات الذي يتوقف عليه في نفس الوقت تركيب الجملة تنعكس أحياناً أيضاً صورة من الاختلاف الفقهي"[2]، وعليه فإن المستشرق يؤكد أنَّ الاختلاف في الحركات ينشأ من تعدد القراءات ، وهو يشير إلى أنَّ اختلاف الحركات يلعب دوراً كبيراً في تغيير الإعراب والمعنى والذي يضرب بعمق في أحكام الفقه متخذاً من آية الوضوء مثالاً بقوله : " وتقدم المثال الأصيل لذلك آية ٦ من سورة المائدة ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ**﴾"[3]، على أنّ هذه الآية هي أحد النماذج التي حصل فيها اختلاف القراءات والذي تبعهُ تنوعٌ في الحُكم الفقهي، ثم يواصل حديثه عن كيفية اختلاف المسلمين في القراءة بالنصب أو الجر فكلمة " أرجلكم "منهم من عطفها على الأيدي فقرأها بالنصب ومنهم من عطفها على الرؤوس فقرأها بالخفض وكانت هذه القراءة سبب الاختلاف الفقهي[4]، ثم أنَّ المستشرق يرفض عطفها على الرؤوس أي التفسير الذي ذهب إليه الامامية بقوله : " فالرخصة المرفوضة التي قال بها الشيعة، من الاكتفاء عند الوضوء بمسح ما يغطي الرجلين بدلاً من غسلهما مبنية على عطف ((وأرجلكم))على ((رؤوسكم))

١- نقلاً عن : الفكر الشيعي المبكر : الرزينة لالاني ، ١٦٧.
٢- مذاهب التفسير الإسلامي : جولد زيهر ، ١٣ -١٤ .
٣- المصدر نفسه ، ١٤.
٤- ينظر : المصدر نفسه ، ١٤-١٥.

المجرورة بالباء "[1]، بينما يؤيد من ذهب إلى عطفها على الأيدي بقوله : " في حين أنَّ وجوب غسل الرجلين مبني على عطفه منصوباً على وجوهكم "[2]، ومن الجدير بالذكر أنَّ هذه الآية قد نالت نصيباً واسعاً من البحث الفقهي عند الفريقين فقد حشد كل منهم أدلة تؤيد ما ذهب إليه وتفند ما ذهب إليه غيره، فالمستشرق هنا لم يأت بجديد وإنَّما سلط الضوء على حالة الاختلاف المذكور في الآية وهذا ما يقتضي دراستها، وإنَّ المتمعن في الآراء الفقهية التي نتجت عن تعدد قراءات الآية الكريمة يجدها أربعة أراء: الرأي الأول : كان للإمامية إذ قرأت الآية بالخفض وكانت النتيجة حكماً فقهياً بمسح الرجلين[3]، والرأي الثاني: رأي عامة الجمهور حيث قرأوا الآية بالنصب وكانت النتيجة حكماً فقهياً بغسل الرجلين [4]، والرأي الثالث: نجد أنَّ بعض الجمهور قالوا بالمسح دون الغسل كابن عباس وأنس وعامر الشعبي؛ لأنهم قرؤوا بالخفض أيضاً فأقروا " الوضوء ممسوحان ومغسولان"[5]، أما الرأي الرابع :نجد أنَّ فقهاء من الجمهور أجاز الجمع بين الغسل والمسح كالحسن البصري والأعمش وابن جرير الطبري [6]، وبما أنَّ المستشرق أشار إلى أنَّ الاختلاف الفقهي

١- مصدر ساب.
٢- المصدر نفسه ، ١٥ .
٣- ينظر : الانتصار : علي بن الحسين بن موسى (الشريف المرتضى)، تحقيق : مؤسسة النشر الإسلامي ، بلا. ط ، ١٤١٥هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم ـ إيران ، ١٠٥ . و ينظر : الخلاف : ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، تحقيق : جماعة من المحققين ، بلا. ط ، ١٤٠٧هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم ـإيران ، ١ / ٨٩ . و ينظر : السرائر : ابن إدريس الحلي ، تحقيق : لجنة التحقيق ، ط٢ ، ١٤١٠هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم ـ إيران ، ١ / ٩٩ .
٤- ينظر : المدونة : مالك بن انس بن عامر الأصبحي ، ط١ ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٤م، دار المعرفة ـ بيروت - لبنان ، ١/ ١١٣ .و ينظر : الأم : محمد بن إدريس الشافعي ، بلا . ط ، ١٩٩٠م، دار المعرفة ـ بيروت - لبنان ،١/ ٤٨ . وينظر : المبسوط : محمد بن احمد بن أبي سهل السرخسي ، بلا. ط ، ١٩٩٣م ، دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ،١/ ٨. وينظر : المغني لابن قدامة : موفق الدين أبو محمد عبد الله بن احمد بن قدامة المقدسي ، بلا. ط ، ١٩٦٨م ، مكتبة القاهرة ـ مصر ، ١/ ٩٨.
٥- ينظر : تفسير الطبري : الطبري ، ٨/ ١٩٥. وينظر : المغني : لابن قدامة ، ١/ ٩٩.وينظر : الجامع لأحكام القرآن : محمد بن أحمد القرطبي ،تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م ، دار الكتب المصرية - القاهرة ، ٦/ ٩١.
٦- ينظر : مفاتيح الغيب : الفخر الرازي ، ١١/ ٣٠٥. و ينظر : الكشاف : الزمخشري ، ،١/ ٦١١. وينظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن : الحسين بن مسعود بن محمد البغوي ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت - لبنان ، ٢/ ٢٣.

المذكور قد نشأ بسبب تعدد القراءات والذي يؤدي الى الإعراب وبناء الجملة، فلا مناص من الرجوع إلى القراءات القرآنية لالتماس رأي القراء وحكمهم فيها، ولا مناص أيضاً من الرجوع إلى قواعد النحو العربي لالتماس رأي النحويين وحكمهم فيها ، وكلاهما ينبغي توافرهما فيمن يفسر النص القرآني وبالرجوع إلى القراء نجد أربعة من أصحاب القراءات المشهورة يقرأونها بالخفض " وهم ابن كثير ، وأبو عمرو بن العلاء ، وحمزة بن حبيب الزيات وعاصم[1]، وبهذا يكون حكمها في القراءة الجر، وفي الاعراب العطف على الرؤوس، وفي الفقه المسح دون الغسل، أما بالنسبة لقواعد النحو العربي فيتضح أنَّ هناك حالتين ، الأولى: القراءة بالنصب وهذا يعني عطف الأرجل على الأيدي أي على البعيد، ويترتب على ذلك العطف أنَّ تأخذ الحكم الشرعي للمعطوف عليه أي الغسل، والحقيقة أنَّ هذا الرأي من غرائب النحو العربي؛ لأن وجود جملة بين المعطوف والمعطوف عليه تمنع ذلك ، إذ أنَّ العطف على القريب يمنع العطف على البعيد ، والعطف على البعيد يوجب إخلالاً في فصاحة الكلام وإبهاماً في معناه ، أضف إلى ذلك أنَّ العطف على البعيد يمكن جوازه في حالة وجود حرف العطف " الواو" أما في حالة عدم وجوده فلم يرد في كلام العرب[2]، وعلل بعض المؤيدين للقراءة الأولى أنَّ الأرجل تبقى معطوفة على الأيدي و تأخذ حكمها حتى وإن قُرئت بالخفض ؛ لأنَّ الجر هنا من باب الجوار[3]، ويرد على من ذهب إلى ذلك أنَّ الجوار لا يمكن

١- ينظر : إعراب القرآن : أبو جعفر احمد بن محمد بن إسماعيل النحاس ، وضع حواشيه وعلق عليه : عبد المنعم خليل إبراهيم ، ط١ ، ١٤٢١ هـ ، دار الكتب العلمية- بيروت - لبنان ، ١/ ٢٥٩.وينظر : التيسير في القراءات السبع :عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني ، تحقيق : اوتوتريزل ، ط٢ ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ، دار الكتاب العربي - بيروت،١/ ٩٨. وينظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري : أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى ، بلا. ط ، بلا. ت ، دار إحياء التراث العربي- بيروت - لبنان ، ٢/ ٢٢٩. وينظر : الجامع لأحكام القرآن : القرطبي ، ٦/ ٩١، وينظر : المسح على الأرجل أو غسلها في الوضوء : السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي : بلا . ط ، بلا . ت ، منشورات مرتضى الرضوي الكشميري- النجف الأشرف- العراق ، ٢٧.

٢- ينظر : مفاتيح الغيب : الفخر الرازي ، ١١/ ٣٠٥.

٣- ينظر : إعراب القرآن : النحاس ، ١/ ٢٥٩. وينظر : معالم التنزيل : البغوي ، ٢/ ٢٣.

وقوعه في القرآن ؛ لأنَّه نوعٌ من اللحن وهذا مما لا يقبل في كتاب الله بل يجب تنزيه القرآن عن ذلك ، وأنَّ العرب تلجأ إلى الجوار عندما تأمن الالتباس وهذا غير حاصل هنا [1].

والثانية: القراءة بالجر أو الخفض ، وهذا يعني عطف الأرجل على الرؤوس، أي على القريب ، ويترتب على ذلك أنَّ تأخذ الحكم الشرعي للمعطوف عليه؛ لأن أهل اللغة متفقون على أنَّ المعطوف يأخذ حكم المعطوف عليه ومن ثم تكون مجرورة فيكون حكمها المسح ، ولا يمكن أنَّ تعطف على البعيد " الأيدي"؛ لأنَّ وجود الجملة القريبة يمنع العطف على الجملة الأبعد وخلاف ذلك يُعد من الغريب [2]، أضف إلى ذلك أنَّ بعض العلماء ذهب إلى أنّها وإنْ كانت منصوبة لكنها تبقى مجرورة بحكم عطفها على محل جملة "برؤوسكم" أي عطفها على الجار والمجرور؛ لجملة " فاغسلوا "[4]، وبناءً على ذلك يتضح بطلان ما ذهب إليه المستشرق "جولد زيهر" من تأييده لمن قرأ بالنصب ورفضه لمن قرأ بالخفض؛ لأنّهُ لم يقدم أي دليل يعضد رأيه بل بنى ذلك على أهواء شخصية ورأيٍ مسبق، وفي النقيض من ذلك يميل الباحث إلى رجحان كفة من قرأ بالخفض لتوافر الأدلة على رجحانه منها : أنَّ كتاب الله مُقدم على كل الأدلة وهذا مما لا جدل فيه وكل دليل يتعارض مع كتاب الله يفقد اعتباره، وكتاب الله نطق بالمسح فيكون هو الحكم وغيره لا قيمة له ، ولا يخفى على أحد ما للروايات المأثورة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام من دور بارز إلى جانب القرآن الكريم في بيان التفسير الصحيح للآية الكريمة وما هو المراد منها عند الوضوء ومن هذه الروايات:رواية أحمد بن

١- ينظر : مفاتيح الغيب : الفخر الرازي ، ١١/ ٣٠٥.
٢- ينظر : مجمع البيان : الطبرسي ، ٣/ ٢٨٥ .
٤- ينظر : مفاتيح الغيب : الفخر الرازي ،١١/ ٣٠٥. وينظر : إعراب القرآن الكريم : محمد الكرباسي ، ٢/ ٢٣٥.

محمد، عن علي بن الحكم، عن داوود بن النعمان[1] ، عن بكير بن أعين[2]، عن أبي جعفر عليه السلام قال: "ألا أحكي لكم وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله؟ ، فأخذ بكفه اليمنى كفاً من ماء فغسل به وجهه ثم أخذ بيده اليسرى كفاً من ماء فغسل به يده اليمنى، ثم أخذ بيده اليمنى كفاً من ماء فغسل به يده اليسرى، ثم مسح بفضل يديه رأسه ورجليه"[3] ، وكذلك رواية داود بن فرقد[4] قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : " إنَّ أبي كان يقول : إنَّ للوضوء حداً، من تعداه لم يؤجر، وكان أبي يقول : إنَّما يتلدد، فقال له رجل وما حده؟ قال : تغسل وجهك ويدك، وتمسح رأسك ورجليك " [5]، وغيرها الكثير من الروايات التي تبين وتؤكد كيفية الوضوء ، بالإضافة إلى قول الصحابة كابن عباس "أبى الناس إلا الغسل ولا أجد في كتاب الله إلا المسح " [6] وقول الشعبي ومالك " نزل القرآن بالمسح والغسل سنة "[7]،ثم أنَّ الصحابة أجازوا المسح على الخفين والعمامة بالنسبة للرأس ولم يجيزوا المسح على القدم وشتان بين أنَّ تمسح على قطعة جلد أو قماش وبين أنَّ تمسح على العضو المخصص من بدن الإنسان ، وأنَّ قواعد النحو العربي كلها تصرح بعدم جواز العطف على البعيد مع وجود القريب ومع وجود حرف العطف الواو وإنْ حدث فهو غريب عن كلام العرب، أضف إلى ذلك أصحاب القراءات المشهورة أربعة منهم قرأ بالخفض وهذا دليل على مشروعية القراءة بالخفض، وأنَّ رأي الامامية كان الخفض ولم تقل بغيره بينما آراء الجمهور كانت متعددة فمنهم من وافق الإمامية ومنهم من أجاز كلا الحكمين .

١- " داوود بن النعمان : ثقة " . رجال النجاشي : النجاشي ، ١٥٩ .
٢- " بكير بن أعين : ثقة " . اختيار معرفة الرجال : الطوسي ، ٢ / ٤١٩ .
٣- الكافي : الكليني ، ٣ / ٢٤ .
٤- " داوود بن فرقد : ثقة " . معالم العلماء : محمد بن علي بن شهر أشوب المازندراني ، مراجعة وتحقيق :السيد محمد صادق آل بحر العلوم، بلا.ط ، بلا.ت ، دار الأضواء - بيروت - لبنان، ٨٥ .
٥- وسائل الشيعة : الحر العاملي ، ١ / ٣٨٧ .
٦- ينظر : الدر المنثور في التفسير بالمأثور : جلال الدين السيوطي ، دار الفكر - بيروت - لبنان ،٣/ ٢٨.
٧- ينظر : الكشاف : الزمخشري ، ١/ ٦١١.وينظر : تفسير البغوي : البغوي ، ٢/ ٢٣.

ثانياً: المسح على الخُفّين في دراسات المستشرقين:

امتدت الخلافات الفقهية في مسألة مسح القدمين أو غسلهما لتلقي بظلالها على حكم المسح على الخفين،فهو الآخر وقع الخلاف فيه بين الجواز والعدم ، ولاشك أنَّ هذه الأحكام حظيت باهتمام المستشرقين لاسّيما الدارسين لأحكام الفقه عند الامامية، فشرعوا لدراستها، ومن بين الدراسات التي تستحق التأمل دراسة المستشرقة "لالاني" التي ترى أنَّ الشيعة اعتادوا ممارسة هذا الحكم الفقهي قبل زمن الامام الباقر(عليه السلام) حتى منعهم من ذلك ، إذ تقول :" يوحي حديث منقول عن أبي إسحاق السبيعي (ت١٢٨هـ - ١٢٩هـ) في كتب شيعية أنَّ الناس اعتادوا - أي المسح على الخفين - حتى منعهم الباقر[(عليه السلام)] من ذلك ، المسح على جوربهم / أحذيتهم في الوضوء (المسح على الخفين) بدلاً من غسل أقدامهم في ظل ظروف معينة "[1]، يوحي كلام المستشرقة بممارسة هذا النوع من الأحكام قبل زمن الامام الباقر (عليه السلام) وتشير بدورها لتعزيز رأيها إلى جملة من المصادر منها كتب أهل السنة أو كتب الشيعية التي ترجمها المستشرقون، ولم تعتمد على أمهات الكتب الامامية، لقد أطبقت المستشرقة "لالاني" في بحثها حول مسألة المسح على الخفين على نتيجة واحدة هي أنَّ الحكم الشرعي بالمسح على الخفين لم يتم تحريمه إلا في زمن الباقر(عليه السلام) إذ تقول :"ومع ذلك ، فما وصلنا من أحاديث الباقر(عليه السلام) في مصادر الفرق الشيعية الثلاث، الزيدية والإسماعيلية و الاثني عشرية، يشير إلى أنَّ التحريم الشيعي للمسح على الخفين يعود إلى زمن الباقر(عليه السلام) "[2]، وتستشهد برأي المستشرق "شاخت " إذ تقول :" فقد جزم شاخت أنَّ تحريم ممارسة المسح على الخفين أو الجوربين من أجل تجديد الوضوء من قبل أهل الشيعة كان أمراً متأخراً؛

١ - الفكر الشيعي المبكر : لالاني ، ١٦٦-١٦٧.
٢ - المصدر نفسه ، ١٦٧.

لأننا لم نجد له ذكراً في عقيدة أهل السنة قبل القرن الثاني الهجري "[1]، فلم تقدم المستشرقة دليلاً يثبت كلامها غير كلام المستشرق شاخت وهو أيضاً يحتاج إلى إثبات، وبناءً على ادعائها فإن الامامية كانت تستعمل المسح على الخفين في زمن الأئمة السابقين أي قبل زمن الباقر ﷺ، بينما نجد أنَّ علماء الامامية يجزمون بعدم استعمال هذا المبدأ في زمن أي من الأئمة ، إذ ينقل السيد شرف الدين الموسوي الإجماع على عدم استعمال هذا المبدأ في زمن أي من الأئمة إذ يقول : "إجماع أئمة العترة الطاهرة (علي وبنيه الأوصياء) على القول بعدم جواز المسح على كل حائل سواء في ذلك الخف والجورب والحذاء وغيرها من سائر الأجناس والأنواع وأخبارهم صريحة بالمعارضة لأخبار الجمهور"[2]، وعدم قول الأئمة به يعني عدم عمل أتباعهم ذلك وهذا يدحض زعم المستشرقة فضلاً عن كون هذا الإجماع المشار إليه ليس إجماعاً للعلماء بل إجماعاً للائمة، بينما يرى "شاخت "أنَّ مسألة المسح على الخفين لم تصبح مسألة خلافية بين من رفض هذا الحكم أي الامامية الذين لم يعملوا به وبين جمهور العامة الذين اعتمدوه قاعدة مسلماً بها ، إلا في وقت متأخر[3]، وهو بهذا يؤيد المستشرقة "لالاني" في رأيها ، ثم يذهب إلى مناقشة الحديث الوارد عند الجمهور عن مسألة المسح على الخفين، متهماً الرواة بالتغيير في سنده قائلاً:" كانت الأسانيد كثيراً ما تلصق بصفة اعتباطية..... ومن الأمثلة المهمة على ذلك ـ أي المسح على الخفين ـ الحديث الوحيد الذي يعرفه مالك عن النبي في المسح على الخفين وهو بإسناد ذي أخطاء ، حتى أنَّ الزرقاني يتهم مالكاً بارتكابه خطأين ويتهم يحيى بن يحيى بخطأ آخر، ولكن هذا الشكل الصحيح الأصيل للإسناد أما التطور الذي حصل وغُير الجزء العلوي حتى

١- أصول الفقه : جوزف شاخت ، ترجمة : دائرة المعارف الإسلامية ، بلا.ط ، ١٩٨١م ، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ لبنان ، ٢٦٣ -٢٦٤.
٢- مسائل فقهية : عبد الحسين شرف الدين الموسوي ، بلا .ط ،١٣٧٠هـ، ١٩٥١م، مطبعة العرفان ـ صيدا - لبنان ، ٥١.
٣- ينظر : أصول الفقه : جوزف شاخت ، ٢٦٣.

أنه لا يمكن التعرف اليه ، فقد حدث مؤخراً "[1]، والمستشرق يؤكد أنَّ هناك تغييرًا في الأسانيد التي تتناول مثل هذه الأحاديث، إنَّ المتأمل في طرح المستشرق شاخت يجد أنَّ هناك تناقضاً واضحاً في كيفية عرضه للحكم الشرعي فبينا يؤكد أنّهُ لم يكن متعارفاً عند السنة في القرن الثاني الهجري ،نجده مرة أخرى يشير إلى الخلاف بين المذاهب الاسلامية أكثر من كونه خلافاً بين الامامية وأهل السنة ، ثم يناقش الحديث الوارد عن مالك وبهذا يثبت الحكم عند الجمهور على أنَّهُ كان متعارفاً، لاسّيما أنَّ مالكًا من رجال القرن الثاني وهذا ما يُعد خللاً واضحاً في المنهج، وهنا لابد من الاشارة أيضاً إلى أنَّ المسح على الخفين مرتبط بالوضوء وما رافقه من خلاف فقهي بالمسح على القدمين أو غسلهما ، وبما أنَّ مسألة الاختلاف في الوضوء ترجع إلى الصدر الأول للاسلام فنجد أنَّ المسح على الخفين يرجع إلى التوقيت نفسه وهذا يدل على أنّهُ متقدم زمناً على التحريم المزعوم من قبل الامام الباقر عليه السلام وليس كما ترى المستشرقة، وبناءً على ذلك يتضح أنّ الحكم الشرعي الصحيح هو عدم جواز المسح على الخفين ، وبطلان رأي من ذهب إلى غير ذلك، أما دعوة أنّ هذا الحكم كان موجوداً عند الامامية وقد منع في وقت متأخر فهي غير دقيقة وتفتقر للأدلة ثم إنّها لم تؤخذ من مصادر الامامية المعتمدة وما ذكر من مصادر فهي غير ناهضة فضلاً عن دعوى الإجماع الحاصل على عدم استعماله من الامامية، وبهذا يتضح أن ما ذهب إليه المستشرقون مجرد أقوال .

المبحث الثالث: تفسير آية الخُمس عند الامامية في دراسات المستشرقين

يُمثل الخُمس أحد الركائز الأساس في النظام الاقتصادي في الإسلام، وهو أحد فروع الدين العشرة المفروضة على المكلفين، ويمثل الخُمس أحد الانفرادات التي تميزت الامامية بها عن غيرهم، لاسّيما في مجال البحث الفقهي، بيد أنَّ

١ – نقلاً عن : افتراءات المستشرقين على الإسلام والرد عليها : يحيى مراد ، دار الكتب العلمية ـ بيروت – لبنان ، ٢٧٠.

المستشرقين لم يغفلوا عن هذا الجانب فوجهوا دراستهم نحو تفسير الآية الكريمة التي أشارت إلى هذه الفريضة، مشككين في جوانب تطبيق هذه الفريضة وكيفية الموازنة بينها وبين الزكاة وكيفية توزيعها على المستحقين، ولكي يصل البحث إلى حقيقة تلك الادعاءات أو زيفها لابد من بيان ماهية الخُمس ومفهومه عند الامامية ثم دراسة تلك الآراء.

المطلب الأول : مفهوم الخُمس عند الامامية:

أولاً : تعريف الخُمس لغةً واصطلاحاً:

١ـ الخمس لغةً: للخمس في اللغة معان متعددة جلها يشير إلى أنّهُ يتعلق بالعدد منها " الخُمس مؤنثه خمسة هو أخذك واحد من خمسة، ومنه يقال خَمستَ القوم أخذت خُمس أموالهم وخمستهم أي صرت خامسهم، وخمست الإبل شربت في اليوم الرابع "[١]، ويقال إنَّ أصل الخُمس في العدد وهي تدل على ما يستحقه بنو هاشم[٢].

٢ـ الخُمس اصطلاحاً: هناك تعاريف عدة للخمس نذكر منها : عرفه الشهيد الأول (ت: ٧٨٦هـ) "وهو حقّ يثبت في الغنائم لبني هاشم بالأصالة عوضاً من الزكاة"[٣] ، وعُرف كذلك بأنه : " من الواجبات الضرورية عند كل من انتحل الإسلام "[٤]، أو هو " حق ماليّ يناله بنو هاشم بالأصالة عوض الزكاة فالحق جنس، وقيد المالية يخرج الحقوق غير المالية كحق الولاية ونحوها، وبالثبوت لبني هاشم تخرج الزكاة، وبقيد الأصالة تخرج النذور ونحوها وبقيد العوضية تخرج الزكاة التي تصل إلى بني هاشم من أمثالهم"[٥].

١ – العين : الفراهيدي ، ٤/ ٢٠٥. وينظر : معجم مقاييس اللغة : ابن فارس، ٢/ ٢١٧. وينظر : لسان العرب : ابن منظور ، ٦ / ٦٦ .

٢– ينظر : مجمع البحرين : الطريحي، ٤ / ٦٦.

٣– الدروس الشرعية في فقه الإمامية : محمد بن جمال الدين (الشهيد الأول)، تحقيق : مؤسسة النشر الإسلامي ، ط٢ ، ١٤١٧هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم ـ إيران ، ١/ ٢٥٨.

٤– كتاب الخمس : عبد الله الجوادي الاملي ، المحقق : حسين الآزادى ، بلا . ط ١٤٢٢ ق . ١٣٨٠ ش، دار الإسراء ـ قم – إيران ،٤.

٥– محاضرات في فقه الإمامية (الخمس) : محمد هادي الميلاني، جمعها وعلق عليها : فاضل الحسيني الميلاني، بلا .ط ، بلا. ت ، منشورات دانشكاه ـ مشهد ـ إيران ، ٤/ ٧.

من التعريفات السابقة يتضح أنَّ الخُمس حق مالي لبني هاشم على وجه الخصوص وهو صفة تكريمية للنبي ﷺ والذي يبدو أقرب للدقة هو التعريف الثالث؛ لأنّهُ كان جامعاً لمفردات التعريف مانعاً من دخول بعض الفرائض المالية كالزكاة، فهو فريضة واجبة وحق إلهي في أموال المكلفين لرسول الله ﷺ وذويه ممن يتصلون به نسباً، فذوي القربى لا تحل الزكاة لهم ؛ لأنّها صدقة فشُرع الخُمس عوضاً لهم ، ويُعد أحد ضرورات الدين، والإجماع حاصل على وجوبه عند العلماء[1]، بل شددوا على من تجاوز على ذلك الحق فعُدَّ مغتصباً " من اغتصب درهما كان ممن ظلم حق آل محمد" [2]، والمسلمون مُطبقون على مشروعية الخمس بالكلية [3]ولكنهم اختلفوا في كيفية استخراجه، فقال الجمهور: بوجوبه في الغنائم الحربية والكنوز بينما ذهبت الامامية إلى وجوبه على كل ما يكسبه المرء من الصناعة والزراعة والتجارة، أما فيما يتعلق بكيفية توزيع الخُمس عند الامامية فهو يُقسم إلى ستة أسهم: الثلاثة الأولى منها سهم لله، وسهم للرسول، وسهم لذوي القربى، على أنَّ هذه الأسهم تكون بيد الامام، والثلاثة الأخرى سهم للأيتام، وسهم للمساكين، وسهم لأبناء السبيل، على أنَّ تكون هذه الفئات ممن يرتبطون مع الرسول برابطة النسب [4]، والى هذا التقسيم أشار الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠هـ) : "وأما خُمس الغنيمة، فإنه يُقسم عندنا ستة أقسام : فسهم الله، وسهم لرسوله للنبي، وهذان السهمان مع سهم ذي القربى، للقائم مقام النبي ﷺ ينفقها على نفسه وأهل بيته من بني هاشم، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لأبناء السبيل من أهل بيت الرسول لا يشركهم فيها باقي الناس؛ لأن الله تعالى عوضهم ذلك عما أباح لفقراء

١- المصدر السابق ،٧

٢- ينظر : تفصيل الشريعة في شرح تحرير الوسيلة : الشيخ فاضل اللنكراني ، تحقيق : مركز فقه الأئمة الأطهار ، ط١ ، ١٤٢٣هـ ، مطبعة اعتماد الناشر مركز فقه الأئمة الأطهار، قم - إيران ، ١٠.

٣- ينظر : المبسوط : السرخسي ، ٢/ ٢١١. و ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع : علاء الدين أبو بكر مسعود بن احمد الكاساني ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ٢/ ٦٥. وينظر: المحلى بالآثار : أبو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ، بلا. ط ، بلا . ت، دار الفكر- بيروت - لبنان ، ٤/ ٢٣٧.

٤- ينظر : شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام : جعفر بن الحسن بن يحيى(المحقق الحلي)، تحقيق وتعليق : صادق الشيرازي ، ط٢، ١٤٠٩ هـ ، مطبعة أمير - طهران - إيران ، ١٣٣ -١٣٨.

المسلمين ومساكينهم وأبناء سبيلهم من الصدقات إذا كانت الصدقات محرمة على أهل بيت الرسول ﷺ"[1]، وبهذا يتضح مفهوم هذه الفريضة عند الامامية وهي عندهم من الضرورات الأساسية للدين، وقد فصلوا القول فيها وشرطوا لها شروطاً وعينوا الموارد التي تجب فيها، وفصلوا القول في كيفية توزيعها.

ثانياً: آية الخُمس وتفسيرها عند الامامية:

قال تعالى: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[2]، وفي بيان دلالة الآية ذهب جُل مفسري الامامية إلى أنَّ هذه الآية دالة على مشروعية الخُمس بل هي دالة على الأصناف التي يُصرف لها الخمس أيضاً، أي المستحقون، فضلاً عن دلالتها على الصفة التكريمية الواضحة لذرية النبي ﷺ بتخصيصهم بهذه الفريضة دون غيرهم، لاسّيما المحتاجين منهم[3]، وبهذا الشأن قال الشيخ الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ): "افتتح الكلام بالله على جهة التيمن والتبرك؛ لأنَّ الأشياء كلها له، عز وجل، والمراد به مصروف إلى الجهات المقربة إلى الله تعالى، وللرسول، قالوا: كان للنبي ﷺ سهم من خمسة أسهم، يصرفه في مؤونته، وما فضل من ذلك يصرفه إلى السلاح والمصالح.." [4] بينما هناك من شرع إلى بيان تقسيمات الخُمس في ظل تفسيره لهذه الآية واضعاً الأسس التي يتم تقسيم الخُمس فيها فضلاً عن ذكر الموارد التي يجب فيها الخُمس كالمعادن والكنوز وغيرها[5]، بينما نجد أنَّ بعض

١- التبيان: الطوسي، ٥ / ١٢٣

٢- سورة الأنفال: الآية، ٤١.

٣- ينظر: التبيان: الطوسي، ٥ / ١٢٣. وينظر: الأمثل: ناصر مكارم الشيرازي، ٥/ ٤٣٢-٤٤٤. وينظر تفسير النور: محسن قراءتي، ٣/ ٣٠٥.

٤- مجمع البيان: الطبرسي، ٤ / ٤٦٩.

٥- ينظر التبيان: الطوسي، ٥ / ١٢٣. وينظر: كنز العرفان: المقداد السيوري، ١ / ٢٥٠ وينظر: الأمثل: ناصر مكارم الشيرازي، ٥/ ٤٣٤.

المفسرين جعل من فريضة الخُمس الركيزة الأساس في الاقتصاد الاسلامي الذي يتقوم به كيان الدولة الاسلامية المالي: " ومن دون وجود كيان مالي للمجتمع الاسلامي يفقد المجتمع توازنه وقدرته على الاستقامة والتصدي للأعداء، والخُمس واحد من المصادر المالية، وهكذا فالمجتمع المسلم يمتلك كياناً مستقلاً قائماً بذاته أقوى من الدولة ، حتى وإنْ كانت إسلامية، هذا الكيان المستقل يعتمد على الشعائر الدينية ...، ويعتمد على الخُمس والزكاة والصدقات في الجانب الاقتصادي ، وبالرغم من أنَّ الخُمس يدفع للامام الذي ينوب الرسول ﷺ في قيادة الأمة ، ولكن لا يعني ذلك أبداً أنّه يدفع للدولة إلا إذا كان رئيس الدولة هو الإمام ذاته أو نائبه ، وهناك من يدفع إليه بدافع الإيمان به، وإنّه يُمثل الكيان الاجتماعي لا بصفته رئيس دولة، وإنَّما يدفع الخُمس من يشعر بإيمان واقعي بضرورته ووجوبه "[1]، من هنا يتضح أنَّ مفسري الامامية قد اتفقت كلمتهم على أنّ هذه الآية دالة على مشروعية فريضة الخُمس وكيفية تقسيمه ومن هم المستحقون لهُ ، ومدى أهميته وتأثيره في المجتمع الاسلامي .

المطلب الثاني: دراسات المستشرقين لآية الخُمس عند الامامية:

تناول الخُمس عدد من المستشرقين في دراساتهم [2] وهي في هذا الجانب متسمة بالتناقض فبينما يقره بعض المستشرقين على أنّه ذو أصل قرآني يراه الآخر من صنع النبي ﷺ نفسه ، إذ يقول "جرجس سال"[3] : " تنازع أصحاب محمد ﷺ على قسمة الغنائم في الحرب، اضطر محمد ﷺ أنَّ يضع حكماً يرجع إليه فزعم أنَّ الله

١- من هدى القرآن: السيد محمد تقي المدرسي، ط٢ ، ٢٠٠٨م ، دار القارئ - بيروت - لبنان ، ٣ / ١٩٧ .
٢- ينظر: مقالة في الإسلام: جرجس سال، ٢٧٨. وينظر: الشيعة: هاينز هالم ، ٨٧. وينظر: أبحاث في السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات المهدية في ظل خلافة بني أمية: فان فلوتن ، ٢٧.
٣- جرجس سال: مستشرق انكليزي ولد عام ١٦٩٧م في مدينة كانتري وعمل محامياً اشتهر بترجمته للقرآن الكريم توفي عام ١٧٣٦م . ينظر: مقالة في الإسلام : جرجس سال، تعريب: هاشم العربي، ط٣ ، ١٩١٣، مطبعة بولاق - مصر ، ٢٠٣.

أمره أنَّ يُقسم الأنفال في جنده كما يشاء بعد أنَّ يستثني خمسها "[1]، والحق أنَّ هذا الرأي يخلو من الدقة ويتجرد عن الموضوعية؛ لأنَّ قائله تجاهل الآيات الدالة على مشروعية الخمس[2]، فضلاً عن الآية الدالة على أنَّ النبي صلى الله عليه وآله لا ينطق بشي من الأحكام إلا بوحي من الله تعالى [3] وتغافل عن الأحاديث التي تعزز الخمس[4]، وتجاهل أيضاً السيرة التي تدل على مصداقية الرسول وكيف كان المشركون يصفونه قبل البعثة، أضف إلى ذلك تعاميه عن أنَّ الخُمس معترف به عند كل المسلمين ، وفي الحقيقة أنَّ المستشرق قد وضع نفسه في مأزق أمام كثرة الأدلة التي تُفند ادعاءه، بينما نجد من يعترف بالتأصيل القرآني لهذه الفريضة تكون دراسته أقل وطأة من غيره ولعل أبرز من توجه إلى دراسة الخُمس المستشرق "هاينز هالم" يقول :" إلى جانب الزكاة يذكر القرآن ضريبة أخرى تُسمى الخُمس فقد جاء في سورة الأنفال الآية ٤١ ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ** ...﴾[5]، يرى المستشرق أنَّ القرآن الكريم قرر ضريبة أخرى إضافة إلى الزكاة، وبهذا ينظر إلى الخُمس نظرة مادية بحتة ، فلم ينظر إليه على أنّهُ فريضة بل ضريبة، ثم يشير إلى أنَّ كلمة الغنيمة لها معنيان مختلفان الأول " كسب " أي ربح ، والثاني " غنم " بمعنى أخذ وعلى هذا التفسير حصل الاختلاف بين السنة والشيعة فالأول جعلها ضريبة على الغنائم الحربية بينما الآخر جعلها عامة ، ويفهم

١- مقالة في الإسلام: جرجس سال ، ٢٨٧.
٢- قوله تعالى: "وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ..."سورة الأنفال، الآية : ٤١.
٣- قوله تعالى "وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى " سورة النجم ، الآيتان : ٣ـ ٤ .
٤- ومنها : محمد بن يحيى ،عن محمدَ بن الحَسين، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن أبي الحسن عليه السلام قال " عما يخرج من البحر من اللؤلؤ والياقوت والزبرجد، وعن معادن الذهب والفضة هل فيها زكاة؟ فقال : إذا بلغ قيمته ديناراً ففيه الخمس " . الكافي : الكليني ، ١ / ٧٤٥ .
٥- الشيعة في العالم: هاينز هالم، ٨٧.

كلامه من أنَّ الشيعة تدفع ضريبة للدخل تبلغ ٢٠ بالمئة بخلاف غيرهم[١]، يبدو أنَّ المستشرق من خلال هذا الطرح يحاول أنَّ يُسلط الأضواء على مسألة مهمة وهي أنَّ الامامية تدفع ضريبة مرتين أحدهما الزكاة والأخرى الخمس[٢]، بخلاف المذاهب الأخرى الذين يدفعون ضريبة واحدة فقط، وبحسب ذلك الادعاء يتحمل أتباع المذهب الامامي أعباءً كبيرة بخلاف غيرهم ، والحق أنَّ النظرة المادية تتكرر مرة أخرى في هذا الرأي، فهو لم ينظر إلى الأصل الشرعي لهذه الفريضة بل سادت المادية في حساباته ونسي أنّها متأصلة من النص القرآني وأنَّ رسول الله ﷺ قد أقرها في أحاديثه، ثم أنَّ النظام الاقتصادي في الإسلام قائم على هذين الفرضين الزكاة والخمس، فالزكاة تكون لعامة المسلمين والخمس يكون خاصاً بذرية النبي ﷺ تكريماً له، والذي يدل على ذلك ـ أي التكريم ـ أنَّ الله تعالى قد نسب الخُمس لنفسه ثم لرسوله ثم باقي المستحقين بقوله تعالى : ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ...** ﴾[٣]، بينما في آية الزكاة قد نسب الأمر الى المستحقين مباشرةً بقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ...** ﴾[٤]، جاء في تفسيرها : " ثم بيّن سبحانه مصرف الصدقات، وأنها يجب أنَّ تصرف في المصارف المذكورة لا أنَّ تعطى للأغنياء والطامعين، إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ : المراد بالصدقات الزكاة : وهي تؤخذ بنسبة

١- ينظر: المصدر السابق، ٨٨.

٢- الفرق بينهما: "نظراً إلى أن الأول ملك للفقراء وحق يصرف في مصالح المسلمين وهو (صلى الله عليه وآله) مأمور بالأخذ قال تعالى: (خذ من أموالهم صدقة . . الخ) فمقدمة للأخذ الواجب عليه لا محيص له صلى الله عليه وآله من بعث العمال لجباية الزكوات. وأما الخمس فهو حق له (صلى الله عليه وآله) ولأقربائه فيشبه الملك الشخصي حيث لا تعود فائدته لعامة المسلمين، ومن ثم لم يؤمر في مورده إلا بمجرد التبليغ كما في ساير الأحكام من الصلاة والصيام دون الأخذ فلم يكن ثمة باعث على جبايته، بل قد لا يناسب ذلك شأنه وجلالته كما لا يخفى". كتاب الخمس: ابو القاسم بن علي اكبر (السيد الخوئي)، بلا. ط ، ١٣٦٤ش ، المطبعة العلمية ـ قم ـ إيران ،٩٦ .

٣- سورة الأنفال : الآية ، ٤١ .

٤- سورة التوبة : الآية ، ٦٠ .

العشر ونصف العشر وربع العشر ، من أموال تسعة ، بعنوان الوجوب ، ومن غيرها بعنوان الاستحباب والأموال التسعة هي : الإبل، والبقر، والغنم، والذهب، والفضة، والحنطة، والشعير، والتمر، والزبيب، بشرائط مخصوصة وتعطى لثمانية أصناف، منهم : الفقراء الذين لا يجدون قوت سنة لأنفسهم ولعيالهم حسب شأنهم ، لا قوةً ولا فعلاً ، وَالْمساكِين : وهم أسوأ حالاً من الفقير، وَالْعامِلِينَ عَلَيْها: أي الذين يعملون لأجل جمع الزكوات..... وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ: أي الكفار الذين يراد تأليف قلوبهم بالمال ليميلوا نحو الإسلام أو نحو المسلمين، وَفِي الرِّقابِ: والمراد بهم : العبيد الذين هم تحت الشدة ، يشترون من الزكاة ويعتقون .....وَالْغارِمِينَ: والمراد بهم : الذين اقترضوا ثم أنفقوا المال في غير معصية..... وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ: وهي جميع مصالح المسلمين التي من أظهرها : الجهاد لإعلاء كلمة الله ، وَابْنِ السَّبِيلِ: وهو المسافر المنقطع به في سفره، يعطى من الزكاة ليرجع إلى محله، وإِنَّ كان في بلده غنياً فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ : أي افترض الله سبحانه تقسيم الزكاة بهذه الصورة فريضة "[1]، أضف إلى ذلك أنّهُ عبر عن الزكاة أنّها صدقة بينما الخُمس عبر عنه غنيمة على الرغم من أنَّ المستشرق تعرض إلى شرح كيفية توزيع تلك الحقوق وأنَّ الامام من تنتهي عنده الأسهم الثلاث الأولى؛ إلا أنّه ينهي حديثه بجملة من التساؤلات منها كيفية دفع الأموال لله ورسوله بقوله : " ولكن كيف يدفع المرء لله ورسوله الذي توفي منذ زمن طويل؟ ومن هم ذوي القربى؟"[2] ومن هو المسؤول عن جمع وتوزيع هذه الضريبة مثلما يريدها الله تعالى؟ وكيف يتم التعامل مع حصة الامام بعد الغيبة[3]، ويبدو أنَّ ما تبادر إلى ذهن المستشرق ينحدر من عدم

١ - تقريب القرآن إلى الأذهان : السيد محمد الشيرازي ، ٢ / ٤١٥ .
٢- الشيعة : هاينز هالم ، ٨٨.
٣- ينظر : المصدر نفسه ، ٨٨ - ٨٩.

دراية كاملة بعقائد مدرسة الامامية؛ لأن الإمام في مدرسة أهل البيت يقوم مقام النبي ﷺ في كل شيء إلا الوحي، فله الولاية المطلقة بالتصرف بشؤون الرعية وما يترتب عليها من حقوق، ويبدو أنَّ تلك التساؤلات تدور حول شخص واحد فالمستشرق يستفهم عن الشخص الذي يقوم مقام الامام بجمع الحقوق وتوزيعها على المستحقين لاسيما بعد الغيبة ومن أين حصل على الشرعية التي تؤهله لتلك المهمة، والحق أنَّ الامامية تعتقد أنَّ الفقيه الجامع للشرائط يكون نائباً عن الامام في القضاء وكل الأحكام الشرعية التي من شأنها تسيير شؤون الأمة [1]، وعليه فالفقيه من يتولى جمع الخُمس وتوزيعه على مستحقيه بصفته نائب الامام ودليل ذلك هو رواية محمد بن محمد بن عصام [2] عن محمد بن يعقوب [3]، قال :" سألت محمد بن عثمان العمري أنَّ يوصل لي كتابا قد سألت فيه عن مسائل أشكلت علي ، فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان عليه السلام : أما ما سألت عنه أرشدك الله وثبتك – إلى أنَّ قال : – وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا ، فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله" [4]، وعليه فالأسهم الثلاثة التي خصصت لله ورسوله وذوي القربى " حصة الامام" تُصرف على القضايا التي تهم الأمة ، وأما الأسهم الثلاثة الأخرى " حصة السادة " فتوزع على مستحقيها من الأيتام والمساكين وأبناء السبيل الهاشميين .

وبناءً على ذلك يظهر من دراسة المستشرقين حول آية الخمس، أنَّ هناك تناقضًا في منهجهم، أنكرها بعضهم وعدها من مبتكرات النبي ﷺ بسبب ما حدث من خلاف حول الغنائم بين الصحابة مما اضطر النبي ﷺ الى استحداث هذا الحكم، بينما

١- وقد اتفق علماء الإمامية عليها منهم : ابن فهد الحلي ، والمحقق الكركي والكاشاني وغيرهم . ينظر : جواهر الكلام : النجفي ، ٢١ / ٣٩٥ .
٢- محمد بن محمد بن عصام : ثقة . ينظر : جامع الرواة : محمد علي الأردبيلي ، ٢ / ١٨٨ .
٣- محمد بن يعقوب : ثقة . ينظر : المصدر نفسه ، ٢ / ١٨٨ .
٤- وسائل الشيعة : الحر العاملي ، ٢٧ / ١٤٠ .

تناولها الآخر بصورة أكثر دقة معتداً بسندها القرآني محاولاً سبر أغوارها ومشككاً في بعض جزئياتها، إلا أنَّ نظرته حولها كانت مادية صرفة حيث عدها ضريبة وليس حقاً مشيراً إلى أنَّ بعض المسلمين يدفعون ضريبتين والآخر يدفع ضريبة واحدة، مُسلطاً الضوء على الاختلاف الذي وقع بين المسلمين حول كملة "غنمتم" التي تحتمل معنيين وبهذا تظهر الأهداف الخفية للمستشرقين تجاه الفقه الامامي.

المبحث الرابع: بحث تفسير آية المتعة عند الامامية في دراسات المستشرقين

المطلب الأول: مفهوم المتعة عند الامامية:

أولاً: تعريف المتعة لغةً واصطلاحاً:

١ـ المتعة لغةً: المتعة في اللغة مأخوذة من المتاع، وكل شيء يمكن الاستمتاع به في موارد الاحتياج يُطلق عليه متاع، ومنها قولهُ مُتع الإنسان بولده، ومنها ما يطلق على الأسماء كالمتعة في الحج والمتعة في الزواج والمتعة في الطلاق[١].

٢ـ المتعة اصطلاحاً: هو الزواج المنقطع، أي الزواج المؤقت، وله عدد من التعريفات منها: تعريف الشيخ المفيد (ت: ٤١٣هـ) بقوله: "هو النكاح المؤجل المنعقد بالأجور المذكورة على التعيين لها والاشتراط"[٢]، وعُرف كذلك بأنّهُ "عقد زواج بين الرجل والمرأة، بمهر معيّن، يذكر في متن العقد، إلى أجل معين، وبحلول الأجل، أو بهبة الزوج المدة لها تنحلّ عقدة النكاح بلا حاجة إلى طلاق"[٣]، ويرى الامامية أنَّ الزواج المنقطع أو المؤقت لا يختلف عن الزواج الدائم من حيث توقفه على العقد الذي يكون مشتملاً على الإيجاب والقبول فكلاهما يُشترط فيه تعيين المهر واللفظ[٤]، وفي المؤقت يجب تحديد المدة وبخلاف

١- ينظر: العين: الفراهيدي، ٢/ ٨٣. وينظر: المحيط في اللغة: الصاحب بن عباد، ١/ ٤٥٠. وينظر: معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، ٥/ ٢٩٤. وينظر: لسان العرب: ابن منظور، ٨/ ٣٢٨ـ ٣٣٠.

٢- المقنعة: الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤١٠هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم - إيران، ٤٩٨.

٣- زواج المتعة: جعفر مرتضى العاملي، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، المركز الإسلامي للدراسات ـ بيروت - لبنان، ٢٩.

٤- ينظر: الانتصار: الشريف المرتضى، ٢٦٨. ينظر: شرائع الإسلام: المحقق الحلي، ٢/ ٥٢٨.

ذلك يكون أما باطلاً وأما دائماً[1] يصح عقد الزواج المؤقت بالوكالة ، ويسري تحريم النساء في العقد الدائم على المؤقت ،وتسري الرخصة في العقد المؤقت كالزواج بابنة الأخ على عمتها أو ابنة الأخت على خالتها إلا بأذنها [2]، ولا يترتب على عقد الزواج المؤقت نفقة وإنْ كانت حاملاً إلا في حال الاشتراط بالعقد ، ولا تستحق الزوجة من العقد المؤقت ميراثًا حتى وإنْ تشارطا بالعقد، يترتب على العقد المؤقت عدة إذا كانت المرأة مدخولاً بها في حال انقضاء العقد إلا أنَّ تكون يائسة أو صغيرة أو غير مدخول بها ، في حال الإخلال بالتمكين ينقص من قيمة العقد [3]وبهذا يتضح مفهوم المتعة **ثانياً : آية المتعة وتفسيرها عند الامامية** : قال تعالى : ﴿**فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً**﴾[4]، يرى مفسرو الامامية أنها دالة على مشروعية النكاح المؤقت وبلا إشكال في ذلك، إذ قال الشيخ الطوسي (ت:٤٦٠هـ) : "هو المتعة إلى أجل مسمى، وهو مذهبنا؛ لأنَّ لفظ الاستمتاع إذا أطلق لا يستفاد به في الشرع إلا العقد المؤجل، ألا ترى أنَّهم يقولون : فلان يقول بالمتعة، وفلان لا يقول بها، ولا يريدون إلا العقد المخصوص" [5]، وهنا يرى الشيخ الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ) في تفسيرها أنّها من الآيات التي شَرعت لإنهاء البغاء وقلة الفاحشة في المجتمع بقوله :" قيل: المراد بالاستمتاع هنا درك البغية، والمباشرة، وقضاء الوطر من اللذة ، فمعناه على هذا : فما استمتعتم أو تلذذتم من النساء بالنكاح، فآتوهن مهورهن، وقيل المراد به نكاح المتعة، وهو

١- ينظر : غنية النزوع إلى علمي الأصول والفروع : علي بن حمزة بن زهرة الحلبي ، تحقيق : إبراهيم البهادري، ط١ ، ١٤١٧هـ ، مطبعة اعتماد ـ قم ـ إيران ، ٣٥٥.
٢- ينظر : الانتصار : الشريف المرتضى ، ٢٧٨.
٣- ينظر : النهاية في مجرد الفقه و الفتاوى : ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، بلا .ط ، بلا .ت ،منشورات قدس محمدي ـ قم ـ إيران ، ٤٩٨ .
٤- سورة النساء : الآية ، ٢٤ .
٥- التبيان : الطوسي ، ٣ / ١٦٥ .

النكاح المنعقد بمهر معين إلى أجل معلوم، وهو مذهب أصحابنا الامامية..."[1]، ووافقه في هذا التفسير السيد الحائري (ت: ١٣٥٣هـ)[2]، بينما هناك من ذهب إلى جعل التفسير عاماً وشاملاً لجميع موارد الاستمتاع: " الآية عامّة تشمل جميع موارد الاستمتاع بشيء منهنّ على سبيل الاحصان وعلى طبق المقرّرات الدينيّة وبشرط إعطاء الأجور المسمّاة..... ولا اختصاص بالانتفاع والالتذاذ من مجموع وجودهنّ، وأيضاً فيه تجليل وتعظيم لمقام المرأة؛ فإنّ المرأة من حيث هي ليست مخصوصة بالاستمتاع والانتفاع والالتذاذ، وأمّا متعة النكاح على شرائط مقرّرة وحفظ الصلاح للرجل والمرأة ورعاية عواقب الأمور من التوليد وهتك الحرمة والابتلاءات الناشئة من هذا العمل ولاسيّما للمرأة إذا كانت في مدّة محدودة: فتكون من مصاديق الآية الكريمة، ولا يبقى إشكال فيها "[3]، وهناك شبهة تطرح حول هذه الآية على أنّها منسوخة بآية الميراث وقد استدل من ذهب إلى هذا القول بمجموعة من الأحاديث عن الصحابة لاسّيما الامام علي عليه السلام وعمر بن الخطاب[4]، والحق أنَّ ما أورده القائلون بهذه الشبهة باطل "أما الرواية عن علي عليه السلام فهي باطلة لأنّا نعلم بالضرورة عن مذهبه ومذهب أولاده خلافها فمحال أنَّ يروي عن النبي صلى الله عليه وآله ما يخالفه على أنَّ خبر ابن سبرة دل على الأذن في حجة الوداع وخبر علي عليه السلام في يوم خيبر وحجة الوداع متأخرة عن خيبر فلو كان النهي الذي نسب إلى علي عليه السلام على التحريم لزم نسخها مرتين ولا قائل بذلك "[5]، أما ما روي عن عمر فلا يُعد من السنة بل قول الصحابة وليس قول النبي صلى الله عليه وآله

١- مجمع البيان: الطبرسي، ٣/ ٦٠.
٢- مقتنيات الدرر: علي الحائري، ٣/ ٨١.
٣- التحقيق في كلمات القرآن الكريم: حسن المصطفوي، ط١، ١٤١٧هـ، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي - طهران - إيران، ١١/ ١٧.
٤- ينظر: تفسير البغوي: البغوي، ١/ ٥٩٦. وينظر: تفسير القرطبي: القرطبي، ٥/ ١٣٠. وينظر: تفسير النسفي: أبو البركات عبد الله بن احمد النسفي، تحقيق يوسف علي بديوي، تقديم: محي الدين مستو، ط١، ١٩٨٩م، دار الكلم الطيب، بيروت لبنان ١/ ٣٤٠.
٥- كنز العرفان: المقداد السيوري، ٢/ ١٦٦.

فضلاً عن كونه معارضاً بقول أكابر الصحابة ممن أجاز ذلك ابن عباس وابن مسعود وغيرهما[1]، هذا يظهر بطلان ما ذهب إليه أصحاب هذا القول، وبعد استعراض آراء مفسري الامامية فيما يتعلق بالآية الكريمة يفهم أنَّ هناك اتفاقًا على دلالة الآية على مشروعية زواج المتعة كما تبين وبطلان شبهة النسخ .

المطلب الثاني : دراسات المستشرقين لآية المتعة عند الامامية:

يُعد زواج المتعة احد أنواع الأنكحة الشرعية التي نصت عليها الشريعة الاسلامية والتي أثارت جدلاً كبيراً على مستوى البحث الفقهي وأحاطت نفسها بهالة كبيرة من التساؤلات، وقد بلغت مرحلة المناظرة فيها الذروة بين المذاهب الإسلامية ، وقد بذل المستشرقون جهوداً لدراسة هذا النوع من الزواج عند الامامية فقد وردت في دراسات عدد غير قليل منهم [2]، من أبرز الدارسين لهذا الحكم "جولد زيهر" والذي تعددت طروحاته حول هذا الحكم فبينما نجده يتعامل مع الآية الكريمة الدالة على هذا النوع من الزواج على أنها دليل على أساسه القرآني بقوله : " ففي الآية التي استدل بها من يجيز نكاح المتعة، آية ٢٤ من سورة النساء **﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾** أقحمت في الموضع الحاسم زيادة على هذا النحو ((فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فأتوهن أجورهن فريضة)) تقوية لتأسيس هذا النوع من النكاح "[3] ، ثم يشير إلى أنَّ هذا الزواج قد نسخ على عهد النبي ﷺ أوفي عهد الخليفة الثاني مؤكداً أنَّ الامامية لا تعترف بشرعية النسخ الصادر من الخليفة " وقالوا إنَّ عمر أبطل المتعة خطأ وهم لا يقرون له بسلطة شرعية ولا يرونه مرجعاً لبيان أحكام الشريعة"[4]، ثم تناول الآية

١- المصدر السابق ، ٢/ ١٧٢.
٢- ينظر : العقيدة والشريعة جولد زيهر ،٢٢٥. وينظر مذاهب التفسير الإسلامي : جولد زيهر ، ١٣- ١٥ وينظر : الإسلام الشيعي : يان ريشار، ٢٣١ -٢٤٩.
٣- مذاهب التفسير الإسلامي: جولد زيهر، ٢٣.
٤- ينظر: العقيدة والشريعة: جولد زيهر، ٢٢٧

القرآنية الدالة على هذا النوع من الزواج المستشرق الإسرائيلي "مئير بارأشر"[١] في إطار ذكره للزيادات التي أضافها الشيعة على النص القرآني، إذ يرى أنْ الشيعة قرأت الآية ﴿**فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً**﴾[٢] بإضافة (إلى أجلٍ مسمى) وعليه قالوا بشرعية هذا النوع من الزواج [٣]، ثم يعود المستشرق "جولد زيهر" ليرجعه إلى أصول متعددة على الرغم من دراسته للآية الكريمة التي نصت على هذا الزواج، إلا أنّهُ حرص على أنَّ تكون لهُ أصول قديمة، تارة يونانية بقوله: "لقد أباح أفلاطون الزواج المؤقت في كتابه الجمهورية....وقد أباحه للنخبة المختارة من المجتمع الذي أطلق عليهم الفيلسوف أسم الحراس"[٤]، وفي كلامه إشارة إلى إنّهُ مكرمة وتقدير لهؤلاء الحراس الذين يذكرهم، وتارة أخرى يعزوه إلى الحركات الاجتماعية، أو ما يسميهم الكماليين الذين أطلقوا عليه تسمية " زواج التجربة" متأثرين بالأدب القصصي [٥]، وأنَّ ما ذهب إليه المستشرق "جولد زيهر" يشوبه الغموض و التخبط ، فما يرجعه إلى اليونان على أنّهُ نوع من التكريم لفئة معينة من الشعب ينقضه بإرجاعه إلى الحركات الاجتماعية على أنّهُ نوع من التجربة ويحاول أنّ يلصقه بالجاهلية في أنّهُ من العادات المتوارثة التي انسلت من الجاهلية إذ يقول :" وبطبيعة الحال كانت هناك بواعث أخرى هي التي اقتضت من النبي في بدء رسالته التشريعية أنَّ يسمح بشكل من أشكال الزواج كان متبعاً في الجاهلية واسمه الاصطلاحي في الفقه " المتعة " ولكن نفضل أنَّ نسميه النكاح المؤقت "[٦]، بينما نجد أنَّ "ايان ريشار" يفرد لهُ مبحثاً كاملاً مُسلطاً الضوء عليه

١-مئير بار اشر: مستشرق إسرائيلي معاصر يعمل أستاذا في الجامعة العبرية في أورشليم له مصنفات عديدة منها قراءات مختلفة وإضافات للشيعة الإمامية على القرآن. ينظر: المصدر نفسه، ٢٦١.
٢- سورة النساء: الآية، ٢٤.
٣- ينظر: الإمام علي وإشكالية جمع القرآن: عبد الجبار ناجي، ٣٧٣.
٤- العقيدة والشريعة: جولد زيهر ، ٢٢٥.
٥- ينظر: المصدر نفسه، ٢٢٥.
٦- المصدر نفسه ، ٢٢٦.

عن كثب جاعلاً إياه نوعًا من العلاقات الرومنسية أكثر من جانبه الشرعي ثم يصل إلى نتيجة إلى أنّهُ نوع من التسري أو العلاقات المشبوهة "وفي فرنسا والسويد .....هناك شبان وصبايا يتساكنون بصورة سلمية ومن دون فضائح وربما جاءهم عرضاً بعض الأطفال السعداء في بيتهم ...أنَّ زواج المتعة لدى الشيعة التي كم أسالت من الحبر؛ لأنّها تُمارس في مجتمع تقليدي ـ إلا هذا نفسه ـ ولكن باسم أقل بشاعة إنّهُ التسري المتبادل [1]، ولا نعلم ما معنى الفضيحة في عرف المستشرق "ريشار"، اذ كان كل ما ذكره لا يُعد فضيحة، فضلاً عن التناقض الذي مُني به اذ قال: "اقل بشاعة" وهذا يدل على أنَّه بشعٌ في كل الاحوال، اما زواج المتعة فلا يختلف عن الزواج الدائم الا في المدة والميراث ، وهذا يدل على مشروعيته، المستشرق "جورجو" [2] يذكر هذا النوع من الزواج لاسيما في أثناء حديثة عن واقعة خيبر مشيراً إلى أنَّ النبي ﷺ قد منع الجنود من الزواج باليهوديات على طريقة الزواج المؤقت إذ يقول: " المتعة زواج مؤقت بنساء الأمة المغلوبة وللمسلم كامل الحرية في اقتناء النساء على أساس هذا الزواج" [3]، وإنَّ نظرة فاحصة لما ورد في دراسات المستشرقين حول زواج المتعة يجدها تدور حول ثلاثة آراء : الأول: أنّهَ من المصادر القديمة وتسرب إلى الشريعة الاسلامية، والثاني أنَّ الامامية من تحاول تقريره من خلال إدراج الزيادات التفسيرية في النص على الرغم من نسخه، والثالث على أنّهُ نوع من العلاقات المشبوهة أو التسري، أما فيما يتعلق بكونه موجوداً عند الحضارات الأخرى أو العادات الجاهلية فهذا لا يسيء إلى الاسلام بشيء، فكثير من العادات أو الأحكام كانت عند الأمم الماضية وجاءت مثلها

١- الإسلام الشيعي : يان ريشار ، ٢٣١- ٢٥٤.
٢- كونستانس فيرجل جورجو : مستشرق روماني ولد في عام ١٩١٦م ، درس وتخرج من جامعة بوخارست في رومانيا حصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة والعلوم ،اهتم بدراسة التاريخ الإسلامي . ينظر : نظرة جديدة في سيرة رسول الله : كونستانس جورجو ، ترجمة محمد التونجي ، ط١ ، ١٩٨٣م ، الدار العربية للموسوعات ـ بيروت ـ لبنان ، ٥ .
٣- نظرة جديدة في سيرة رسول الله : جورجو، ٣٣٣ .

في الاسلام ولكن كيفيتها عند الأمم الأخرى تختلف عن كيفيها في الإسلام، ومن المؤكد أنَّ مفهوم الزواج المؤقت في الإسلام يختلف تماماً عن مفهومه عند الحضارات الاخرى، ومن البديهي أنَّ الاسلام عندما يُشرع حكماً أو يبيح قضية لا يكون ناظراً إلى ما سبقته من أمم بل يكون ناظراً إلى المصلحة والمفسدة الناتجة منهُ لذا جعل لكل شيء ضوابط وأسُسًا يسير وفقها ليحقق أهدافًا وغايات رسِمت له، وزواج المتعة لم يكن بمعزل عن ذلك فجعلت له شروط منها العقد والمهر والعدة وتحديد المدة [1]، ليحقق منع انتشار الرذيلة في المجتمع ويهدف إلى صيانة المسلمين، فعن محمد بن مسلم[2]عن أبي جعفر عليه السلام قال: " قال جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّهم غزوا معه فأحل لهم المتعة و لم يحرمها، و كان علي عليه السلام يقول: "لولا سبقني إليها ابن الخطاب ما زني إلا شقي"[3]، وبهذا يكون زواج المتعة هدفه صيانة المؤمنين وليس مثلما ذهب المشككون، أما فيما يتعلق بأصل هذا الزواج من القرآن الكريم وكيفية إدراج الامامية للزيادات التفسيرية في النص القرآني على قوله ثم ادعائه النسخ فيما بعد ، فهو أمر لايمكن التسليم به؛ لأنَّ من قرأ بالزيادة هوعبد الله بن عباس حبر الأمة وقتادة والسدي [4]، أي أنَّ هذه الزيادة ليست من النص القرآني بل هي قراءة وتفسير من قبل الصحابي، وإذا تتبعنا هذه الطريقة في تفاسير المسلمين نجد أنّهم كثيراً ما يعتمدون عليها في شرح بعض المفاهيم التي أشكلت على الأذهان لاسّيما من الصحابة الأوائل الذين عاشوا فترة نزول النص القرآني، وبهذا يثبت أنَّ الامامية لا دخل لهم في هذا الأمر ولم يدخلوا في نص القرآن غيره، والحق أنَّ المستشرق هنا قد بالغ في الافتراء على

١- ينظر: النوادر: احمد بن محمد بن موسى الأشعري القمي، ط١، ١٤٠٨هـ ، مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه - قم - إيران ، ٨١.
٢- محمد بن مسلم: ثقة. ينظر: بحوث في علم الرجال، محمد آصف محسني، ط١ ، ١٤٣٦هـ، مركز المصطفى العالمي - قم المقدسة - إيران ، ٣٨٩.
٣- وسائل الشيعة: الحر العاملي ، ٢١ / ١٠.
٤- تفسير العياشي: العياشي، ١/ ١٣٠

الامامية، أما زعم المستشرق أن آية الزواج المؤقت قد نسخت، فلم يثبت عند الامامية أنَّ هناك آية ناسخة لها[1] ؛لأنّ النسخ إنّما يقع على يد صاحب الشريعة وليس بعده ، والحال أنَّ زواج المتعة ثبت في بداية الإسلام ، إلا أنَّ النسخ قد وقع على عهد الخليفة الثاني إذ يقول: " متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ حلالاً أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما : متعة النساء ومتعة الحج"[2]، وهذا يثبت أنَّ التحريم لم يقع من صاحب الشريعة، أضف إلى ذلك أنَّ المستشرق لم يأتِ بجديد فقد طرقت هذه المسألة في القرن الثاني الهجري و حسم الجدل فيها بالمناضرة التي حصلت بين أبي حنيفة[3] ومؤمن الطاق[4]" قال لَهُ : يَا أَبَا جَعْفَر إِنَّ الْآيَةَ الَّتِي فِي سَأَلَ سَائِلٌ تَنْطِقُ بِتَحْرِيمِ الْمُتْعَةِ وَ الرِّوَايَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ جَاءَتْ بِنَسْخِهَا ؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَر:" يَا أَبَا حَنِيفَةَ إِنَّ سُورَةَ سَأَلَ سَائِلٌ مَكِّيَّةٌ وَ آيَةُ الْمُتْعَةِ مَدَنِيَّةٌ وَ رِوَايَتَكَ شَاذَّةٌ رَدِيَّةٌ فَقَالَ لَهُ أَبُو حَنِيفَةَ وَ آيَةُ الْمِيرَاثِ أَيْضاً تَنْطِقُ بِنَسْخِ الْمُتْعَةِ فَقَالَ أَبُو جَعْفَر قَدْ ثَبَتَ النِّكَاحُ بِغَيْرِ مِيرَاثٍ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ مِنْ أَيْنَ قُلْتَ ذَاكَ فَقَالَ أَبُو جَعْفَر لَوْ أَنَّ رَجُلاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ثُمَّ تُوُفِّيَ عَنْهَا مَا تَقُولُ فِيهَا قَالَ لَا تَرِثُ مِنْهُ قَالَ فَقَدْ ثَبَتَ النِّكَاحُ بِغَيْرِ مِيرَاثٍ ثُمَّ افْتَرَقَا"[5]، وهذه الرواية تدحض مسألة النسخ بالكامل ،أما ما ذهب إليه المستشرق "ريشار" من كونه لا يعدو التسري أو العلاقات المشبوهة التي تُمارس في الغرب، فيبدو للوهلة

١- ينظر: فقه القرآن: قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي، ط٢ ،١٤٠٥هـ ، مكتبة آية الله المرعشي النجفي ـ قم – إيران، ٢/ ١٤٨.

٢- السنن الصغيرة للبيهقي: أبو بكر احمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، ط١، ١٩٨٩م، جامعة الدراسات الإسلامية ـ كراتشي – باكستان، ٣/ ٥٩

٣- أبو حنيفة: " النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماهم ولى تيم الله بن ثعلبة الكوفي، أحد الأئمة الأربعة السنية صاحب الرأي والقياس والفتاوى المعروفة في الفقه " . الكنى والألقاب: عباس القمي ، بلا. ط ، بلا. ت ، مكتبة الصدر–طهران ـ إيران ، ١ / ٥٣.

٤- محمد بن النعمان مؤمن الطاق: " أبو جعفر هذا هو محمد بن علي بن النعمان البجلي الأحول الملقب بمؤمن الطاق وشاه الطاق وصاحب الطاق، روى عن السجاد والباقر والصادق (عليهم السّلام) كان ثقة، متكلما، حاذقا، حاضر الجواب " . الوافي: الفيض الكاشاني، ٢١ / ٣٣٩.

٥- الكافي: الكليني، ٥/ ٤٥٠.

الأولى أنّهُ لم يطالع كتب الشريعة التي تتكلم على شرعية هذا الزواج ولم تكن لديه أي فكرة عن شروطه وضوابطه التي وضعتها الشريعة الإسلامية، إلا أنَّ المتتبع لكتابات هذا المستشرق يرى أنّهُ كان ملماً بتفاصيل كثيرة عن نوع هذا الزواج إلا أنّهُ استقى معلوماته من قصص و حكايات إضافة إلى بعض المصادر المغرضة [1]، وهو بهذا يرفض التخلي عن خلفياته الفكرية عقائده الموروثة مما جعلته يحدو بعيداً عن المنهج العلمي.

وتأسيساً على ذلك يظهر أنَّ دراسات المستشرقين حول الزواج المؤقت عند الامامية قد وسمت نفسها بالتناقض المنهجي، فبينما يذهب بعض الباحثين الغربيين أنَّ أصل المتعة يعود إلى ما قبل الاسلام من حضارات، يرى الباحث نفسه أنّهُ يستند إلى القرآن الكريم وهذا تناقض منهجي صريح، ويظهر أيضاً أنَّ دراستهم تجردت عن الموضوعية والحيادية في البحث ولم تقف على ذلك؛ بل تميزت بالافتراء والإسقاط وتزييف الحقائق من أجل تحقيق مقاصدهم لاسّيما فيما أورده من زيادات النص القرآني، أضف إلى ذلك لم نجدهم قد اعتمدوا في دراستهم على كافة المصادر التي تناولت موضوع البحث بل لجأوا إلى الكتب التي تؤيد آراءهم وعمدوا إلى تغييب غيرها بل حتى فضلوا الحكايات على تلك المصادر ، مسلطين الضوء على المواضيع ذات الطابع الخلافي بين المسلمين مع انحيازهم إلى تأييد جهة على أخرى لغرض توسيع دائرة الاحتقان والخلاف بين المسلمين .

١ – يعتمد الباحث كثيراً فيما يتعلق بالزواج المؤقت على الكاتبة الإيرانية شهلاء حائري صاحبة كتاب قانون الرغبة في الزواج وهي كاتبة إيرانية تسكن في الولايات المتحدة وباحثة في مركز الدراسات الشرق أوسطية في هارفارد، اعتمدت الطابع الاجتماعي في كتابها ولم تعتمد على الفقه الإسلامي في تصنيف الكتاب المذكور. يعتقد الكثير أنها شخصية وهمية للمزيد ينظر https://www.yahosein.com/node/vb/١٧٥٩٩٦ تم الاطلاع عليه بتاريخ : ١١/ ١٢/ ٢٠١٩م.

المبحث الخامس: بحث تعدد الزوجات عند الامامية في دراسات المستشرقين

المطلب الأول: مفهوم تعدد الزوجات عند الامامية:

أولاً: أهمية تعدد الزوجات عند الامامية:

إنَّ مسألة تعدد الزوجات في الشريعة الاسلامية من المسائل التي هي محل اتفاق بسبب الأصل القرآني المؤكد لهذه المسألة ومشروعيتها ، قال الشيخ جعفر السبحاني: " لا شك أنَّ الأصل في تشكيل الأسرة هو أنْ يحبس الزوج نفسه ولا يتزوج بزوجة ثانية رعاية لحال الزوجة الأولى، ومما لا شك فيه أنَّ حبس كل من الزوجين نفسه على الآخر يشكل رصيداً لبقاء أواصر الأسرة ويسفر عنه سيادة الثقة المتبادلة بين الزوجين، ومع الاعتراف بذلك لكن ربما يواجه الزوج بعض الظروف والحالات التي تدفعه لعدم الاكتفاء بزوجة واحدة وهذا أمر لا يمكن لأحد إنكاره نظير إذا كانت الزوجة مريضة مدة مديدة، أو كانت عقيمة لا تنجب أو كانت غريزتها الجنسية ضعيفة لا تلبي حاجات الزوج، أو كان الزوج يقطن في مناطق نائية بعيداً عن زوجته مدة لا يستهان بها ، ففي تلك الظروف لا يتمكن الزوج من الاقتصار على زوجة واحدة"[1]، ولقد حاول بعض الكتاب انتصاراً للحاقدين على الإسلام أنَّ يتأول هذه الآية بما يتفق مع نزعاتهم وأهوائهم، وانتهى به تفكيره إلى حرمة التعدد بنص القرآن ، محتجاً لذلك بأن الآية التي أباحت التعدد ليس فيها ما يدل على الإباحة المطلقة ، وإنما الذي جاء فيها هو الإباحة على أنَّ يعدل بين زوجاته ، والآية التي وردت بعدها نصت على أنَّ العدل غير مستطاع لأحد من الناس، قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ، وَلَوْ حَرَصْتُمْ**﴾[2] ونتيجة ذلك عدم جواز التعدد لانتفاء شرطه، ولكن هؤلاء تضليلاً منهم أو جهلاً بما أريد من العدل الذي نصت الآية

١- رسائل ومقالات: الشيخ جعفر السبحاني، ط١ ، ١٤١٩هـ، مؤسسة الإمام الصادق- قم - إيران ، ٥١٩- ٥٢٠.
٢- سورة النساء، الآية: ١٢٩.

على أنّهُ غير مستطاع لأحد من الناس هؤلاء قد أيدوا أعداء الإسلام بحجة "[1]، ومن جانب العدل بين النساء فيمكن القول: " إنَّ العدل الممكن مع النساء على قسمين : عملي و قلبي، والعدل القلبي هو التساوي في الحب، و هو متعذر تماماً؛ لاختلاف النساء فيما بينهن و اختلاف نظر الرجل إليهن ، وأما العدل العملي فهو التسوية بين الزوجات في العلاقة الاقتصادية و الاجتماعية و نحوها، وهذا ممكن لأكثر الرجال بل للجميع و ليس متعذراً كما هو واضح"[2] يتضح مما تقدم بأن تعدد الزوجات أمرٌ جائزٌ في الشريعة الاسلامية فضلاً عن الامامية خاصة .

ثانياً: آية تعدد الزوجات وتفسيرها عند الامامية:

قال تعالى : ﴿**فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا**﴾[3]، ذهب جل مفسري الامامية إلى أنْ هذه الآية دالة على مشروعية تعدد الزوجات ، قال الشيخ محمد جواد مغنية (ت: ١٤٠٠هـ) :" إنْ مبدأ تعدد الزوجات إلى أربع مبدأ مقرر في الشريعة بحكم الكتاب والسنة ، والإجماع قولاً وعملاً ، بل هذا المبدأ معلوم بضرورة الدين، ولكنه غير مباح إباحة مطلقة ، بل مقيد بشرط يبرره بضرورة الدين أيضاً "[4]، ووافقه في هذا السيد الطباطبائي (ت: ١٤٠٢هـ) بقوله : " وأما الاسلام فلم يشرع تعدد الزوجات على نحو الإيجاب والفرض على كل رجل وإنما نظر في طبيعة الأفراد وما يعترضهم من العوارض الحادثة واعتبر الصلاح القاطع في ذلك ثم استقصى مفاسد التكثير ومحاذيره وأحصاها فأباح عند ذلك التعدد حفظاً لمصلحة المجتمع الانساني وقيده بما يرتفع معه جميع هذه المفاسد

١- تاريخ الفقه الجعفري: هاشم معروف الحسني، قدم له : محمد جواد مغنية ، بلا. ط ، بلا. ت ، دار النشر للجامعيين ـ بيروت ـ لبنان ، ٦٨.
٢- ما وراء الفقه : محمد محمد صادق الصدر ، ط٣ ، ٢٠٠٧م ، دار المحبين ـ قم ـ إيران، ٦ / ١٦٤ .
٣- سورة النساء : الآية ، ٣ .
٤- التفسير الكاشف : محمد جواد مغنية ، ط٢ ، ١٩٧٨م ، دار العلم للملايين ـ بيروت – لبنان ، ٢ / ٢٤٨ .

الشنيعة وهو وثوق الرجل بأنّهُ سيُقسط بينهن ويعدل فمن وثق من نفسه بذلك ووفق له فهو الذي أباح له الدين تعدد الزوجات وأما هؤلاء الذين لا عناية لهم بسعادة أنفسهم وأهليهم وأولادهم ولا كرامة عندهم إلا ترضية بطونهم وفروجهم ولا مفهوم للمرأة عندهم إلا أنّها مخلوقة في سبيل شهوة الرجل ولذته فلا شأن للإسلام فيهم ولا يجوز لهم إلا الازدواج بواحدة لو جاز لهم ذلك والحال هذه"[1]، بينما هناك من يرى أنَّ الشريعة قيدت هذا النوع من الزواج بشروط " المودة القلبية شرط أساس في اختيار الزوجة ، وأباحت الشريعة الإسلامية تعدد الزوجات للرجل بشروط ، والتعدد محدود بأربعة زوجات ومشروط بمراعاة العدالة "[2]، يتبين لنا من هذه التفاسير للآية المباركة بأن الله سبحانه وتعالى في هذه الآية قد أشار وبين حكماً فقهيًا مهماً وهو تعدد الزوجات في الشريعة الاسلامية .

المطلب الثاني: دراسات المستشرقين لتعدد الزوجات عند الامامية:

ورد مفهوم تعدد الزوجات في الدراسات الاستشراقية على أنّهُ وسيلة طعن وتهريج ضد الشريعة الاسلامية لاسّيما المذهب الامامي ولم ينظر المستشرقون للجانب الأساس الذي شرع من أجله هذا النوع من الزواج ، بل عُدّ هذا التشريع سلبياً في نظر الغرب؛ لأنه يمثل في نظرهم امتهان لكرامة المرأة المسلمة وتقليل من قيمتها كعنصر فاعل في المجتمع المدني، إذ يقول المستشرق "موير[3]"في هذا الصدد :" المسلمون يجهلون من معنى الارتباط الزوجي جهلاً كبيراً وأنه ـ أي

١- الميزان : الطباطبائي ، ٤ / ١٩١ .
٢- تفسير النور : محسن قرائتي ، ٢ / ١١ .
٣- وليم موير: مستشرق انكليزي ولد عام ١٨١٩م، تولى مناصب إدارية رفيعة حتى أصبح السكرتير الخارجي لحكومة الهند عام ١٨٦٥م، ونائب الحكومة للولايات الشمالية، امتاز بغزارة إنتاجه العلمي وله مؤلفات كثيرة منها: شهادة القرآن على الكتب اليهودية والمسيحية، الخلافة نشأتها انحلالها سقوطها. ينظر: موسوعة المستشرقين: عبد الرحمن بدوي ، ٥٧٨ ـ ٥٧٩.

التعدد ـ يحط من مركز المرأة "[1]، ولا ريب أنَّ المستشرق كان يجهل نظرة الاسلام للمرأة ؛ لأنّهُ لم يرد الاطلاع على تراث الإسلام بقدر ما يريد تشويه صورته ، ولو فعل ذلك لما أدلى بهذا الرأي ؛لأنّهُ سيجد أنّ منزلة المرأة في الاسلام لا تقل عن منزلة الرجل، وبينما نجد المستشرق "آدم متنز"[2] يلتقط بعض الشذرات للانحلال الخلقي واختلاط النساء بالرجال لاسيما في فترات محددة من حكم الحنابلة لبغداد على أنّها من نتاج هذا التشريع حاملاً بعض العادات على الشريعة الاسلامية ويعرج على ثقافات شعبية لا أخلاقية ويحاول ربطها في تعدد الزواج إذ يقول "وقد انتشر البغاء في الاسلام على الرغم من أنّهُ أباح الزواج بأكثر من واحدة[3]، والحق أنَّ هذا المستشرق يريد ربط الزواج المتعدد بالبغاء، ولم يقف المستشرقون عند هذا الادعاء بل درسوا مبدأ تعدد الزوجات في سيرة رسول الله ﷺ وتعرضهم لهذا النوع من التشريع في حياته ، إذ نرى أنَّ المستشرق "فوستر "[4] يدرس هذا النوع من التشريع على أنّهُ نوع من الرغبة الشهوانية فيقول "أما محمداً [ﷺ]ذو مبادئ إباحية حين يعدد الزوجات"[5]، وكذلك المستشرق "مونتجمري وات"[6] تناول هذه المسألة إذ يقول :"نعلم من بعض الوثائق أنَّ محمداً[ﷺ] بالإضافة إلى زيجاته الشرعية واتصاله بالجواري كانت له علاقة مع نساء أخريات

١- نقلاً عن معجم افتراءات المستشرقين: أنور محمود زناتي ، بلا .ط ، بلا .ت ، جامعة عين شمس ـ مصر ، ٢٠٣.

٢- ادم متنز: مستشرق الماني ولد عام ١٨٦٩م في مدينة فرايبورج ، اهتم بالادب العربي في القرن الرابع الهجري، وتوفي عام ١٩١٧م، له عدة مؤلفات منها نهضة الاسلام، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ينظر موسوعة المستشرقين: عبد الرحمن بدوي ، ٥٤٤.

٣- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة: آدم متنز، ترجمة: محمد عبد الهادي ، ط٥، بلا. ت، دار الكتاب الغربي ـ بيروت ـ لبنان، ١٧٥.

٤- فرانك فوستر: مستشرق أمريكي امتاز بتعصبه في أثناء كتاباته، ألف كتاباً عن الإسلام أسماه تاريخ حياة النبي محمد. ينظر: السيرة النبوية وأوهام المستشرقين: عبد المتعال محمد جبري ، بلا .ط ، بلا .ت، مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ مصر ، ١٥٠ ـ ١٥٢.

٥- المصدر نفسه ، ١٥٣.

٦-"مونتجمري وات: مستشرق إنجليزي معاصر ولد عام ١٩٠٩م، عمل رئيساً لقسم الدراسات العربية والإسلامية بجامعة أدنبره في الفترة من ١٩٤٧-١٩٧٩.وقد قام خلالها بتدريس الإسلام، أصدر العديد من المؤلفات من أشهرها:" محمد في مكة " و "محمد في المدينة " و "محمد نبي ورجل دولة". ينظر: المستشرقون: نجيب العقيقي، ٢/ ٥٥٤.

وذلك حسب النظام الأممي القديم "[1]، وبهذا يرجع المستشرق هذا التشريع إلى العادات الجاهلية القديمة ، يتابعه على هذا القول جماعة من المستشرقين[2] وفي إطار الرد على تلك الآراء يقول الشيخ "هادي معرفة ":"أمّا الحقيقة فهي تَشهد بوضوح أنّ مُحمّداً ﷺ لم يكن رجلاً يَأخذ بعقلِهِ الهوى ، وهو لم يتزوّج مَن تزوّج مِن نسائه بدافع مِن شهوةٍ فائضة أو غرام عارم ، وإذا كان بعض الكُتّاب المسلمين في بعض العصور قد أباحوا لأنفسهم أنْ يقولوا هذا القول وأنْ يُقدّموا لخُصوم الإسلام ـ عن حسن نيّة ـ هذه الحُجّة فذلك ؛ لأنّهم انحدر بهم التقليد إلى المادّية ، فأرادوا أنْ يُصوّروا مُحمّداً عظيماً في كلّ شيء ، عظيماً حتّى في شهوات الدنيا ، وهذا تَصوّر خاطئ يُنكره تأريخ حياته الكريمة أشدّ إنكار"[3]، إنَّ نظرة إلى طبيعة زواج النبي ﷺ والنساء اللواتي أرتبط بهن تكشف زيف ذلك الادعاء؛ لأن النبي ﷺ لم يتزوج بنساء صغيرات في السن بل كانت غاية ذلك الزواج هو كسب الناس للإسلام فضلاً عن رفق النبي ببعض النساء اللاتي تزوجهن كونهن ذوات عول، ثم إنْ سيرته تكشف أنّهُ تزوج السيدة "خديجة" ولم يتزوج عليها في حياتها قط، إذ أقام معها خمسة وعشرين عاماً وكانت أكبر منه سناً[4] ، وهذا خير دليل على أنّهُ لم يكن رجلًا ذا شهوة، وللأستاذ "العقاد" رد حري بالذكر إذ يقول :" قال لنا بعض المستشرقين إنَّ تسع زوجات لدليل على فرط الميول الجنسية ، قلنا إنَّك لاتصف السيد المسيح بأنّهُ قاصر الجنسية ؛ لأنّهُ لم يتزوج قط فلا ينبغي أنَّ تصف محمداً ﷺ بأنه مفرط الجنسية ؛لأنّهُ جمع بين تسع نساء"[5]، في حين نجد

١- محمد في مكة : مونتجمري وات ، ترجمة : شعبان بركات ،ط١ ، بلا.ت ، مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ مصر ، ٤٣٤ .
٢-من ابرز المستشرقين القائلين بذلك موير ، سبرنجر ، ارفنج ، فيل ، لامنس وغيرهم لاسيما ممن كان يضمر العداء للاسلام . ينظر : حياة محمد : محمد حسنين هيكل ، ٢٩٣ .
٣- شبهات وردود حول القران الكريم : محمد هادي معرفة ، بلا. ط، بلا . ت ، مؤسسة التمهيد ـ قم – إيران ، ١٦٨
٤- ينظر شبهات وردود : محمد هادي معرفة ، ١٦٩ .
٥- الإسلام والحضارة الإنسانية : عباس محمود العقاد ، بلا .ط، بلا. ت، ، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ لبنان ٤٣٩ -٤٤٠ .

أنَّ المستشرق "إميل درمنغم"[1] حاول الولوج إلى الموضوع من باب آخر فأظهر نفسه مدافعاً عن التعدد الذي يضفي عليه صفة الرسمية على أنّهُ أفضل بكثير من أنواع التعدد الآخر، ولكنه يختم الحديث عن الموضوع بقوله :"كنا نود لو أنَّ محمدﷺ لم يجز تعدد الزوجات"[2]، وبهذا القول تظهر نوايا المستشرق الكامنة المنطوية وراء مكره، لم يكتفِ المستشرقون في إثارة هذه الشبهة على ممارسة النبي ﷺللتعددية في الأزواج بل حاولوا إسقاطها على الامام الحسن عليه السلام على أنّهُ مارس هذا النوع من التشريع بإفراط ومن أبرز القائلين بذلك المستشرق "دونالدسون" في كتابه "عقيدة الشيعة" الذي تناول هذه الظاهرة خارجاً عن الحد المألوف إذ يقول :" ويعترف الشيعة أنفسهم أنّهُ كان للحسن عليه السلام ستون زوجة وعدد كبير من السرايا"[3] ، ثم يشير إلى أعداد أكثر من ذلك حتى تجاوزت المائتين ، والحق أنَّ المستشرق لم يأت بهذا القول من بعيد بل هو نتاج ما أفرزه أعداء الامام الحسن عليه السلام وخلاصة لما أفرزته أيديهم من إلصاق التهم بشخص الإمام السبط [4]، وإلا فليس بمقدور الإنسان أنَّ يتزوج بهذا الكم من النساء فسيولوجياً فضلاً عن تضعيف الروايات الواردة في هذا الباب ، وعلى غرار تلك الدراسات تأثر بعض علماء المسلمين ونادى بتعطيل هذا النوع من التشريع أو عدم تطبيقه وفقاً لمقتضيات الحداثة ، إذ يقول قاسم أمين: " وهذا الحلال ـ تعدد الزوجات ـ تعتريه الأحكام الشرعية الاخرى من المنع والكراهة وغيرها بحسب ما يترتب عليه من المصالح والمفاسد فإذا غلب على الناس الجور بين الزوجات كما هو مشاهد

١-"أميل درمنغم : مستشرق فرنسي، عمل مديراً لمكتبة الجزائر، من آثاره: كتاب حياة محمد وهو من أدق ما صنّفه مستشرق عن النبي صلى الله عليه وسلم، ومحمد والسنة الإسلامية ، ونشر عدداً من الأبحاث في المجلات الشهيرة مثل المجلة الأفريقية، وحوليات معهد الدراسات الشرقية، ونشرة الدراسات العربية. ينظر :معجم أسماء المستشرقين : يحيى مراد ، ٥٠٨.

٢- حياة محمد : اميل درمنغم ، ٢٥٧

٣- عقيدة الشيعة: دونالدسون ،٩٠

٤- ينظر: القول في عدد زوجات الإمام الحسن: وسام برهان البلداوي ، ط١، ٢٠٠٨ م ، قسم الشؤون الفكرية في العتبة الحسينية المقدسة، ٩.

في أزماننا أو نشأ عن تعدد الزوجات فساد في العائلات ....جاز الحكم رعاية للمصلحة العامة أنَّ يمنع تعدد الزوجات بشرط أو بغير شرط على حسب ما يراه موفقاً لمصلحة الأمة "[1]، والأغرب من ذلك أنَّ شيخ الأزهر محمد عبده كان أحد الداعين لهذا الأمر :"كان للتعدد في صدر الإسلام فوائد أهمها صلة النسب والصهر التي تقوي به العصبية ، ولم يكن له من الضرر ماله الآن ....ولما كان على الأمة ضرر من تعدد الزوجات وانما كان يكون ضرره قاصرا عليهن في الغالب اما والامر على مانرى ونسمع فلا سبيل الى تربية الامة مع فشو تعدد الزوجات فيها ...، أنَّ الدين أنزل لمصلحة الناس وخيرهم وأنَّ من أصوله منع الضرر والضرار فإذا ترتب على شيء مفسدة في زمن لم تكن تلحقه فيما قبله فلا شك في وجوب تغيير الحكم ، وتطبيقه على الحالة الحاضرة يعني على قاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح"[2] ، ناهيك عن قوانين بعض الدول العربية التي احتوت على مواد تجرم التعدد في الزوجات مثل القانون التونسي[3]، بينما نجد أنَّ بعض المستشرقين تكلم على هذا المبدأ التشريعي باعتدال على أنّهُ ورد في القرآن الكريم ولا يوجد نص يُحرم هذا النوع من التشريع أمثال "كولين تيرنر" إذ يقول" لم يحرم تعدد الزوجات صراحة في الاسلام ، وإنما سمح للرجل أن يتزوج بأكثر من زوجة إذا ما أستطاع ضمان العدل بين زوجاته في المعاملة وهكذا فإن تصعيب هذا الأمر من حيث النظرية من شأنه إيقافه بشكل طبيعي وفي حينه "[4]، و"غوستاف لوبون" [5] أيضاً دافع عن هذا التشريع إذ يقول :"إنَّ

١- تحرير المرأة: قاسم أمين، بلا.ط ، ٢٠١٢م ، مؤسسة هنداوي - مصر ،٨١.
٢- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) : محمد رشيد رضا، ط ١ ، -١٩٩٠م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ،٤/ ٢٨٦.
٣- ينظر: الحماية الجنائية للعلاقة الزوجية دراسة مقارنة: محمود احمد طه ، ط١ ، ٢٠١٥ ، دار الفكر والقانون ، المنصورة - مصر، ١٣٩.
٤- الإسلام الأسس: كولين تيرنر ، ٢٢٥.
٥- غوستاف لوبون: مستشرق فرنسي ولد عام ١٩٣١م عمل في أوربا من أثاره حضارة العرب والحضارة المصرية وسر تقدم الأمم. https://ar.wikipedia.org/wiki . تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢١ / ١٢ / ٢٠١٩.

أكثر مؤرخي أوربا اتزاناً يرون أنَّ مبدأ تعدد الزوجات حجر الزاوية في الاسلام وأنّهُ علة انحطاط الشرقيين وذلك الوصف مخالف للحق .....أنَّ مبدأ تعدد الزوجات الشرقي نظام طيب يرفع المستوى الأخلاقي في الأمم التي تقول به ويزيد الأسرة ارتباطاً والمرأة احتراماً وسعادة لا تراهما .....ولا أرى سبباً لجعل مبدأ تعدد الزوجات الشرعي عند الشرقيين أدنى مرتبة من مبدأ تعدد الزوجات السري عند الأوربيين "[1]، المستشرق "وول ديورانت "[2] يؤيد ذلك إذ يقول : " لقد ظن رجال الدين في العصور الوسطى أنَّ تعدد الزوجات للزوج الواحد نظام ابتكره محمد[ﷺ] ابتكاراً لم يُسبق إليه ، ولكنه في الواقع نظام سابق للاسلام بأعوام طوال [3]، ولابد من الاشارة إلى أنَّ هذا التعدد كان موجوداً في الكتب المقدسة عند الديانات السابقة لاسيما المسيحية واليهودية فقد وردت نصوص في بعض الأسفار تتكلم عن ذلك، فضلاً عن قصة الأناجيل التي تذكر العريس السماوي[4] فضلاً عن كونه موجوداً عند بعض المذاهب المسيحية التي أباحت هذا التعدد وكان ذلك "عام ١٥٣١م إذ نادى بعض المعمدانيين [5] في مونشير إلى أنَّ من حق المسيحي أن تكون له عدة زوجات باعتبار هذا التعدد بمثابة نظام إلهي مقدس"[6]، ولابد من الاشارة إلى أنَّ بعض القوانين في الدول الأوربية قد شرعت الخليلة وهي الزوجة غير الشرعية حتى جعلت لها حق التعويض المعنوي ، أي أنَّ القانون الفرنسي أدرك مسألة تعدد الزوجات إلا أنّهُ بطريقة مختلفة فقد عد الثانية

١- حضارة العرب: غوستاف لوبون ، ترجمة عادل زعيتر ، ط٣، ١٩٦٧م، دار إحياء الكتب العلمية ـ القاهرة مصر ، ٣٩٩.
٢- وول ديورانت: مؤلف وكاتب أمريكي ولد عام ١٨٨٥م وتوفي عام ١٩٨١م ، وهو من أهم الكتاب الذين اهتمت بحوثهم في الفلسفة ومن أهم أبحاثه قصة الفلسفة، قصة الحضارة. ينظر: معجم أعلام المورد: منير البعلبكي ، ١٩٨.
٣- قصة الحضارة: وول ديورانت، ترجمة: زكي نجيب محمود، تقديم محي الدين صابر، بلا . ط ، بلا .ت ، دار الجيل بيروت لبنان .،١/ ٧٠.
٤- ينظر: لطائف النساء: رضا لبيب عواضة، بلا .ط ، بلا .ت ، دار الكتب العلمية ـ بيروت – لبنان، ٩١-٩٢.
٥- المعمدانيين: مجموعة كبيرة من رجال الدين النصارى البروتستانتيين الذين يؤمنون بالمسيح عيسى منقذًا لهم. وينتظم المعمدانيون في جمعيات أو اتحادات منفصلة، يعود كثير من هذه المنظمات إلى الاتحاد العالمي للمعمدانية. https:// org.marefa.www . تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢١ / ١٢ / ٢٠١٩.
٦- ينظر: لطائف النساء: رضا لبيب عواضة، ٩٤.

خليلة [1]، وهذا في حد ذاته يُعد اعترافاً بضرورة تعدد الزوجات وإنَّ " أعداء الاسلام يشنون الحملات الظالمة على الدين الإسلامي وشريعته الغراء، في صور من النقد اللاذع، والتنديد الرخيص، الكاشف عن حقدهم وكيدهم للاسلام، فمن ذلك تشنيعهم على الاسلام بإباحته تعدد الزوجات ، وأنّها على زعمهم إضرار بالزوجة وإرباك لحياتها، وقد جهل الناقدون أو تجاهلوا أنّ الاسلام لم يكن المشرع الأول لذلك ؛ فقد شرعته الأديان السماوية والقوانين الوضعية قبل الاسلام بآماد وقرون مديدة، فلا حجر على تعدد الزوجات في شريعة قديمة سبقت قبل التوراة والإنجيل، ولا حجر على تعدد الزوجات في التوراة أو في الإنجيل، بل هو مباح مأثور عن الانبياء أنفسهم، من عهد إبراهيم الخليل عليه السلام إلى عهد الميلاد، ولم يرد في الإنجيل نص واحد يحرم ما أباحه العهد القديم للآباء والأنبياء ، ولمن دونهم من الخاصة والعامة ،وما ورد في الإنجيل يشير إلى الإباحة في جميع الحالات " [2] .

وختاماً يمكن القول انَّ تعدد الزواج الذي مارسه النبي صلى الله عليه وآله لم يكن بدوافع غريزية كما أرادها المستشرقين؛ لأن سيرة النبي صلى الله عليه وآله تفند تلك الآراء، فضلاً عن مبدأ العصمة التي يتحلى بها النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، ويظهر شرعية هذا النوع من الزواج لأسباب عدة منها فسيولوجية تقتضي التعددية ومنها مرضية ناهيك عن الدراسات الحديثة التي تظهر أنَّ أعداد النساء في العالم ضعف الرجال وهذا بحد ذاته يتطلب التعدد، وهذا يظهر النظرة العميقة للشريعة، فضلاً عن عدم وجود نصوص تمنع التعدد في الديانات السابقة.

١- ينظر: أصحاب الحق في التعويض عن الضرر الأدبي في حالة موت المصاب: محمد يحيى المحاسنة، مجلة الحقوق، السنة الرابعة والعشرون، يونيو ٢٠٠٠م، عدد ٢، ٢٨٣ -٢٨٤. نقلاً عن الضرر المعنوي والتعويض عنه في القانون والقضاء الإداري المقارن دراسة تحليلية مقارنة: هيمن حسين احمد، ٢٠١٨م، المركز العربي للنشر والتوزيع ـ القاهرة – مصر، ٢٠٨

٢- أخلاق أهل البيت عليهم السلام : مهدي الصدر ، ط ٤، ٢٠٠٨م ، دار الكتاب الإسلامي ـ قم ـ إيران ، ٢٩٠-٢٩١.

المبحث السادس: أحكام أهل الكتاب عند الامامية في دراسات المستشرقين

المطلب الأول: مفهوم أهل الكتاب عند الامامية:

أولاً: تعريف أهل الكتاب لغةً واصطلاحاً:

١ـ أهل الكتاب لغةً: أهل الكتاب مركب إضافي يتكون من كلمتين "أهل " و" الكتاب" وهذا يتطلب تعريفهما كل على حدة:

أ ـ الأهل: مفرد وجمعه أهلون وهما أصلان متباعدان يدلان على خاصة الشيء أو أقاربه [١]، فيقال أهل الشخص خاصته، وأهل من يدين به [٢] وقيل أهل الشخص من يجمعه معهم أصل أو نسب أو دين [٣].

ب ـ الكتاب: في اللغة مصدر من كتب، وله استعمالات عدة منها: اسم للصحيفة التي يكتب فيها والمُكَتبْ المعلم [٤] ومنها: الحكم أو الفرض كقوله أقاضيك بكتاب الله أي بحكم الله [٥] ومنّها اسم يطلق على أصحاب الديانات الأخرى [٦].

٢ـ أهل الكتاب اصطلاحاً: هناك تعاريف عدة وردت لهذه التسمية نذكر منها : عرفهم الشهرستاني (ت: ٥٤٨هـ) بقوله : "أهل الكتاب الخارجون عن الملة الحنيفية والشريعة الاسلامية ممن يقول بشريعة وأحكام وحدود وإعلام وهم قد انقسموا إلى من لهُ كتاب محقق مثل التوراة والإنجيل وعن هذا يخاطبهم التنزيل بأهل الكتاب وإلى من له شبهة كتاب مثل المجوس والمانوية فإن الصحف التي أنزلت على إبراهيم عليه السلام قد رفعت إلى السماء لأحداث أحدثها المجوس ولهذا يجوز عقد العهد والذمام معهم وينحى به منحى اليهود والنصارى إذ هم من

١- ينظر : معجم مقاييس اللغة : ابن فارس ، ١/ ٦٥٠.
٢- ينظر: العين : الفراهيدي ، ٤/ ٨٩. وينظر :المحيط في اللغة : الصاحب ابن عباد ، ٤/ ٦٣.
٣- ينظر : مفردات ألفاظ القران : الراغب الأصفهاني، ٦٩٩ -٧٠١. وينظر : لسان العرب : ابن منظور ، ١١/ ٢٨ -٢٩.
٤- ينظر : العين : الفراهيدي ،٥/ ٣٤١.وينظر : المحيط في اللغة : الصاحب ابن عباد ، ٦/ ٢٢٨.
٥- معجم مقاييس اللغة : ابن فارس ، ٥ / ١٥٨ .
٦- ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : الراغب الأصفهاني ،٦٩٩ -٧٠١.

أهل الكتاب ولكن لا يجوز مناكحتهم ولا أكل ذبائحهم فإن الكتاب قد رفع عنهم "[1]، أهل الكتاب: " هم كل من يؤمن بنبي ويقر بكتاب ويشمل اليهود والنصارى، ومن آمن بزبور داود، وصحف إبراهيم - عليهما السلام - وشيث؛ وذلك لأنّهم يعتقدون ديناً سماويّاً منزلاً بكتاب" [2]، وعرفوا كذلك بأنهم :" غير المسلمين ممن يتبعون أحد الأنبياء ﷺ ولهم كتب سماوية كاليهود والنصارى والمجوس في بعض الأقوال " [3].

ثانياً: الآيات المتعلقة بأهل الكتاب وتفسيرها عند الامامية:

قال تعالى : ﴿**وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ**﴾ [4] ، ذهب مفسرو الامامية إلى حرمة مناكحة أهل الكتاب استدلالاً بهذه الآية ، إذ يقول الشيخ الطوسي (ت:٤٦٠هـ): " وهذه الآية على عمومها - عندنا-في تحريم مناكحة الكفار، وليست منسوخة ولا مخصوصة ، فأما المجوسية، فلا يجوز نكاحها إجماعاً، والذي لا يجوز : أنَّ يتزوج مسلمة إجماعاً "[5]، قال تعالى : ﴿**لَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ**﴾[6] استفاد مفسرو الامامية من الآية الكريمة عدم زواج المؤمن من الكتابية؛ لأنّها في عداد الكافرة ، " ثمّ نهى المؤمنين عن نكاح الكافرات، والمعنى : لا تكن بينكم وبينهنّ عصمة ولا علقة زوجيّة، وفيه دلالة على عدم جواز العقد على الكافرة، سواء كانت حربيّة أو ذمّيّة ، لعموم لفظ الكوافر " [7]، وكذلك قوله تعالى : ﴿**الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ**... ﴾[8]، وفي إطار تفسير

١- الملل والنحل : الشهرستاني ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، بلا. ط ، بلا. ت ، دار المعرفة - بيروت-لبنان ، ١ / ٢٠٨.
٢- معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية: محمود عبد الرحمن عبد المنعم، بلا. ط ، بلا. ت ، دار الفضيلة ـ القاهرة ـ مصر ، ١ / ٣٣١.
٣- معجم مصطلحات الفقه وألفاظه: ضرغام الموسوي، ١٢٣.
٤- سورة البقرة: الآية، ٢٢١.
٥- التبيان: الطوسي، ٢ / ٢١٧.
٦- سورة الممتحنة: الآية، ١٠ .
٧- زبدة التفاسير: فتح الله الكاشاني، ٧ / ٣٦.
٨- سورة المائدة: الآية، ٥ .

الآيات المتعلقة بأحكام أهل الكتاب يستفيد الامامية من هذه الآية حلية بعض أطعمة أهل الكتاب كالحبوب، " وقيل : إنّه مختصّ بالحبوب وما لا يحتاج فيه إلى التذكية "[1] وهذا ما عليه جل مفسري الامامية[2]، قال تعالى : ﴿**وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ** .... ﴾[3]، استدل مفسرو الامامية على أنَّ المحصنات من أهل الكتاب هنَّ العفيفات ولكن الخلاف حاصل في شرعية الزواج من عدمه "واختلفوا في زواج الكتابية، أي النصرانية واليهودية ، واختلف فقهاء الشيعة بين مجيز ومانع ومفصل بين الزواج الدائم والمنقطع، فأجاز الثاني، ومنع الأول"[4]، و من هنا يتبين اتفاق أغلب مفسري الامامية على حرمة الزواج من الكتابية على الدوام وجوازه على المنقطع وكذلك حرمة ونجاسة طعامهم غير الحبوب.

المطلب الثاني: دراسات المستشرقين لأحكام أهل الكتاب في الفقه الامامي:

اتسمت الآيات القرآنية الكريمة بسمة مميزة وهي أنَّ معظمها جاءت حاملة لنُظم تشريعية تسعى لتنظيم حياة الإنسان، وفي ضوء بيان تلك النُظم والأحكام، يبين لنا الاسلام ما شرع من أحكام تخص من كان يعيش مع المسلمين من أهل الكتاب، ولقد حرص المستشرقون على دراسة تلك الآيات الكريمة التي حملت الأحكام الفقهية الخاصة بأهل الكتاب ودأبوا على توجيهها وفق ما يتماشى مع مبادئهم العقدية المختلفة، مُسلطين الضوء على الآيات التي كانت محل خلاف فقهي بين المسلمين أنفسهم ، ولعل أبرز ما جاء في دراساتهم هي زواج المسلمين من أهل الكتاب ونجاستهم ومدى حلية أطعمتهم وحرمتها .

١- مقتنيات الدرر: علي الحائري، ٣/ ٢٥٥.
٢- ينظر: مجمع البيان: الطبرسي، ٣/ ٢٨٠. وينظر: الميزان: الطباطبائي، ٥/ ٢٠٤. وينظر: الأمثل: ناصر مكارم الشيرازي، ٣/ ٦٠٩.
٣- سورة المائدة: الآية، ٥ .
٤- التفسير الكاشف: محمد جواد مغنية ، ٣/ ١٩.

أولاً : دراسات المستشرقين لبحث الزواج بالكتابية في الفقه الامامي :

يُفضل الاسلام الزواج ويحث عليه خلافاً لحالة العزوبية والتقشف التي تؤيدها المسيحية، لذا فإن بحث الزواج في الاسلام من المباحث التي شغلت أذهان الدارسين الغربيين؛ وبما أنَّ هناك حالة من الميل لمقارنة الأحكام الاسلامية بمثلها عند أصحاب الأديان الأخرى في جل الدراسات الاستشراقية ، سعى المستشرقون إلى معرفة وجهة نظر الاسلام لاسّيما الامامية في الزواج من نساء أصحاب الديانات الأخرى، فَعدَّ هؤلاء الباحثون هذا الحُكم باباً للطعن في الشريعة الاسلامية عامة والفقه الامامي خاصة؛ إذ جاءت دراستهم لهذا المفهوم بصيغة مقارنة مع المفهوم نفسه عند المذاهب الأخرى، ثم أنَّ المتأمل في بحوث المستشرقين الذين عنوا بالفقه الامامي وحاولوا كشف أحكامه وغاصوا في أفاقه، يجد أنّ جل تلك البحوث جاءت بصيغة مجانحة لمنهج البحث العلمي ومبتعدة عن جادة الصواب بهدف إظهار تسامح المذاهب الاسلامية في قبال تعصب المذهب الامامي، وهذا يتطلب معرفة منظور الامامية وأدلتهم قبل الخوض في دراسات المستشرقين ، فقد أطبق الامامية على حرمة زواج المسلمين من الكفار سواء أكان المتزوج ذكراً أو انثى [1] ، وأطبقوا أيضاً على حرمة زواج المسلمة من الكتابي[2] ولكنهم اختلفوا في نكاح المسلم من الكتابية فذهب بعضهم إلى تحريمه مطلقاً[3] بينما أباحه الآخر مطلقاً[4] بينما نجد أنَّ مشهور الامامية ذهب إلى تحريمه على الدوام وأباحته على المنقطع[5] " تحرم الكافرة على المسلم إجماعاً والكتابية على

١- ينظر : جواهر الكلام : محمد حسن النجفي ، ٣/ ٢٧.
٢- ينظر: جامع المقاصد: علي بن الحسين المحقق الكركي، تحقيق وتصحيح: لجنة التحقيق في مؤسسة آل البيت ﷺ، ط ٢، ١٤١٤ هـ ، مؤسسة آل البيت ﷺ - قم- إيران، ١٢/ ٣٩١.
٣- ينظر: السرائر: ابن إدريس الحلي، ٢/ ٥٤١.
٤- ينظر: المقنعة: الصدوق، ٣٠٨.
٥- ينظر: الانتصار: الشريف المرتضى، ٢٧٩. وينظر التبيان: الطوسي، ٣/ ٤٤٥. وينظر: مجمع البيان: الطبرسي ، ٣/ ٢٨٠.وينظر: إرشاد الأذهان: الحسن بن يوسف بن المطهر (العلامة الحلي)، تحقيق: فارس الحسون، ط١، ١٤١٠هـ ، مؤسسة النشر ي - قم - إيران، ٢/ ٢٣. وينظر: الروضة البهية: الشهيد الثاني ، ٢/ ٢٢٨.

الدوام "[1]، وهو مما انفردت به الامامية عن غيرها[2] مستدلين بالآية الكريمة : ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾[3]، وروايات كثيرة منها :رواية محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن أحمد بن عمر، عن درست الواسطي[4]،عن علي بن رئاب[5]،عن زرارة بن أعين[6] عن أبي جعفر عليه السلام قال:" لا ينبغي نكاح أهل الكتاب قلت : جعلت فداك وأين تحريمه في كتاب الله قال عليه السلام في قوله تعالى : ﴿لَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾[7] "[8]، وأشكل بعض العلماء على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾...[9] على أنّها دليل على الإباحة[10]، وأنَّ العلماء افترقوا في تفسير كلمة المحصنات وسلكوا في ذلك مسلكين : الأول أنَّ المراد بها الحرائر فقط دون الإماء ، والآخر قال العفائف من أهل الكتاب سواء حرائر أو إماء[11]،ولعل أهم المستشرقين الذين سلطوا الضوء على هذه المسألة "جولد زيهر" محاولاً إجراء مقارنة بين المذاهب الاسلامية ، إذ جعل المسألة تأخذ طابع التسامح العام في خلاف التعصب الضيق الذي مني به المذهب الامامي حسب ادعائه إذ يقول :" لقد أباح القرآن للمسلم أنَّ يتزوج من النساء الشريفات من اليهود والنصارى : ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[12] ، وأجازت السنة

١- اللمعة الدمشقية: محمد بن جمال الدين (الشهيد الأول)، ط١ ١٤١١هـ ، مطبعة قدس ـ قم – إيران ، ١٦٦.
٢- ينظر: الانتصار: الشريف المرتضى، ٢٧٩.
٣- سورة البقرة، الآية: ٢٢١.
٤- " درست الواسطي: ثقة " . الفهرست : الطوسي ، ١٢٧.
٥- " علي بن رئاب: ثقة " . الأبواب : الطوسي ، ٢٤٦.
٦- " زرارة، معتبر ثقة ". بحوث في علم الرجال: محمد آصف محسني ، ٣٨٣.
٧- سورة الممتحنة: الآية، ١٠.
٨- الكافي: الكليني، ٥ / ٣٥٨.
٩- سورة المائدة: الآية، ٥.
١٠- ينظر: تفسير الطبري: الطبري، ٨/ ١٣٩.
١١- ينظر التبيان: الطوسي، ٣/ ٤٤٤. ينظر: جوامع الجامع: الطبرسي، ١/ ٤٧٧.
١٢- سورة المائدة: الآية، ٥.

هذا الزواج المختلط ؛لأنّهُ لا يتنافى مع النظرية الاسلامية في العصور الأولى من الاسلام "[1] مبيناً أنَّ الامامية ترفضه بقوله : " ولكن الشيعة على نقيض أهل السنة لا يقرون زواجاً كهذا مستندين على الآية ٢٢١ من سورة البقرة: **وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ** " أي أنّها تحظر الزواج بالمشركات "[2]، يبدو أنَّ المستشرق في ما ذهب إليه كان مستنداً إلى مبدأ أساس هو فصل أهل الكتاب عن المشركين ، فقد وردت الآيات الكريمة التي ظاهرها يدل على ذلك منّها قوله تعالى : ﴿**لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ**﴾[3]، ويرد عليه أنَّ ما جاء في الآية السابقة نظير قوله تعالى : ﴿**الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ**﴾ [4] وإذا أمعنا النظر نجد أنَّ الوالدين في عداد الأقربين[5]، أضف إلى ذلك أنَّ الجمهور ليس كلهم مطبقين على جوازه في العصور الأولى ـ كما ادعى المستشرق ـ فبعض الصحابة رفضه وعدهم من المشركين وهذا عبدالله بن عمر يقول : "لا أعلم شركاً أعظم من قول النصرانية إنَّ ربها عيسى "[6] ومثله عن ابن عباس مستدلاً بقوله تعالى : ﴿**قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ**﴾ [7] أي أباح هذا النكاح من أهل الكتاب الذين يدفعون الجزية وبخلاف ذلك يكون محرماً [8]، وبهذا يفتقر المستشرق إلى الدقة في استقراء آراء الجمهور، فكيف يعمم الحكم على الكل وهناك من يرفضه ، ومن الجدير بالذكر أنَّ منهج المستشرق " جولد زيهر"

١ – العقيدة والشريعة: جولد زيهر، ٢٣٤.
٢– المصدر نفسه، ٢٣٤.
٣– سورة البينة: الآية، ١.
٤– سورة البقرة: الآية، ١٨٠.
٥– ينظر: محاسن التأويل: القاسمي، ٤/ ٥٨.
٦– المصدر نفسه، ٤/ ٥٨.
٧– سورة التوبة: الآية، ٢٩.
٨– ينظر: معالم التنزيل: البغوي، ٢/ ١٩.

كان دائماً يقوم على الإسقاط وتشويه النص وتقطيعه إلا في هذه الآية فهو يورد النص كاملاً لغاية وهدف معين وهو أنَّ ذيل الآية فيه إشارة إلى إحباط العمل في حال عدم الالتزام بالأحكام الشرعية الواردة في الآية ونكاح محصنات أهل الكتاب أحد الأحكام الشرعية الواردة هنا، وبما أنَّ الامامية لم تعمل بهذا الحكم الشرعي بخلاف باقي المسلمين الذين عملوا به فيكون إحباط العمل موجهاً لهم [1]، والحق أنَّ ذيل الآية مكمل للتحذير الصادر من التهاون في الأحكام، وأنَّ المستشرق قد غفل عن مسألة وهي أنَّ الامامية لم تحرم هذا النكاح بصورة كلية وإنما حرمته بصيغة العقد الدائم وأباحته بصيغة العقد المؤقت، أي أنّها أجازت هذا النكاح بصيغة أخرى ثم أنَّ العلماء مختلفون في تفسير الآية فبعضهم يرجعها إلى الكتابيات اللائي أسلمن وتحرج الصحابة من نكاحهن [2]، أما قول المستشرق: إنَّ الامامية قد تعصبت برفضها هذه الرخصة وحرمت هذا الزواج، فالمستشرق يحاول إثبات أنَّ الامامية قد حرمت هذا الزواج نداً للجمهور أي خلافاً لهم بقوله :" ولقد أفتى فقيه كبير من فقهائهم أنّهُ في المسائل العامة التي لا تزودنا فيها أصول الشريعة بقبس يهدينا إلى حلها حلاً صحيحاً فالمبدأ الذي يجدر بنا أتباعه أنَّ نفعل نقيض ما يستحسنه أهل السنة" [3]، وهو يريد أنَّ يثبت هنا أنَّ الامامية في أحكامها الشرعية تعمل بخلاف أهل السنة وأي حكم يحرمه الجمهور تبيحه الامامية والعكس، والواقع يكذب رأي المستشرق ويفند مُدعاه فهناك كثير من الأحكام الفقهية متفقٌ عليها بين المذاهب الاسلامية من الامامية وغيرها، والمسلم به أنَّ الأحكام الشرعية لا تكون ذات قيمة إلا إذا دل عليها دليل، وهنا الدليل قائم عند الامامية على حرمة هذا النكاح؛ لدخول أهل الكتاب في عداد

١- ينظر: الميزان: الطباطبائي، ٥/ ٢٠٨.
٢- ينظر: جوامع الجامع: الطبرسي، ١/ ٤٧٧.
٣- العقيدة والشريعة: جولد زيهر، ٢٣٦.

المشركين وليس كما ذهب المستشرق منها قوله تعالى : ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ [1] والمفسرون يرون أنَّ في هذه الآية دلالة على عدم جواز عقد النكاح على الكتابية سواء ما كنت من أهل الذمة أومن أهل الحرب، مشيرين إلى عدم تخصيص الآية بأهل الأوثان لنزولها بهم؛ لأن اللفظ العام لا يُخصص بالسبب [2]، وكذلك قوله تعالى:﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [3] وقوله تعالى : ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [4] وغيرها من الآيات التي تشير إلى هذا المعنى والتي تقول إن أهل الكتاب من اليهود والنصارى قد أشركوا بالله تعالى وهذا الوصف ـ الشرك ـ يكون مانعاً من الزواج المذكور ، وعليه فلم يكن التحريم من باب المعاندة كما أراد المستشرق وإنما من باب الاستدلال واقامة الحجة، وأما احتجاجه على استدلال الامامية بقوله : " ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن "والذي يرى فيه أنَّ الامامية تؤول الآيات عن معناها الأصلي، وهنا أنَّ الامامية لم تقم بالتأويل أصلاً بل اعتمدت على اللفظ الظاهر للآية الكريمة، وهو أيضاً ليس رأي الامامية فقط بل رأي الجمهور أيضاً ممن ذهب إلى التحريم[5] وأنَّ آية الإباحة مُختلف فيها منهم من حملها على نكاح الكتابية التي أسلمت بسبب تحرج الصحابة ومنهم من قال بتحريمه.

وهنا يستنتج الباحث أنَّ الغاية التي أرادها المستشرق من دراسته لمشروعية الزواج من الكتابية وعدمه، ليس معرفة رأي الامامية فلا يعنيه ذلك بشيء، بل أراد وضع القارئ الغربي أمام حالة واضحة من الصراع الاسلامي بين طوائفه عن طريق تناوله للمسائل الخلافية ومن هنا يخرج بنتيجتين : الأولى : أنَّ يرسم صورة

١- سورة الممتحنة: الآية ، ١٠ .
٢- ينظر: التبيان: االطوسي ، ٩/ ٥٨٥.
٣- سورة التوبة: الآية، ٣٠ .
٤- سورة التوبة: الآية، ٣١ .
٥- ينظر: مجمع البيان: الطبرسي ،٢/ ٨٤.

واضحة للقارئ الغربي أنَّ الدين الاسلامي ليس هو الدين المثالي؛ لأنّهُ يضعه أمام التعصب والاختلاف وكثرة الانشقاق وهذا يعطي فكرة مشوهة عن الاسلام وهذا ما نلاحظه اليوم في دول الغرب إذ ترتبط صورة الاسلام بالحركات المتطرفة، والثانية : هي محاولته تمزيق الاسلام من الداخل، من طريق تبني آراء الجمهور وإظهار تسامحهم في قبال تعصب الامامية وضلالهم وابتعادهم عن القرآن بل تبنيهم كل ما يخالف العامة دون أدلة ، وبهذا يُسهم في تشويه صورة الإمامية، وهذا ما نلاحظه عبر سيل من الكتابات التي تندد بالامامية وتعيد شبهات المستشرقين نفسها .

ثانياً: دراسات المستشرقين لنجاسة أهل الكتاب في الفقه الامامي:

من المسلم به أنَّ الشريعة الاسلامية أكدت وجوب طهارة المسلم من النجاسات المعهودة، إذ أوليت الطهارة أهمية كبيرة في الأعمال العبادية كافة فجعلت الطهارة أساس قبول الصلاة وسائر الأعمال الأخرى، وأنّها حددت جملة من النجاسات التي تبطل الأعمال العبادية وتخل بهذه الرابطة النقية، ومن جملة النجاسات التي حددتها الشريعة الاسلامية هي نجاسة الكافر، والمستشرقون لم يغفلوا عن هذا الحكم الشرعي فوجهوا دراساتهم نحوه وعدوه مثلبة على الفقه الامامي، وهنا لابد من معرفة رأي الامامية في نجاسة أهل الكتاب وطهارتهم، ولم تختلف الامامية بنجاسة الملحدين والمشركين والنواصب[1] إلا أنَّ نجاسة أهل الكتاب كانت محل خلاف بين فقهاء المذهب الامامي فالمشهور عند الامامية النجاسة [2] وبعض الفقهاء نقل الإجماع على حصولها [3]، بينما نجد أنَّ بعض

١- ينظر: التنقيح في شرح العروة الوثقى: ابو القاسم بن علي اكبر (السيد الخوئي)، بحث تقرير الميرزا علي الغروي، بلا. ط ، بلا. ت، مطبعة الآداب ـ النجف ـ العراق، ٢/ ٤٢.

٢- ينظر: مصباح الفقيه: رضا بن محمد هادي الهمداني، تحقيق وتصحيح: محمد الباقري - نور علي النوري - محمد الميرزائي-نور الدين جعفريان، ط ١، ١٤١٦ هـ، مؤسسة النشر ي ـ قم- إيران، ٧/ ٢٥٩. وينظر التنقيح: الخوئي، ٢/ ٤٢. وينظر: المنهاج: علي الحسيني السيستاني، ط١ ، ١٤١٤هـ ، مطبعة مهر ـ قم ـ إيران ، ١/ ١٤٠.

٣- ينظر: غنية النزوع: ابن زهرة، ١/ ٤٤. وينظر السرائر: ابن إدريس الحلي، ٣/ ١٢٤. وينظر: منتهى المطلب : الحسن بن يوسف بن المطهر (العلامة الحلي) ، ط الجديدة، بلا. ت، مدرسة الفقاهة ـ قم ـ إيران ، ٣/ ٢٢٢.

الفقهاء قال بالطهارة [١] وأنَّ جملة من الفقهاء القدماء والمحدثين مالوا إلى الطهارة إلا أنّهم لم يصرحوا بذلك [٢] بينما نجد أنَّ بعض العلماء يذهب إلى أنَّ نجاسة الكافر بالكلية ويراها من الضرورات التي بني عليها المذهب [٣] بل هي من الانفرادات الفقهية لمذهب الامامية[٤]، ويبدو أنَّ الحكم الشرعي الذي رجح عند الامامية هو نجاسة الكافر بالاعتماد على كثرة الفقهاء المجمعين عليها وعلى التعضيد القرآني ومخالفة العامة [٥]، غير أنَّ دراسات المستشرقين حول الآية القرآنية التي كانت حاملة للحكم الشرعي، جاءت في طابع ملؤه التشدد والإسقاط المسبق إذ يقول "جولد زيهر" : " فبينا الاسلام السني قد محا، بواسطة التأويل الذي اعتمده في النهاية اللهجة القرآنية الشديدة نحو الكفار : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ**﴾ [٦] تقيد الحكم الشرعي عند الشيعة بحرفية هذا النص، وأعلن نجاسة المادة الجثمانية للكافر وجعل الاتصال به في عداد النواقض العشرة التي تؤدي للنجاسات "[٧]، إنَّ المتأمل في كلام المستشرق يجد أنَّ عباراته قد وضعت في إطار معد لهذا الأمر فبينما كان يشكل على الامامية أنهم يؤولون الآيات عن معناها الظاهر في المطلب السابق نجدهُ يعطي المشروعية للتأويل الصادر من الجمهور في حق هذه الآية، وهذا تناقض واضح وجنوح عن الموضوعية، والذي يدل

١- ينظر: منهاج الصالحين: السيد محسن الحكيم، تعليق: السيد محمد باقر الصدر، ط١، ١٤١٠ هـ ، دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت – لبنان ، ١/ ١٥٠، وينظر المنهاج: التبريزي، ١/ ١١٤.

٢- ينظر : مسالك الإفهام إلى تنقيح شرائع: زين الدين بن علي العاملي (الشهيد الثاني) ، ط ١، ١٤١٣ هـ، مؤسسة المعارف الاسلامية- قم – إيران، ١٢/ ٨٩ . وينظر: مدارك الأحكام في شرح شرائع: محمد بن علي الموسوي العاملي، تحقيق: مؤسسة آل البيت ﷺ لأحياء التراث، بلا. ط ، بلا. ت، مؤسسة ال البيت ﷺ ـ قم – إيران، ٢/ ٢٩٨. وينظر: معالم الدين وملاذ المجتهدين: حسن بن زين الدين العاملي، تصحيح: علي محمدي، ط١ ، ١٣٧٤هـ، دار الفكر ـ قم – إيران ،٢/ ٥٣٨.

٣- ينظر: التنقيح: الخوئي ، ٢/ ٤٢.

٤- ينظر: الانتصار: الشريف المرتضى، ١/ ٨٨.

٥- ينظر: الحدائق الناظرة في أحكام العترة الطاهرة: يوسف البحراني، بلا. ط ، بلا . ت، مؤسسة النشر ي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم – إيران ، ٥/ ١٧٢.

٦- سورة التوبة: الآية، ٢٨.

٧- العقيدة والشريعة: جولد زيهر، ٢٣٢.

على أنَّ عباراته قد اختيرت بعناية نجده يُقَسمْ الاسلام إلى قسمين " السني و الشيعي" وغرض المستشرق واضح جداً؛ لأن الاسلام واحد وإن كانت المذاهب متعددة ومما يدعو للريبة في كلامه أيضاً أنّهُ استعمل عبارة "أنَّ الاسلام السني قد محا ـ بواسطة التأويل الذي وصل إليه في النهاية ـ اللهجة الشديدة للقرآن نحو الكفار"[1] ، إن هذه العبارة تحتوي على محطتين يجب الوقوف عندها: الأولى أنَّ كلمة المحو الواردة في العبارة على أنَّ السنة محت الحكم فهذا لا يمكن التسليم به؛ لأن الأحكام لا تمحى ولا تبدل لا من قبل أهل السنة ولا غيرهم ، وإنَّ حصل فيكون على يد صاحب الشريعة فقط ، أما التأويل الذي أشار إليه فهو لا يعدو كونهُ توجيهاً للحكم الشرعي ، والثانية أشار فيها المستشرق إلى أنَّ القرآن يستعمل اللهجة الشديدة تجاه الكفار، بينما نجد القرآن يثبت عكس ما يدعى ففي خطابه لفرعون وهو من أشد الكفار دعاه ﴿ **اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّر أَوْ يَخْشَى**﴾ [2]، ثم إنَّ إطلالة على آراء العامة في هذا الجانب تثبت خلاف ما ذهب إليه المستشرق على أنّهم متفقون على نجاسته، بل الخلاف قائم على نجاسة أهل الكتاب من عدمها[3]، ولعجز المستشرق من تقديم أدلته طفق يحشد آراء المستشرقين الآخرين أمثال "بولاك" [4] الذي يقول : " إذا قدم أوربي مصادفة وعلى غير انتظار في بداية تناول الطعام يقع الفارسي في الحيرة والإرباك ويسقط في يده؛ لأن الآداب تمنعه من أنَّ يأمر زائره بالانصراف وإذا سمح له بالدخول تحرج ؛ لأن ما يلمسه الكافر من طعام تلحقه النجاسة"[5]، ويبدو أنَّ

١- المصدر نفسه، ٢٣٢.
٢- سورة طه: الآيتان، ٤٣ ـ ٤٤.
٣- ينظر: مفاتح الغيب: الفخر الرازي، ١٦/ ٢١.
٤- بولاك: هو مستشرق نمساوي عاش في إيران شغل منصب الطبيب الخاص للشاه الإيراني، أصبح مدرساً في كلية الطب في إيران، له مؤلفات كثيرة منها: عام بين الفرس، نشر كتاب أرسطو لحنين بن إسحاق مع مقدمة بالألمانية، فهرست المفردات في أصلها السرياني واليوناني. المستشرقون: العقيقي .٢/ ٧٢٥.
٥- نقلا عن: العقيدة والشريعة: جولد زيهر، ٢٣٢

المستشرق قد سحب العادات الزرادشتية إلى ساحة الفقه؛ لأنّهُ عمم الحالة التي شاهدها على أنّها حكم شرعي للإمامية، على الرغم من أنَّ القصة التي ذكرها تتكلم على شخص فارسي ، أي أنّهُ حمل حالة خاصة لشخص معين أو طائفة معينة على الامامية كافة ، مشيراً إلى أنَّ الآداب هي التي تمنعه من ذلك وليست الشريعة، وأنّهُ تمادى في المبالغة في تصوير ذلك حيث ينقل عن أحد المتدينين أنّهُ إذا رأى شخصاً نجساً ـ أي كتابياً ـ يقوم بغسل عينيه ، ويستشهد برحلات بعض الرحالة على أنَّ هذه العادات أيضاً قد وجدت في الشيعة خارج إيران، والحق أنَّ في هذا الرأي نوعاً من المبالغة والاسفاف بل وحتى ابتعاد عن المنهج؛ لأنّهُ حمل العادات الفردية والممارسات الشخصية على الشريعة ونسبها للإمامية على أنّها من مقرراتهم العقدية ،فبدلاً من أنَّ يقدم أدلة يؤيد بها صدق مُدّعاه ذهب إلى سرد الروايات والخيال.

أما "جولد زيهر" فيرى أنَّ الأصل في حكم نجاسة الكافر متأثر بالديانات السابقة بقوله: "فأنا يمكننا مع ذلك أنَّ نرجع موقف الشيعة المتشدد حيال الديانات الأخرى إلى الأثر الفارسي الزرادشتي الذي ساهم في بناء الآراء الشيعية وتكوينها التاريخي "[1] مشيراً الى أنَّ هذا السلوك قد وجد في الديانة الزرادشتية[2] لاسّيما الكتب البارسية [3] بقوله : " إنَّ على الزرادشتي أنَّ يتطهر بالنيرانج إذا لمس

١- العقيدة والشريعة: جولد زيهر، ٢٣٣.

٢- الديانة الزرادشتية وتعرف أحياناً بـ المجوسية نسبة لمؤسسها زرادشت ديانة قديمة، تعتبر أقدم الديانات التوحيدية المعروفة في العالم، تأسست منذ أكثر من ٣٠٠٠ سنة في ما يعرف اليوم بدولة إيران، يعتقد معتنقوها بوجود آلهة متعددة أعظمها الإله أهورا مزدا "الإله الحكيم، الاميشاسبيندات وهو الآلهة الستة العظام لهم كتاب يسمى الافستا. للمزيد ينظر: الديانة الزرادشتية ملاحظات وآراء: أسامة عدنان يحيى ، ط١ ، ٢٠١٦، أشور بانيبال للكتاب، بغداد - العراق ،١٠ -١٢.

٣- البارسية: هي مجموعة عرقية دينية يتركز وجودها في شبه القارة الهندية. ويمثلون جزءًا من الزردشتيين الذين يعيشون في الهند. والمعروف أن البارسية وهم الزردشتيون الإيرانيون الذين استوطنوا غرب الهند قبل ألف عام مضت. والتواجد القديم للبارسي أدى إلى تميزهم عن القومية الزردشتية الأخرى في شبه القارة الهندية. للمزيد ينظر : https://ar.wikipedia.org/wiki/ . تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢١ / ١٢ / ٢٠١٩.

غير زرادشتي "[1]، وهنا يمكن القول إنَّ على المستشرق "جولد زيهر" أنَّ يقدم دليلاً على أنَّ نجاسة الكافر في الفقه الامامي مأخوذةٌ من الديانة البارسية؛ لأن الأصل القرآني واضح ولا اشكال عليه حتى أن المستشرق نفسه أقر به، إذ أشار إلى أنَّ الامامية تقيدت بحرفية النص القرآني بخلاف غيرهم ، وهذا يثبت اضطراب المنهج لديهم؛ لان جمهور المسلمين أنفسهم لم يتفقوا على الحكم القائل بالطهارة، فضلاً عن اختلاف الامامية فيه فليس الكل قائلاً بالنجاسة، وتأسيساً على ذلك يظهر عدم الدقة في طرح الموضوع لدى المستشرقين .

ثالثاً: دراسات المستشرقين لحرمة طعام أهل الكتاب في الفقه الامامي:

لا يشك أحد في أنَّ الشريعة الاسلامية يقع على عاتقها تنظيم كل ما يتعلق بسلوك المكلفين لاسّيما الحاجات الأساسية ـ المأكل والمشرب والملبس ـ وذلك من طريق منظومة تشريعية متكاملة أسس لها الشرع الحنيف وتأتي في مقدمة تلك المنظومة حلية الأطعمة وعدمها، ولا شك في أنَّ المسلمين يعيشون في إطار مجتمعي تعددت فيه الديانات ومن ثم تنوعت فيها الأطعمة وطرق التذكية فيها، وهذا ما توجه المستشرقون لدراسته مسلطين الضوء على فقه المذهب الامامي، وللوقوف على صحة هذه الدراسة لابد من معرفة رأي الامامية في المسألة.

اتفق الامامية على القول بطهارة طعام سائر أهل الذمة حتى من حكم بنجاسته شرط أنَّ لا يحتاج إلى التذكية كالحبوب مثلاً ولم يتنجس بالرطوبة السارية من أجسامهم [2] واختلفوا في ذبائح أهل الكتاب فمشهور الامامية قالوا بحرمة ذبائحهم [3] ولم يكتفوا بحرمتها بل نقلوا الإجماع عليها [4] وذهبوا إلى أنّها من

١ – العقيدة والشريعة: جولد زيهر، ٢٣٤.
٢ – ينظر: العروة الوثقى: محمد كاظم اليزدي، الشارح: السيد روح الله الخميني، بلا. ط ، ١٤٢٢ هـ ، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني ـ طهران– إيران، ٧٩.
٣– ينظر: العروة الوثقى: محمد كاظم اليزدي، ٧٩.
٤ – ينظر: مستند الشيعة في أحكام الشريعة: أحمد بن محمد مهدي النراقي، تحقيق: مؤسسة آل البيت ﷺ، ط ١، ١٤١٥ هـ، مؤسسة آل البيت ﷺ ـ قم – إيران ، ١٥ / ٢٧٩.

الانفرادات الفقهية عند الامامية دون سائر المذاهب الأخرى[1] وبعض الفقهاء ذهب إلى القول بالحلية[2] ومنهم من يقول بحليتها حال سماع التسمية عليها وإذا لم يسمع ذلك تحرم[3] وفي خضم هذه الآراء يتضح أنَّ الامامية أباحت أطعمة أهل الكتاب التي لا تحتاج إلى تذكية كالحبوب والبقل وغيرها أما ما يحتاج إلى تذكية فهم يذهبون إلى تحريمه .

وكعادة المستشرق "جولد زيهر" وجه أصابع الاتهام إلى الامامية على أنّهم متأثرون بالديانات السابقة، ومخالفون دائماً لما عليه العامة من رخصة قرآنية لاسّيما فيما يتعلق بأهل الكتاب، مصرحاً في كلامه بحالة من الاختلاف التعبدي الذي توجده الامامية ، إذ يقول : " إنَّ انتحال الشيعة إلى هذا القانون البارسي هو الذي أوجد ثغرة من ثغرات الخلاف التعبدي بين أهل السنة والشيعة ؛ فمع الرخصة التي وردت صراحة في القرآن : ﴿**الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ**﴾[4] يحرم فقه الشيعة الطعام الذي أعده اليهود والنصارى وما يذبحه هؤلاء من حيوان لا يباح للشيعي تناوله أما السنيون فينهجون في هذه المسألة ما أتى به القرآن من رخصة وتيسير "[5].

إنَّ ثغرات الخلاف التي أشار إليها المستشرق إنْ وجدت لم يكن مصدرها الشيعة كما يدعي، بل مصدرها الإسقاطات التي طبقت على الشيعة و السياسة التي مورست ضدهم مما أدى إلى تغييب الفكر الامامي وظهور الفكر الآخر وهذا ما وقع فيه المستشرق نفسه من اعتماده على مصادر العامة ، ثم إنَّ الشيعة لم يتأثروا بأي نوع من الديانات القديمة في مصادر أحكامهم ؛ بل إنَّ مصادر الفقه

١- ينظر: الانتصار: الشريف المرتضى، ٤٠٣.
٢- ينظر: مسالك الإفهام: الشهيد الثاني، ١١/ ٤٥٢.
٣- ينظر: المقنعة: الصدوق، ٤١٧.
٤- سورة المائدة: الآية، ٥.
٥- العقيدة والشريعة: جولد زيهر، ٢٣٤.

الامامي هي نفسها مصادر الفقه الاسلامي ـ القرآن والسنة والإجماع ـ والامامية ترى العقل مصدراً لاستنباط الحكم الشرعي[1]، بينما الجمهور أضاف القياس والاستحسان وغيرها [2] .

ولم نلاحظ في هذه الأدلة شيئاً اسمه البارسية أو شيئًا من تعاليمهم، وبما أنَّ المستشرق ادعى أنَّ الجمهور قالوا بحلية أطعمة أهل الكتاب، لابد من عرض رأي الجمهور لمعرفة مدى صحة ذلك الرأي، وعليه يذهب علماء الجمهور في ذلك إلى عدة مذاهب: الأول يذهب إلى تحريم ذبائح أهل الكتاب وهو رأي ابن عباس مستدلاً بقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ**﴾ [3]،وبما أنَّ أهل الكتاب لم يذكروا اسم الله قال بحرمتها، والثاني يذهب إلى أباحتها سواءً ذكروا شيئاً على الذبيحة أم لا وهو قول المشهور، بينما نجد أنَّ بعض الصحابة قالوا بالسمع أي إذا سمعته يذكر اسم الله فكل وإذا لم تسمع فلا تأكل [4].

وهنا يظهر أنَّ فقهاء الجمهور لم يطبقوا على حلية أطعمة أهل الكتاب بخلاف ما ادعى المستشرق أنَّ أهل السنة كلها تبيح الأطعمة، وبخصوص ادعائه أنَّ الامامية ذهبت إلى التحريم فهو لم يكن دقيقاً بما فيه الكفاية لاستقراء رأي العلماء و تعميم الحكم على الامامية؛ لأن رأي الامامية مطابق لرأي الجمهور فمنهم من أجاز ومنهم من قال بالتحريم والآخر اعتمد على السماع ، إلا إذا كان يعني بذلك المشهور من الفريقين فهو واضح، أضف إلى ذلك أنَّ من قال بالتحريم عند الامامية لديه الأدلة الكافية من القرآن والسنة فمن القرآن قوله تعالى "**وَلَا تَأْكُلُوا**

١- ينظر : السرائر : ابن إدريس الحلي ، ١ / ١٨ .
٢- ينظر : أصول السرخسي : السرخسي ، تحقيق : أبو الوفا الأفغاني ، ط١ ، ١٩٩٣م ، دار الكتب العلمية – بيروت–لبنان ، ٢ / ١٩٩ .
٣- سورة الأنعام : الآية ، ١٢١ .
٤- ينظر: تفسير القرطبي : للقرطبي ، ٦/ ٧٦.

مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ"[1] وأهل الكتاب لا يذكرون اسم الله على ذبائحهم وإن ذكروه فهو ليس المقصود به الله تبارك وتعالى.

وأما من السنة ما روي عن إسماعيل بن جابر[2] قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما تقول في طعام أهل الكتاب؟ فقال: لا تأكله، ثم سكت هنيئة، ثم قال: لا تأكله، ثم سكت هنيئة، ثم قال: لا تأكله ...."[3]، ورواية سماعة[4] قال: " سألت أبا عبد الله عليه السلام عن طعام أهل الكتاب وما يحل منه، قال : الحبوب "[5] غير أنَّ نظرة فاحصة للأدلة التي ساقها الامامية فيما يتناول تحريم ذبائح أهل الكتاب تُظهِر أنَّ أهل الذمة لا يؤدون أعمال التذكية ضمن الضوابط المقررة التي منها ذكر اسم الله على الذبيحة وتذكيتها نحو القبلة وغيرها من الشروط ، لذا أبقى العلماء على حلية الحبوب وأجناسها وأفتوا بحرمة الذبائح وأجناسها، بعد استقراء آراء المسلمين عامة والامامية خاصة فيما يتعلق بأطعمة أصحاب الديانات الأخرى يظهر عدم دقة الطرح الذي ورد على أيدي المستشرقين في مسألة الأطعمة، فليس أطعمة أهل الكتاب محرمة بالكلية عند الامامية بل التحريم خص الذبائح فقط وأباح غيرها من الحبوب وما شاكلها، ثم انّه ـ التحريم ـ لم يكن عرضياً أو جزافياً بل جاء مستنداً للأدلة الشرعية من الكتاب والسنة والإجماع، أضف إلى ذلك أنَّ صيغة التحريم لم تكن عند الامامية فقط ؛ بل وردت عند بعض علماء جمهور المسلمين، وعليه تكون غايات المستشرقين واضحة .

١- سورة الأنعام : الآية ، ١٢١ .
٢- إسماعيل بن جابر : ثقة . رجال النجاشي : النجاشي ، ٣٢ .
٣- الكافي : الكليني ، ٦ / ٢٦٤ .
٤- سماعة : ثقة . رجال الغضائري : الغضائري، ١٣٦ .
٥- الكافي: الكليني، ٦ / ٢٦٣ .

الفصل الرابع

"مباحث علوم القرآن عند الامامية في دراسات المستشرقين "

- المبحث الأوَّل: علوم القرآن مفهومها ودراسات المستشرقين حولها .
- المبحث الثاني: القراءات القرآنية عند الامامية في دراسات المستشرقين.
- المبحث الثالث: جمع القرآن عند الامامية في دراسات المستشرقين.
- المبحث الرابع : ترتيب القرآن عند الامامية في دراسات المستشرقين .
- المبحث الخامس: شبهة تحريف القرآن عند الامامية في دراسات المستشرقين.
- المبحث السادس : شبهة تعدد المصاحف عند الامامية في دراسات المستشرقين.

الفصل الرابع: مباحث علوم القرآن عند الامامية في دراسات المستشرقين

المبحث الأول: علوم القرآن مفهومها ودراسات المستشرقين حولها

المطلب الأول: تعريف علوم القرآن لغةً واصطلاحاً:

أولاً: علوم القرآن لغةً: لا ريب في أنَّ مصطلح علوم القرآن مصطلح مركب من كلمتين "علوم" و"القرآن" فالعلم نقيض الجهل وهو مأخوذ من العيلم "[1]، والعلوم :هي جمع لكلمة علم والتي وردت في معاجم اللغة بدلالات شتى إذ عرفه ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ) : " العين واللام والميم أصلٌ صحيح واحد يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره"[2]، هذا بالنسبة لمفهوم العلم في اللغة أما القرآن فالمُعرف لا يُعرف لاسّيما إذا كان كتاباً مقدساً وإلهياً كالقرآن الكريم.

ثانياً: علوم القرآن اصطلاحاً:

هناك تعريفات عدة لعلوم القرآن نذكر منها : تعريف الدكتور صبحي الصالح (ت: ١٤٠٧هـ): "مجموعة من المسائل يُبحث فيها عن أحوال القرآن الكريم من حيث نزوله وأدائه وكتابته وجمعه وترتيبه في المصاحف وتفسير ألفاظه وبيان خصائصه وأغراضه"[3]، وعرفّها السيد محمد باقر الحكيم (ت: ١٤٢٤هـ): " هي جميع المعلومات، والبحوث التي تتعلق بالقرآن الكريم، وتختلف هذه العلوم في الناحية التي تتناولها من الكتاب الكريم "[4].

من هنا يتضح أنَّ علوم القرآن هي مجموعة العلوم والمباحث المتعلقة بالقرآن الكريم وفي جوانبه المختلفة.

١- ينظر: العين: الفراهيدي، ٢/ ١٥٢.
٢- معجم مقاييس اللغة: ابن فارس ،٤/ ١١١.
٣- مباحث في علوم القرآن: صبحي الصالح، ط٢٤، ٢٠٠٠م، دار العلم للملايين ـ بيروت- لبنان ، ١٠.
٤- علوم القرآن: محمد باقر الحكيم ، ط٥ ، ٢٠١٠م ، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم ـ النجف الأشرف - العراق، ١٩ ـ ٢٠.

المطلب الثاني: دراسات المستشرقين على المستوى القرآني:

بقي القرآن الكريم مصدر حيرة ودهشة للكُتّاب الغربيين؛ لما قدمه للمجتمع الإنساني أجمع من ثقافة وعلوم زاخرة لا يدانيه فيها أي كتاب آخر، ولا شك أنَّ في ذلك مصدر إلهام وجذب للباحثين الأوربيين فقاموا بدراسة تلك العلوم الواردة في الكتاب العزيز فأضحت دراساتهم تهتم بجميع جوانب المعرفة العلمية فيه، وعلى الرغم من أنَّها لم تتسم كلها بالموضوعية نتيجة لتأثير مشاربهم العلمية وخلفياتهم العقائدية فيما توصلوا اليه من نتائج، ولعل إسهاب الدراسات الاستشراقية وكثرتها حدا بالبحث إلى وضع الأساس الذي يحدد إطار الدراسة فكل ما يتناول القرآن الكريم بالدرس والفهرسة والتأليف والترجمة والجمع والتدوين والقراءات يُعد مشمولاً في علوم القرآن، ثم تقسيمها حسب مدارس الاستشراق وعلى النحو الآتي:

اولاً : المدرسة الفرنسية : تُعد المدرسة الفرنسية هي أقدم المدارس التي درست علوم القرآن ولا نغالي في هذا؛ إذ أن أول ترجمة للقرآن الكريم حدثت في دير كلوني على يد بطرس المحترم [1] في فرنسا سنة ١١٤٣م[2] ثم توالت اعمال تلك المدرسة فصدرت دراسات قيمة في مجال علوم القرآن وسلطت الضوء على جوانب مختلفة، كجمع القرآن وفهرسة آياته وتدوينه وغيرها، وبرزت فيها شخصيات استشراقية كبيرة أمثال المستشرق "غوستاف لوبون" الذي قدم فهرسة لأكثر من خمسين اية في كتابه "حضارة العرب"، وكذلك المستشرق "ريجي بلاشير"[3] فقد صنف كتابا أسماه "القرآن ترجمته وتدوينه " سلط الضوء

١- بطرس المحترم: مستشرق لاهوتي فرنسي ولدعام ١٠٩٢م، اهتم بترجمة القران الكريم وكان رئيسا لدير كلوني توفي عام ١١٥٦م . ينظر: موسوعة المستشرقين: عبد الرحمن بدوي، ١١٠ -١١١.

٢- ينظر: المستشرقون وترجمة القرآن الكريم: محمد صالح البنداق، ط١ ،١٩٨٠م، دار الآفاق الجديدة. بيروت. لبنان، ٩٥.

٣- بلاشير: مستشرق فرنسي ولد عام ١٩٠٠م في فرنسا ثم انتقل إلى المغرب مع والده درس في السوربون، ترجم القرآن للفرنسية وله مؤلفات عدة منها: تاريخ الأدب العربي منذ البداية حتى نهاية القرن الخامس عشر وغيرها. ينظر: معجم أعلام المورد: منير البعلبكي، ١٠٨.

فيه على مباحث كثيرة من علوم القرآن كتدوين القرآن وترجمته ثم ترتيب آياته، كذلك المستشرق "بوتيه "[1] إذ كان له إسهام كبير في هذا الجانب ، فقد أمضى سنين كثيرة في تتبع آيات القرآن ودراستها تناول فيها القرآن ومدى تأثره بما سبقه من ديانات وقد تم نشر أعماله في باريس[2] ، ولعل أول ترجمة للقرآن الكريم إلى الفرنسية كانت من نصيب المستشرق" اندرياس ديريبيرا" [3] الذي كان يجيد اللغة العربية بحكم عمله قنصلاً لدولته في مصر [4]،أما في حقل الفهرسة فيظهر المستشرق "جون لابوم"[5] كأشهر الباحثين الفرنسيين الذين صنفوا في مجال فهرسة القران عبر كتابه "تفصيل آيات القرآن الكريم " الذي قدم فيه دراسة لتجميع سور القرآن ذات الموضوع الواحد وأفرد لها فصلًا خاصًا ترجمه للعربية الدكتور "محمد فؤاد عبد الباقي "، وكذلك أعمال المستشرق "اوكتاف بل"[6] الذي قدم ترجمة للقرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية[7]، والمستشرق "إدوارد مونتيه"[8] أيضاً قدم دراسة حول فهرسة القرآن الكريم جمعها الدكتور عبد الباقي في طبعة أخرى من كتابه المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ولا ننسى دور المستشرق "جوزف هاليفي"[9] الذي صنف كتاباً

١- بوتييه: مستشرق فرنسي ولد عام ١٨٠٠م اهتم بدراسة اللغات الصينية والفينقية والسريانية خصص جزء كبير من حياته لدراسة القرآن ودرس الفرق الإسلامية توفي عام ١٨٧٣م . ينظر: المستشرقون: العقيقي، ١/ ١٦٤.
٢- ينظر: المصدر نفسه، ١/ ١٩٤.
٣- اندرياس ديريبيرا: مستشرق وقنصل فرنسي ولد عام ١٥٨٠م اشتهر بترجمة القرآن إلى الفرنسية توفي عام ١٦٦٠م. ينظر: موسوعة المستشرقين: عبد الرحمن بدوي ، ٣٢٧.
٤- ينظر: قراءة نقدية في تاريخ القرآن: علي حسن الهاشمي، ٩٤.
٥- جون لابوم: مستشرق فرنسي ولد عام ١٨٠٦م اشتهر من خلال مؤلفه تفصيل آيات القرآن الذي ترجم للعربية من قبل الدكتور محمد فؤاد عبد الباقي. ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، ط٣ ، ٢٠٠٠م، دار القلم ـ دمشق ـ سوريا، ٢٢.
٦- أوكتاف بل: مستشرق فرنسي ولد عام ١٨٨٩م في الجزائر ودرس فيها واهتم بدراسة العلاقات الاجتماعية في الإسلام كالزواج والشفعة اشترك مع محمد التيجاني في ترجمة القرآن إلى الفرنسية. ينظر: المستشرقون: العقيقي ، ١ / ٣٨٣.
٧- ينظر: المصدر نفسه ،١/ ٢٦٣.
٨- ادوارد مونتيه: مستشرق فرنسي ولد عام ١٨١٧م امتاز باعتداله في دراساته اهتم بالكتابة عن النبي والقرآن الكريم. https://iq.iicss.www/?id=sid&١٤=٢٣٥ .تم الإطلاع عليه بتاريخ ٩ / ٣/ ٢٠٢٠.
٩- جوزف هاليفي: مستشرق فرنسي ولد عام ١٨٢٧م اهتم بالنقوش اليمنية وكان شديد التعصب لليهودية توفي عام ١٩١٧م . ينظر: موسوعة المستشرقين: عبد الرحمن بدوي ، ٦٠١ ـ ٦٠٢.

أسماه السامريون في القرآن الكريم، ولابد من الإشارة إلى بعض البحوث التي صدرت من المدرسة الفرنسية في هذا الصدد والتي نُشرت في المجلات العالمية من أبرزها بحوث المستشرق "جاك جومييه"[1] الذي وسم الأول بـ" نصيب القرآن من الحياة اليومية بمصر " الذي نشر في المجلّة التي يصدرها معهد الآداب العربية (١٩٥٢م) بينما وسم الثاني بـ"الاتجاه الحديث لتفسير القرآن بمصر "والذي نشر عام (١٩٥٤ م) فضلاً عن بحث المستشرق "جان كانتينو"[2] الذي وسمه بـ "تلاوة القرآن في دمشق والجزائر، وبعد استعراض أهم الدراسات في مجال علوم القرآن ، يظهر بوضوح سبق المدرسة الفرنسية في هذا المجال .

ثانياً: المدرسة الالمانية: تأتي المدرسة الالمانية في طليعة المدارس الاستشراقية من حيث غزارة الإنتاج، لاسّيما في دراسة علوم القرآن؛ وذلك لما قدمته من دراسات غزيرة وآراء جديرة ومستشرقين كبار أمثال "المستشرق نولدكة" الذي يُعد رائد هذا المجال وبلا منازع ولاسّيما في كتابه "تاريخ القرآن" والذي سلط الضوء فيه على جل مفاصل علوم القرآن من تأريخ النص القرآني مروراً بتدوينه وجمعه وترتيبه، حتى اضحى المصدر الأساس للدراسات الاستشراقية في جل المدارس الغربية [3]، والذي سار على نهجه في دراسة علوم القرآن مستشرقون اخرون أمثال "فلوجل"[4] في كتابه "نجوم الفرقان في إطراق القرآن" الذي فهرس القرآن الكريم مقسماً الآيات على حسب الموضوع والذي عنى بترجمته الدكتور محمد

١- جاك جومييه: مستشرق فرنسي ولد في باريس عام ١٩١٤م كان راهباً وأستاذاً في جامعة السوربون من أثاره تعليق المنار القرآن، الاتجاه الحديث لتفسير القرآن في مصر. ينظر: المستشرقون: العقيقي ،٣/ ١٠٥٣ ـ ١٠٥٤.

٢- جان كانتينو : مستشرق فرنسي ولد عام ١٨٩٩م اهتم بدراسة العربية انتقل إلى دمشق لتعلم اللهجات العربية من أثاره الأنباط العرب تأملات في اللهجات العربية توفي عام ١٩٥٦م . ينظر: المصدر نفسه ،١/ ٢٨٢ـ٢٨٣.

٣- ينظر: المستشرقون والدراسات القرآنية: محمد حسين الصغير ، ٩٨.

٤- فلوجل: مستشرق ألماني ولد عام ١٨٠٢م، اهتم بموضوع الفهارس لاسيما المخطوطات وضع فهرساً أسماه نجوم الفرقان في أطراف القرآن توفي عام ١٨٧٠م. ينظر: المستشرقون: العقيقي،٢ / ٧٠١.

فؤاد عبد الباقي [1] ، كذلك المستشرق "مالير"[2] ألف كتاباً أسماه "دليل القرآن"، أما المستشرق" ديفيد فريدريتش ميجرلان "[3] فهو يُعد أول من ترجم القرآن إلى الألمانية[4]، والمستشرق "رودي بارت"[5] الذي ترجم القرآن الكريم إلى الألمانية ويذكر أنَّ الترجمات الألمانية للقرآن الكريم بلغت الأربعين ترجمة [6]، ولا ننسى عناية المدرسة الألمانية بجمع مصادر القرآن الكريم لاسيما بعد قرار "المجمع البفاري" الذي عين المستشرق "برجستر اسر"[7] لهذه المهمة التي تركزت على جمع مصادر القرآن الكريم وعلومه، وكذلك المستشرق "أوتو بريتسل "[8] الذي أكمل المهمة بعد وفاة سلفه [9]، ولا ضير في الإشارة إلى تحقيق كتب التفسير من قبل المستشرقين الألمان أمثال المستشرق "فرايتاج"[10] حقق كتاب "انوار التنزيل واسرار التأويل للبيضاوي" والمستشرق "يوزف هوروفيتش" [11] قدم دراسة كبيرة للأسماء التي وردت في الإسلام جاءت تحت عنوان "الأسماء والأعلام في القرآن

١- ينظر: المستشرقون والدراسات القرآنية: محمد حسين الصغير، ٧٦.
٢- مالير: مستشرق ألماني ولد عام ١٨٥٧م اهتم بدراسة اللغة العربية من أهم أثاره دليل القرآن توفي عام ١٩٤٥م. ينظر: المصدر نفسه، ٢ / ٧٦٥.
٣- ديفيد فريدريتش ميجرلن: مستشرق ألماني ولد عام ١٧٧٤م، عمل أستاذاً في جامعة فرانكفورت، عني بترجمة القرآن الكريم وكانت أول ترجمة للقرآن إلى اللغة الألمانية، توفي عام ١٨٤٠م . ينظر: موسوعة المستشرقين: عبد الرحمن بدوي ، ٤٤٤.
٤- ينظر: موسوعة المستشرقين: عبد الرحمن بدوي، ٤٤٤.
٥- رودي بارت: مستشرق ألماني ولد عام ١٩٠١م اشتهر بترجمته للقرآن الكريم وكتاب محمد والقرآن، توفي عام ١٩٨٣م . ينظر: المصدر نفسه ، ٦٢ ـ ٦٣.
٦- قراءة نقدية في تاريخ القرآن للمستشرق تيودور نولدكة: علي حسن مطر الهاشمي، ط١٤٣٥،١هـ - ٢٠١٤م، دار الكفيل ـ كربلاء المقدسة ـ العراق، ٧٤.
٧- برجستر اسر: مستشرق ألماني ولد عام ١٨٨٦م اهتم باللغات السامية وقراءات القرآن توفي عام ١٩٣٣م. ينظر: موسوعة المستشرقين: عبد الرحمن بدوي، ٨٥ ـ ٨٧.
٨- أوتو بريتسل: مستشرق ألماني ولد عام ١٨٩٣م في ميونخ اشتهر بقراءات القرآن توفي عام ١٩٤١م. ينظر: المصدر نفسه، ٨٢ ـ ٨٣.
٩- ينظر: المستشرقون والدراسات القرآنية: محمد حسين الصغير ، ٧٣.
١٠- فرايتاج: مستشرق ألماني ولد عام ١٧٨٨م درس العربية والفارسية والتركية اهتم بنشر المعاجم والشعر العربي، من أبرز أعماله المعجم العربي اللاتيني توفي عام ١٨٦١م . ينظر: المستشرقون: العقيقي،٢/ ٦٩٧ ـ ٦٩٨.
١١- يوزف هوروفيتش: مستشرق ألماني من أصول يهودية ولد في عام ١٨٧٤م عمل مدرساً في كلية الدراسات الإسلامية ونشر مجموعة من النقوش الهندية الإسلامية له بحث اسمه أسماء أعلام اليهودية ومشتقاتها في القرآن، توفي عام ١٩٣١م . ينظر: موسوعة المستشرقين: عبد الرحمن بدوي ، ٦٢١ ـ ٦٢٢.

"وأيضاً دراسته "اشتقاق لفظ القرآن" كذلك المستشرق "جاتييه" [1] كانت له بصمته الخاصة عن طريق كتابه "القرآن وتفاسير القرآن "[2] ولعل هذه نبذة عن أبرز الدراسات التي صدرت عن المدرسة الالمانية.

ثالثاً: جهود المدرسة البريطانية: إنّ المدرسة البريطانية كانت لها إسهامات واسعة في هذا الجانب عن طريق كبار مستشرقيها الذين عنوا بعلوم القرآن، ويُعد المستشرق "كانون سل"[3] رائد المدرسة الانكليزية في هذا الجانب لاسيما في مجال الترجمة؛ إذ يُعد أول من ترجم القرآن إلى اللغة الانكليزية وقد كانت على درجة عالية من الدقة في العمل، فضلاً عن كتابه "تدوين القرآن" [4]، وكذلك المستشرق "ريتشارد بل"[5] والذي يُعد أحد الزعماء الدينيين في إنكلترا، هو الآخر كان له إسهام في ترجمة القرآن إلى اللغة الانكليزية غير أنها لم تحظ بالاهتمام اللازم، ولابد من الإشارة إلى ترجمة المستشرق " Dawoold داوود او ديفيد"[6] والذي تناول القرآن الكريم فيها على أنه كتاب أدبي فقد جاءت بعنوان "القرآن ترجمته مع ملاحظات عليه " تناول فيها مسألة إعادة الترتيب القرآن عبر النغمات الشعرية والسجعية[7].

وأما في حقل الفهرسة فقد اسهم المستشرق " وليم بدويل "[8] بتقديم فهرسٍ للقرآن الكريم باللغة التركية، فضلاً عن تقديمه دراسة قيمة عدّد فيها تفاسير

١- جاتييه: مستشرق فرنسي ولد في باريس عام ١٦٧٠م عمل كاهناً قانونياً واشتهر بدراسة الإسلاميات ترجم سيرة النبي للفرنسية وألف كتاباً عن النبي، توفي عام ١٧٤٠م، ينظر: المصدر نفسه ، ١٦٨-١٦٩.

٢- ينظر: الإمام علي عليه السلام وإشكالية جمع القرآن: عبد الجبار ناجي ،١١٥.

٣- كانون سل: مستشرق بريطاني ولد عام ١٦٩٧م في مدينة لندن اشتهر بترجمة القرآن الكريم وامتازت بالوضوح نشرت عام ١٧٣٤م، توفي عام ١٧٣٦م . ينظر: موسوعة المستشرقين: عبد الرحمن بدوي ، ٣٥٨-٣٥٩.

٤- ينظر: قراءة نقدية في تاريخ القرآن: علي حسن الهاشمي، ٩٤.

٥- ريتشارد بل: مستشرق انكليزي ولد عام ١٨٥٩م توفي عام ١٩٣٠م اهتم بدراسة اللغة العربية وعني بدراسة القرآن الكريم وترجمه للانكليزية من أهم أعماله أسلوب القرآن ورؤى محمد. ينظر: المستشرقون: العقيقي،٢/ ٥٢٨ .

٦- داوود (Dawoold): مستشرق انجليزي متعصب اهتم بترجمة القران الكريم الى اللغة الانكليزية ونادى باعادة ترتيب القران فقدم واخر بالايات بطريقة غير منهجية. ينظر: الامام علي عليه السلام واشكالية جمع القرآن: عبد الجبار ناجي ،١١٤.

٧- ينظر: الإمام علي وإشكالية جمع القرآن: عبد الجبار ناجي، ١١٤.

٨- وليم بدويل: مستشرق انكليزي ولد عام ١٥٦١م درس وتخرج من جامعة كمبردج اهتم بتصنيف المعاجم، من أبرز مؤلفاته المعجم العربي في سبعة أجزاء توفي عام ١٦٣٢م . ينظر: المستشرقون: العقيقي،٢/ ٥٦٤-٥٦٥.

القرآن الكريم، اما في مجال التحقيق فقدمت المدرسة البريطانية اسماء كبيرة كالمستشرق" وليم موير "[1] الذي حقق كتاب : شهادة القرآن لكتب أنبياء الرحمن والمستشرق "وليم ناسوليز " [2] الذي عمل بتحقيق المصادر ما يقرب من أربع سنوات أنتج فيها تحقيق تفسير "الكشاف لجار الله الزمخشري"من أبرز أعمال المدرسة الانكليزية البلوغرافيا ايضاً وقد برع في هذا المجال المستشرق "ستوري"[3] الذي وضع فهرساً خاصاً للأدب القرآني[4]، والمستشرق "هوسفيلد"[5] ألف في نُظم القرآن وتفسيره، فضلاً عن بحث المستشرق "بول" الذي نُشر في دائرة المعارف والذي يحمل عنوان "تحريف القرآن "[6]، والذي نظر إلى التحريف على أنَّهُ تغيير نصي لصيغة مدونة، كذلك المستشرق "جون برتون [7]" له كتاب في هذا الجانب أسماه "جمع القرآن" تناول فيه طريقة الجمع واختلاف المصاحف، وهكذا قدمت المدرسة الانكليزية إسهامات واضحة في مجال علوم القرآن .

رابعاً: المدرسة الأمريكية: إنّ المدرسة الأمريكية هي الاخرى كانت لها بصماتها الخاصة ومستشرقوها الكبار ودراساتها التي لا تقل شأناً عن الدراسات الاستشراقية الاخرى؛ فقد أولت عناية خاصة في دراسة كل ما يتعلق بالقرآن

١- وليم موير : مستشرق انكليزي ولد عام ١٨١٩م في مدينة جلاسكو تسنم مناصب إدارية مهمة منها سكرتير الخارجية للحكومة البريطانية، من أبرز مؤلفاته القرآن تأليفه تعاليمه، الجدال مع الإسلام، توفي عام ١٩٠٥م. ينظر: موسوعة المستشرقين : عبد الرحمن بدوي ، ٥٨٧ ـ ٥٨٨.

٢- وليم ناسوليز: مستشرق انكليزي ولد عام ١٨٢٥م درس في جامعة دبلن اهتم بدراسة اللغة العربية والهندية أعاد نشر الكثير من الكتب العربية والتقديم لها توفي عام ١٨٨٩م. ينظر: المستشرقون: العقيقي ،٢/ ٤٨٤ـ٤٨٥.

٣- ستوري: مستشرق انكليزي ولد عام ١٨٨٨م أصبح أستاذاً للعربية اهتم بدراسة كتب الأدب الفارسي من أبرز مؤلفاته أدب القرآن. ينظر: المصدر نفسه، ٢/ ٥٣٩.

٤- ينظر: المستشرقون والدراسات القرآنية: محمد حسين الصغير، ٧٧.

٥- هوسفيلد: مستشرق بريطاني ولد عام ١٨٧٩م اهتم بدراسة الآثار الإسلامية لاسيما مدينة سامراء، من أهم مؤلفاته كتاب عن سامراء، الفن الإسلامي واهتم بتوثيق مراقد الأئمة توفي في سويسرا. ينظر: المستشرقون: العقيقي، ٢/ ٧٧٠.

٦- ينظر: المستشرقون والدراسات القرآنية: محمد حسين الصغير، ٣١.

٧- السير ريتشارد فرانسيس برتون: مستكشف ومستشرق وعسكري ومترجم إنجليزي (ولد في ١٩ مارس ١٨٢١ – توفي في ٢٠ أكتوبر ١٨٩٠). اشتهر من خلال ترجمته لحكايات ألف ليلة وليلة، طرد من جامعة أكسفورد وعمل في الجيش البريطاني له مؤلفات منها جمع القرآن والحج إلى مكة. ينظر: الأعلام: الزركلي، ٣/ ٣٨

الكريم لاسيما في العصور الحديثة فبرز المستشرق "آرثر جفري[1]" الذي اسهم بدراسته حول القراءات القرآنية والتي وسمها بـ "القراءات القرآنية عند زيد بن علي "وكذلك قدم دراسة أخرى حملت عنوان "نصوص من القرآن "، وكذلك تحقيقه لكتاب المصاحف "لأبي داوود السجستاني" فضلاً عن كتابه "مواد أو مصادر حول تأريخ النص القرآني" [2]، أما المستشرق" كوما رازومي"[3] فقد قدم بحثاً وسمه بعنوان "صحائف القرآن "، قام فيه بتحقيق مجموعة من المخطوطات التي تتعلق بالقرآن الكريم [4]، ولابد من الإشارة إلى أنَّ المدرسة الأمريكية لم يكن لها دورٌ يذكر على مستوى فهرسة القرآن الكريم وأما على مستوى البحوث فقد جاء للمستشرقين بحوث عن مفردات القرآن للمستشرق الأمريكي "تشارلز توادي"[5] نشر في مجلة عالم الإسلام ١٩٣٩ وآخر عن هذا الموضوع بعنوان "صحائف القرآن" للمستشرق "كوما رازومي" وبهذا يتضح للبحث جهود المدرسة الأمريكية في هذا المضمار .

خامساً: المدرسة الروسية: إنَّ الحديث عن المدرسة الروسية وجهودها على مستوى علوم القرآن يبدأ من أول ترجمة للقرآن الكريم التي صدرت عام "١٧٧٦ م " في مدينة سانت بطرسبرج حالياً، بينما إذا أنعمنا النظر نجد أنَّ أول ترجمة علمية إلى اللغة الروسية كانت على يد المستشرق "سابلوكوف" [6] (عام ١٨٧٨ م) اما

١- آرثر جفري: مستشرق استرالي عين أستاذا في الجامعة الأمريكية بمصر ثم في جامعة كولومبيا له مؤلفات عديدة منها كتاب القران وكتاب الاختيار في الإسلام، الجدل الإسلامي المسيحي، تاريخ محمد، ونصارى مكة. ينظر معجم أسماء المستشرقين: يحيى مراد، ٢٧٢.

٢- ينظر: المستشرقون والدراسات القرآنية: محمد حسين الصغير، ٩١. وينظر: الإمام علي عليه السلام وإشكالية جمع القرآن: عبد الجبار ناجي، ١١٨.

٣- كوما رازومي: مستشرق أمريكي ولد عام ١٨٧٧م اهتم بدراسة الفن الإسلامي له مؤلفات عدة منها: صحائف القرآن توفي عام ١٩٤٧م. ينظر: المستشرقون: العقيقي،٣/ ١٠٠٣.

٤- ينظر: المستشرقون والدراسات القرآنية: محمد حسين الصغير، ١٠٤.

٥- تشارلز توادي: مستشرق أمريكي ولد عام ١٨٦٣م درس في جامعة بيل اهتم باللغة العربية حتى عد من أقطابها، من أبرز مؤلفاته تاريخ الأدب العربي، مفردات القرآن. ينظر: المستشرقون: العقيقي،٣/ ١٠٠٤.

٦- سابلوكوف: مستشرق روسي ولد عام ١٨٠٤م اهتم بدراسة اللغات العربية والعبرية والتترية واشتهر بترجمة القرآن للروسية ودراسة النقوش الإسلامية توفي عام ١٨٨٠م. ينظر: المصدر نفسه، ٣ / ٩٣٦ ـ ٩٣٧.

المستشرقة "فيراتشكو فسكايا"[1] فقد تركزت دراستها للبحث عن مخطوطات القرآن الكريم حتى أشاد بها علماء المسلمين أمثال الأستاذ أمين الخولي[2].

فيما تركزت دراسة المستشرق "كاشتاليفا"[3] على تدوين عدد من البحوث حول المصطلحات القرآنية أسماها "مصطلحات القرآن في ضوء جديد"، ولابد من الإشارة إلى جهود المستشرق "إيفانوف"[4] الذي كان له دورٌ في الفهرسة على الرغم من أنَّهُ لم يقدم فهرسة للقرآن الكريم إلا أنَّ دراساته قد شملت علوم القرآن ضمنياً كان من أبرزها " فهرس المؤلفات الإسماعيلية، وهنا تظهر دقة المدرسة الروسية في اختيار الدراسة.

سادساً : المدرسة الإيطالية : تبدأ جهود المدرسة الايطالية من ترجمة القرآن الكريم عبر جملة من المستشرقين؛ إذ شهدت المدرسة الإيطالية دراسات كثيرة حول ترجمة القران كان أول من ترجم القرآن هو المستشرق الأب "دومينيك جرمانوس"[5] وكانت الترجمة إلى اللاتينية، ثم سار بعده المستشرق "أريفا بيني"[6] الذي أدعى ترجمة القرآن من العربية إلى الايطالية والحق أن الترجمة كانت من اللاتينية إلى الايطالية[7]، أما ترجمة القرآن من العربية إلى

١- فيراتشكو فسكايا: مستشرقة روسية وخبيرة في النقوش الإسلامية من أبرز أعمالها إصدار مجلة الكتابات الشرقية. ينظر: المصدر نفسه ،٣/ ٩٥٩.

٢- ينظر: المستشرقون والدراسات القرآنية: محمد حسين الصغير، ٧٩.

٣- كاشتاليفا: مستشرقة روسية ولدت عام ١٨٩٧م درست في جامعة موسكو اهتمت بدراسة السور القرآنية من أهم أعمالها التاريخ الزمني لسور القرآن، مصطلحات القرآن في ضوء جديد توفيت عام ١٩٣٩م. ينظر: المستشرقون: العقيقي، ٢ / ٩٤٥.

٤- ايفانوف: مستشرق روسي ولد عام ١٨٨٦م اهتم بدراسة العقيدة الإسماعيلية والأديان والفلسفة اليونانية من أبرز أعماله المخطوطات الإسماعيلية في المتحف الأسيوي توفي عام ١٩٧٠م. ينظر: المصدر نفسه، ٣/ ٩٧٠ -٩٧١.

٥- دومينيك جرمانوس: مستشرق إيطالي ولد عام ١٥٨٨م في جزيرة صقلية تتلمذ العربية وتعلم لغة السريان اهتم بتأليف المعاجم ترجم القرآن إلى اللاتينية توفي عام ١٦٧٠م. ينظر: المصدر نفسه، ١/ ٣٦١.

٦- اريفا بيني: مستشرق إيطالي اهتم بترجمة القرآن الكريم ترجمة حرفية من اللاتينية إلى الإيطالية عام ١٥٤٧م. ينظر: صورة الرسول في الاستشراق الإيطالي دراسة في النشأة والتطور والامتداد: محمد العمارتي، بحث منشور على مؤسسة مؤمنون بلا حدود، ٢٠١٦م، الرباط ـ المغرب، ٧.

٧- قراءة نقدية في تاريخ القرآن: علي حسن الهاشمي، ٩٣.

الايطالية فكانت على يد المستشرق "برانكلي"[1] والتي امتازت بأنها حرفية بالكامل، وهنا تجدر الاشارة إلى عمل المستشرق "فراكاسي"[2] الذي كان مختلفاً بعض الشيء إذ وضع النص القرآني مع ترجمته باللغة الايطالية إلى جانبه وكان ذلك في مدينة ميلانو من عام ١٩١٤ م، وأعقبهما عمل من نوع آخر للمستشرق "بونللي"[3]؛ إذ أقدم على ترجمة القرآن بصورة حرفية مع التفسير وكان ذلك في اللغة الايطالية قدم المستشرق عن طريق عمله هذا خدمة كبيرة للمدرسة الايطالية؛ إذ تم طبع عمله مرتين: في نابولي ١٩٢٩م، والأخرى : في مدينة ميلانو ١٩٤٠ م[4]، وعلى مستوى المصنفات الضمنية يذكر اسهام المستشرق "كيتاني" في كتابه الشهير "حوليات الإسلام" بينما أفرد آخرون مصنفات خاصة كالمستشرق "جويدي" في كتابه "شرح المعتزلة للقرآن "، كذلك المستشرق "كارا نليلو"[5] قد صنف كتاباً أسماه "منتخبات من القرآن "فضلاً عن بحثه "نصوص ماراتشي من القرآن "الذي نشر في مدينة لنشاي ١٩٣٢ م، و المستشرقة المعاصرة "فرجينيا فاكا" [6] لها عمل جيد في هذا المضمار وسمته بـ " آيات من القرآن "، والملاحظ على المدرسة الايطالية أنها لم تخض في مجال الفهرسة و التحقيق .

١- برانكلي: مستشرق إيطالي ولد عام ١٨٦٥م، اشتهر بترجمة القرآن الكريم للإيطالية ترجمة حركية توفي عام ١٩٤٧م. ينظر: المستشرقون: العقيقي، ١ / ٣٨٣.

٢- فراكاسي: مستشرق إيطالي اعتنى بترجمة القرآن الكريم إلى الإيطالية وكان ذلك عام ١٩١٤م. ينظر: الاستشراق والدراسات القرآنية: محمد حسين الصغير،٦٨.

٣- بونللي: مستشرق إيطالي ولد عام ١٨٦٥م في مدينة نابولي اختص بدراسة اللغة التركية ثم ترجم القرآن إلى الإيطالية ترجمة حرفية توفي عام ١٩٤٧م. ينظر: موسوعة المستشرقين: عبد الرحمن بدوي، ١٤٧-١٤٨.

٤- ينظر: المستشرقين: العقيقي،٣٨٣. وينظر: المستشرقون والدراسات القرآنية: محمد حسين الصغير، ٦٨.

٥- كارا نليلو: مستشرق إيطالي ولد عام ١٨٧٢م وتوفي عام ١٩٣٨م صنف في مجالات عدة منها العربية تاريخ الأدب العربي ونقل نصوص ماراتشي من القرآن. ينظر: المستشرقون: العقيقي،١/ ٣٧٧ ـ ٣٨٠.

٦- فرجينيا فاكا: مستشرقة إيطالية معاصرة امتازت أعمالها بالأدب العربي كتبت عن أشهر النساء في الإسلام وعن العلويين في حلب وأنطاكيا. ينظر: المصدر نفسه، ١/ ٤٠٥.

سابعاً : المدرسة الهولندية : إنّ جهود المدرسة الهولندية في علوم القرآن لا ترقى إلى جهود المدارس الكبيرة إلا إنَّهُ لا يمكن تجاهل ما كتبته في هذا الحقل العلمي فكان لها نتاجات كثيرة لاسيما على مستوى ترجمة القرآن التي تُعد باكورة العمل في هذا المجال، يُذكر أنَّ الترجمة الأولى للقرآن إلى اللغة الهولندية كانت عام ١٦٤١م، وقد ترجمت عن اللغة الألمانية وليس العربية [١]، أما المستشرق "فت " [٢] فقد ترجم القرآن الكريم إلى الهندية، بينما قام المستشرق "كرامرز"[٣] بنشر ترجمة القرآن إلى الهولندية عام ١٩٥٦ م [٤]، وعلى مستوى البحوث قدمت المدرسة الهولندية بحوثًا قيمة أمثال بحث المستشرق "أيتما"[٥] الذي كان يدور حول القرآن وعلومه وسمه بـ " القرآن "نشر عام ١٩٥٢ م " كذلك المستشرق "فت" قدم دراسات خمس تكلمت عن القرآن وعلاقة النبي ﷺ محمد وقد تم نشرها في دورية الدليل في عام ١٨٤٥م[٦] .

أما المستشرق "فان جنيب"[٧] قدم هو الآخر بحثاً يتتبع فيه عدد من الانبياء السابقين في القرآن وسمه بـ "إبراهيم في القرآن " وقد نشر في دورية العالم الاسلامي عام ١٩١٢ م.

ومن المفيد هنا التذكير بالجهود الفردية لبعض الكتاب الغربيين في مقدمتهم المستشرق المجري "جولد زيهر " الذي خصص بعض المباحث التي

١- ينظر: قراءة نقدية في تاريخ القرآن: علي حسن الهاشمي، ٩٣.
٢- فت: مستشرق هولندي ولد عام ١٨١٤م اهتم بدراسة العربية وأصبح عضواً في المجمع العلمي من أبرز دراساته ترجمة القرآن إلى الهندية، محمد والقرآن توفي عام ١٨٩٥م. ينظر: المستشرقون: العقيقي،٢/ ٦٦٢.
٣- كرامرز: مستشرق هولندي ولد عام ١٨٩١م كان مترجماً ومن أهم أعماله دراسة التراث التركي كتب عن الإسلام من أهم أعماله الإسلام، الديمقراطية وترجم القرآن للهولندية توفي عام ١٩٥١م. ينظر: المصدر نفسه، ٢/ ٦٧٠ ـ ٦٧١.
٤- ينظر: المصدر نفسه، ٢/ ٦٧٠ -٦٧١.
٥- ايتما: مستشرق هولندي ولد عام ١٩١٠م اشتهر بكتاباته عن الإسلام من أهم أعماله آراء إسلامية في اليوم الأخير وعلاماته، القرآن في الإسلام. ينظر: المستشرقون: العقيقي، ٢/ ٦٧٤.
٦- ينظر: المستشرقون والدراسات القرآنية: محمد حسين الصغير، ٨٤.
٧- فان جنيب: مستشرق هولندي وعالم آثار اهتم بدراسة العملات النقدية الأثرية من أهم أعماله نقود البندقية. ينظر: المستشرقون: العقيقي، ٢/ ٦٦٦.

تناول فيها القراءات القرآنية وعملية التفسير عند فرق الإسلام في كتابه "مذاهب التفسير الاسلامي "، كذلك المستشرق السويدي "سترسن" [1] الذي قدم ترجمة لبعض أجزاء القرآن، بينما قدم المستشرق "اندراي اكتولوس"[2] دراسة جديرة بالذكر وهي ترجمته لبعض أجزاء القرآن بلغات مختلفة فكان يذكر النص مع ذكر اللغات المترجم لها وهو الفارسية والتركية واللاتينية وسمه بـ "القرآن مترجم إلى أربع لغات "[3]، والمستشرق المجري"بيرنارد هيللر"[4] هو الاخر كانت له إسهامات في دراسة علوم القرآن عبر جملة بحوث أوردها تحت عنوان "قصص القرآن" و"عناصر يهودية في مصطلحات القرآن الدينية" و"قصة أهل الكهف" [5] .

ولعل هذه أبرز النماذج للدراسات التي صدرت من مدارس الاستشراق حول علوم القرآن.

١- سترسن: مستشرق سويدي ولد عام ١٨٦٦م اهتم باللغة العربية ترجم نبذة من ألفية ابن معطي حقق كتاب الطبقات لابن سعد توفي عام ١٩٥٣م. ينظر: موسوعة المستشرقين: عبد الرحمن بدوي، ٣٢٨-٣٢٩.

٢- اندراي اكتولوس: مستشرق وكاتب بولندي ولد عام ١٦٥٤م في مدينة سليزيا اهتم بدراسة اللغات السامية درس العربية والعبرية والفارسية اشتهر بترجمة القرآن إلى أربع لغات توفي عام ١٧٠٤م. ينظر: معجم أسماء المستشرقين: يحيى مراد ، ١٥١.

٣- ينظر: المستشرقون: العقيقي ،٢ / ٨٢١.

٤- بيرنارد هيللر: مستشرق مجري ولد عام ١٨٥٧م درس في جامعة بودابست جمع في اهتمامه بين العلوم الإسلامية والعلوم المسيحية من أهم أعماله عناصر يهودية، مصطلحات القرآن الدينية، توفي عام ١٩٤٣م. ينظر: المصدر نفسه ، ٣/ ٩٠٩ ـ ٩١٠.

٥- ينظر: المصدر نفسه، ٣/ ٩١٠.

المبحث الثاني: القراءات القرآنية عند الامامية في دراسات المستشرقين:

المطلب الأول: مفهوم القراءات القرآنية عند الامامية:

لاشك أنَّ القراءات القرآنية تشكل أحدى مفردات علوم القرآن وعمود من أعمدة التراث الاسلامي في كيفية التعامل مع النص القرآني والتي تؤدي دوراً مهماً في عملية التشريع، والتي تقدم ذكرها في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ**﴾[1]، وفُسرت بأنها دالة على القراءة إي بعد أنَّ كان جبرائيل ينزل على رسول الله ﷺ بآية قرآنية يعلمه كيفية قراءتها وليس الآية فقط[2].

في حين نجد في السنة الرواية الواردة عن الحسين بن محمد[3]، عن علي بن محمد، عن الوشاء[4] عن جميل بن دراج[5] عن محمد بن مسلم، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال:" إنَّ القرآن واحد نزل من عند واحد ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة"[6]، وهذه الرواية فيها دلالة على أنَّ القراءة واحدة والاختلاف كان من الرواة .

على أساس تلك الرواية اختلف علماء الامامية في جواز القراءة باللغة العربية أو بدونها وهم فيه على قولين، **الأول**: هو ما ذهب إليه الشيخ الطوسي(ت: ٤٦٠هـ) على جواز القراءة بأي نحوٍ كان بقوله:" اعلموا أنَّ العرف في مذهب أصحابنا والشائع من أخبارهم ورواياتهم أنَّ القرآن نزل بحرف واحد على نبي واحد غير أنهم أجمعوا على جواز القراءة بما يتداوله القراء وإنَّ الانسان مخير بأي قراءة شاء وقرأ وكرهوا تجويد قراءة بعينها بل أجازوا القراءة بالمجاز الذي يجوز

١- سورة القيامة: الآية، ١٨.
٢- ينظر: الميزان: الطباطبائي، ٢٠/ ١١٦.
٣- الحسين بن محمد: ثقة. ينظر: خلاصة الأقوال: العلامة الحلي، ١١٩.
٤- الوشاء: ثقة. ينظر: رجال النجاشي: النجاشي، ٣٩.
٥- جميل بن دراج: ثقة. ينظر: المصدر نفسه، ١٢٦.
٦- الكافي: الكليني، ٢/ ٦٣٠.

بين القراء ولم يبلغوا بذلك حد التحريم والحظر"[١]، ويتابعه على ذلك جمع من علماء الإمامية الذين أجازوا القراءة بغير الفصحى [٢].

اما **الثاني**: فهو ما قيل فيه بوجوب القراءة بالعربية الفصحى ولعل ابن البراج(ت: ٤٨١هـ) هو صاحب الراي الاول فيه بقوله:" والقراءة باللسان العربي"[٣].

اختلف علماء الامامية في مسألة تواتر القراءات وهم على قولين **الاول**: يذهب إلى تواتر القراءات القرآنية وينقل الاجماع على ذلك المحقق السبزواري (ت: ١٠٩٠هـ) إذ يقول: "وقد حكى عن جماعة من الأصحاب دعوى الإجماع على تواتر القراءات السبع"[٤].

اما **الثاني** : فلا يثبت عندهم تواتر القراءات عن النبي ﷺ [٥] إذ نجد أنَّ السيد الخوئي (ت: ١٤١٣هـ) يصرح بعدم التواتر في القراءات القرآنية إذ يقول : " إنَّ تواتر القرآن لا يستلزم تواتر القراءات؛ لأنَّ الاختلاف في كيفية تعبير الكلمة لا ينافي الاتفاق على أصلها، كما إنَّ الاختلاف في خصوصيات حدث تأريخي كالهجرة مثلاً لا ينافي تواتر نفس الحدث، على أنَّ الواصل إلينا بتوسط القراء إنما هو خصوصيات قراءاتهم، وأما أصل القرآن فهو واصل إلينا بالتواتر بين المسلمين، وبنقل الخلف عن السلف وتحفظهم عليه في الصدور وفي الكتابات ... الخ [٦]".

١- التبيان: الطوسي ،١/ ٧

٢- ينظر: مجمع البيان: الطبرسي، ١ / ٣٨. وينظر: جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام: محمد حسن النجفي، تحقيق وتصحيح: عباس قوچاني – علي آخوندي، ط ٧، ١٤٠٤ هـ، دار إحياء التراث العربي. بيروت – لبنان، ٩/ ٢٩٤. وينظر: تدوين القرآن: علي الكوراني، ط١، بلا. ت، مطبعة باقري. إيران، ١٩٤.

٣- المهذب: القاضي عبد العزيز بن البراج، تحقيق: مؤسسة سيد الشهداء العلمية، إشراف الشيخ جعفر السبحاني، بلا ط، ١٤٠٦هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين. قم. إيران، ١/ ٩٧.

٤- ذخيرة المعاد: محمد باقر السبزواري، بلا. ط، بلا. ت، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث. قم. إيران، ١/ ٢٧٢.

٥- ينظر: جواهر الكلام: النجفي ، ٩/ ٢٩٤.

٦- البيان في نفسير القران: أبو القاسم بن علي أكبر (السيد الخوئي)، ط ٨، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م ، مطبعة فرودين. إيران، ٧٣.

ومن هنا يتضح أنَّهُ لا يوجد اتفاق على تواتر القراءات القرآنية عن النبي ﷺ كتواتر القرآن نفسه عند الامامية، فضلاً عن عدم الاتفاق على القراءة بالعربية الفصحى، بل يمكن القراءة بغير الفصحى، في حين ان القراءة بالعربية الفصحى لا غنى عنها كون القران نزل بها، وهذا ما يراه الباحث.

المطلب الثاني: دراسات المستشرقين للقراءات القرآنية عند الامامية:

شغلت القراءات القرآنية أَذهان ثُلة من الباحثين الغربيين فتوجهوا لدراستها عند الامامية ويبدو أنَّ أبرز من سلط الضوء على القراءات القرآنية في هذا الجانب المستشرق "كلير تسدال"[1] الذي قدم بحثاً عن أهم الزيادات الشيعية على نص القرآن حسب ادعائه وقد نُشر في "المجلة التبشيرية في الهند (Moslem World)"عام ١٩١٣م مؤكداً أن تلك الزيادات ناتجة عن اختلاف القراءات القرآنية عند الشيعة [2] .

يؤيده في ذلك معاصره الالماني "نولدكة " إذ يقول : "أما القراءات المختلفة التي اخترعها الشيعة و عارضوا بها بوصفها قراءات أصيلة....لابد أنَّ يكون هذا الحديث قد تم في مطلع القرن الرابع الهجري فهو يرد في تفسير القمي ...ولو كنا على إطلاع أدق على الأدب الشيعي لتوصلنا على الأرجح إلى بدايات أقدم عهداً "[3]، ثم يذكر جملة من الأمثلة الدالة على اختلاف القراءات بزيادة بعض الألفاظ مثل "وعلي وآل محمد" : إذ يقول" تتألف غالبية القراءات من الألفاظ "علي " أو " آل محمد " التي تضاف إلى النص دون أخذ المعنى بعين الاعتبار هكذا يقرأ من دون الفاصلة "صراط علي بدلاً من العبارة التي ترد في النص "هذا صراط مستقيم"[4].

١- سانت كلير تسدال: مستشرق انكليزي ولد عام ١٨٥٩م عمل كاهناً ثم تسنم منصب أمين جمعية الكنسية التبشيرية كان يجيد لغات عدة، توفي عام ١٩٢٨م. http//com.bible.www: .تم الإطلاع عليه بتاريخ ١١/ ٣/ ٢٠٢٠.

٢- ينظر: الإمام علي وإشكالية جمع القرآن: عبد الجبار ناجي، ٢٥٥.

٣- تاريخ القرآن: تيودور نولدكة، تعديل: فريدريش شفالي، ترجمة: جورج تامر وآخرون، ط١، ٢٠٠٤م، كونراد ادناور- بيروت - لبنان ٣٢٥.

٤- تاريخ القرآن: نولدكة، ٣٢٦.

وعلى النهج نفسه سار المستشرق "جولد زيهر" ليوجه الدراسة إلى القراءات القرآنية عند الامامية بصيغة دالة على التشكيك مقارناً في تلك الدراسة بين الحرية التي يتمتع بها علماء أهل السنة وبين علماء الامامية إذ يقول :" ولكن الحرية التي يعتقد علماء القرآن من أهل السنة أنفسهم أنَّهُ يجوز لهم استعمالها بقدر محدود قليلاً في افتراض القراءات المختلفة ....يأخذها دارسو القرآن من الشيعة على وجه لا تحده قيود "[1]، مؤكداً أنَّ هذه القراءات لا يُعتد بها في الجانب العبادي، ثم يقدم أنموذجاً لتلك القراءة في قوله تعالى : ﴿**وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[2]، ثم يورد رواية عن الامام الصادق عليه السلام في كيفية القراءة المعدلة إذ يقول: " إنه ـ أي الامام الصادق – عقب على ذلك بما يلي :" كتابنا ينطق عليكم بالحق " "إنَّ الكتاب لم ينطق ولا ينطق، ولكن رسول الله هو الناطق بالكتاب؛ قال تعالى: "هذا بكتابنا ينطق عليكم بالحق "، قال أبو بصير لأبي عبد الله "فقلت إنَّا لا نقرأوها هكذا فقال الامام "هكذا والله نزل بها جبرائيل على محمد.... " هذا حقاً هو نموذج المعالجة العملية "[3]، والمستشرق هنا قد طعن في منهج الامامية في تأويل نصوص الكتاب وشكك في القراءات القرآنية ولم يقدم لنا معياراً ولا منهجاً نتمكن من مقايسة ما عند الامامية من قراءات وبما عند المسلمين، وقد تابعهم في ذلك جملة من المستشرقين كالبروفيسور "أرثر جفري" الذي أصدر دراسة تتبع فيها عملية القراءات القرآنية عند الشيعة الامامية وكيفية الزيادات الجديدة التي تختلف على حد زعمه عن المصحف الحالي عبر كتابه "قراءة زيد بن علي "[4].

١- مذاهب التفسير الإسلامي: جولدزيهر، ٣٠٥.
٢- سورة الجاثية: الآيات، ٢٨ -٢٩.
٣- مذاهب التفسير الإسلامي: جولد زيهر، ٣٠٦.
٤- ينظر: الإمام علي وإشكالية جمع القرآن: عبد الجبار ناجي، ٢٦٣.

والمستشرق الإسرائيلي "جوزف الياش" تابعهم على ذلك وأدلى بدلوه في هذا المضمار مشيراً إلى اختلاف القراءات القرآنية عند الامامية وكانت تلك الدراسات في إطار حديث المستشرقين عن قرآن الامامية واختلافه عن المصحف الرسمي بينما سار على خطاهم المستشرق الإسرائيلي "داوود رهبر "[1] في هذا الأمر أيضاً فقدم دراسة عن علاقة الفقه الشيعي بالقرآن مسلطاً الضوء على بعض القراءات القرآنية[2].

في حين قدم المستشرق الإسرائيلي "مئير بار اشر"، دراسة واسعة عن القراءات الامامية لاسيما في كتابه "التشيع : مفاهيم نقدية في الدراسات الاسلامية" مدعياً أنَّ هذه الدراسة لم يسبقه إليها أحد، على الرغم من أنَّ "كلير تسدال" قد سبقه إليها في بحثه المشار إليه أنفاً والمنشور في مجلة عالم الاسلام، ولا غنى للباحث عن ذكر نماذج من الآيات التي ساقها المستشرق الاسرائيلي "بار اشر" وتناولها في صلب دراسته منها قوله تعالى : ﴿**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾[3]،وهذه الآية تقرأ في الأوساط الشيعية على حد زعمه بإضافة "آل محمد" مشيراً إلى بعض المصادر الامامية كـ "تفسير القمي ج١، ١٠٠"وتفسير العياشي ج١ ،١٦٩"[4] والحال أن الرجوع إلى ما أشار إليه المستشرق من مصادر والاطلاع عليها يجد أنّها تتكلم على مسألة تأويل النصوص وفيها إشارات إلى مسألة التحريف المعنوي وليس الكلام عن قراءات قرآنية حصراً[5] .

ومن الآيات الاخرى التي تناولها المستشرق قوله تعالى ﴿**فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ. لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾[6] فتكون القراءة الشيعية فلولا إنَّهُ كان من

١- داوود رهبر: مستشرق أمريكي من أصول باكستانية انتقل للعيش في المتحدة عمل أستاذاً للدراسات العربية في جامعة أنقرة اهتم بدراسة الشعر والموسيقى ثم عين أستاذاً زائراً للدراسات الأوردية والباكستانية في مؤسسة هارتفولد للحقوق. http// com . google.transat: تم الاطلاع عليه بتاريخ / ٩/ ٣/ ٢٠٢٠.
٢- ينظر: الإمام علي ﷺ وإشكالية جمع القرآن: عبد الجبار ناجي، ٢٥٥.
٣- سورة آل عمران: الآية، ٣٣.
٤- ينظر: الإمام علي ﷺ وإشكالية جمع القرآن: عبد الجبار ناجي، ٢٦٤.
٥- ينظر: تفسير العياشي: العياشي، ١/ ١٦٩. وينظر: تفسير القمي: القمي، ١/ ١٠٠.
٦- سورة الصافات: الآيتان، ١٤٣ ـ ١٤٤.

"المقربين" في إشارة إلى ولاية الإمام علي عليه السلام، ثم يشير إلى مصادر الامامية "كتفسير فرات الكوفي، ٢٦٥" وغيرها، وهكذا يسترسل المستشرق في رسم القراءات الشيعية للقرآن ويستعين بالمصادر الامامية بحسب قراءته لتلك المصادر [١]، وخصص المستشرق "آرثر جفري" بحثه الموسوم "الصيغ و الأشكال المختلفة للقراءات والإضافات "لمعالجة القراءات القرآنية عند الشيعة وذكر نماذج من تلك القراءات بالزيادة مشيراً إلى أن هذا القراءات المختلفة لا تطال الآية بالكامل بل جزء كما في قوله تعالى: ﴿**هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [٢].

وبناءً عليه تكون القراءة الشيعية "هذا بكتابنا ينطق عليكم بالحق "والمستشرق بذلك يشير إلى الامام علي عليه السلام أو النبي محمد صلى الله عليه وآله [٣]، ويمكن القول إن هذه القراءات هي من باب الزيادات التفسيرية على النص القرآني وليس بالضرورة منه، مؤكداً مسألة استبدال كلمة بكلمة أخرى ،مثل قوله تعالى: ﴿**يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا**﴾[٤] فالإمامية تستبدل كلمة" تراباً بـ ترابيا" والتي فيها إشارة إلى الامام علي عليه السلام، وقوله تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ**﴾[٥]، فالقراءات الشيعية تستبدل كلمة "أمة بـ أئمة" وعليه فإن تلك القراءات تهدف إلى تدعيم عقائد الامامية من القرآن[٦]، ويقدم جدولاً كاملاً من اختلاف القراءات القرآنية عند الامامية التي لها أبرز الأثر في إثبات تحريف القرآن من وجهة النظر الاستشراقية.

وهنا يتبين أن المستشرقين في هذا الجانب لم يأتوا بجديد فقد وجدت تلك الآراء في التراث الاسلامي ولاسيما في إطار إتهام الامامية في تحريف القرآن[٧]،

١- ينظر: الإمام علي عليه السلام وإشكالية جمع القرآن: عبد الجبار ناجي،٢٦٤ -٢٦٦.
٢- سورة الجاثية: الآية، ٢٩.
٣- ينظر: الإمام علي عليه السلام وإشكالية جمع القرآن: عبد الجبار ناجي، ٢٧١.
٤- سورة النبأ: الآية، ٤٠.
٥- سورة آل عمران: الآية، ١١٠.
٦- ينظر: الإمام علي عليه السلام وإشكالية جمع القرآن: عبد الجبار ناجي، ٢٧١.
٧- ينظر: رسائل السنة والشيعة: محمد رشيد رضا، ط٢، ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م، دار المنار- القاهرة- مصر، ١/ ٨. وينظر: الشيعة والقرآن: إحسان إلهي ظهير بلا. ط، بلا. ت، إدارة ترجمان السنة- لاهور - باكستان، ١/ ٧.

بيد أنهم استفادوا منها وبرزت على البساط العلمي؛ لأنها تتماشى مع نظريتهم التي تسعى بكل الوسائل إلى إثبات تحريف القرآن سواء بالزيادات أو النقص أو اختلاف القراءات، وهنا يمكن القول إن المستشرقين لم يتمكنوا من فهم معنى تلك القراءات أو الزيادات أو قد يكون فهموها إلا إنَّ لديهم دوافع تمنعهم عن الإفصاح عن ذلك، والحق أن تلك القراءات التي أشار إليها المستشرقون في بحوثهم ودراساتهم هي تأويل لنصوص القرآن الكريم الذي مارسه المسلمون جميعاً [1] فضلاً عن كون دراسات المستشرقين كانت متجهة إلى إثبات التحريف المعنوي ولم تكن متجهة إلى تسليط الضوء على القراءات القرآنية بصورة موضوعية، مما حدا بها إلى الميل عن الصواب.

إنَّ المتتبع لكتب التفسير الامامي التي ذكرها المستشرقون تثبت أنهم لم يتكلموا على تلك الزيادات على أنها قراءات قرآنية خالف بها الامامية النص الحالي للقرآن الكريم، بل هي روايات تسعى إلى تأويل النص من أجل الوصول إلى المعنى المراد، لاسيما كون النصوص الشرعية تثبت أن القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف ومن ثم فإن معانيه عميقة وتحتاج إلى تأويل[2] وهذا ما حرص الامامية على ممارسته ضمن ضوابط التأويل الصحيحة، وبهذا يكون المستشرقين قد جانبوا الصواب وتحادوا عن المنهج العلمي.

المبحث الثالث: جمع القرآن عند الامامية في دراسات المستشرقين

يُعد جمع القرآن الكريم من المباحث المهمة بمكان؛ لأنَّهُ يهتم بقضية شغلت أذهان الباحثين من علماء الاسلام وغيرهم قرونًا عدة، وهو ليس بجديد على بساط البحث التفسيري، فقد تتبعه علماء الامامية وخرجوا بنتيجة أنَّ جمع القرآن الكريم كان على عهد النبي ﷺ، غير أنَّ أقلام المستشرقين تأبى أنَّ يكون القرآن

١- جامع البيان في تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري، ط١، ٢٠٠١م، دار هجر- الرياض - السعودية، ٣ / ٤٠٥.
٢- ينظر: تفسير الصافي: الفيض الكاشاني،١/ ٥٩.

الكريم مجموعاً في ذلك العهد؛ لأنَّ في ذلك خدمة لأغراضهم التبشيرية، وعليه اتسمت كتابات المستشرقين بتمسكها بالروايات الشاذة والخيوط الواهية لإثبات أنَّ الجمع وقع بعد النبي بل على عهد الخلفاء الأوائل، وأنَّ تمسك المستشرقين في هذا المبدأ يهيئ لهم الأرضية المناسبة للقول بالتحريف، وعليه فمن الضروري عقد مطلب لمفهوم جمع القرآن عند الامامية وآخر لدراسات المستشرقين حوله وعلى النحو الاتي :

المطلب الأول: جمع القرآن مفهومه ومراحله عند الامامية:

أولاً: تعريف الجمع لغةً واصطلاحاً:

١ـ الجمع لغةً: الجمع في اللغة يُعطي معنى الضم، أي ضم الشيء وجمعه بعد تفرقة وجمعت الشيء ضممت بعضه إلى بعض[١]، قال ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ) : " الجيم والميم والعين : أصل واحد يدل على تضام الشيء"[٢].

٢ـ الجمع اصطلاحاً: للجمع تعريفات عدة منها " يطلق جمع القرآن ويراد به عند العلماء أحد معنيين: الأول: جمعه بمعنى الحفظ، وجماع القرآن حفاظه، وهذا المعنى هو الذي ورد في قوله تعالى في خطابه لنبيه ﷺ... ﴿**لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ. إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**﴾[٣]،والثاني : " جمعه بمعنى كتابته كله مفرق الآيات والسور أو مرتب الآيات فقط، وكل سورة في صحيفة على حدة، أو مرتب الآيات والسور في صحائف مجتمعة تضم السور جميعاً وقد رُتب أحدها بعد الأخرى "[٤]، ويعرف أيضاً: "جمع القرآن له معنيان أحدهما: حفظه في الصدور على سبيل الاستيعاب لجميع آياته، ومنها قولنا: جماع القرآن أي حفاظه، والمعنى الآخر لجمعه : كتابته وتسجيله في أوراق بشكل

١- ينظر: العين: الفراهيدي، ١/ ٢٤٠ -٢٤١. وينظر: لسان العرب: ابن منظور، ١/ ٢٤٠ -٢٤١.
٢- معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، ١/ ٤٧٩ - ٤٨٠.
٣- سورة القيامة: الآيات، ١٦ ـ ١٩.
٤- مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، ط٧، ١٩٩٥م، مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ مصر، ١١٤.

كامل"[1]،عن طريق ما تقدم يمكن القول بأنَّ المقصود من جمع القرآن هو جمعه وكتابته بالسطور بعد أنَّ كان في الصدور .

ثانياً: مراحل جمع القرآن الكريم عند الامامية: إنّ جمع القرآن الكريم عند الامامية يمكن إخضاعه إلى أربع مراحل [2] وهي:

المرحلة الأولى : جمع القرآن بمعنى حفظه:- ليس ثمة شك أنَّ مسألة حفظ القرآن كانت على عهد رسول الله ﷺ، فقد كان سيد الحفاظ وإمامهم وكان يشجع على تدارس القرآن الكريم وحفظه، بل كان يحث كُل مهاجر على حفظ القرآن بدفعه إلى أحد أصحابه، حتى كثُر عدد حفاظ القرآن الكريم وغدا مسجد النبي ﷺ نادياً عامراً بالقرآن فأمرهم بغض أصواتهم لئلا يتغالطوا[3]، كل ذلك يدل على أنَّ جُمّاع القرآن على عهد النبي كانوا كُثرًا وهو سيدهم، بل إنَّ القرآن الكريم صرح بأنَّ النبي ﷺأول الحفاظ بقوله تعالى : ﴿**سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى**﴾ [4]، أي إنَّ النبي محمد ﷺ" إذا نزل عليه جبرئيل بالوحي يقرأ مخافة أنَّ ينساه، فكان لا يفرغ جبرئيل من آخر الوحي حتّى يتكلَّم هو بأوّله، فلمّا نزلت هذه الآية لم ينس بعد ذلك شيئاً "[5]، فضلاً عن بعض الأسباب الداعية إلى حفظ القرآن الكريم مثل قوة الذاكرة والقرائح الخصبة التي امتاز بها الصحابة، نزوله منجماً، وقراءته في الصلاة والأعمال اليومية، فضلاً عن الثواب العظيم الذي يناله قارئ القرآن الكريم مما سهل على المسلمين حفظه [6]، وعليه فقد تم هذا الأمر على عهد النبي ﷺ وبإشرافه إذ كان الصحابة يراجعونه بالقرآن الكريم كُل حين[7].

١- علوم القرآن: محمد باقر الحكيم، ١١١.
٢- جمع القران الكريم وموقف المستشرقين السويديين منه: حكمت عبيد الخفاجي عصام هادي كاظم، مجلة دراسات استشراقية، العتبة العباسية المقدسة، سنة ٢٠٢٠ م ـ ١٤٤١هـ، عدد ٢١، ٧٤ ـ ٨٣.
٣- البيان: الخوئي، ٢٥٥.
٤- سورة الأعلى: الآية، ٦.
٥- كنز الدقائق وبحر الغرائب: محمد بن محمد رضا القمي المشهدي، ١٤ / ٢٣٥.
٦- ينظر: علوم القران: محمد باقر الحكيم ،١٠٧- ١٠٨.
٧- ينظر: تاريخ القرآن: أبو عبد الله الزنجاني، تقديم: احمد أمين، بلا. ط، ١٤٠٤هـ، منظمة الإعلام الإسلامي قسم العلاقات الدولية ـ طهران ـ إيران، ٤٠.

المرحلة الثانية : جمع القرآن بمعنى تدوينه :- لا ريب أنَّ جمع القرآن بدلالة التدوين قد حصل في عهد رسول الله ﷺ أيضاً؛ لأن الدلائل التاريخية تؤيد ذلك إذ إنَّ الامام علي عليه السلام وبعض الصحابة الكبار كان يُطلق عليهم لقب " كُتاب الوحي " [1]؛ لأن النبي ﷺ كان إذا نزل عليه قرآن دعا كتبة الوحي لتدوينه، وكان يرشد كتبة الوحي إلى وضع الآية النازلة في السور المقررة لها [2]، ومما يدل على ذلك رواية علي بن الحسين[3]، عن أحمد بن أبي عبد الله[4]، عن علي بن الحكم[5]، عن أبي بكر الحضرمي [6]عن الامام الصادق عليه السلام عن رسول الله ﷺ إنَّهُ أمر علياً عليه السلام بجمع القرآن وقال:" يا علي القرآن خلف فراشي في المصحف والحرير والقراطيس فخذوه واجمعوه ولا تضيعوه كما ضيعت اليهود التوراة فانطلق علي عليه السلام فجمعه في ثوب أصفر ثم ختم عليه"[7]، وهنا يظهر أنَّ القرآن الكريم كان مكتوباً على عهد النبي ﷺ ولكن على صحف متفرقة ، بل ربما كان على الأدوات الأولى للكتابة كالعُسب واللخاف والرقاع والاقتاب[8] وغيرها ، ومما يشير إلى ذلك ما نُقل من إسلام الخليفة الثاني أنَّهُ وجد في بيت أخته صحفاً من القرآن بعدما قرأها أسلم [9] وهذا ما يشير إلى أنَّ القرآن الكريم

١ – كُتاب الوحي: هو مصطلح كان يطلق على بعض الصحابة الخلص ممن اجتباهم النبي لتدوين الوحي النازل عليه وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في مقدمتهم، وأبي بن كعب وزيد بن حارثة وغيرهم وقد اختلف المسلمون في عددهم حتى زاد عددهم على الأربعين رجلا. ينظر: تاريخ القرآن: الزنجاني، ٤٨.
٢- ينظر: البرهان: الزركشي، ١/ ٢١٦.
٣- "علي بن الحسين: ثقة ". الأبواب: الطوسي، ١٠٢.
٤ – "أحمد بن أبي عبد الله: ثقة ". المفيد من معجم رجال الحديث: محمد الجواهري، ٢١.
٥ – "علي بن الحكم: ضابط ثقة ". معجم رجال الحديث: الخوئي: ١٢/ ٤١١.
٦ – " أبي بكر الحضرمي: ثقة ". رجال النجاشي: النجاشي، ٣٦٦.
٧- بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ٨٩ / ٤٨.
٨- معنى هذه المصطلحات هي:
١ـ العسب: والعسيب من النخل: جريدة مستقيمة دقيقة يكشط خوصها. العين: الفراهيدي، ١ / ٣٤٢.
٢ـ اللخاف: هي قطع من الحجارة تستخدم للكتابة. ينظر: العين: الفراهيدي، ٤ / ٢٦٥.
٣ـ الرقاع: وهو جمع رقعة وهو الورقة أو الخرقة تستعمل للكتابة. ينظر: الصحاح: الجوهري ، ٣ / ١٢٢١.
٤ـ الاقتاب: جمع قتب وهو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه. ينظر: العين: الفراهيدي، ٥ / ١٣١.
٩- ينظر: تاريخ القرآن: الزنجاني، ٤٩.

كان مدوناً، وقد يُعزى سبب عدم الجمع الكامل لتوقع استمرار نزول القرآن على النبي وبعد وفاته انقطع الوحي فجُمع القرآن بين الدفتين [١].

المرحلة الثالثة : جمع القرآن بمعنى الضم :- لا يوجد أدنى شك أنَّ هذه المرحلة ايضاً قد حصلت على حياة النبي ﷺ لاسيما بعد انقطاع الوحي وأمرْ النبي ﷺبجمع القرآن فكان الإمام علي عليه السلام خير من يفعل ذلك ، اذ شرع بجمع القرآن الكريم متسلحاً بوصية رسول الله ﷺ في الحرص على عدم ضياعه، فآلى على نفسه أنْ لا يرتدي رداءه حتى يُنفذ ما وُصي به في جمع القرآن فشرع في تلك المهمة وانقطع عن القوم حتى أتمها على أكملَ وجه، مراعياً فيه تقديم مكيّه على مدنيّه وناسخه على منسوخه وترتيبه على حسب ما أنزل، وقدمه للمسلمين قراناً بين دفتين، وصرح أحد التابعين واصفًا عملية الجمع تلك "لو اجتمعت الأنس والجن على أنْ يؤلفوه ذلك التأليف ما استطاعوا"[٢] وابن النديم [٣] يصف هذا الجمع أيضاً بقوله : " إنّه رأى من الناس طيرة عند وفاة النبي ﷺ فأقسم الامام علي عليه السلام أنْ لا يضع على ظهره رداءه حتى يجمع القرآن، فجلس في بيته ثلاثة أيام حتى جمع القرآن، فهو أول مصحف جُمع فيه القرآن من قلبه، وكان المصحف عند أهل جعفر"[٤] ثمّ يكمل قوله :" ورأيت أنا في زماننا عند أبي يعلى حمزة الحسني (رحمه الله) مصحفاً قد سقط منه أوراق بخط علي بن أبي طالب عليه السلام يتوارثه بنو حسن على مرّ الزمان"[٥]، والحق يتوارثه الأئمة وليس كما يرى ابن النديم [٦]، إلا

١- ينظر: موسوعة علوم القرآن: عبد القادر محمد منصور، ط١، ٢٠٠٢م، دار القلم العربي - حلب - سوريا، ١/ ٩٧-٩٨.

٢- الإتقان: السيوطي، ١/ ٢٠٤.

٣- ابن النديم: هو أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق الوراق البغدادي توفي في الأول من شعبان من عام ٣٨٤هـ أو عام ١٠٤٧م وأبوه هو الوراق، وقد كان النديم أديبًا
وكاتب سيرة ومصنف وجامع فهارس صاحب الكتاب المعروف كتاب الفهرست الذي جمع فيه كل ما صدر من الكتب والمقالات العربية في زمنه وله مؤلفات عدة مثل الفهرست والتشبيهات، ينظر: الأعلام: الزركلي، ٦/ ٢٩.

٤- الفهرست: محمد بن اسحق النديم بلا. ط، بلا. ت، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان، ٢٤.

٥- الفهرست: ابن النديم، ٢٤.

٦- ينظر: التمهيد في علوم القرآن: الشيخ محمد هادي معرفة، بلا.ط، ٢٠١١م، دار التعارف للمطبوعات - بيروت لبنان، ٢٩٨.

أنَّ هناك من يرى جمع القرآن في هذه المرحلة على عهد الخليفة الأول بإشارة من الخليفة الثاني فتم تعينُ زيدٍ لهذه المهمة، خصوصاً بعد معركة اليمامة وخوفهم من ضياع القرآن بعد استحكام القتل في القراء[1]، إلا أنّ هذا الأمر لا يمكن التسليم به؛ لكثرة الأدلة التي تفنده منها قول زيد نفسهُ : " إنْ أنا فرغت من القرآن على ما سألتم وأظهر علي القرآن الذي ألفه أليس بطل كل ما عملتم"[2]، وهذا يدُل على أنَّ جمع الإمام علي عليه السلام للقرآن كان أسبق من جمع زيد له؛ لأنه تم على حياة النبي صلى الله عليه وآله ، والأولى أنْ يُقدم جمع القرآن الذي تم في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله على ما تم جمعه بعد معركة اليمامة .

المرحلة الرابعة: جمع القرآن بمعنى توحيد المصاحف :- لاشك أنَّ مرحلة الجمع السابق قد ألقت بظلالها على مسألة توحيد المصاحف؛ لأنَّها أنتجت لنا مصاحف متعددة وقراءات مختلفة، وهذا بدوره فتح باباً للولوج في خلافاتٍ كثيرة، مما حدا بالخليفة الثالث إلى أنْ يجمع القراءات المتعددة على قراءة واحدة والمصاحف المتعددة على مصحف واحد، فبادر إلى وضع لجنة للجمع يترأسها زيدٌ وقد أشار إليهم في حال الاختلاف يكتب القرآن بلسان قريش[3]، ويبدو أنَّ الروايات التي تدل على هذه الحادثة تؤيد أنَّ جل ما قام به عثمان هو توحيد الناس على قراءة واحدة لا غير، منها ما أورده السيوطي في الإتقان " اختلفوا في القراءة على عهد عثمان حتى اقتتل الغلمان والمعلّمون، فبلغ ذلك عثمان بن عفّان، فقال: عندي تكذبون به وتلحنون فيه، فمن نأى عنّي كان أشدّ تكذيباً وأكثر لحناً، يا أصحاب محمد صلى الله عليه وآله، اجتمعوا فاكتبوا للناس إماماً، فاجتمعوا فكتبوا، فكانوا إذا اختلفوا وتدارأوا في آية قالوا هذه أقرأها رسول الله صلى الله عليه وآله فلاناً، فيرسل

١- ينظر: التمهيد: محمد هادي معرفة، ٣٠٠.
٢- الاحتجاج: ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، تعليق وملاحظات: محمد باقر الخرسان، بلا. ط، ١٩٦٦م، دار النعمان ـ النجف الأشرف ـ العراق، ١/ ٢٢٨.
٣- ينظر: البرهان: الزركشي، ١/ ٢٠٨ وينظر: البيان: الخوئي، ٢٤١.

إليه وهو على رأس ثلاث من المدينة، فقال له: كيف أقرأك رسول الله ﷺ آية كذا وكذا؟ فيقول: كذا وكذا فيكتبونها، وقد تركوا لذلك مكاناً"[1] مشيراً إلى أنَّ عثمان لم يكن أكثر من موحد للقراءات في المصحف، وبناءً على ذلك يتضح للباحث من مراحل الجمع المذكورة أنَّ مسألة جمع القرآن الكريم كانت على عهد رسول الله ﷺ وكان الجامع للقرآن في المصحف بعده هو الامام علي عليه السلام وما الروايات التي سيقت إلا لمزية سياسية هي ربط أسماء الخلفاء بالقرآن وإبعاد أهل البيت عن الساحة القرآنية، ومن ذلك يظهر لدينا ثلاث مراحل لجمع القرآن، وليس أربع مرحلة الحفظ ومرحلة التدوين وهاتان المرحلتان تمتا على عهد النبي ﷺ أما المرحلة الثالثة وهي مرحلة جمعه في مصحف واحد والتي بدورها تمت على يد الامام علي عليه السلام، وما حصل على يد عثمان لا يُعد جمعاً للقرآن بل توحيداً للقراءات، وعليه فلا يُعد من مراحل الجمع.

المطلب الثاني: دراسات المستشرقين لجمع القرآن الكريم عند الامامية:

إنَّ المستشرقين لم يقدموا شيئاً جديداً في هذا المضمار، بل ساروا على نهج من رام إبعاد أهل البيت عليهم السلام عن ساحة القران ، ويبدو أنهم كانوا واهمين فكيف يبتعد من ارتبط اسمه مع القرآن بكونه عدل الكتاب وثقله الآخر، ووردت هذه الدراسات على يد لفيف من المستشرقين والمؤرخين الأوربيين، وتباينت دراساتهم حول تلك المسألة بين متعصب ومنصف ومن أبرز هؤلاء المستشرقين "جولد زيهر" في كتابه "مذاهب التفسير الإسلامي" إذ تناول الروايات الناقلة لعملية الجمع وطعن بها ليتسنى له القول بأنَّ الامامية لا تعترف بشرعية الجمع العثماني، أما المستشرق " ثيودور نولدكة" في كتابه "تاريخ القرآن" فهو يرى الأمر من وجهة نظر أخرى؛ لأنَّه أشار إلى ثلاث روايات للجمع كلها في زمن الخلفاء ولم يؤيد جمع القرآن على

١- الإتقان: السيوطي، ١/ ٢٠٤.

عهد النبي ﷺ بل ضعف الروايات التي تشير إلى دور الامام علي عليه السلام، والمستشرق "ريجيس بلاشير" في كتابه "القرآن نزوله تدوينه ترجمته تأثيره" هو الآخر تناول هذه المسألة بشيء من عدم الموضوعية مشككاً في جمع القرآن وترتيبه [1] وكذلك "آرثر جفري" في كتابه "مواد ومصادر عن تاريخية النص القرآني"، والمستشرق "بلاشيه"[2] في كتابه "مقدمة وقرآن"، والالماني "جانتيه"[3] في كتابه "القرآن وتفاسير القرآن"[4]، وعمد هؤلاء المستشرقون إلى إثارة الإشكاليات حول جمع المصحف وترتيبه والزيادات والتحريف مؤكدين مسألة تعدد المصاحف التي كانت عند الصحابة وكتبة الوحي لاسيما المستشرق البريطاني "برتون" في كتابه "جمع القرآن "[5] ونكتة المستشرقين أنهم لجأوا إلى مصادر المسلمين كأساس لتلك الدراسات على الرغم من تشكيكهم في التراث الاسلامي، بينما يقف لفيف آخر من المستشرقين موقف النقيض من تلك الدراسات، فهم يؤيدون موثوقية النص القرآني وأنْ جمعه كان على يد صاحب الشريعة السمحة، ومن أبرز تلك الدراسات آراء المستشرق "جون برتون" التي تشير إلى أنَّ القرآن كان مدوناً على عهد النبي ﷺ أي أن الكتاب الذي نتداوله اليوم هو نفسه الكتاب الذي تداوله المسلمون في زمن النبي الأكرم، مصرحاً بضعف الروايات التي يدل مفهومها على خلافه،

١- ينظر: جمع القرآن نقد الوثائق وعرض الحقائق قراءة تحليلية جديدة: علي الشهرستاني، بلا. ط، بلا. ت، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية- النجف ـ الأشرف ـ العراق، ٨.

٢- ريجيس بلاشيه (١٩٠٠م-١٩٧٣م) ولد في باريس وتلقى التعليم الثانوي في الدار البيضاء وتخرج باللغة العربية من كلية الآداب بالجزائر، تولى العديد من المناصب العلمية منها أستاذ اللغة العربية في معهد مولاي يوسف الرباط، ومدير معهد الدراسات المغربية العليا (١٩٢٤م-١٩٣٥م)، وأستاذ كرسي الأدب العربي في مدرسة اللغات الشرقية الحية بباريس وأستاذ محاضر في السوريون ثم مدير مدرسة الدراسات العليا والعلمية، من أبرز إنتاجه ترجمته لمعاني القرآن الكريم. ينظر: الأعلام: الزركلي، ٢/ ٧٢.

٣- جانييه: مستشرق فرنسي ولد في باريس ١٦٧٠ ثم درس حتى أصبح كاهنا قانونيا حصل على الأستاذية من جامعة كمبرج، امتاز بتنوع إنتاجه العلمي بين اليهودية والإسلام من أبرز مؤلفاته حياة محمد. ينظر موسوعة المستشرقين: عبد الرحمن بدوي، ١٦٨ -١٦٩.

٤- ينظر: الإمام علي عليه السلام وإشكالية جمع القرآن: عبد الجبار ناجي، ١١٥ -١١٦.

٥- ينظر: المصدر نفسه، ١١٦.

وكذلك المستشرق الهولندي "وينبول"[1] الذي يُعد ممن سار على نهج المستشرق "شاخت" إلا أنَّه يُرى أنَّ الأحاديث التي تدل على الجمع تعود إلى القرن الأول الهجري موجهاً النقد اللاذع لسلفه "شاخت" في هذا المضمار، أما آراء المستشرق "وليم غراهام"[2] والتي تتجه إلى الطعن بالدراسات الاستشراقية واصفاً إياها أنها نوع من الخلفيات المتراكمة التي لا تخلو من التأثير اليهودي، ويبدو أن المستشرق "هارولد موتسكي"[3] كان أكثر حدة من غيره من المستشرقين المنصفين في مسألة الجمع؛ لأنه وجه سهام النقد الحاد إلى المستشرقين في منهجهم، مؤكداً بُعد النظرية الغربية في هذا المجال[4]، وبناءً على ذلك فإن دراسات المستشرقين كانت تصب في رافدين الأول آراؤهم في أسباب جمع القرآن الكريم، والثاني: آراؤهم حول جمع القرآن في عهد النبي ﷺ وهي:

أولاً: أسباب جمع القرآن الكريم في دراسات المستشرقين:

قد يستغرب بعضٌ ويتساءل هل يحتاج النص القرآني إلى سبب لكي يجمع؟ ولا يخفى على كل ذي لب أنَّ النص القرآني في بادئ الأمر لا يحتاج إلى ذلك؛ فالقرآن الكريم بالنسبة للمسلمين عامة هو الركن القويم للدين، وأساس كُل الأحكام الشرعية والعلوم الاسلامية بل هو عماد كل مفصل من مفاصل الشريعة الاسلامية، فما لا يوجد له أصل قرآني لا يُعتد به، وعليه فإنَّ جمع القرآن لا يحتاج

١- وينبول: مستشرق هولندي ولد ١٨٦٦م، بدأ بدراسة القانون ثم درس العربية على يد دي خوييه أخذ يهتم بعلمي الحديث والفقه، نشر عام ١٨٩٦م كتاب الخراج ليحيى بن آدم، ثم كتاب المدخل إلى الشريعة الإسلامية بحسب مذهب الشافعي، وتوفي عام ١٩٤٨م. ينظر: http // is.archive/ 4 paf# celestion:. تم الاطلاع عليه بتاريخ ٨ / ٣ / ٢٠٢٠.

٢- وليم غراهام: مستشرق أمريكي حصل على درجة الدكتوراه من جامعة هارفارد في أمريكا، وكانت أطروحته الأحاديث القدسية والأحاديث النبوية في الإسلام. ينظر: صور من افتراءات المستشرق جراهام على الأحاديث القدسية: عزية علي طه، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، السنة الثامنة ١٩٩٣م، العدد ٢١، ٩٩.

٣- هارولد موتسكي: مستشرق ألماني معاصر اهتم بدراسة الشؤون الإسلامية تخصص بدراسة الفقه الإسلامي من أبرز أعماله بدايات الفقه الإسلامي وتطوره. ينظر: http//net.tafsir.vb: تم الإطلاع عليه بتاريخ ٩/ ٣/ ٢٠٢٠.

٤- ينظر: جمع القرآن من قبل النبي والإمام علي من وجهة نظر المستشرقين وأهل السنة: عيسى متقي زادة وباب الله محمدي، تعريب: علي حسن مطر، مجلة دراسات اشتشراقية، ٢٠١٤م، العدد الثاني، ١٣ -١٤.

إلى سبب؛ لأنَّ جمعه من المسلمات اليقينية والضروريات قائمة على ذلك[1]، لا سيما أنَّ الوظيفة الالهية التي جسدها النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام من بعده تقتضي صيانة النص وحفظه، وهذا نابع من الأهمية التي يتمتع بها النص القرآني في حياة الأمة، وعلى أساس ذلك جُمع القرآن الكريم، إلا أنَّ هناك من ينظر إلى النص القرآني بعينٍ واحدة، معتقداً بأنَّ هناك أسباباً دفعت النبي ﷺ لعدم جمع القرآن منها : ما ذهب اليه "بلاشير" الذي يرى أنَّ سجية العربي فطرته يكون محدود التفكير وأسير اللحظة ولا ينظر أبعد من ذلك مشيراً إلى الأخذ بعين الاعتبار تلك الطبيعة في الشخصية العربية على مستوى النبي ﷺ مما سمح بعدم التدوين[2]، وما يعزز ذلك قول بعض المستشرقين "لم تجر في حياة الرسول أي محاولة أكثر من جمع بعض أجزاء الوحي ....كما لم تكن هناك جهود متواصلة لتصنيف أجزائه تصنيفاً منهجياً"[3]، وهذا الرأي تفنده الآيات الكثيرة الداعية إلى التفكر منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4]، جاء في تفسيرها : "لآيات: عظيمة الشأن، لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ: في بدائع صنع اللَّه تعالى "[5]، ومن المعلوم أنَّ التفكر يشمل الحاضر والمستقبل، وكذلك يفنده أمر النبي بتجهيز جيش أسامة وهو في أيامه الأخيرة[6]، إذ يرى "نولدكة" أنَّ معركة اليمامة[7] هي

١- ينظر : علوم القرآن : محمد باقر الحكيم ، ٩٩.

٢- see: Blacher, Introduction au coran , p16 – 26 . نقلاً عن كتاب جمع القرآن الكريم عند المستشرقين جون جلكرايست أنموذجا : رباح صعصع الشمري ،١٦٤.

٣- النظم الإسلامية : ديمومين .غ .موريس ، ترجمة : صالح الشماع وفيصل السامر ، بلا .ط، ١٩٥٢م، مطبعة الزهراء ـ بغداد – العراق ، ٨٥.

٤- سورة الجاثية : الآية ، ١٣.

٥- مقتنيات الدرر وملتقطات الثمر : علي الحائري ، ١٠ / ٩٧ .

٦- ينظر: أعلام الورى بأعلام الهدى: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، ط١، ١٤١٧هـ، مؤسسة آل البيت ـ قم – إيران، ١/ ٢٦٣.

٧- معركة اليمامة: هي المعركة التي انتهت في سنة ١٢ للهجرة بمقتل جمع من الصحابة كانوا من حفظة القرآن، يقترح عمر بن الخطاب على الخليفة الأول أن يجمع القرآن في مصحف، ويبين الهدف والغرض في اقتراحه بقوله: إذا ما حدثت معركة أخرى، واشترك فيها بقية حملة القرآن وحفظته، فسوف يذهب القرآن من بين أظهرنا، إذن يستلزم جمع آيات القرآن في مصحف، تكتب آياته، فنفذوا هذا الاقتراح بالنسبة للقرآن الكريم ... الشيعة في الإسلام: السيد محمد حسين الطباطبائي، ط١، ١٩٩٩م، بيت الكاتب ـ بيروت ـ لبنان، ٣٣.

السبب الأساس في الجمع [١] ويتابعه على ذلك عدد من المستشرقين [٢]، يبدو أنَّ المعيار الذي استعمله من ذهب إلى هذا الرأي كثرة الروايات المؤيدة له، على الرغم من ثبوت بطلانها، والحال أنَّ الكثرة لم تكن معياراً للحقيقة، بينما نجد أنَّ بعض المستشرقين أوعز عملية الجمع إلى أسباب أخرى هي الدوافع السياسية التي أوغلت بالخلفاء إلى جمع النص لغرض تقوية نفوذهم عبر الزيادة فيه [٣] مشيراً بذلك إلى الخليفة الأول والثاني، والحق أنَّ هذا المستشرق يمارس نوعًا من الدهاء فهو يحاول إثبات التحريف من طريق هذا الرأي على الرغم من ثبوت عدم التحريف، إلا إنَّهُ يتذرع لإيجاد الوسائل ويحاول أنَّ يجعل النص عرضة للتجاذبات السياسية متناسياً العهد الالهي بالحفظ، أضف إلى ذلك أنَّ الدولة الاسلامية في زمن الخليفة الأول كانت في أقوى مراحلها فلا يحتاج إلى ذلك[٤]، في حين هناك من يرى أنَّ أسباب جمع القرآن الكريم على عهد عثمان جاءت لغرض إضفاء صبغة سياسية على شخصيته التي شابها كثير من الإشكال " يمكن الافتراض أنَّهُ كان لعثمان هدف سياسي بعمله هذا يعادل الهدف الديني، فقد وصل إلى الخلافة بجهد وكان ان عزز مركزه بإقراره نصاً لا يتغير للكتاب المقدس"[٥] .

في حين نجد أنَّ بعض المستشرقين أمثال "بلاشير" قد أرجع سبب جمع القرآن على مصحف واحد إلى مسألة مهمة وهي القضاء على المصاحف ذات الطابع الإمامي كمحاولة لتغطية عملية الجمع المتعلقة بالإمام علي عليه السلام إذ يقول : "وقد

١- ينظر: تاريخ القرآن: نولدكة، ٢٥٢.
٢- ينظر: تاريخ الأدب العربي: بروكلمان، ترجمة: عبد الحليم النجار، ط٥، ١٩٦٨م، دار المعارف ـ القاهرة – مصر، ١/ ٣٩. وينظر: الإسلام الأسس: كولين تيرنر، ١١٧. وينظر: على نهج محمد: كارل ايرنست، ترجمة: حمزة الحلايقة، ط١، ٢٠٠٨م، الدار العربية للعلوم ـ بيروت – لبنان، ١٣٢.
٣- ينظر: حياة محمد: واشنطن أرفنج، ترجمة: علي حسني الخربوطلي، بلا. ط، بلا. ت، دار المعارف – مصر، ٢٩٣.
٤- ينظر: جمع القرآن عند المستشرقين جون جلكرايست أنموذجا: رباح صعصع الشمري، ط١، ٢٠١٤م، دار الكفيل ـ كربلاء المقدسة ـ العراق، ١٦٨.
٥- L,Masse.H"Islam,P78. نقلاً عن جمع القرآن عند المستشرقين جون جلكرايست أنموذجاً، رباح الشمري، ١٦٩

تضمنت أهمية مسألة توحيد المصحف في سنة ٦٦١م بعد مقتل الخليفة الرابع علي بن أبي طالب عليه السلام صهر محمد صلى الله عليه وآله وأبن عمه فإنَّ الاجتهادات المتعلقة بشرعية الخلافة والتي أحدثت حركة انشقاق الشيعة أثارت انفعالات دينية على تعديل نصوص قرآنية قديمة .....ويبدو أنَّ جهوداً قد بُذلت في الوقت ذاته لإتلاف جميع النسخ المصطبغة في التأثيرات الشيعية "[1] "وبلاشير" هنا لا يروم إنصاف الامامية بل يحاول أنَّ يُثبت أنَّ الامامية تدعو إلى التغيرات في النصوص القرآنية، ومن الجدير بالذكر الاشارة إلى إنَّ آراء المستشرقين في سبب جمع القرآن قد أهملت دور الامام علي عليه السلام وحرصه على جمع القرآن الكريم وكذلك أغفلت وصية النبي بجمعه ولم يتطرق لها أحد، بل سلطت الضوء على الروايات الأخرى، وهذا نوع من التعتيم التاريخي لمسألة امتداد الأئمة للنبي صلى الله عليه وآله، بل يمكن أنَّ يعد الهدف الأساس للطرح.

ثانياً: آراء المستشرقين بجمع القرآن الكريم في عهد النبي صلى الله عليه وآله:

ليس ثمة شك أنَّ الامامية تؤيد فكرة جمع القرآن الكريم في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنَّ من قام بعملية الجمع المذكورة هو الامام علي عليه السلام، والأدلة المثبتة لذلك تتوافر من الكتاب والسنة والإجماع والعقل، أما الكتاب الكريم فقد ورد في طياته كلمة الكتاب في آيات عدة نذكر منها قوله تعالى: ﴿ **ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ...** ﴾[2]، جاء وصف القرآن الكريم في هذه الآية بأنه الكتاب الذي يهدي المتقين [3]، ولاشك أنّ القرآن الكريم دقيق في كلماته فلا يُطلق لفظ الكتاب إلا على الكامل المجموع لا على الأوراق المتناثرة، وهذا يُثبِت أنَّ القرآن مجموع[4]، أما

١- القرآن نزوله تدوينه ترجمته تأثيره: ريجيس بلاشير، نقله للعربية رضا سعادة، ط١، ١٩٧٤م، دار الكتاب اللبناني- بيروت-لبنان، ٣١- ٣٢.
٢- سورة البقرة: الآية، ٢.
٣- ينظر: الميزان: الطباطبائي، ١/ ٤٤.
٤- ينظر: علوم القرآن: محمد باقر الحكيم، ٢٤.

من السنة فقد جاء في رواية الحسن بن علي بن شعيب الجوهري[1]، عن عيسى بن محمد العلوي[2]، عن أبي عمرو أحمد بن أبي حازم الغفاري [3]، عن عبيد الله بن موسى[4]، عن ركين بن الربيع [5]، عن القاسم بن حسان [6]، عن زيد بن ثابت[7]، قال : قال رسول الله ﷺ: " إنِّي تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي..." [8]، فقد أشار الرسول الأعظم إلى الكتاب على أنَّهُ مجموع وفي ذلك ما يشعر أنَّ النبي ﷺ قد دونه وجمعه في مصحف على حياته[9]، أما اجماع الامامية على ذلك فقد نقله الطبرسي عن الشريف المرتضى[10].

وأما من العقل فهو حرص الصحابة على جمع القرآن، وهنا نسأل هل يكون الخلفاء أحرص من رسول الله ﷺ على أمته بحيث خافوا ضياع القرآن ولم يحسب رسول الله ذلك؟، وهل يعقل أنَّ النبي ﷺ الذي أخبر بالاختلاف في أمته يرحل من دون أنْ يترك لهم شيئاً يتمسكون به؟ بيد إنَّ هذا الأمر لا يرضي ذائقة المستشرقين التي اتكأت دائماً على الآراء الشاذة والأحاديث الضعيفة، والروايات الموضوعة فبدأت الماكنة الغربية تعمل على إثبات أنَّ جمع القرآن لم يكن في عهد النبي الأكرم ﷺ مستندين إلى الروايات الواردة في بعض كتب المسلمين التي تشير إلى ذلك، إذ يذهب "نولدكة" إلى إنَّ مسألة جمع القرآن بعد النبي ﷺ من المسلمات البديهية بقوله : " أنْ لا يكون القرآن قد جُمع كاملاً في أيام

١ - " الحسن بن علي بن شعيب الجوهري: ثقة ". مستدركات علم رجال الحديث: علي النمازي، ٢ / ٤٥٦.
٢- " عيسى بن محمد العلوي: ثقة " المصدر نفسه، ٢ / ٤٥٦.
٣- " أبو عمرو أحمد بن أبي حازم الغفاري: وقع في طريق الصدوق ". المصدر نفسه، ١ / ٢٤٦.
٤ - " عبيد الله بن موسى: ثقة ". الأبواب: الطوسي، ٢٣٥.
٥ - " ركين بن الربيع: ثقة ".المصدر نفسه، ٢٠٤.
٦ - " القاسم بن حسان: ثقة " . مستدركات علم رجال الحديث: علي النمازي، ٦ / ٢٤٠.
٧- " زيد بن ثابت: ثقة ". الأبواب: الطوسي ، ٣٩.
٨-وسائل الشيعة: الحر العاملي، ١ / ٧٦.
٩-ينظر: الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم: الشيخ علي بن يونس العاملي، حققه صححه وعلق عليه: محمد باقر البهبودي، ط١، ١٣٨٦ المكتبة الرضوية- إيران، ٣/ ٣٨.
١٠-ينظر: مجمع البيان: الطبرسي، ١/ ١٥.

النبي أمر بديهي ذلك أنَّ رسول الله استدعي بشكل مفاجئ وغير متوقع من مسرح الأحداث الأرضي"[1]، والحق أنَّ الدلائل التاريخية والروايات تفند ادعاء المستشرق، منها : إنَّه ﷺ صرح بذلك عندما أسرَّ للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بأنه سيرحل عن قريب وأنّها أول أهل بيته لحوقاً به [2]، ولا يرى المستشرق صحة الروايات التي تشير إلى أنّ الامام علي عليه السلام قد جمع القرآن تحت إشراف النبي ﷺ بل يذهب إلى تضعيفها بقوله : "تنسب هذه الروايات جميعها إلى نسل علي عليه السلام، وهي بهذا تصبح أكثر عرضة للشكوك "[3]، ولا نعتقد أنَّ هناك قاعدة عند المسلمين تقول برفض الرواية إذا كانت من طريق إمامي وإلا لرُفِضت روايات ابن عباس فهو بلا شك إمامي ، ويرى المستشرق "بلاشير" أنَّ عملية تدوين القرآن لم تكن واجبة بل كانت مرهونة ببعض العوامل منها : بدائية الكتابة وضياع بعض النسخ والحماسة الشخصية والنقل الشفوي إذ يرى أنها قد وقعت بعد العهد النبوي[4]، وعليه فهو لا يشير بكتابة القرآن في عهد النبي ﷺ بل يؤيد وقوعها بعده، مشيراً إلى أنَّ هناك نسخة ضائعة من القرآن، وعليه فالمستشرق "بلاشير" يلوح إلى رواية المصحف الذي أكله الداجن[5] على الرغم من تضعيفها ومخالفتها العقل والمنطق، وأنّ أساليب الكتابة البدائية لم تكن عائقاً أمام التدوين فقد صدرت من النبي ﷺ في تلك المدة كتب عدة[6] وبهذا يظهر بطلان قول المستشرق، ويسير المستشرق "مونتجمري وات" على خطى سابقيه فيقول : " لقد

١- تاريخ القرآن: نولدكة، ٢٤٠.
٢- ينظر: بحار الأنوار: المجلسي، ١٨ / ١١٢.
٣- تاريخ القرآن: نولدكة، ٢٤٣.
٤- ينظر: القرآن نزوله ترجمته تدوينه تأثيره: ريجس بلاشير، ٢٨- ٢٩.
٥- عن عائشة، قالت: " لقد نزلت آية الرجم، ورضاعة الكبير عشراً، ولقد كان في صحيفة تحت سريري، فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشاغلنا بموته، دخل داجن فأكلها". سنن ابن ماجة: محمد بن يزيد القزويني، تحقيق وترقيم وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، بلا. ط، بلا. ت، دار الفكر - سوريا، ١ / ٦٢٦.
٦- ينظر: مناقب آل أبي طالب: محمد بن علي بن شهر أشوب المازندراني، ط١، ١٤٢١هـ، مؤسسة علامة للنشر - قم - إيران، ١/ ٨١.

بذل المسلمون اهتماماً وافراً وجاداً من أجل جمع القرآن الكريم فكانوا يبادرون إلى كتابة الآيات فور نزولها حتى تمَّ جمعه عام ٦٥٠ للميلاد رسمياً "[١]، وإذا تأملنا جيداً فإن ٦٥٠ للميلاد توافق ٢٩ للهجرة وهو يؤيد الجمع بعد عهد النبي ﷺ و يوافقه على ذلك المستشرق "روم لاندو"[٢] والمستشرق الالماني "بيتر هاينة"[٣]، أما المستشرق "جونز وان آبرو"[٤] فهو يذهب إلى رأي أكثر غرابة إذ يرى أنَّ النص القرآني لم يُكتب لا في عهد النبي ﷺ ولا الخلفاء الأوائل بل جُمِعَ بطريقة تدريجية متماشياً مع التطور الحاصل في المجتمع وصولاً إلى نهاية القرن الثاني الهجري؛ إذ توفرت الأرضية الخصبة فجُمِع [٥] .

ويبدو أنَّ "درمنغم" يشاطره هذا الرأي إذ يقول : " لم تدون الكتب المقدسة إلا بعد تبليغها بطويل زمن، أي حين يكون حفظها قد ضعف وتكون رواياتها قد كثرت ومثل هذا أمر القرآن الذي اختير له نص رسمي بعد النبي بسبعين سنة "[٦] ، ويرى الباحث : أنَّ هذا الرأي غير جدير بالمناقشة؛ لأنه فاقد لمعيارية البحث العلمي إذ إنَّ نسبة جمع القرآن الكريم إلى مدة طويلة لا يمكن الاعتراف به ولم يقل به أحد بل هو خلاف المنطق، بل يمكن القول ان المستشرق يسعى الى اعطاء الشرعية للكتب المقدسة السابقة على اساس ان القران لم يدون في زمن النبي ﷺ كما إنَّ الكتب لم تدون في زمن الأنبياء، ويبدو أنَّ هذه الآراء هي أبرز ما جاء في دراسات المستشرقين على أن هناك آراء مستشرقين آخرين تناولوا هذا الموضوع بيد أن دراساتهم لا تزيد شيئاً عما ذُكِر .

١- الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر: مونتجمري وات، ترجمة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، بلا. ط، ١٩٩٨م، الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ مصر، ١٢٨.
٢- ينظر: الإسلام والعرب: روم لاندو، ٣٦.
٣- ينظر: الإسلام: بيتر هاينة، ٧٩.
٤- جونز وان ابرو: مستشرق معاصر اهتم بدراسة العادات الشعبية في العالم الإسلامي والجزيرة العربية من أثاره نماذج من الموسيقى الشعبية، التعليم الإسلامي. ينظر: المستشرقون: العقيقي، ١/ ٢٧٨.
٥- ينظر : جمع القرآن من قبل النبي والإمام علي: متقي زادة محمدي، ٨.
٦- حياة محمد: أميل درمنغم، ترجمة: محمد عادل زعيتر، ط٢، ١٩٤٩م، دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة – مصر ،٢٤٨.

ومن ذلك يُستنتج أن تدوين القرآن الكريم كان باشراف النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وتم جمعه على يد أمير المؤمنين عليه السلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وهذا ما يميل إليه الباحث وما تؤيده الأدلة التي تم ذكرها، أما ما ذكر من آراء خلاف ذلك فهي لا تعدو كونها جاءت لتحسين بعض الشخصيات الاسلامية وربطها بالقرآن الكريم، خدمة للأغراض التبشيرية للمستشرقين الغربيين، والابتعاد عن المنهج العلمي عبر التشكيك بما روي عن الامامية، وترجيح طائفة من الأخبار بغير مرجح وهذا خلاف الجانب الموضوعي كترجيح روايات جمع القرآن من قبل زيد وغيرها.

المبحث الرابع: بحث ترتيب القرآن عند الامامية في دراسات المستشرقين

يُعد النظر الى ترتيب القرآن الكريم أمراً لا يخلو من الغرابة، والمتأمل في التراث الاسلامي يجد أنَّ لهذه المسألة صدًى واسعاً حتى عند القدماء؛ لاسيما بعد عملية جمع المصحف الشريف ومخالفة الترتيب الذي نزل عليه القرآن الكريم، وبما إنَّ المستشرقين شرعوا بمهمة دراسة الدين الاسلامي فقد شغلت هذه المسألة حيزاً واسعاً في كتاباتهم، وللوقوف على نتيجة هذا البحث لابد من معرفة وجهة نظر الامامية حول ترتيب سور القرآن الكريم، ثم دراسات المستشرقين في ترتيب السور والرد عليها، ونظرة المستشرقين لترتيب الآيات داخل السورة الواحدة ومعرفة مدى مصداقيتها ونقضها:

المطلب الأول: مفهوم ترتيب القرآن عند الامامية:

أولاً: تعريف الترتيب لغةً واصطلاحاً:

١ـ الترتيب لغةً: يعطي معاني عدة منها: الانتصاب والمنزلة، قال الخليل (ت: ١٧٥هـ): "رتب المصلي أي انتصب.... وترتب فلان أي علا رتبة "[1]، ومنها: الثبوت

١ - العين: الفراهيدي، ٨ / ١١٥.

والدوام، ومنه قولهم رتب الشيء أي ثبت، وعيش راتب أي: ثابتٌ دائمٌ[1]، من المدلول اللغوي نلحظ أنَّ الترتيب يستعمل في المنزلة والثبوت.

٢ـ الترتيب اصطلاحاً: أما في الاصطلاح فيعرفه الجرجاني (ت:٨١٦ هـ) بقوله: "هو جعل الأشياء الكثيرة بحيث يُطلق عليها اسم الواحد ويكون لبعض أجزائه نسبة إلى البعض بالتقدم والتأخر"[2].

من هنا يتضح بأن معنى الترتيب هو أنَّ تكون الأشياء ضمن مجموعة واحدة وتصبح كأنها شيء واحد، وبالنسبة إلى ترتيب القرآن فمعناه جمع الآيات في السور المختلفة كتابًا واحدًا وهذا ما نلاحظه في القرآن الكريم الذي هو كلٌ متكامل.

ثانياً: رأي الامامية في ترتيب القرآن الكريم:

إنَّ لترتيب سور القرآن الكريم داخل المصحف أثراً بالغ الأهمية؛ لأنَّ معرفة الترتيب قد تساعد على أمورٍ عدة منها : معرفة الأحكام الناسخة من المنسوخة؛ لأنَّ الأحكام الناسخة متأخرة رتبة عن الأحكام المنسوخة، أو إثبات فضيلة من فضائل الصحابة أو الأئمة كما هو الحال في آيات سورة الإنسان النازلة في أهل البيت عليهم السلام فقد ادعى بعض الصحابة أنَّها مكية ليصرفها عن أهل البيت عليهم السلام [3]، والحال أنَّ جل المفسرين يرونها مدنية[4]، أو اثبات بعض القضايا العقائدية كحادثة الإسراء هل هي جسدية أم روحية؛ إذ إنَّ هناك روايات نسبت لأحدى زوجات النبي صلى الله عليه وآله تصرح بأنَّها روحية على أساس أنَّ جسد النبي صلى الله عليه وآله لم يفارقها تلك الليلة[5] فمعرفة ترتيب النزول تثبت أنَّ هذه الآيات نازلة في مكة، والنبي صلى الله عليه وآله لم يتزوجها

١- ينظر: تاج العروس: الزبيدي، ٢/ ١٥. ينظر: لسان العرب: ابن منظور ،١/ ٤٠٩.

٢- معجم التعريفات: علي بن محمد الشريف الجرجاني، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، بلا. ط، ٢٠٠٤م، دار الفضيلة ـ القاهرة ـ مصر،٥٠.

٣- ينظر: روح المعاني: الآلوسي، ١٥/ ١٦٦.

٤- ينظر: التبيان: الطوسي، ١٠ / ٢٠٤. ينظر: مجمع البيان: الطبرسي، ١٠ / ٢٠٦. ينظر: الميزان: الطباطبائي، ٢٠/ ١٣٨. وينظر: الأمثل: مكارم الشيرازي، ١٩ / ٢٥١.

٥- ينظر: السيرة النبوية: عبد الملك ابن هشام بن ايوب المعافري، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط٢، ١٩٥٥ م، منطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ـ مصر، ١/ ٣٩٩.

إلا في المدينة، وأيضاً إثبات صحة بعض الوقائع التاريخية من عدمها يتمثل ذلك في الآيات النازلة في عدم جواز الاستغفار للمشركين من قبل النبي ﷺ حتى وإن كانوا أولي قربى، فهناك من يقول إنها نازلة في أبي طالب عليه السلام ومن ترتيب النزول تبين أنَّ الآية مدنية وأبا طالب عليه السلام توفي في مكة، أضف إلى ذلك معرفة التسلسل الطبيعي لأحداث الإسلام وغيرها[1].

وفي هذا المجال ينقسم علماء الامامية إلى فريقين: الأول يدعي التوقيف والآخر يدعي الاجتهاد، فمن الأول نقل العلماء رأي السيد المرتضى (ت: ٤٣٦هـ) على أنَّهُ أدعى الترتيب التوقيفي للسور والآيات داخل المصحف الشريف على أنَّ ذلك حاصلٌ في عهد رسول الله ﷺ مستدلين بأنَّ القرآن الكريم كله كان يُدرس من قبل الصحابة ويحفظونه في تلك الحقبة؛ إذ يقول : "كان القرآن على عهده مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن واستدل على أنَّ القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان حتى عين جماعة من الصحابة في حفظهم له ..... كل ذلك يدل بأدنى تأمل على أنَّهُ كان مجموعاً مرتباً غير مبتور ولا مبثوث[2]، ويؤيد ذلك صاحب الأمثل بأن ترتيب المصحف كان بأمر النبي ﷺ مشيراً إلى أنَّ هذا الترتيب جاء لأغراض منها أهمية هذه السور نفسها مما أدى إلى جعلها في مقدمة المصحف [3].

على حين نجد أن جل علماء الامامية بل وأهل السير والتاريخ وأهل الحديث متفقون على أنَّ ترتيب سور القرآن الكريم في المصحف الحالي كان أمراً اجتهادياً من جُمّاع القرآن الكريم [4]، لاسّيما أنه من الأمور التي تحددها النصوص التاريخية وليست من المسائل العقلية، مستدلين بعدة أدلة منها : وضع عثمان

١- ينظر: قراءة نقدية في تاريخ القرآن للمستشرق: علي حسن الهاشمي، ٣٠١ - ٣٠٤.
٢- ينظر: مجمع البيان: الطبرسي، ١/ ١٥، وينظر: التمهيد: محمد هادي معرفة، ١/ ٢٨٧.
٣- ينظر: الأمثل: مكارم الشيرازي ،٣/ ٧٦.
٤- ينظر: التمهيد: محمد هادي معرفة، ١/ ٢٨٩.

سورتي الأنفال وبراءة بين الأعراف ويونس[1]، ومنها مخالفة المصحف الحالي لما عليه مصاحف الصحابة من حيث الترتيب[2] فضلاً عن تضارب روايات الجمع وتناقضها[3]، وعليه فهم يرون ترتيب القرآن أمراً اجتهادياً، أما من ذهب إلى أنَّهُ توقيفي مستدلاً بتدارس الصحابة للقرآن وتعيين النبي ﷺ لبعضهم حفظةً له فيُرد عليه أنَّ حفظ القرآن الكريم هنا جاء بمعنى الحفظ الكلي للسور والآيات مرتبة أو غير مرتبة وهذا المعنى يسري على من ختم القرآن على النبي وبهذا يكون الحفظ من الضياع والتشتت، وفي ذلك دلالة على عدم توقيف الترتيب القرآني للسور[4].

اما من ذهب إلى أنَّ الأمر اجتهاديٌ مستدلاً بوضع عثمان لبعض السور في غير مواضعها وكذلك مخالفة ترتيب المصحف الحالي لما عليه نزول القرآن، فنجد أنَّ مصحف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يُعضد هذا الرأي إذ جمعه على ترتيب نزوله مبتدئاً بسورة العلق ثم تتسلسل الآيات بعدها.

بيد أنَّ هناك رأياً يميل إلى الممازجة بين القولين أي أنَّ الترتيب كان جزءاً منه على يد النبي ﷺ والآخر تركه اجتهادياً، ومن الأدلة على هذا الرأي رواية علي بن إبراهيم، عن صالح بن السندي [5]، عن جعفر بن بشير[6]، عن سعد الإسكاف[7] قال : " قال رسول الله ﷺ أعطيت السور الطوال مكان التوراة، وأعطيت المئين مكان الإنجيل، وأعطيت المثاني مكان الزبور، وفضلت بالمفصل ثمان وستون سورة، وهو مهيمن على سائر الكتب..."[8]، وفي هذه الرواية ذكر

١- ينظر: الميزان: الطباطبائي، ١٢/ ١٦٢ -١٧٢. وينظر: مناهل العرفان: للزرقاني ،١/ ١٩٦.
٢- ينظر: التمهيد: محمد هادي معرفة، ١/ ٢٨٩.
٣- ينظر: البيان: الخوئي، ٢٤٧.
٤- ينظر: التمهيد: محمد هادي معرفة، ١/ ٢٨٩.
٥- "صالح بن السندي: ثقة، له كتاب ". الفهرست: الطوسي، ١٤٧.
٦- "جعفر بن بشير: ثقة ". المصدر نفسه، ٩٢.
٧- "سعد الإسكاف: روى عن الأئمة عليهم السلام ". خلاصة الأقوال: العلامة الحلي، ٣٥٣.
٨- الكافي: الكليني، ٢/ ٦٠١.

لأسماء وتقسيمات السور كالطوال والمئين وهكذا على أنَّ هذا الترتيب كان معروفا على عهد النبي ﷺ أضف إلى ذلك أنَّ العامة ليس كلهم مجمعين على توقيفية الترتيب الحالي، بل بعضهم قال: إنَّ ترتيب القرآن الكريم توقيفي ما خلا الأنفال وبراءة فأنهما باجتهاد عثمان [1] والآخر قال بالاختلاف اللفظي بين العلماء [2].

وبعد تتبع آراء الامامية في مسألة ترتيب السور في المصحف يميل الباحث إلى الرأي الثاني أي أنَّ ترتيب سور المصحف الحالي اجتهاديٌ وليس توقيفياً؛ وذلك لقوة الأدلة التي ساقها أصحاب هذا الرأي، فضلاً عن مخالفة مصحف الامام أمير المؤمنين عليه السلام لهذا الترتيب، أضف إلى كل ذلك أنَّ ترتيب المصحف أمر تكليفي لا مجال للاجتهاد فيه ولو كان الترتيب الحالي توقيفًا من قبل النبي ﷺ فمن المحال أنَّ يخالف ذلك الترتيب أمير المؤمنين عليه السلام في مصحفه، وهذا يثبت أنَّ القوم قد اجتهدوا أمام النص.

المطلب الثاني: دراسات المستشرقين لترتيب القرآن عند الامامية:

أولاً: دراسات المستشرقين لترتيب السور عند الامامية:

إنَّ نظرة فاحصة في تأريخ تطور الدراسات الاستشراقية تثبت أنَّ اهتمام المستشرقين في مسألة ترتيب سور القرآن الكريم قد بدأ في القرن التاسع عشر الميلادي[3]، فكان من نتاج تلك الدراسات اهتمامهم بمسألة تقسيم سور القرآن متجاوزين التقسيم الذي سار عليه علماء المسلمين من المكي والمدني، ولعل "جوستاف فايل"[4] من أوائل المستشرقين الذين انبثقت منهم فكرة تقسيم السور

١- ينظر: البرهان في ترتيب سور القرآن: احمد بن الزبير الغرناطي، تحقيق: محمد العزاوي، ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ٢٧.

٢- ينظر: البرهان: الزركشي، ١/ ٢٥٧.

٣- ينظر: إشكالية فهم النص القرآني عند المستشرقين: عادل عباس النصراوي، ط١، ٢٠١٦م، دار الرافدين، بيروت- لبنان، ١٧٣.

٤- جوستاف فايل: هو مستشرق ألماني يهودي، ولد عام ١٨٠٨م مدينة زولتسبورج بألمانيا كان جده الحاخام الأكبر للمجمع الإسرائيلي، تنقل بين المدن العربية الجزائر والقاهرة من أبرز نتاجه العلمي كتاب النبي محمد حياته مذهبه، وترجمته للسيرة النبوية لابن هشام، وغيرها توفي عام ١٨٨٩م. ينظر: موسوعة المستشرقين: عبد الرحمن بدوي، ٣٩٠- ٣٩١.

على مستوى الدراسات الغربية، إلا أنَّ "نولدكة" يُعد رائد هذا المجال فقد شرع في ترتيب سور القرآن الكريم مقسماً السور المكية على ثلاث مراحل[١].

أما المستشرق "جرَيمة"[٢] فهو أيضاً كان له جهدٌ ومحاولة لترتيب سور القرآن، إلا إنَّه استعمل المواضيع كأساس لهذا التقسيم كالقيامة والتوحيد وغيرها[٣]، ويبدو أنَّ حدّة المنافسة قد أفقدت "موير" موضوعيته فجعلته يتعسف في تقسيم سور القرآن على خمس مجموعات أرجع قسم منها إلى ما قبل البعثة[٤].

ومن الجدير بالذكر أنَّ بعض المستشرقين قد كَرّسوا دراساتهم لترتيب القرآن في مدرسة الامامية ومن أبرزهم "جولد زيهر" الذي أولى مسألة ترتيب النص القرآني عند الإمامية أهمية خاصة، إلا أنَّ دراسته امتازت بتجردها عن الإنصاف؛ لأنه يرى أنَّ هناك اختلافاً في ترتيب سور القرآن بين فرق المسلمين، ويلقي اللّوم على أتباع مدرسة الامامية من دون غيرها إذ يقول: " يبدو أنّهُ لم يحصل أصلاً بين الشيعة اتفاق معين على علاقة نص القرآن بقالب مأثور من النص صحيح المطابقة في زعمهم لكتاب الله .... إنّهم يلقون الضغط فقط على تغيير ترتيب السور ويقولون: أنَّ مصحف علي عليه السلام وهو أقدم جمع لنص القرآن ـ كتب على تنزيل القرآن أي على ترتيبه التاريخي "[٥].

وهو بهذا يشير الى أنَّ الامامية لم تتفق على ترتيب السور القرآنية في أماكنها متناسياً أنَّ هذه المسألة قد شغلت مساحة واسعة في الدراسات القرآنية عند المذاهب الأخرى وليس الامامية فقط ، ويشير إلى أنَّ الاختلاف بين المصحف

١- ينظر: قراءة نقدية في تاريخ القرآن: علي حسن الهاشمي، ٣١١-٣١٢.
٢- جريمة: هو مستشرق ألماني ولد عام ١٨٦٤م، وعمل أستاذ اللغات الشرقية في مونستر، من أبرز أعماله ترجمة القرآن، وكتب عن حياة النبي، ونشر عدة بحوث في المجلات منها اللغات السامية نشر في المجلة الأشورية وتوفي عام ١٩٤٢م. ينظر: المستشرقون: العقيقي، ٢ / ٧٦٠.
٣- ينظر: قراءة نقدية في تاريخ القرآن: علي حسن الهاشمي، ٣١٤.
٤- ينظر: المصدر نفسة، ٣١٤-٣١٥.
٥- مذاهب التفسير الإسلامي: جولد زيهر، ٢٩٦.

الحالي ومصحف الامامية يكمن في ترتيب السور فقط ، والحال أنَّ الامامية تعتقد أنَّ مصحف الإمام علي عليه السلام ليس مخالفاً لمصاحف المسلمين في نص القران وترتيب السور أي أنَّهُ معتمدٌ على ترتيب نزولها، أو ما يعرف بالترتيب التكليفي، بل يختلف فيما جاء فيه من علوم القرآن كالناسخ والمنسوخ والمكي والمدني، وعليه فإنَّ المفارقة لا تنحصر في الترتيب النصي بل تتعداه إلى بيان العلوم وتأويل المعاني الغامضة بل إنَّ أكثر خصيصة يتمتع بها هذا المصحف أنَّه من إملاء النبي صلى الله عليه وآله وتدوين الوصي عليه السلام، فأي مخالفة يتكلم عنها المستشرق، ثم يضيف قائلاً: "على أنَّ قراناً لعليّ عليه السلام يرينا ترتيب السور على الوجه الذي ذكرناه أنفاً والذي حفظ لنا مع حلقة مفقودة في نصوص كتاب الفهرست يقال إنَّهُ لا يزال محفوظاً في النجف إلى اليوم عند قبر الامام ..... ولا أهمية في هذا الانتفاع العملي لهذا الأسلوب الخاص في ترتيب السور بذلك البدل الشيعي عن قرآن عثمان السني"[1].

ولابد أنَّ المستشرق قد ألتبس عليه الأمر فالقرآن الذي كتبه الامام علي عليه السلام لم يطلع عليه أحد، لا صاحب الفهرست ولا غيره ، بل نقلت لنا بعض اوصافه من تلامذة الأئمة عليهم السلام وخواصهم [2]، أما أنَّ يحفظ في الفهرست فهو مجرد ادعاء، وأنَّ صاحب الفهرست لم يذكر ترتيب سور المصحف بسبب القطع الذي حصل في الكتاب ولعل ذلك كان متعمداً[3]، فضلاً عن أنَّ المستشرق لم تتضح عنده الصورة فهو يعتقد بوجود نسخة من المصحف في مرقد الامام علي عليه السلام يحتفظ بها الشيعة إلى الآن، والحق أن عقيدة الامامية قائمة على أنَّ مصحف الامام أمير المؤمنين عليه السلام قد توارثه الأئمة عليهم السلام حتى وصل إلى الامام المهدي عجل الله فرجه، وليس مخزوناً عند قبر الامام علي عليه السلام ، نعم يوجد

١- مذاهب التفسير الإسلامي: جولد زيهر ،٢٩٩.
٢- ينظر: عيون المعجزات: حسين بن عبد الوهاب، ط١، بلا.ت، مكتبة الداووري - قم - إيران، ١٠٧.
٣- ينظر: الإمام علي وإشكالية جمع القرآن ودراسات المستشرقين: عبد الجبار ناجي، ١٢٥.

مصحف في مرقد الامام علي عليه السلام في المشهد الغروي بخط أمير المؤمنين عليه السلام يتكون من ثلاث صحائف[1] ولكن ليس هو مصحف الامام نفسه .

والذي يثبت عدم وضوح الصورة عند المستشرق قوله : " كذلك يحفظ عند قبر عباس عليه السلام بجوار كربلاء مصحف تنسب كتابته إلى الإمام الرابع علي زين العابدين بن الحسين بن علي عليهم السلام"[2]، وهنا يمكن القول إنَّ المستشرق خلط بين المصاحف المكتوبة بخط الأئمة وبين المصحف الذي جمعه الامام أمير المؤمنين عليه السلام ، فالتدوين شيء والجمع شيء آخر، ثم يشير إلى أنّ الامامية تدعي أنّ الامام علي عليه السلام قد رتب المصحف على مجموعاتٍ سبع بقوله :" وبناءً على حديث صنعه الشيعة، رتب علي القرآن على سبع مجموعات "[3] ويذكر ترتيب هذه السور مستثنياً سورة الفاتحة[4]، ومن المعلوم أنّ المستشرق لم يطلع على مصحف الامام علي عليه السلام ، فضلاً عن أنّه لم يبين سبب تضعيفه للحديث، وهذا يشير إلى أن قوله مجرد ادعاء بلا دليل، وأنَّ المتأمل في كلام المستشرق "جولد زيهر" يجد أنَّ بحثه حول مسألة ترتيب القرآن الكريم يدور في دائرة مصحف الامام علي عليه السلام وكيفية اتهام الامامية بالقول بمخالفة الترتيب الحالي للمصحف العثماني، ووجود بعض المصاحف المحفوظة عند مراقد الأئمة عليهم السلام ويتهم الامامية بأنّها تضع الأحاديث فيما يتعلق بترتيب سور القرآن في المصحف، وهو بهذا كله يبتعد عن الموضوع الأساس ـ ترتيب السور ـ ويدخل في دوامة تشويه صورة الامامية، وبخلاف ذلك فإنّ ما يراه المستشرق "تيرنر" ، وإنْ كان لا يُصرح مباشرةً برأيه إلا أنَّ ما يُفهم منه أنَّهُ يذهب إلى القول بأنَّ ترتيب القرآن سواء توقيفي أم اجتهادي فهو يخضع للمناقشة والرأي بقوله: " زعم البعض أنَّ الرسول[صلى الله عليه وآله] نفسه كان

١- ينظر: المصدر السابق، ١٣٧.
٢- مذاهب التفسير الإسلامي: جولد زيهر، ٢٩٩.
٣- مذاهب التفسير الإسلامي: جولد زيهر، ٢٩٦.
٤- ينظر: المصدر نفسه، ٢٩٧.

مسؤولاً عن تقسيم الوحي إلى آيات وسور إضافة إلى الترتيب العام للقرآن كله ....وسواء أكان ترتيب السور جاء بأمر من محمد[ﷺ] وكذلك الترتيب الذي جاءت عليه السور، لأمر مفتوح للمناقشة وبخاصة حينما يرى أنَّ أهمية ترتيب السور تكمن حين يمثل النص وحدة واحدة متماسكة وليس تجميعات مفككة من مواد متفرقة فحسب "[1].

اما المستشرق "بلاشير" فقد أدلى برأيه مشيراً إلى أنَّ خير دليل على قبول القرآن الكريم هو اعتراف الامام علي عليه السلام وأتباعه بذلك النص إذ يقول : "وبالفعل فإنَّ قبول القرآن من قبل علي وشيعته أعداء عثمان العاثر الحظ هو الضمان الأوثق على أصالته ..... بيد ثمة معضلة في القرآن، فنحن لسنا متأكدين قط من السياق فبينما بعض السور لاسيما القصيرة والأجزاء الغنائية والقصصية هي أكثر أو اقل كمالاً، يفترض أنَّها مدونة في صيغة تلاوتها أول مرة فإنه يسود عبر مجموع العمل إهمال كلي للتعاقب الزمني فليس ثمة فواصل وفراغات مريعة فحسب بل أنَّ الآيات المتأخرة تسبق الأولى بشكل ليس بالنادر"[2]، والمستشرق هنا يريد الاشارة إلى عدم ثقته بسياق النص القرآني مؤكداً أنَّ هناك فجوات كبيرة وإهمال للترتيب الزمني ـ ترتيب النزول ـ فضلاً عن التباين في الطول والقصر لبعض السور، وهذا ما حسبه المستشرق خللاً في كمال السور، والظاهر من كلام المستشرق أنهُ تناول النص القرآني، على أنهُ نصٌ أدبيٌ بشري لا نص الهي محفوظ من الزيادة والنقص، فضلاً عن تغافله عن الجانب الإعجازي للنص القرآني فمن المُسَلمّ به عند الامامية أنَّ القرآن معجز في كل شيء حتى في نُظمه وترابط آياته[3].

١ - الإسلام الأسس: تيرنر، ١١٦.
٢- القرآن نزوله ترجمته تدوينه تأثيره: بلاشير، ٢٦- ٢٧.
٣- التفسير البنائي: محمود البستاني، ١ / ٧.

وهنا يُستنتج أنّ المستشرقين في نظرتهم إلى عملية ترتيب السور داخل المصحف ما هي إلا محاولة لترسيخ نظرتهم السابقة كون القرآن الكريم مليئًا بالتناقض والاختلاف والتحريف إلا أنها جاءت بوجه آخر، ثم إنَّ جل الآراء والتقسيمات بل الدراسات جاءت قائمة على الافتراضات والآراء الشخصية ولم تكن مستندة إلى دليل إلا من شذ منها فلجأ إلى الأدلة الواهية وتمسك بالخيوط البالية والروايات الضعيفة.

ثانياً: دراسات المستشرقين لترتيب الآيات عند الامامية:

من المُسَلّم به عند الدارسين لعلوم القرآن أنَّ مسألة ترتيب السور والآيات داخل المصحف برزت بعد عملية جمع القرآن الكريم من قبل الصحابة وتخليهم عن الجمع التكليفي الذي تم على يد الامام علي عليه السلام، إنَّ عملية الجمع تلك أثارت تساؤلاتٍ كثيرة بين علماء المسلمين والدارسين لعلوم الإسلام من غير المسلمين، فقد أنتجت هذه الدراسات كماً كبيراً من الآراء حول عملية الترتيب؛ إلا أنَّ ما يَعنينا في هذه المسألة هو رأي الامامية، إذ يقوم اعتقاد سائد بين علماء الامامية على أنَّ ترتيب الكلمات والآيات في إطار السورة الواحدة أمرٌ توقيفيٌ صادرٌ من النبي صلى الله عليه وآله وبلا إشكال في ذلك [1]، مستدلين بما جاء بالبحار من روايات في فضائل كتاب الله، التي تدل على أنَّ النبي صلى الله عليه وآله قد ذكر أسماء سور القرآن حسب الترتيب وبما أنَّ تلك السور قد نزلت جملة واحدة ففيها دلالة على أنَّ ترتيب الآيات في السور يكون توقيفياً[2]، بل أنَّ هذا الاعتقاد سائد عند جمهور المسلمين عامة، أي أنَّ مواقع الآيات في سور المصحف الحالي قد تم ترتيبها من قبل النبي صلى الله عليه وآله عن جبرائيل عن الله تبارك وتعالى، واستدلوا بالخبر القائل إنَّ النبي كان يُعلم أصحابه أنَّ يضعوا الآية النازلة في موقعها المناسب من السورة[3].

١- ينظر: الميزان: الطباطبائي، ١٢/ ١٢٩. وينظر: التمهيد: محمد هادي معرفة، ٢٨٥
٢- ينظر: بحار الأنوار: المجلسي، ٩٢ / ٢٢٤ - ٣٢١.
٣- ينظر: التفسير البنائي: محمود البستاني ، ١ / ٧.

فهذا المستشرق "جرجس سال" في كتابه يشير إلى ذلك بقوله : "تنقسم السورة أقساماً ثانية غير متساوية في الطول ندعوها نحن فقرات ويدعونها بالعربية آية ....واعلم أنَّ تقسيم السور إلى آيات أمرٌ شائع عندهم"[1]، وعلى الرغم من أنّهُ لم يفصح عن موقفه في تلك الدراسة إلا أنّهُ قد تناول عملية الترتيب والتقسيم بها والمستشرق "نولدكة" هو الآخر أعطى دراسة واسعة عن كيفية تقسيم سور القرآن وترتيبها واختلاف المسلمين في هذا الترتيب إلا أنهُ لم يقدم شيئاً وافياً عن ترتيب الآيات داخل المصحف هل هو توقيفي أم اجتهادي ولم يبحث هذه المسألة إلا في إشارات عن إضافات بعض الآيات في السياق بطريقة متأخرة مناقشاً آراء العلماء في ذلك، إذ يقول " يبرز الاضطراب التواق فوراً في الآيات القصيرة لسورة القارعة ١٠١، للأسباب التي يسوقها "أوغست فيشر" [2] ليؤيد رأيه بأن الآيتين ٧/ ١٠ ، ٨/ ١١ قد أدخلتا إلى السورة لاحقاً لا تفي "[3]، وبعض الإشارات الخجولة بقوله : " ربما اقتصر العمل آنذاك على ضم الآيات وترتيبها، أما الآيات فيجوز لنا أنَّ نثق بأن نصفها نقل إجمالاً كما وجد في تركة النبي "[4]، وعلى الرغم من أنَّ المستشرق قد تبنى مسألة ترتيب السور بقوة وطرح آراء عدة إلا إنّه لم يتعرض لمسألة ترتيب الآيات في السورة الواحدة ولم يخرج برأيه فيها.

وبخلاف المستشرقين السابقين نجد أنَّ هنالك مستشرقين قد سلطوا الضوء على مسألة اختلاف ترتيب الآيات في سورها كالمستشرق "جولد زيهر" يناقش هذه المسألة بدقة مقسماً هذا الأمر على قسمين: الأول ترتيب الآيات داخل السورة الواحدة، والثاني تقطيع الآية الواحدة في داخل السياق القرآني محاولاً

١- عن أسرار القرآن: جرجس سال، ترجمة: هاشم العربي، ط٣، ١٩١٤م، مطبعة بولاق مصر، ٨.
٢- أوغست فيشر: مستشرق ألماني ولد عام ١٨٦٥م اختص باللغة العربية حصراً من أبرز دراساته عن الإسلام بحث بعنوان محمد وأحمد اسمان للنبي توفي عام ١٩٤٩م. ينظر: موسوعة المستشرقين: عبد الرحمن بدوي، ٤٠٣-٤٠٤.
٣- ينظر: تاريخ القرآن: نولدكة، ٨٨.
٤- تاريخ القرآن: نولدكة، ٣٤٣.

إثبات أنَّ هناك تهاوناً وسطحية في عملية جمع المصحف ولصق هذا القول بالامامية إذ يقول : " قد هدفوا إلى إقامة البرهان على مدى التهاون والسطحية التي اتبعت في كتابة المصحف العثماني، وكيف أنَّهُ إلى هذه الكتابة يرجع ذلك الطابع المتقطع غير المتصل بالسياق الملاحظ في مواضع كثيرة من نص القرآن إذ ترتب على ذلك تشويه لا علاج له في الجمال المعجز لنظم الكتاب الكريم ..... إنَّه يجب اعادته أولاً إلى ترتيبه الصحيح وأنَّ التتالي الطبيعي لآية من الآيات لا يوجد في الآية التي تليها لكنه ظل طريقه إلى مكان متأخر"[1]، ثم يقدم المستشرق أمثلة لعدم ترتيب الآيات في السور نكتفي بالمثال الآتي إذ يقول :" فالآيتان ١٠٤ من سورة النساء و١٤٠ من آل عمران ، مكانهما في سورة آل عمران ، وسياقهما في وصف موقعة أحد "[2]، وبالرجوع إلى الآيات الكريمة: ﴿**وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً**﴾[3] وقوله تعالى : ﴿**وَإِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾[4] ويبدو للباحث أنَّ المستشرق قد اشتبه عليه الأمر فليس كل آية تتكلم على حادثة معينة يمكن أنَّ توضع بجوار الآيات ذات الموضوع الواحد؛ لأنَّ الرجوع إلى كتب التفسير يثبت أنها وإنْ كانت حاكية عن واقعة أحد إلا أنهما نازلتان في سور مختلفة[5]، وعلى هذا الأساس ذهب المستشرق إلى أنَّ ترتيب الآيات في السورة الواحدة غير منتظم، بل الامامية ترى أنَّ هناك تشويهًا في نُظم القرآن على حد زعمه، وعليه يجب أنَّ يُعاد إلى وضعه الطبيعي، وكأنه يشير إلى عملية

١- مذاهب التفسير الإسلامي: جولد زيهر، ٣١٠.
٢- المصدر نفسه، ٣١٠.
٣- سورة النساء: الآية ، ١٠٤ .
٤- سورة آل عمران: الآية ،١٤٠ .
٥- ينظر: مجمع البيان: الطبرسي، ٢/ ٣٩٨. وينظر: الميزان: الطباطبائي، ٤/ ٢٧. و ينظر: الأمثل: ناصر مكارم الشيرازي، ٢/ ٧١٠.

إعادة ترتيب المصحف؛ لأنَّ هناك كثيرًا من الآيات قد ابتعدت عن سياقها الطبيعي في السور، ومن المُسَلّم به أنَّ رأي مفسر واحد لا يعكس رأي طائفة كاملة، وهذا ما استخدمه "جولد زيهر" اذ اعتمد على تفسير القمي فقط ونسبه للأمامية كافة، والحال أنَّ الامامية تذهب إلى أنَّ آيات القرآن توقيفية في ترتيبها[1] وفي إطار الرد على ذلك يقول الشيخ هادي معرفة "وينبغي أنّ لا نتغافل عن أصالة السياق في الآيات فإنها محفوظة حسب طبيعتها الأولية بمعنى أنّ الأصل الأولي هو البناء على أنَّ الترتيب القائم هو ترتيب النزول .....وكفى بذلك في حكمة السياق والحكم بتوقيفية النظم القائم بين الآيات ولا يجوز الخلاف"[2]، ومن الجدير بالذكر هنا أنَّ تفسير القمي كان ناظراً إلى الحادثة والترتيب النزولي لا الترتيب النهائي وهذا يظهر حال الدراسة التي قدمها المستشرق؛ لأنَّ ولعه باتهام الامامية وتشويه صورتهم قد حدا به الابتعاد عن المنهج العلمي، كذلك المستشرق "كانون سل" الذي اعطى نماذج من عدم ترتيب الآيات عند الامامية تحت مسمى "خلل ترتيب الآيات"[3] ومن أبرز الأمثلة التي ساقها على مدعاه قوله تعالى : ﴿**قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ**﴾[4] على أنّها في القرآن الصحيح حسب زعمه يجب أنَّ تتبع قوله تعالى : ﴿**قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا**﴾[5] وكذلك من الأمثلة التي ساقها المستشرق على الخلل في الترتيب قوله تعالى : ﴿**وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**﴾[6] على أنّها يجب أنَّ تكون بعد قوله تعالى: ﴿**وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ**

١- ينظر: الميزان: الطباطبائي، ١٢/ ١٢٩.
٢- التمهيد: محمد هادي معرفة، ٢٨٥.
٣- ينظر: تدوين القرآن: كانون سل، ١٦.
٤- سورة البقرة: الآية، ٦١.
٥- سورة المائدة: الآية، ٢٢.
٦- سورة الفرقان: الآية، ٥.

بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾[1] وهنا يمكن القول إنَّ المستشرق قد ألقى ما عنده وتركه بلا دليل، وبناءً على ذلك أدعى أنَّ هناك قرآنًا أصليًا وآخر غير أصلي ولا نعلم على أي شيء استند في ذلك، وكيف تمكن من معاينة القرآن الأصلي حسب زعمه.

أما فيما يتعلق بتقطيع الآية نفسها داخل السياق، أي أنَّ يكون نصفها في مكان ونصفها الآخر في مكان آخر فهذا مما لا يقبل عند علماء الامامية ولم تتكلم عليه أمهات كتبهم؛ لأن الأدلة عندهم قائمة على أنَّ الآيات مكتملة على عهد النبي صلى الله عليه وآله إذ جاء في البحار برواية محمد بن علي بن الحسين[2]، عن محمد بن القاسم[3]، عن يوسف بن محمد بن زياد[4]، وعلي ابن محمد بن سيار[5]، عن الحسن بن علي العسكري عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام: " أنه سُئل عن بسم الله الرحمن الرحيم هل من فاتحة الكتاب؟ فقال: نعم، كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقرأها ويعدها آية منها، ويقول: فاتحة الكتاب هي السبع المثاني"[6] ، وفيها دلالة على اكتمال الآيات، ومما يدل على ذلك أيضاً تقسيم الحروف المقطعة فقسمٌ عَدَّ آية مثل "ألم" و"المص "، ولم يعد الآخر آية مثل "المر" و" الر"[7] ، وهذا يدل على أنَّ الآيات مكتملة وهذا أمر تعبدي وليس اجتهاديًا، غير أنَّ المستشرق "جولد زيهر" يؤيد وقوع هذا الشيء بوضوح إذ يقول: " كذلك في نفس الآية الواحدة يسود انقطاع في صلة السياق وأنَّ الترتيب الطبيعي إنَّما يعاد أولاً إذا بحثنا عن تمام نصف الآية في مكان بعيد عنها وضممنا ما يتصل بعضه

١- سورة العنكبوت: الآية، ٤٨.
٢- "محمد بن علي بن الحسين: ثقة جليل القدر ". رجال ابن داود: الحسن بن علي ابن داود الحلي، بلا ط، ١٣٨٤ش، جامعة طهران ـ ايران، ٣٢٤.
٣- "محمد بن القاسم: ثقة وعالم" خلاصة الأقوال: العلامة الحلي، ١٠.
٤- " يوسف بن محمد بن زياد: ثقة "مستدركات علم رجال الحديث: علي النمازي ا، ٥ / ٤٥١ .
٥- "علي ابن محمد بن سيار: ثقة " المصدر نفسة، ٥ / ٤٥١.
٦- بحار الأنوار: المجلسي، ٨٢ / ٦٠.
٧- ينظر: مناهل العرفان: الزرقاني، ١ / ٣٣٦.

ببعض من الأجزاء البعيدة التشعب "[1]، ثم يعطي أمثلة لهذا الادعاء " ويقول بمناسبة الآية ٣من سورة النساء (وأما قوله تعالى :﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم**﴾ قال نزلت مع قوله: ﴿**وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ....**﴾ فنصف الآية نزل في أول السورة ونصفها على رأس الآية المائة والعشرين ....وعلى هذا النحو يثبت مثل هذا النقل والتشتيت للنص "[2].

وهنا تجد في هذا الموضع أنَّهُ لا يوجد تناقض وانما هو كلام عن النزول الأولي للآيات، وعليه يشير "جولد زيهر" إلى عدم ترتيب الآيات في السياق ويشير إلى عدم ترتيب الآيات في السورة الواحدة وقد يصل الاتهام إلى تقطيع الآية الواحدة داخل السياق وهذا يسبب إرباكًا في نظم القرآن، وهذا ما يريد المستشرق إثباته، وعليه يمكن القول إنَّ دراسات المستشرقين حول ترتيب سور وآيات القرآن الكريم تفتقر إلى الدقة والموضوعية فضلاً عن كونها لم تراعِ المنهجية مما يؤدي إلى فقدان قيمتها العلمية واتسامها بالسطحية .

المبحث الخامس: شبهة تحريف القرآن عند الامامية في دراسات المستشرقين

المطلب الأول: معالم دراسات الامامية لمسألة تحريف القرآن:

أولاً: مفهوم التحريف لغةً واصطلاحاً:

١ـ التحريف لغة: التحريف في اللغة مأخوذٌ من الحرف وهو يدل على حد الشيء: أي أنَّ يكون للكلام حد وله استعمالات عدة منها التغيير، أي تغيير الكلمة عن معناها[3]، ورد في قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ**﴾[4] أي على طرفٍ من الدين

١- مذاهب التفسير الإسلامي: جولد زيهر، ٣١٠.
٢- المصدر نفسة، ٣١١.
٣- ينظر: العين: الفراهيدي، ٣/ ٢١٠. وينظر: المحيط في اللغة: الصاحب بن عباد، ٣/ ٨١ـ٨٣. وينظر: لسان العرب: ابن منظور، ٩/ ٤٣ـ ٤٤. وينظر: مجمع البحرين: الطريحي، ٥/ ٣٧.
٤- سورة الحج: الآية، ١١.

لا في وسطه وقلبه وهذا مثلٌ لكونهم على قلقٍ واضطرابٍ في دينهم، لا على سكونٍ و طمأنينة[1] وهنا يُستشف من التعريف اللغوي أنَّهُ دالٌ على حد الشيء أو طرفه.

٢. التحريف اصطلاحاً: هناك تعريفات عدة للتحريف على المستوى الاصطلاحي فقد عرفه الراغب الأصفهاني (ت:٥٠٢هـ) على أنَّ: "تحريف الكلام هو أنَّ تجعله على حرف من الاحتمال يمكن حمله على الوجهين"[2]، ويُعرف أيضاً: "حمل اللفظ على معان بعيدة عنه ولو لم ترتبط بظاهرة مع مخالفتها للمشهور"[3]، وعرفه السيد الخوئي (ت:١٤١٣هـ) بتعريفات عدة أبرزها: "هو نقل الشيء عن موقعه وتحويله إلى غيره "[4] أو هو: " الزيادة أو النقيصة في الحروف أو الحركات مع حفظ القرآن وعدم ضياعه، وإنَّ لم يكن متميزاً في الخارج عن غيره"[5].

وبناءً على استقراء تعريفات العلماء يظهر تقارب المعنى اللغوي والاصطلاحي للتحريف إذ يلتقيان في كون المراد بالتحريف هو حد الشيء، أو طرفه، أو تبديل الكلام وتغيير معناه.

ثانياً: موقف الامامية من التحريف:

لا ريب أنَّ علماء الامامية مطبقون على أنَّ القرآن الكريم هو الكتاب الموجود بين الدفتين من غير زيادة ولا نقصان، والذي أنزله الله تعالى على النبي الخاتم ﷺ وقد وصل إلينا عن طريق التواتر والذي تتعهد الدلائل القرآنية بحفظه قال تعالى : ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[6]، جاء في تفسيرها : " إنَّا نزلنا الذكر : يعني القرآن، وإنَّا له لحافظون: لحافظون من الزيادة والنقصان، حتى نجزي به يوم القيامة أي لقيام الحجة به على الجماعة

١- ينظر: الكشاف: الزمخشري، ٣/ ١٤٦.
٢- مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني، ١١٢.
٣- ينظر: مجمع البيان: الطبرسي،٣/ ٩٨.
٤- ينظر: البيان: الخوئي ،١٩٧.
٥- المصدر نفسه، ١٩٨.
٦- سورة الحجر: الآية، ٩.

من كل من لزمته دعوة النبي ﷺ "[1]، ويذهب السيد المرتضى(ت:٤٣٦هـ) إلى القول: " إنّ العلم بصحّة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام والكتب المشهورة وإشعار العرب المسطورة، فإنّ العناية اشتدّت والدواعي توفّرت على نقله وحراسته وبلغت إلى حدّ لم يبلغه فيما ذكرناه "[2]، بينما نجد أنَّ السيد الخوئي(١٤١٣هـ) ينقل مشهور العلماء عدم القول بالتحريف :" إنّ المشهور بين علماء الشيعة ومحقّقيهم، بل المتسالم عليه بينهم هو القول بعدم التحريف ....."[3]، ويمكن إخضاع التحريف إلى مفهومين أحدهما: التحريف الترتيبي أو اللفظي، أي نقل الكلمة أو الآية أو الآيات من مكان إلى آخر سواء كان ذلك بتوقيف أو اجتهادًا [4]، والآخر التحريف المعنوي : أي أنَّ يحمل اللفظ على معان أخرى غير المعاني المرادة من النص أما لهوى أو تدعيم لرأي وهو على أنواع منها تأويل النصوص بغير ضوابط التأويل الصحيحة تبعاً للهوى والأغراض الدنيوية أو تفسير القرآن بغير الضوابط التي حددها رسول الله ﷺ سواء برأي شخصي أو بالابتعاد عن الطريق المحمود وفي كلتا الحالتين يسمى تحريفاً [5] ، وهنا يتبين موقف الامامية من قضية التحريف المزعومة، بأنهم بريئون ممن يقول بتحريف النص القرآني، وهم يقفون موقفاً حاسماً في مسألة حفظ القرآن وصيانته من التحريف، وما ورد من روايات تثير مثل هذه الشبهات ماهي الا روايات موضوعة ، او ضعيفة، او انها تحتمل معاني اخرى .

١- التبيان: الطوسي، ٦ / ٣٢٠. وينظر: البيان: الخوئي، ٢٠٠.
٢- مجمع البيان: الطبرسي، ١/ ١٥
٣- البيان: الخوئي،٢٠٠ -٢٠١.
٤- ينظر: البيان: الخوئي، ٢٥١.
٥- ينظر: شبهة تحريف القرآن دراسة تحليلية: محمد عباس نعمان، مجلة دراسات إسلامية معاصرة، ٢٠١٢م، ٢.

المطلب الثاني: دراسات المستشرقين لشبهة التحريف عند الامامية:

لا شك في أنَّ هناك من المستشرقين من قال بوقوع التحريف في النص القرآني سواء بالزيادة أو النقصان، ولذا فمن المفيد أنَّ يتناول هذا المطلب آراء المستشرقين في مسألة التحريف من جهات عدة وعلى النحو الآتي:

أولاً: دراسات المستشرقين في إثبات التحريف وعدمه:

ليس غريباً أنّ يتبنى المستشرقون مسألة وقوع التحريف في القرآن بعد وجود أصولها في التراث الإسلامي، لاسّيما بعد وفاة النبي ﷺ [1]؛ لأنه ينسجم مع دوافعهم الأساس لإيراد مثل هكذا شبهة، إذ إنَّ كُتب الديانات السابقة قد وقع فيها التحريف فشق عليهم أنَّ يكون للمسلمين كتاب خالٍ من ذلك، لاسّيما بعد ثبات أنَّ الكتب السماوية الأخرى قد دونت بعد وفاة الأنبياء بمدة طويلة من قبل أتباعهم [2] بحيث تناقضت تلك الكتب فيما بينها أحياناً[3] ولم يكن الأمر سائداً عند أتباع الديانات الاخرى أنَّ تلك الكتب نزلت على أنبيائهم حرفياً كما نزل القرآن؛ بل دونت طبقاً للظروف من قبل الأتباع، على الرغم من أنّ بعض المتعصبين أمثال " أف بول"[4] ادعى عدم تحريف العهدين[5] بخلاف المسلمين الذين يعتقدون بنزول القرآن نصاً على قلب النبي ﷺ، ولا ننسى الدوافع التبشيرية التي كان لها نصيبٌ من القول بالتحريف فمن كان يسعى للتبشير ادعى ذلك لتدعيم عقيدته وتوفير البديل عن الاسلام[6]

١- ينظر: الإتقان: السيوطي، ٣/ ٨٢.

٢- ينظر: تاريخ القرآن: نولدكة، ٣٤٢. وينظر: صيانة القرآن من التحريف: الشيخ محمد هادي معرفة، ط٣، ١٤٢٨هـ، مؤسسة النشر الإسلامي - قم - إيران، ١٢٦ - ١٢٧.

٣- ينظر: القرآن والتوراة والإنجيل والعلم الحديث: موريس بوكاي، ترجمة حسن خالد، ط٣، ١٩٩٠م، المكتب الإسلامي - بيروت-دمشق، ٨.

٤- أف بول: مستشرق اهتم بدراسة اللغة العربية عني بدراسة القرآن الكريم وترجمه للإنكليزية من أهم أعماله أسلوب القرآن، رؤى محمد. ينظر: المستشرقون: العقيقي، ٥٢٨.

٥- ينظر: شبهة تحريف القرآن الكريم في نظر المستشرقين: علي أكبر ربيع نتاج، مجلة المنهاج، السنة الرابعة عشرة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، العدد ٥٥، ٢٣٢.

٦- ينظر: المستشرقون والدراسات القرآنية: محمد حسين الصغير، ١٣ - ٢٢.

ومن كان يسعى للاستعمار قال به لتفكيك وحدة المسلمين لتحقيق أهدافه وهكذا، أضف إلى ذلك أنَّ ما جاء به المستشرقون وقد وجدت جذوره الأولى في مصادر المسلمين[1] والتي ردها العلماء لضعفها تارة، أو لأنَّ بعضها يدل على التحريف المعنوي، أو الاختلاف في الحركات، أو القراءات، وغيرها تارةً اخرى مما أشكل على أفهام المستشرقين وتوابعهم[2] ولابد من الإشارة إلى أنَّ مسألة تحريف القرآن الكريم قد شغلت مساحة كبيرة في كتابات المستشرقين فقد وردت في كتابات عدد غير قليل منهم[3]، ومن أبرز المستشرقين المؤيدين لوقوع التحريف في القرآن المستشرق "كانون سل" الذي يذهب إلى أنَّ هناك آيات قرآنية قد طالها التحريف الشيعي على حد قوله ويعطي أمثلة لذلك منها قوله تعالى : ﴿**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ**﴾[4] إذ يقول:" يقرأها الشيعة له معقباتٌ ومن خلفه [رقيب] يحفظونه من أمر الله " وكذلك قوله تعالى : ﴿**وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ**﴾[5] على أنَّ الشيعة تقرأها بتقديم الحياة على الموت [6]، وفي الاتجاه نفسه ذهب المستشرق "جولد زيهر" والذي يرى أنَّ القرآن كتاب فيه كثير من الاضطرابات، وهذا هو معنى التحريف بقوله : " لا يوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دينية اعترافاً عَقَديّاً على أنه نص مُنزل أو موحى به، يقدم نصه في أقدم عصور تداوله، مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات،

١- ينظر: الإتقان: السيوطي، ٣/ ٨٢. وينظر: حقائق هامة حول القرآن الكريم: جعفر مرتضى العاملي، ط٢، ١٩٩٢م، دار الصفوة - بيروت - لبنان، ١١-١٣.

٢- ينظر: البيان: الخوئي، ٢٣٠ -٢٣٥.

٣- من المستشرقين الذين تناولوا مسألة تحريف النص القرآني، جب هاملتون في كتابه المحمدية، وفيشر في بحثه آية مقحمة في القرآن، وبلاشير في كتابه القرآن نزوله ترجمته، فنسنك في كتابه حياة محمد، الفريد جيوم في كتابه حياة محمد، وكتابه الإسلام وغيرهم.

٤- سورة الرعد: الآية، ١١.

٥- سورة المؤمنون: الآية، ٣٧.

٦- ينظر: تدوين القرآن: كانون سل، ١٥ -١٦.

كما نجد في نص القرآن"[1]، إنَّ كلمة " الاضطراب وعدم الثبات " الواردة في عبارة المستشرق تصريحٌ واضحٌ على وجود التحريف، ثم يؤكد مسألة وقوع التحريف في النص القرآني من قبل الامامية بقوله : "إنَّهُ وإنْ كان الشيعة قد رفضوا الرأي الذي ذهبت إليه طائفة متطرفة منهم[2] من أنَّ القرآن المأثور لا يمكن الاعتراف به مصدراً للدين بسبب الشك في صحته وبراءته من المآخذ، فإنهم قد شككوا منذ ظهورهم، في صحة صياغة النص العثماني؛ لأنه يشتمل على زيادات وتغييرات مهمة بالنسبة إلى الذي جاء به محمدﷺ، واستؤصلت فيه أيضاً من جانب آخر قِطَعٌ مهمة من القرآن الصحيح بالإبعاد والحذف"[3] وعليه فهو يؤكد وقوع التحريف في النص لأنه؛ يشير إلى الزيادة والنقص وعدم مقبولية النص العثماني، أما المستشرق "نولدكة"، فهو يشاطر معاصره هذا الرأي بقوله :" بحسب ما يُفيدُنا به كتاب القرن الرابع للهجرة يَطال التحريف حوالي خمس مائة موضع قرآني ولا أعلم إذا كان عدد المواضع التي أمكننا التعرف عليها يقارب هذا العدد"[4] وكأنَّ المستشرق متيقن من وقوع التحريف في القرآن الكريم، ولا نعلم من أين جاءه اليقين هذا متناسياً الأدلة النافية لذلك وإنَّهُ لم يشر إلى الكُتاب المزعومين ، أما "آرثر جفري" فهو يدعو إلى البحث في القرآن لمعرفة التغير والتحوير الواقع في النص بقوله:" فسر في أيامنا هذه علماء الشرق كثيراً مما يتعلق بتفسير القرآن الكريم وإعجازه

١- مذاهب التفسير الإسلامي: جولد زيهر، ٤.

٢- يبدو ان المستشرق قصد بذلك الطائفة الاخبارية التي تتمسك بعدم حجية ظواهر القرآن مالم يرد تفسير من المعصومين بذلك، والذي بدورهم استدلوا بالاخبار عن اهل البيت ﷺ التي تشير الى ذلك على اساس ان القران نزل على وجه التعمية ومن ثم يحتاج الى بيان من الائمة ﷺ للمزيد. ينظر: الفوائد المدنية والشواهد المكية: محمد امين الاسترابادي، تحقيقي الشيخ الاراكي، ط١، ١٤٢٤هـ مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين، بقم المقدسة، ١٠٤. وينظر فرائد الاصول: الشيخ مرتضى الانصاري ،١تحقيق لجنة تراث الشيخ الاعظم، ط١، ١٤١٩٠هـ، مجمع الفكر الاسلامي، قم - ايران، ١ / ١٣٩-١٥٠

٣- مذاهب التفسير الإسلامي: جولد زيهر، ٢٩٣.

٤- تاريخ القرآن: نولدكة، ٣٢٤.

وأحكامه لكنهم إلى الآنْ لم يبينوا لنا ما يستفاد منه التطور في قراءاته ولا ندري لماذا كفوا عن البحث في عصر له نزعة خاصة في التنقيب عن تطور الكتب المقدسة القديمة وعما حصل لها من التغيير والتحوير ونجاح البعض منها"[1] والمستشرق تجاهل أنَّ القرآن الكريم ليس كباقي الكتب السماوية الأخرى فهو لم يكتب بعد وفاة النبي كما كتبت التوراة والإنجيل بل كتب وجمع على عهد رسول الله ﷺ، فضلاً عن أنَّ الله تعهد بحفظه ولم ترد عبارة في الكتب السماوية تشير إلى أنَّ الله تعهد بحفظها كما في القرآن[2] فضلاً عن ذلك أنّ القرآن الكريم صرح بعدم وجود الاختلاف بقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾[3]، جاء في تفسيرها : " لو كان كلام البشر كما زعم الكفّار، لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً: من تناقض المعنى وتفاوت النّظم، وكون بعضه فصيحاً وبعضه ركيكاً، وبعضه معجزاً وبعضه غير معجز، وبعضه مطابقاً للواقع وبعضه غير مطابق، لنقصان القوّة البشريّة، ولعلّ ذكره ها هنا للتّنبيه، على أنّ اختلاف ما سبق من الأحكام ليس لتناقض في الحكم، بل لاختلاف الأحوال في الحكم"[4]، بينما نجد أنَّ المستشرق "بول" يركز على مسألة تبادل الاتهام بين السنة والشيعة في مسألة تحريف القرآن الكريم، فهو يؤكد على أنَّ الامامية تتهم السنة على إنَّها قد حرفت الآيات الدالة على مذهب الامامية والعكس فأهل السنة تتهم الامامية بذلك [5]، والحق أنَّ ما ذهب إليه المستشرق "بول" هو خلاصة لما ذهب إليه جل المستشرقين من وراء هذه الشبهة، ولا

١- حول دعوى بعض المستشرقين ورجاء إلى علماء المسلمين: لبيب السعيد، مجلة رسالة الإسلام، دار التقريب بين المذاهب السنة الرابعة عشرة، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، عدد ٦٠، ٧٠.

٢- ينظر: مجمع البيان: الطبرسي، ١/ ٣. وينظر: جوامع الجامع: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ط١، ١٤٢١هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم - إيران، ٢٣٦.

٣- سورة النساء: الآية، ٨٢.

٤- كنز الدقائق وبحر الغرائب: محمد بن محمد رضا القمي المشهدي، ٣ / ٤٨٤.

٥- ينظر: مقالة التحريف، دائرة المعارف الإسلامية، تأليف بول، طبعة لندن ،٤ / ٦٠٨، نقلاً عن شبهة تحريف القرآن، علي كبر ربيع نتاج، ٢٣٣.

يخفى أنَّ المتتبع لمصادر الامامية فيما يتعلق بقضية تحريف النص القرآني يجد إنَّهم مُطبقون على أنَّ القرآن الكريم مصونٌ من التحريف ومحفوظٌ منه وهذا معتقدهم إذ يقول الشيخ الصدوق" اعتقادنا أنّ القرآن الّذي أنزله الله تعالى على نبيّه محمّد ﷺ هو ما بين الدفّتين، وهو ما في أيدي النّاس ليس بأكثر من ذلك "[1]، ولم يكتفوا بذلك بل نجده من ضروريات الدين والمذهب[2] والإجماع حاصل عليه عندهم [3]؛ لأنَّ القرآن الكريم يحظى بقداسة خاصة عند الامامية، وأقوى الأدلة على ذلك تصريح الذكر الحكيم بهذه الحقيقة التاريخية، بقوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [4]، وكذلك عرض الأحاديث على ظواهر القرآن فما خالفها يطرح ولا يؤخذ به وهذا واضح في منهجهم في التعارض[5]، بل إنَّ مراجعة جبرائيل للنبي ﷺ وختم الصحابة للقرآن أمامه خير دليل على ذلك[6] فضلاً عن أحكام الامامية فيما يتعلق بالقرآن كحرمة لمس خط الكتاب لغير المتوضئ، وعدم وضعه في أماكن غير مناسبة، وعدم رميه والعبث به وغيرها، بل حتى إنَّ فتاوى علماء الامامية تدل على ذلك [7]، وبناءً على ما ذكر يميل الباحث إلى بطلان ما ذهب إليه المستشرقون؛ بسبب عدم تقديم الأدلة الكافية على مُدّعاهم، مضافاً إليه ضعف المصادر المعتمدة لديهم في هذا الرأي، فهم لم يرجعوا إلى أمهات كتب الامامية بل لجأوا إلى شواذ المصادر لتتماشى مع مبتغاهم في تأكيد عملية التحريف، وأنَّ الدليل العقلي ضدهم لأننا لو سلمنا جدلاً بوقوع عملية التحريف للزم ضلال

١ - الإعتقادات: الشيخ الصدوق، ٩٣.
٢- ينظر: الفصول المهمة في تأليف الأمة: السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، المجمع العالمي لأهل البيت، بيروت لبنان، ١٦٥.
٣- ينظر: تدوين القرآن: علي الكوراني، ٤٣.
٤- سورة الحجر: الآية، ٩.
٥- ينظر مجمع البيان: الطبرسي، ١/ ١٢.
٦- ينظر: الفصول المهمة: عبد الحسين شرف الدين الموسوي، ١٦٥.
٧- ينظر: تدوين القرآن: علي الكوراني، ٣٥.

الناس إلى يوم القيامة على أساس إنَّ القرآن نزل كخاتم للكتب السماوية وهذا محال، ورجحان رأي الامامية بعدم التحريف المزعوم في كتاب الله لتقديمهم الأدلة التي تعزز ما ذهبوا إليه من القرآن والسنة والأحكام الفقهية التي تُحرم مس الكتاب لغير المتوضئ وغيرها من الأحكام التي نطقت بها كتبهم .

ثانياً: دراسات المستشرقين لشبهة زيادة القرآن عند الامامية:

تُعد مسألة زيادة النص القرآني من المسائل التي راجت كثيراً في كتابات المستشرقين، لاسّيما المغرضين منهم، إذ يرى هؤلاء أنَّ مقابلة المصحف الكريم بما وجد عند قدماء الصحابة يثبت وقوع الزيادة في القرآن الكريم، متشبثين بأدلة واهية لا تصمد أمام النقد العلمي، ومن أبرز القائلين بهذا الرأي المستشرق "كانون سل" الذي أعطى قائمة بالزيادات الامامية على النص القرآني منها قوله تعالى :"**لَّكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ** [في علي] وكذلك قوله تعالى:" **أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ**[في علي]على أنَّ العبارة الموجودة بين المعقوفتين هي الزيادة الشيعة على النص القرآني[1] ، يوافقه بهذا المستشرق "نولدكة" أما الاعتراضات التي وجهها الشيعة، أنصار علي عليه السلام، ضد النص الرسمي للقرآن في أكثر من ذلك عدداً وتنوعاً وهي لا تتناول وضع سور بأكملها أو حذفها بل أيضاً مفردات أو كلمات ..... لم ير الشيعة وراء ذلك إلا الانحياز والنية السيئة ، فهم إذا لم يجدوا القداسة التي ينسبونها إلى علي عليه السلام وأسرته يعّبر عنها في القرآن رموا أبا بكر وعثمان بتهمة تعديل هذه المواضع"[2]، ثم يعطي "نولدكة " نماذج من التحريف الوارد في سور القرآن والذي تبنته الامامية حسب زعمه والذي يتكئ جله على عبارتي " علي " " آل محمد" إذ يقول :"تتألف غالبية القراءات من الألفاظ "علي وآل محمد " التي

١- ينظر: تدوين القرآن: كانون سل ،١٥.
٢- تاريخ القرآن: نولدكة، ٣٢٢.

تضاف إلى النص من دون أخذ المعنى بعين الاعتبار وهكذا يقرأ من دون الفاصلة " صراط علي " بدلاً من عبارة " **هذا صراط مستقيم**"[1] مؤكداً أنَّ هذا المعنى يتكرر في سور عدة [2]، وكذا الحال في قوله تعالى : ﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ**﴾[3]، تُضاف عبارة " بسيف علي "ومن بعد كلمة " ظلموا " يضاف " آل محمد حقهم " وبدل من كلمة " **وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** [4] "وجعلنا من المتقين اماما"، ويظهر أنَّ المستشرق قد ركز في كلامه على الزيادات المزعومة في بعض الكلمات التي يشرح أو يفسر بها النص القرآني وجعلها في عداد كلماته، وهذا نوع من المغالطة يمارس على النص، فضلاً عن أنَّهُ ذكر الكلمات الزائدة ولم يذكر السور الزائدة إلا إذا قصد بذلك الرأي القائل أنَّ سورة يوسف ليست من القرآن وهو رأي فرقة خارجية تسمى العجاردة[5] مدعين أنَّ فيها قصة للعشق ولا يمكن أنَّ يرد في القرآن مثل ذلك، وهذا ليس من شأن الامامية، وكان الأفضل أنْ يركز على مسألة عدم التفريق بين التفسير الخاص عند الامامية وبين نص القرآن، وبهذا خلط المستشرق بين التفسير الخاص عند الامامية وبين نصوص القرآن فعدها زيادة، أضف إلى ذلك أنَّهُ لم يذكر المصادر الامامية التي قد اعتمدها، ويؤيده "جولد زيهر" في مسألة وجود زيادة في القرآن لدى الامامية إذ يقول: "يسود الميل عند الشيعة على وجه العموم على أنَّ القرآن الذي أنزله الله تعالى أطول بكثير من القرآن المتداول بين جميع الأيدي "[6]، ثم يعطي نماذج من التحريف التي تمارسه الشيعة على حد قوله

١- تاريخ القرآن: نولدكة، ٣٢٦ -٣٢٧.
٢- سورة آل عمران، الآيات ٤٤، ٥١، وسورة يس الآية ٦١، وسورة مريم الآيات، ٣٦-٣٧، وسورة الزخرف الآيات، ٦١- ٦٤.
٣- سورة آل عمران: الآية، ١٢٣.
٤- تاريخ القرآن: نولدكة، ٣٢٧.
٥- العجاردة: من فرق الخوارج التي نشأت في سجستان، وتنسب العجاردة إلى رجل من العطوية اسمه عبد الكريم ابن عجرد، تنقسم هذه الفرقة إلى عشرة اقسام كلها تتفق على أن الطفل يُدعى اذا بلغ وتجب البراءة منه قبل ذلك، يتفقون على أن سورة يوسف ليس من القرآن. ينظر: موسوعة المصطفى والعترة: حسين شاكري، ط١ ،١٤١٧هـ، نشر الهادي - قم - إيران ٩/ ٥٦٨.
٦- مذاهب التفسير الإسلامي: جولد زيهر، ٢٩٤.

معتمداً على الأحاديث الموضوعة ومشيراً إلى أنَّ لدى الامامية روايات تؤكد أنَّ بعض سور القرآن أطول مما هي الآن كسورة الأحزاب التي يعتقد أنها كانت تساوي البقرة من حيث الطول[1]، ثم يشير إلى الزيادة عبر الحديث عن مصحف الإمام علي ﷺ بقوله : " والمصحف الكامل والمعتمد الذي كتبه علي تناقله الأئمة .....أي مصحف فاطمة الذي أعطاه النبي ابنته ﷺ قبل وفاته والذي يزيد حجمه ثلاث مرات على القرآن المتداول "[2]، ويبدو أنَّ المستشرق "جولد زيهر" لم يزد على ما قاله "نولدكه" شيئاً، فهو أيضاً يشير إلى وقوع الزيادة في القرآن على مستوى المفردات والسور، والرد نفسه يكرر هنا فالمستشرق حمل الزيادات التفسيرية على أنَّها كلمات من النص القرآني متهماً بها الامامية، وهذا ما يُعد منهجاً من الإسقاط على النص يستعمله المستشرقون لتحقيق أهدافهم، إنَّ من المسلم به لا يمكن الركون إلى رأي طائفة معينة إلا عبر كبار علمائها وهنا يقف علماء الامامية موقفاً حازماً إزاء هذه التقولات التي لا تغني من الحق شيئاً فيظهرون بطلانها؛ لأنهم يرون أنَّ الزيادة على كلمات النص القرآني أمر مرفوض وهذا ما يراه علماء الامامية إذ يذهب الشيخ المفيد (ت: ٤١٣هـ) إلى رفض الزيادة بقوله :"وأمّا الزيادة فيه فمقطوع على فسادها "[3]، ويتابعه على ذلك الشيخ الطوسي(ت: ٤٦٠هـ) مشيراً إلى بطلان الزيادة في القرآن بقوله : " وأمّا الكلام في زيادته ونقصانه فممَّا لا يليق به أيضاً؛ لأنَّ الزيادة فيه مُجمعٌ على بطلانها والنقصان منه، فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا"[4] ووافقهم الشيخ الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ) في هذا القول[5]،كذلك السيد محسن الأمين (ت:

١- ينظر: المصدر السابق، ٢٩٣.
٢- المصدر نفسه، ٣٠١.
٣- أوائل المقالات: المفيد ،٨١.
٤- التبيان: الطوسي، ١- ٣.
٥- ينظر: مجمع البيان: الطبرسي، ١- ١٥

١٣٧١هـ) فهو ينفي وقوع التحريف بالزيادة ويؤكد الاتفاق على ذلك إذ يقول :" لا يقول أحد من الامامية، لا قديماً ولا حديثاً أنّ القرآن مزيد فيه قليل أو كثير فضلاً عن كلّهم، بل كلّهم متّفقون على عدم الزيادة، ومن يعتدّ بقوله من محقّقيهم متّفقون على انّه لم ينقص منه ... ومن نسب إليهم خلاف ذلك فهو كاذب مفتر مجترئ على الله ورسوله "[1]،وبناءً على أقوال العلماء الواردة في نفي هذه الشبهة يثبت أنَّ القرآن الكريم في نظر الامامية مصون من الزيادة والتحريف وما طُرح من شبهات التحريف هي نادرة ولا قيمة لها، أما ما ساقه المستشرق "نولدكة" من الأمثلة على وجود زيادة في بعض الكلمات والآيات فهو لا يعدو كونه رأياً شخصياً و لم يكن موضوعياً في ذلك؛ لأنّهُ لم يعتمد على مصدر إمامي واحد؛ بل اعتمد على نوعين من المصادر الأولى مصادر العامة من كتب التفاسير والملل وغيرها، والثانية مصادر المستشرقين ومخطوطاتهم وبحوثهم [2]، ومن غير المنصف أنَّ يُنسب رأي إلى طائفة معينة إلا عبر ثقات مصادرها، وبهذا يكون المستشرق قد مارس الإسقاط والتزييف لتحقيق هدفه، الأمر ذاته يتكرر على "جولد زيهر" فهو الآخر اعتمد الأسلوب نفسه الذي سار عليه سلفه : إذ اعتمد على مصادر أجنبية ولم يعتمد من كتب الامامية إلا اثنين منها : تفسير القمي وتفسير الصافي للفيض الكاشاني، ونجد الفيض نفسه يُصرح بعدم التحريف عبر الإشارة إلى أحاديث العرض على القرآن وكذلك القول بالتحريف يلزم عدم صحة الكتاب وهذا مما لا يقول به ذو لب [3] فكيف ينسب المستشرق التحريف للامامية عن طريق

١- أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين العاملي، بلا. ط،١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣مدار التعارف للمطبوعات، بيروت لبنان، ١/ ٤١.

٢- لقد اعتمد نولدكة على: مصادر السنة كتفسير الرازي مفاتح الغيب والمفسر معروف بعدائه للإمامية، وكذلك القرطبي وابن حزم والأمر ذاته ينطبق عليهما، وكتاب الملل والنحل للشهرستاني، فضلاً عن اعتماده على مصادر المستشرقين كبروكلمان، وشبرنجر ومخطوطاتهما، وأيضاً بحوث كاظم بك القازاني، وكتاب دابستاني مذاهب المجهول المؤلف.

٣- ينظر: الوافي: محمد بن مرتضى (الفيض الكاشاني)، ط١، ١٤١٥هـ، مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام العامة - أصفهان - إيران، ٥/ ٢٧٤.

الاستشهاد بكتابه، يضاف إلى ذلك جهل المستشرقين بعلوم القرآن فما ذكروه لا يعدو كونه تفسيراً للآيات أدرج في المصاحف من قبل الصحابة وكبار المفسرين لاسيما في القرن الأول الهجري وليس من جنس النص القرآني [1].

ثالثاً : دراسات المستشرقين لشبهة نقص القرآن عند الامامية:

لقد حاول المستشرقون جاهدين في إثبات وجود التحريف في آيات الكتاب الكريم بكل الوسائل، وكانت محاولاتهم في إثبات وجود الزيادة قد منيت بالخيبة، فتوجهت أنظارهم إلى إتهام الامامية بوجود حذف في آيات القرآن الكريم بل حتى في سوره، مدعين أنَّ الامامية تعتقد بأنَّ هناك سوراً كانت أطول من وضعها الحالي وأخرى سقطت بالكلية، وفي هذا الصدد نشر البروفسور "كلير تسدال" بحثاً كاملاً عن السور التي يعتقد الشيعة أنّها حُذفت من المصحف أسماه الزيادات الشيعية على القرآن [2]،وقد تشبث بخيوط واهية في توجيه أصابع الاتهام إلى الخليفة الثالث على لسان الامامية، ومن أبرز المستشرقين الذين استعملوا هذا الأسلوب ايضاً "جولد زيهر" إذ يقول : "وعلى هذا فإنَّ سورة الأحزاب المشتملة على ٧٣ آية كانت في النص السابق على المصحف العثماني لا تقل عن سورة البقرة التي تشتمل على ٢٨٦ آية، وسورة النور التي هي الآن ٦٤ آية كانت قبل ذلك أكثر من مائة آية وسورة الحجر وآياتها ٩٩ آية كانت تحتوي في الأصل ١٩٠ آية"[3]، ثم يكمل قائلاً : " وهم في الحق لا يأتون بالأجزاء الناقصة من النص، وبدلاً من ذلك جاؤوا بسور ساقطة بالكلية من القرآن العثماني أخفتها الجماعة التي كلفها

١- ينظر: تفسير الطبري: الطبري، ٤ / ١٦٩.

2- see .Rev .clear tisdal " shiah additions to the Koran " in moslem world , no3 , julay 1913pp 227, 241.

نقلاً عن، الإمام علي وإشكالية جمع القرآن : عبد الجبار ناجي ،٢٦٣.

٣- مذاهب التفسير الإسلامي: جولد زيهر ٢٩٤.

عثمان بكتابته "[1]، وزاد على ذلك "وحديثاً وجدت في مكتبة بانكيبور (بالهند) نسخة من القرآن تشتمل فضلاً عن هذه السورة، على سورة النورين (٤١ آية)، وسورة أخرى شيعية (ذات سبع آيات)، وهي سورة الولاية "[2]، ثم يخرج بنتيجة أنَّ ما ذكره دلالة على وقوع التحريف لاسّيما النقص بقوله : "وكل ذلك يدل على استمرار افتراض الشيعة حصول نقص غير قليل في نص القرآن العثماني بالنسبة إلى المصحف الأصلي الصحيح"[3]، والمستشرق "نولدكة" لم يتخلف عمن سبقه ولم يأت بجديد بل يؤيد ما ذكره غيره بقوله: "تذكر مصادر شيعية أنَّ عثمان حذف العديد من السور التي كانت في القرآن لكننا لم نطلع حتى الآن إلا على واحدة منها وهي المسماة بسورة النورين "[4]، مشيراً إلى أنَّ أول من نقلها إلى أوربا هو المستشرق "غارسين دي تاسي "[5] متتبعاً بعض الكتب الفارسية أمثال دابستاني مذاهب الذي ينسب لمحسن فاني[6] مشيراً إلى أنَّ كاظم بك [7] أيضاً نشر نص هذه السورة المحذوفة[8]، هنا نجد أنَّ

١- المصدر السابق، ٢٩٤.
٢- مذاهب التفسير الإسلامي: جولد زيهر٢٩٤
٣- المصدر نفسه، ٢٩٥.
٤- تاريخ القرآن: ثيودور نولدكة، ٣٢٧.
٥- غارسين دي تاسي: مستشرق فرنسي ولد في مدينة مرسيليا عام ١٧٩٤ م، وتوفي في باريس ١٨١٧م، تعلم العربية والفارسية والهندوستانية وأسس لها كرسي التدريس، له عدة مؤلفات أشهرها الإسلام وفقاً للقرآن التعليم العقيدي والممارسة العملية وبحث في أسماء الأعلام والألقاب الإسلامية. ينظر: موسوعة المستشرقين: عبد الرحمن بدوي، ١٦٤ ١٦٥.
٦- كتاب دابستاني مذاهب وهو كتاب مجهول المؤلف نسبه نولدكة لمحسن فاني يتناول الملل والنحل الفارسية لاسيما في الهند اكتشفه المستشرق وليم جونز ١٧٨٧، وقال عنه البغدادي "دابستان مذاهب – فارسي في المذاهب المختلفة في الهند تأليف مؤبد شاه المهتدى صنفه لأكبر شاه من ملوك الهند أولها أي نام تو سر دفتر أطفال دبستان الخ". ينظر: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون: إسماعيل باشا بن محمد أمين البغدادي، بلا. ط، بلا. ت، دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان، ٤٤٢.
٧- الميرزا كاظم بك :(بالفارسية: ميرزا كاظم بيگ) (٢٢ يونيو ١٨٠٢ – ٢٧ نوفمبر ١٨٧٠) مستشرق ومؤرخ إيراني أذربيجاني الأصل، ولد في رشت وأقام مدة في قازان بروسيا ودرّس اللغتين العربية والفارسية في جامعتها، ثم انتقل إلى بطرسبرغ فكان أول عميد للكلية الشرقية للغات فيها، وكان من كبار الدارسين في الإسلاميات، متقناً للغات الأوروبية الرئيسية، أكسبته دراساته وتحقيقاته عن الحضارة العربية – الإسلامية شهرة واسعة في الغرب، ومن آثاره مفتاح كنوز القرآن في الكشف عن كلمات القرآن، طبع في بطرسبرغ سنة ١٨٥٩ .ينظر : معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر: عادل نويهض ، ط٣، ١٩٨٨م ، مؤسسة نويهض- بيروت- لبنان ، ٢ / ٧٩٢ .
٨- ينظر: تاريخ القرآن: نولكة، ٣٢٨.

الشبهة نفسها تتكرر ولكن بصياغة أخرى، ولقد حسم علماء الامامية الجدل الحاصل في وجود النقص في القرآن الكريم وعبارات أعلامهم تصدح بذاك وهذا الشيخ المفيد (ت: ٤١٣هـ) يُعد أول المفندين لتلك الادعاءات بقوله: "وقد قال جماعة من أهل الإمامة : إنّه لم ينقص من كلمة ولا من آية ولا من سورة ولكن حذف ما كان مثبتاً في مصحف أمير المؤمنين ﷺ من تأويله وتفسير معانيه على حقيقة تنزيله، وذلك كان ثابتاً منزلاً وإنَّ لم يكن من جملة كلام الله تعالى الّذي هو القرآن المعجز، وقد يسمّى تأويل القرآن قرآناً ... وعندي أنّ هذا القول أشبه ـ أي أقرب ـ من مقال من ادّعى نقصان كلم من نفس القرآن على الحقيقة دون التأويل، وإليه أميل "[1]، وكذلك الشيخ الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ) بقوله " أما النقصان منه: فقد روى جماعة من أصحابنا، وقوم من حشوية العامّة أنّ في القرآن تغيراً أو نقصاناً، والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه"[2]، والشيخ البلاغي(ت:١٣٥٢هـ) يفحم هذه التهمة المنسوبة للأمامية ويظهر زيف مدعيها بقوله : " وممّا ألصقوه بالقرآن المجيد: ما نقله في فصل الخطاب عن كتاب دبستان المذاهب إنّه نُسِبَ إلى الشيعة إنّهم يقولون: إنّ إحراق المصاحف سبب إتلاف سور من القرآن نزلت في فضل علي ﷺ وأهل بيته ﷺ؛ منها: هذه السورة، وذكر كلاماً يضاهي خمساً وعشرين آية في الفواصل، قد لُفِّقَ من فقرات القرآن الكريم على أسلوب آياته، فاسمع ما في ذلك من الغلط، فضلاً عن ركاكة أسلوبه الملفَّق... فيا للعجب من صاحب (دبستان المذاهب) من أين جاء بنسبة هذه الدعوى إلى الشيعة، وفي أيّ كتاب لهم وجدها، افهكذا يكون النقل في الكتب، ولكن لا عجب، فكم نقلوا عن

١ - أوائل المقالات: المفيد، ٥٥.
٢- مجمع البيان: الطبرسي،١/ ٤٢ -٤٣.

الشيعة مثل هذا النقل الكاذب؛ كما في كتاب الملل للشهرستاني"[1].

والحق أن ما أورده المستشرقون لا يعدو كونه تخرصاً وتحاملاً على القرآن الكريم من جهة وعلى الامامية من جهة أخرى؛ والذي يدل على ذلك طريقتهم في التحايل على المنهج؛ لأنهم لم يسوقوا دليلاً واحداً يؤيد دعواهم في النقص، فضلاً عن اعتمادهم على المصادر الغريبة والشاذة التي لا يُعرف مؤلفوها أمثال كتاب دابستاني مذاهب ، بل اعتمادهم على بحوث المستشرقين في ذلك، أضف إلى ذلك أن تلك السورة لم ترد في كتب الامامية ولم يجد الباحث لها أثراً سوى كتب الاستشراق، ولعل جهل المستشرقين في حذف ما كتبه المفسرون الأوائل أدى إلى القول بهذه الشبهة .

المبحث السادس: شبهة تعدد المصاحف عند الامامية في دراسات المستشرقين

لقد ترددت عبارات كثيرة عند الدارسين الغربيين يُستفاد منها أنَّهم يَتبنّون التعددية في المصاحف عند الامامية، ولعلهم بذلك يشيرون إلى مسألة الكتب التي دونها أمير المؤمنين عليه السلام بخطه وتوارثها الأئمة بعده، وللوقوف على حقيقة هذا الإدعاء، لابد من تتبع أثر هذه الكتب في تراث الامامية أولاً، ثم معرفة دراسات الباحثين الغربيين حولها ثابتاً.

١ - آلاء الرحمن في تفسير القرآن: الشيخ محمد جواد البلاغي، بلا. ط ، ١٩٣٣م، مطبعة العرفان ـ صيدا ـ لبنان، ١/ ٢٤ -٢٥.

المطلب الأول: مفهوم تعدد المصاحف عند الامامية:

يُعد الحديث عن مصحف الامام أمير المؤمنين عليه السلام من المباحث ذات الأهمية البالغة؛ نظراً لضبابية الرؤية التي تحيط به وكثرة الإشكاليات حوله سواء على مستوى البحث الاسلامي أو الاستشراقي، إذ يرد على أسماعنا كثير من المصطلحات التي تتعلق بهذا الأمر مثل " قرآن الامام علي " أو " كتاب علي " أو " مصحف فاطمة " أو" الجامعة الكبيرة "أو" قرآن الشيعة " وغيرها من المسميات التي يطلقها الدارسون الذين تناولت دراساتهم النص القرآني من المستشرقين وغيرهم، وهنا يتبادر تساؤل مهم هل هذه المصطلحات عبارة عن مسميات لكتاب واحد أم هي كتب متعددة؟ وما حقيقة مصحف الامام علي عليه السلام، وإنّ المتتبع لهذه الكتب المذكورة يجد أنَّ هناك قواسم مشتركة وفوارق فيما بينها، فمن أهم قواسمها أنّها كُتبت بخط الامام أمير المؤمنين عليه السلام[1]، إلا أنَّ فوارقها تكمن في المحتوى، فمصحف السيدة فاطمة عليها السلام وإنْ كان قد كُتب بخط أمير المؤمنين عليه السلام إلا أنّهُ من إملاء ملك خاص قد أنزلهُ الله لتسليتها بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله[2]، وقد ورد في الروايات أنّه قد توارثه الأئمة، فقد جاء برواية أحمد بن محمد[3]، عن عبد الله بن الحجال[4]، عن أحمد بن عمر الحلبي[5]، عن أبي بصير قال : دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له : " جُعلت فداك إنّي أسألك عن مسألة، هاهنا أحد يسمع كلامي ؟ قال : فرفع أبو عبد الله عليه السلام ستراً بينه وبين بيت آخر فأطلع فيه ثم قال :" يا أبا محمد سل عما بدا لك"، قال : قلت : ..... "وإنّ عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة عليها السلام"؟ قال: قلت: وما مصحف فاطمة

١- ينظر: رياض الأبرار في مناقب الأئمة الأطهار: السيد نعمة الله الجزائري، ط١، ١٤٢٧هـ، مؤسسة التاريخ العربي - بيروت - لبنان، ١/ ٣٨.
٢- ينظر: بحار الأنوار: المجلسي، ٢٦/ ٣٩.
٣- " أحمد بن محمد ثقة ". معجم رجال الحديث: الخوئي، ٦/ ٢٦٦.
٤- " عبد الله بن الحجال: روى عن أهل البيت عليهم السلام ". المصدر نفسه، ١١/ ١٦٦.
٥- " أحمد بن عمر الحلبي: ثقة ". المصدر نفسه، ١٤ / ٧٢.

عليه السلام؟ قال: "مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، قال: قلت: هذا والله العلم قال: إنَّه العلم وما هو بذاك "[1].

ويظهر من الرواية أنّهُ جاء مشتملاً على العلم الغزير حتى عُد علامة الامامة[2]، أما محتوى المصحف فقد خلا من الحلال والحرام وآيات القرآن وجاء حاوياً لأنباء الغيب، يزيد حجمه على القرآن الكريم بثلاثة أضعاف [3]، وهو من الصحف المحمدية التي لم يطلع عليها أحد من العامة، فضلاً عن لوح فاطمة الذي جاء حاوياً لأسماء الأئمة، إذ ورد عن محمد بن يحيى العطار[4]، عن محمد بن الحسين [5]، عن ابن محبوب [6]، عن أبي الجارود [7]، عن جابر بن عبد الله الأنصاري [8]، عن أبي جعفر عليه السلام عن آبائه قال : "دخلت على فاطمة وبين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء من ولدها فعددت اثنى عشر آخرهم القائم، ثلاثة منهم محمد وثلاثة منهم علي"[9]، وبهذا يكون لوح فاطمة مختلفاً عن مصحف فاطمة [10].

أما كتاب علي عليه السلام فهو صحيفة من إملاء النبي صلى الله عليه وآله وخط الامام علي عليه السلام جمع فيها أحكام الحلال والحرام ودون فيها كل صغيرة وكبيرة، إذ تُشير المصادر أنَّ النبي صلى الله عليه وآله كان يأمر الامام علي عليه السلام بالكتابة فسأله الامام لمن يكتب وهو لم ينس شيئاً مذ أنَّ مسح رسول الله على صدره فأجابه النبي صلى الله عليه وآله أنَّه يكتب للائمة

١- الكافي: الكليني، ١/ ٢٤٠.
٢- ينظر: الخصال: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، بلا.ط، ١٤٠٣هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسي ـ قم ـ إيران، ٥٢٨. وينظر: حقيقة مصحف فاطمة عند الشيعة: أكرم بركات العاملي، ط١، ١٩٩٧م، دار الصفوة ـ بيروت – لبنان، ١٨٣ –١٨٦.
٣- ينظر: كتاب علي الجامعة: محمود قانصو العاملي، ط١، ١٤٢٧هـ، منشورات ذوي القربى ـ قم ـ إيران،١/ ٩١.
٤- " محمد بن يحيى العطار: ثقة ". الفهرست: الطوسي، ٢٢.
٥- " محمد بن الحسين: ثقة ". الأبواب: الطوسي، ٣٧٩.
٦- " ابن محبوب: ثقة. اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: مهدي الرجائي، بلا. ط ، ١٤٠٤هـ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم ـ إيران، ١ / ٣.
٧- " أبي الجارود: من أصحاب أبي جعفر عليه السلام". الفهرست: الطوسي، ١٣١.
٨- " جابر بن عبد الله الأنصاري: من أصحاب الإمام أبي جعفر عليه السلام". الأبواب: الطوسي، ١٢٩.
٩- كمال الدين وتمام النعمة: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق)، ط٢،١٤٣٥هـ، المكتبة الإسلامية ـ طهران – إيران، ١/ ٣١١.
١٠- ينظر: كتاب علي الجامعة: محمود قانصو العاملي، ٩ – ١٠.

من بعده، فعن أحمد بن محمد عن صالح بن سعيد [١] عن أحمد ابن أبي بشر [٢] عن بكر بن كرب الصيرفي [٣] قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: " وإنَّ عندنا كتاباً من إملاء رسول الله وخط علي، صحيفة فيها كل حلال وحرام ..."[٤]، وعليه فإنَّ محتوى كتاب الامام علي هو الآخر ليس قرآناً بل كتاباً جمع فيه أحكام الحلال والحرام ليكون دستوراً للائمة من بعده[٥]، وكذلك الجامعة فهي إحدى الكتب التي خلّفها الامام أمير المؤمنين عليه السلام وهذه الصحيفة أيضاً كانت من إملاء رسول الله فقد وصفها المحدثون بأنها ذات طول كبير، وأنَّ الأئمة كانوا يرجعون إليها في كثير من المواقف؛ فعن أحمد بن محمد، عن عبد الله بن الحجال، عن أحمد بن عمر الحلبي، عن أبي بصير قال : دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال " يا أبا محمد إنَّ عندنا الجامعة ..... صحيفة طولها سبعون ذراعاً ..... فيها كل حلال وحرام حتى الأرش في الخدش "[٦]، أما محتوى هذه الصحيفة ففيها كل شيء من الحلال والحرام والأخبار والعلم يستعملها الأئمة، غير أنَّ هناك من يرجح أنَّ كتاب الامام علي والصحيفة الجامعة هي كتاب واحد وليس كتابين منفصلين [٧]، وهناك أيضاً كتاب آخر اسمه الجفر خلّفه الامام أمير المؤمنين عليه السلام وهو على نوعين الجفر الأبيض الذي جاء حاوياً للكتب السماوية السابقة بنسخها الأصلية التي خلت من التحريف، والجفر الأحمر جاء حاوياً لسلاح النبي وهذا لا يفتح إلا من قبل الإمام المهدي عجل الله فرجه [٨]

١- " صالح بن سعيد: ثقة ". رجال النجاشي: النجاشي، ١٩٩.
٢- " أحمد ابن أبي بشر: ثقة ". المصدر نفسه، ٧٥.
٣- " بكر بن كرب الصيرفي : ثقة " . نقد الرجال : التفريشي، ١ / ٢٩٤ .
٤- الكافي : الشيخ الكليني، ١/ ٢٤٠.
٥- ينظر : كتاب سليم بن قيس الهلالي : سليم بن قيس الهلالي، ط١، ١٤٠٥هـ، منشورات الهادي- قم - إيران، ١/ ٨٧.
٦- الكافي : الكليني، ١/ ٢٣٩.
٧- ينظر : مصحف الإمام علي بين السنة والشيعة : عبد الله علي احمد الدقاق، ط١، ٢٠٠٩م، دار الصفوة -بيروت- لبنان ،٣٣. وينظر كتاب الإمام علي الجامعة : محمود العاملي، ٩ -١٠.
٨- ينظر : كتاب الإمام علي : محمود العاملي، ١٠.

والمعروف أنَّ هذا الكتاب لا ينظر فيه إلا نبي أو وصي[١]، جاء حاوياً لكل علوم البلايا والمنايا التي خص الله بها آل محمد [٢]عليهم السلام، أما مصحف الامام علي عليه السلام فهو كتاب كان من إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط الامام علي عليه السلام وقد جُمع بوصية من النبي صلى الله عليه وآله بعد وفاته وقد جمعه الامام أمير المؤمنين عليه السلام بعد أنْ اعتزل المسلمين في ثلاثة أيام وقيل أكثر[٣] وهو لا يختلف عن النص القرآني إلا في الترتيب وبعض التفسيرات وبعض العلوم، ويمكن الولوج إلى هذا المصحف انطلاقاً من رواية حماد بن عيسى[٤]، عن إبراهيم بن عمر اليماني[٥]، عن أبان بن أبي عياش[٦]، عن سليم بن قيس الهلالي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: " ما نزلت آية على رسول الله إلا اقرأنيها وأملاها علي فأكتبها بخطي وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها، ودعا الله لي أنْ يعلمني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله، ولا علماً أملاه علي فكتبته منذ دعا لي ما دعا "[٧].

وتأسيساً على ذلك أمتاز مصحف الإمام عليه السلام عن غيره من المصاحف بأنَّ ترتيب آياته كان حسب النزول مبتدئاً بسورة العلق ثم تتسلسل السور، وكذلك دقة القراءة عن رسول الله صلى الله عليه وآله حرفياً، واشتماله على بيان نزول الآية وشأنها وفيمن نزلت فضلاً عن زمان نزولها ومكانه، تناول الآيات التي تجري مجرى الشمس والقمر وتأويلها، بيان ناسخ الآيات ومنسوخها محكمها ومتشابهها، مكيها ومدنيها [٨]، ومن المُسَلّم به أنْ جمع المصحف تم بعد وفاة

١- ينظر: عيون المعجزات: حسين بن عبد الوهاب، ١٠٧.
٢- ينظر: بحار الأنوار: المجلسي، ١٥/ ٢٢٠.
٣- ينظر: حقيقة مصحف فاطمة عند الشيعة: أكرم بركات العاملي، ١٥٤.
٤- " حماد بن عيسى، ثقة " . الفهرست: الطوسي، ١١٦.
٥- "إبراهيم ابن عمر اليماني: ثقة " . رجال النجاشي: النجاشي، ٢٠.
٦- " أبان بن أبي عياش: من أصحاب الباقر والصادق (عليهما السلام) ". نقد الرجال: التفريشي، ١/ ٣٩.
٧- الكافي: الكليني، ١ / ٦٤.
٨- ينظر: التمهيد: محمد هادي معرفة، ١/ ٢٩٥ - ٢٩٦.

رسول الله بعد أنْ فرغ الإمام من تجهيزه عمد إلى تنفيذ وصيته فجمع القرآن الذي دفعه إليه رسول الله ﷺ، وهنا يتضح أنَّ تلك الكُتب تختلف فيما بينها من حيث المضمون على الرغم من أنّها كلها بخط الامام علي عليه السلام وحبوته لأهل بيته، فمصحف السيدة فاطمة عليها السلام يختلف عن مصحفًا الإمام علي عليه السلام والأخير يختلف عن كتاب الجامعة والجفر وهكذا، فضلاً عن إنَّها ليست مصحف بمعنى قرآن في قِبال القرآن الذي بين ايدينا ، لاسّيما مصحف السيدة فاطمة عليها السلام بل أطلق عليه ذلك من باب التشريف وعليه فهي مما حباه رسول الله ﷺ من العلم لآله الكرام من علوم الغيب وأنباء البلايا والمنايا والحلال والحرام إلا مصحف الامام علي عليه السلام فهو مما أملاه رسول الله من القرآن وتفسيره وتأويله .

المطلب الثاني: دراسات المستشرقين لشبهة تعدد المصاحف عند الامامية:

إنَّ المتتبع لمسيرة المستشرقين ودراساتهم لعملية جمع النص القرآني يجد أنَّها قد ولدت لنا مسألة أخرى وهي مسألة تعدد المصاحف في التراث الاسلامي؛ إذ إنَّ عدم تبحر المستشرقين في التراث القرآني وغفلتهم عن الثقافة الإسلامية جعل الأمر مشتبهاً عليهم بوجود مصاحف مختلفة عن المصحف الذي بين ايدينا سواء عند الامامية أو الجمهور، ومما زاد الأمر تعقيداً عندهم أنَّ نسخ تلك المصاحف غير موجودة بين أيدي المسلمين؛ لأنَّها أما تعرضت للحرق الذي طال المصاحف في زمن الخليفة الثالث [1]، أو أنها حفظت عند الأئمة كما حفظت النفائس النبوية [2]، بيد أنَّها جاءت على شكل أخبار متقطعة في الكتب الأخرى، مما حدا بالفهم الاستشراقي إلى الميل إلى هذا الرأي، ولعل

١- ينظر: كتاب المصاحف: أبي داوود عبد الله بن سليمان السجستاني، تحقيق: محمد عبده، ط١، ٢٠٠٢م، الفاروق الحديثة ـ القاهرة ـ مصر، ١ / ٦٨.

٢- ينظر: حقيقة مصحف الإمام علي بين السنة والشيعة: عبد الله علي الدقاق، ٨١.

التركيز على هذا الأمر كان من قبل المستشرقين التي اتسمت كتاباتهم بعدم الإنصاف؛ لأنَّ في هذا القول تعزيزًا لأفكارهم الرامية إلى تحريف القرآن الكريم، فضلاً عن أنَّهم قد ساروا على هدي بعض الآراء الاسلامية، وعليه يبرز اسم المستشرق "نولدكة" في هذا المضمار؛ إذ يعطي أهمية كبيرة لمسألة تعدد المصاحف في الساحة الإسلامية ويذكر أنَّ هناك مصاحف صدرت من كتاب الوحي إضافة إلى المصحف الرسمي [1]، ولا ريب أنّهُ يقصد بذلك "مصحف الامام علي عليه السلام وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود "مشيراً إلى الاختلاف فيها مقارنةً بالمصحف الحالي، سواء على مستوى ترتيب السور أو الزيادة في بعضها، أما المستشرق "جولد زيهر" أيضاً يشير أنَّ هناك مصاحف متعددة في الدين الاسلامي إذ ترد عنده عبارة " مصاحف كتبت بخط علي"[2].

وهذا يدل على أنَّ هناك مصاحف متعددة وليس مصحفًا واحدًا، خصوصاً حينما ترد في كلامه إشارات إلى مصحف الامام علي عليه السلام ومصحف السيدة الزهراء عليها السلام، ويذكر أيضاً مصاحف بعض الصحابة في أثناء حديثه عن الزيادة التفسيرية فيها أمثال " عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب " كذلك مصحف مخالف لترتيب المصحف الرسمي قد وجدت آثاره عند ابن خُديج[3] وغيرها من آراء المستشرق الرامية إلى إثبات هذا الأمر[4]، بينما يرى بعض المستشرقين أنَّ عملية تعدد المصاحف جاءت من أجل شرعنة النص القرآني، حتى أنَّ بعض الباحثين نشر بحثاً في اللغة الالمانية بعنوان " عملية أو مشروع المصاحف

١- ينظر: تاريخ القرآن: نولدكة، ٢٥٨- ٢٧٧.
٢- مذاهب التفسير الإسلامي: جولدزيهر، ٩.
٣- " ابن خديج: رافع بن خديج الأنصاري من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام. وهو من شهود أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب التحكيم يوم صفين وعرض نفسه للجهاد يوم بدر، فاستصغر. وشهد أحدا " والخندق وأكثر المشاهد وشهد صفين" . مستدركات علم رجال الحديث: علي النمازي، ٣/ ٣٨١ .
٤- ينظر: مذاهب التفسير الإسلامي: جولدزيهر ، ٢٩٧.

الثانية: هي خطوة لشرعنة النص القرآني "[1]، وأنَّ هذا البحث كان إشارة إلى محاولة التغيير في المصحف التي حاول الحجاج القيام بها من أجل إبعاد أي ذكر للإمامية في عملية جمع القرآن، ولعل دراسات المستشرقين لتلك العملية ـ تعدد المصاحف ـ كانت متماشية مع المحاولات التي تروم إحلال مصاحف الصحابة بدلاً من المصحف الذي جمعه أمير المؤمنين عليه السلام [2].

وفي خضم ذلك تظهر اهتمامات خاصة حول ما تركه أمير المؤمنين عليه السلام من كتب بعضهم عدَّها مصاحف وشنع على الامامية فيها، وكان رائد هذا المجال المستشرق "جولد زيهر"؛ لاسّيما حينما يعرض رواية طلحة وطلبه من الإمام أنْ يخرج مصحفه، إذ يقول :" ثم شدد في الطلب إلى علي عليه السلام أنَّ يخرج قرآنه للناس لصالح الأمة[3]، ثم يكمل قوله : " وهو الآن أي مصحف فاطمة عليها السلام الذي أعطاه النبي ابنته قبل وفاته والذي يزيد حجمه ثلاث مرات على القرآن المتداول ـ مخبوء عند الإمام المنتظر "[4]، والآخر كان يرى أنّها من نتاج الإمام علي عليه السلام الذي كان من كُتاب الوحي وقريب من النبي مشيراً إلى أنَّ من يعرف الكتابة في ذلك الوقت كانوا من القلة [5].

ويبدو أنَّ المستشرق "جولد زيهر" قد التبس عليه الأمر فأشار إلى أنَّ قرآن الإمام علي عليه السلام هو مصحف السيدة فاطمة عليها السلام نفسه وكلاهما غير القرآن الذي بين أيدي المسلمين في محاولة لإثبات أنَّ هناك أكثر من قرآن عند الإمامية، والحال أنَّ مصحف الإمام علي شيء، ومصحف السيدة فاطمة شيء آخر، أما مصحف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فهو المصحف الحالي نفسه مضافاً

١- ينظر: الإمام علي وإشكالية جمع القرآن: عبد الجبار ناجي، ١٣٠.
٢- ينظر: المصدر نفسة، ١٣٢.
٣- مذاهب التفسير الإسلامي: جولد زيهر، ٣٠٠.
٤- ينظر: المصدر نفسه، ٣٠١.
٥- ينظر: عقيدة الشيعة: دونالدسون، ٦٣.

إليه التفسير والتأويل الذي أملاه النبي ﷺ للإمام علي عليه السلام إلا أنَّ ترتيبه كان بحسب النزول [1]، بينما مصحف السيدة فاطمة لم يتضمن نص القرآن والحلال والحرام واقتصر على العلوم والغيب [2]، والحق أنَّ المستشرق لم يكن على دراية بذلك ؛لأنه أعطى بعض أوصاف المصحف من كون حجمه ووجوده عند الامام عليه السلام وهذا الأمر قد علمه من مصادر غير امامية، أما المستشرق "نولدكة" فيقول: " وبحسب رواية أخرى ضعيفة كان ترتيب السور الست الأولى في قرآن علي كالاتي ..."[3] .

فهو يذكر ترتيب السور الواردة في مصحف الإمام علي عليه السلام مؤكداً ضعف الروايات الدالة على أنَّ الامام عليه السلام قد جمع القرآن وبذلك فهو ينفي وجود المصحف أصلاً، عبر نفيه لجمع الامام علي عليه السلام للقرآن وتضعيفه للروايات ولعل ذلك ناتج عن أحكام سابقة، فكل رواية ترد عن طرق الامامية يعدها المستشرق ضعيفة بدليل قوله : " لا شيء من الصحة في هذا كله فمصادر هذه الأخبار تفاسير قرآنية شيعية وكتب تاريخية سنية ذات أثر شيعي مشكوك بأمرها، وذلك أنَّ كل ما يرويه الشيعة عن ولي شيعتهم الأعلى منحاز بجملته، ومن حيث المضمون تناقض هذه الأخبار وقائع التاريخ الأكيدة كلها، فلا التقاليد المتعلقة بجمع زيد للقرآن، ولا تلك المتعلقة بمحاولات جمعه الأخرى في الفترة السابقة لعثمان، تذكر شيئاً عن عمل لعلي كهذا ولا هو يشير إلى هذا العمل لا في مدة خلافته ولا قبلها، والأمر الأكيد أنَّ الشيعة لم تعرف أبداً نسخة كهذه "[4].

١- ينظر: التمهيد: محمد هادي معرفة ،١/ ٢٩٥ - ٢٩٦.
٢- ينظر: الخصال: الصدوق، ٢/ ٥٢٨.
٣- تاريخ القرآن: نولدكة، ٢٤٥.
٤- المصدر نفسه، ٢٤٤.

وهنا يمكن القول إنَّ المستشرق "نولدكة" بادعائه هذا قد خالف المنهج العلمي، فلا يمكن الاعتماد على رأي لطائفة إلا من طريق ثقات الطائفة ، فضلاً عن كون علماء الامامية صرحوا بضعف تلك الآثار التي أدعى "نولدكة" أنها أكيدة [١]، ثم أنّهُ يدعي أنَّ الامامية لم تعرف نسخة من هذا المصحف، والحق أنَّ الامامية تعتقد أنّهُ محفوظ عند الأئمة حتى استقر عند الإمام المهدي عجل الله فرجه، فليس بالضرورة أنَّ تكون هناك نسخة متداولة حتى يؤمن بها المستشرق، بل الدلائل متضافرة على وجود مصحف الامام أمير المؤمنين[٢]، ولا يوجد من الامامية من ينكره، وتبدو رؤية المستشرق "دونالدسون" أوضح من غيره إذ يقول :" تؤكد بعض الروايات أنّهُ كان عند علي نسخة من القرآن جمعها ورتبها بنفسه وعلق عليها بعض الحواشي حسب ما كلم الرسول به " [٣]، ثم يشير المستشرق إلى أنَّ عقيدة الامامية قائمة على وجود كتب سرية تناقلها الأئمة كلها كانت من كتابة أمير المؤمنين عليه السلام إذ يقول : " والاعتقاد بوجود هذه الكتب المقدسة السرية عند الأئمة ثابت "[٤]، ثم يكمل تتبعه لهذه الكتب من مصادر الامامية مبتدئاً بكتاب الجفر " ولما كان لقضية حقيقة هذه الصحيفة التي كان يراجعها علي تأثير كبير على اعتقاد الشيعة بوجود كتاب سري يسمونه الجفر " [٥] ويذكر أيضاً الصحيفة الجامعة إذ يقول : " إنَّها من إملاء الرسول وخط علي وطولها سبعون ذراعاً، وعرضها بعرض جلد الكبش، واسمها أيضاً الجامعة فيها كل حلال وحرام "[٦]، ثم يشير إلى الكتب الأخرى التي أملاها الامام إذ يقول : " وكتابان آخران أقل أهمية من الصحيفة أحدهما

١- ينظر البيان: الخوئي، ٢٤٠ -٢٥٩.
٢- ينظر: تفسير البرهان: البحراني، ٢/ ١٢٤.
٣- عقيد ة الشيعة: دونالدسون، ٦٣.
٤- عقيدة الشيعة: دونالدسون، ٦٥.
٥- المصدر نفسه، ٦٣ -٦٤.
٦- المصدر نفسه، ٦٦.

الجفر الأبيض وهو من أربعة عشر جزءاً كل جزء من أربعة عشر قسماً الخ، ومصحف فاطمة"[1].

ولعل الموضوعية التي تحلى بها المستشرق "دونالدسون" كانت ناتجة عن اعتماده على أمهات كتب الامامية فضلاً عن تمحيص الآراء فيها وتتبع للكتب الصادرة عن الامام عليه السلام بدقة، وهنا يتضح أنَّ هناك تباينًا في آراء المستشرقين حول تعدد المصاحف عند الامامية فبعضهم عاب ذلك على الامامية عاداً الإشارات الواردة لمصحف الامام علي عليه السلام ومصحف السيدة فاطمة على أنّها نوع من التعددية في قبال المصحف الرسمي، وبعضهم نفى أنَّ يكون هناك وجود لمصحف الامام بالكلية مضعّفاً الروايات الواردة في حقه، بينما تناولها بعض المستشرقين بموضوعية وخرج بنتائج سليمة على أنّها من العلوم النبوية التي خُص بها أهل البيت عليهم السلام، وعليه يظهر بطلان القول الأول للأدلة التي تؤكد أنَّ المصاحف ليست في قبال المصحف الرسمي بل هي من آثار علم النبي صلى الله عليه وآله، وكذلك بطلان القول الثاني لوجود الأدلة التي تثبت وجود المصحف وتؤكد عملية جمع الإمام علي عليه السلام للقرآن الكريم، وتأكيداً للقول الثالث الذي يرى أنها من تركة النبي صلى الله عليه وآله لأهل بيته عليهم السلام .

١- المصدر السابق، ٦٦.



الخاتمة



الخاتمة

لله الحمد أولاً وأخراً على التوفيق والرعاية الإلهية في رحلتي لإتمام هذه الدراسة الموسومة بـ " البحث التفسيري عند الإمامية في دراسات المستشرقين دراسة نقدية" ولكي أخوض في العلوم التي خطتها أنامل العلماء والعارفين، والاطلاع على ما نسجته أيدي الكتاب الغربيين حول بحث التفسير الامامي التي طالما غُيبت الدراسات عنه، ومما تقدم توصل الباحث إلى نتائج مهمة منها:

أولاً: لقد ثبت للباحث خوض الباحثين الغربيين في كل ميادين علوم الإسلام وكان أثرهم واضحاً في جل مفاصل الحياة العلمية، وقد حظيت بحوث التفسير عند الامامية بقسم كبير من هذه الدراسات، لاسيما في العصور الحديثة، بعد صحوة المستشرقين من غفلتهم لقرون طويلة والتي قامت في إبراز ما غاب من الفكر الإمامي عن ساحة الدراسة الاستشراقية، لاسيما بعد صعود الشيعة إلى الواجهة السياسية.

ثانياً: ثبت للباحث أنَّ الفكر الامامي له من التأثير مالم يستطع المستشرقون تجاوزه على نحو فرض نفسه في الساحة العلمية ولاسيما في ساحة البحث التفسيري على الرغم من محاولات التسقيط التي تعرض لها ذلك الفكر.

ثالثاً: ليس من الإنصاف رفض كل ما أنتجته أيدي المستشرقين فليس كل كتاباتهم تتسم بالعداء وعدم الموضوعية للإمامية بل أنَّ بعضها اتسم بالموضوعية والإنصاف لاسيما المستشرقين الذين كان هدفهم العلم وتقصي الحقائق، بينما نجد أنَّ بعضها عني بتشويه صورة الإسلام عموماً والامامية خصوصاً؛ لأن دراساتهم جاءت مبنية على أساس سابق وأيديولوجيات منتحلة مما أدى إلى انحراف مسار الدراسة ورسمت صورة خاطئة للإسلام في أذهان الغرب، وهذا ما يقتضي التمييز بين أنواع الدراسة.

رابعاً: من الخلل الذي اصاب دراسات المستشرقين التي تناولت بحوث التفسير الامامي أنها اعتمدت على مصادر العامة وكتب المستشرقين الآخرين ولم تقف على أمهات كتب الامامية وفي جميع مفاصل البحث، وهذا أنتج لنا أفكاراً مغلوطة ورؤى مشوهة، ولا ريب أنَّ في ميزان البحث العلمي لا يمكن الرجوع إلى رأي وحمله على طائفة معينة إلا عبر امهات كتبها وهذا ما لم تلتزم به دراسات المستشرقين، ولعل هذا الأمر كان ممنهجاً والغرض منه تغييب التراث الإمامي.

خامساً: توجه بعض دراسات المستشرقين حول الامامية نحو مزيد من الدقة ووضوح الرؤية ولعل السبب وراء ذلك وصولهم إلى المصادر المعتمدة عند الامامية واحتكاكهم بعلماء وباحثي الامامية ، أو لتسارع الأحداث السياسية ، مما ولد فهم أكثر ودراسات أعمق ، لاسيما في العصر الحديث .

سادساً: كشف البحث أنَّ دراسات المستشرقين قد ركزت الضوء على المسائل الخلافية بين الإمامية وجمهور المسلمين في جُل مجالات البحث التفسيري وأهملت بقية المسائل الأخرى ولم تلتفت إليها، مع محاولة إسقاط بعض المعلومات على الإمامية، بما يخدم توجهاتهم الاستشراقية، فضلاً عن تقطيع النصوص لغرض تحقيق مآربهم.

سابعاً: عدم التزام المستشرقين بمنهجية موضوعية محددة، بل لجأوا إلى منهجية التكرار واجترار الآراء لاسيما فيما يتعلق بسحب تعاليم الإسلام وعقائده إلى الديانات السابقة، فنجد هذا الرأي قد تكرر بشكل لافت للنظر في دراساتهم فلا يكاد يخلو مفصل من مفاصل البحث إلا وطعن في أصالته الإسلامية وقيل إنه مُستل من الديانات السابقة، فضلاً عن منهج الإسقاط والانتقائية، وتقطيع النصوص وهذه كلها بعيدة عن المنهج العلمي.

ثامناً: اتضح للبحث أنَّ المستشرقين لم تنبثق آراؤهم من فراغ ولم تكن من بنات أفكارهم، بل هي نتاج التنقيب في ركام الأفكار الإسلامية الخلافية لاسيما ممن ابُتلي

بالتعصب من أبناء الدين الإسلامي وقد وجدوا فيها ما يناسب توجهاتهم وقد ساروا على خطى هؤلاء، مما ولّد بدوره أرضية غير مناسبة اعتمدت عليها الدراسة.

تاسعاً: خلص البحث إلى أن المستشرقين قد أصروا على وجود قرآن خاص بالشيعة، على الرغم من تفنيد هذا الرأي من قبل علماء الامامية بل حتى المستشرقين الآخرين، فقد بقيت هذه النظرة سائدة حتى في الدراسات الغربية الحديثة، وكانت مصادرهم في ذلك مصادر مشبوهة غير مؤكدة مثل كتاب دابستاني مذاهب وغيره، وهي ليست مصادر إمامية.

التوصيات:

أولاً: يوصي الباحث بالاهتمام بإصدار البحوث والدراسات التي تُعنى برصد حركة الفكر الاستشراقي وتوجهاته العصرية وكتاباته الحديثة؛ لأنها تُسهم في معالجة أهم المشاكل التي تُطرح على الساحة الإسلامية.

ثانياً: يوصي الباحث في إنشاء مؤسسات تُعنى بترجمة أهم الدراسات التي صدرت عن تراث الإمامية الديني، لاسيما كون تلك الدراسات مدعومة دولياً وبالتالي يتم الوقوف على أغراض تلك المؤسسات والدول التي وراءها.

ثالثاً: إنشاء مؤسسة مرجعية الكترونية لحصر الدراسات الغربية حول التراث الإمامي وكذلك الدراسات الإمامية التي تبنت الرد على تلك الطروحات حتى يتسنى للباحثين أرشفة أعمالهم وضبطها في إطار تلك المؤسسات.

رابعاً: إقامة الدورات التثقيفية حول الإعمال الاستشراقية ودعم الدارسين الأكاديميين حتى يتم تحصين أفكارهم وبناء جيل واعٍ نحو مفاصل تلك الدراسات الحديثة .

خامساً: يقترح الباحث وضع مادة تُعنى بالإستشراق في مقررات الكلية لاسيما في الدراسات الأولية لتكون الفرصة سانحة لبناء باحثين جدد في هذا المضمار.



المصادر والمراجع



قائمة المصادر والمراجع

القران الكريم.

أولاً: المصادر العربية:

* الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بلا. ط ،١٩٧٤م، الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ مصر.
* أجنحة المكر الثلاث وخوافيها التبشير الاستشراق الاستعمار: عبد الرحمن حسن الميداني، ط ٨، ٢٠٠٠م، الدار الشامية ـ بيروت ـ لبنان.
* الاحتجاج: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، تعليق وملاحظات: السيد محمد باقر الخرسان، بلا. ط ، ١٩٦٦م ، دار النعمان ـ النجف الأشرف ـ العراق .
* أحداث التاريخ الاسلامي بترتيب السنين: عبد السلام الترمانيني ط١، ١٩٨٢م، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب – الكويت،
* اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) : ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، بلا .ط ، ١٤٠٤هـ ، مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث ـ قم ـ إيران.
* أخلاق أهل البيت ﷺ: السيد مهدي الصدر، ط٤، ٢٠٠٨م، دار الكتاب الإسلامي ـ قم ـ إيران.
* أدوار الاجتهاد عند الشيعة الامامية: الشيخ عدنان فرحان، ط١، ١٤٢٨هـ، مطبعة توحيد ـ قم ـ إيران.
* آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره: عمر إبراهيم رضوان، ط١٩٩٢،١م، دار طيبة ـ الرياض – السعودية.
* إرشاد الأذهان: الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر (العلامة الحلي)، تحقيق: الشيخ فارس الحسون، ط١، ١٤١٠هـ، مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم ـ إيران.
* أساسيات المنهج والخطاب في درس القرآن وتفسيره، محمد مصطفوي، ط١، ٢٠٠٩م، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان.
* أساسيات علم التفسير: مركز المعارف للتأليف والتحقيق، ط١، ٢٠١٧م، دار المعارف الإسلامية ـ بيروت ـ لبنان.
* الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق: إدوارد سعيد، ترجمة: محمد عناني، ط١، ٢٠٠٦م، رؤية للنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ مصر.
* الاستشراق أهدافه وسائله دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون: محمد فتح الله الزيادي، ط١، ١٩٩٨ م، دار قتيبة ـ بيروت ـ لبنان.

* الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية: قاسم السامرائي، ط١، ١٩٨٣م، دار الرفاعي - الرياض - السعودية.
* الاستشراق في الميزان: منذر معاليقي، ط١، ١٩٩٧م، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.
* الاستشراق والتبشير قراءة تاريخية موجزة: محمد السيد الجلنيد، بلا. ط، ١٩٩٩م، دار قباء - مصر.
* الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري: محمود حمدي زقزوق، ط دار المعارف ١٩٩٧م، دار المعارف - القاهرة - مصر.
* الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم: مصطفى السباعي، بلا. ط، بلا. ت، دار الوراق - لبنان.
* الاستشراق وجه آخر للاستعمار: عبد المتعال محمد جبري، ط١-١٩٩٥م، مكتبة وهبة - القاهرة - مصر.
* الإسلام والحضارة الإنسانية: عباس محمود العقاد، بلا. ط، بلا. ت، دار الكتاب اللبناني - بيروت - لبنان.
* إشكالية فهم النص القرآني عند المستشرقين: عادل عباس النصراوي، ط١، ٢٠١٦م، دار الرافدين - بيروت - لبنان.
* أصل الشيعة وأصولها: محمد حسين آل كاشف الغطاء، تحقيق: علاء آل جعفر، ط١، بلا. ت، مؤسسة الإمام علي - قم - إيران.
* أصول البحث العلمي ومناهجه: احمد بدر، بلا. ط، ١٩٧٣م، وكالة المطبوعات الكويتية - الكويت.
* أصول التفسير وقواعده: خالد عبد الرحمن العك، ط٢، ١٩٨٦ م، دار النفائس - بيروت - لبنان.
* أصول السرخسي: محمد بن احمد بن أبي سهل السرخسي، تحقيق: أبو الوفا الأفغاني، ط١، ١٩٩٣م، دار الكتب العلمية - بيروت-لبنان.
* أضواء على عقائد الشيعة الامامية وتاريخهم: الشيخ جعفر السبحاني، ط١، ١٤٢١هـ، دار مشعر - طهران - إيران.
* الاعتقادات: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق)، تحقيق: عصام عبد السيد، ط٢، ١٩٩٣م، دار المفيد - بيروت - لبنان.
* إعراب القرآن: أبو جعفر احمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، ط١، ١٤٢١ هـ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
* الأعلام: خير الدين الزركلي، ط١٥، ٢٠٠٢م، دار العلم للملايين - بيروت -لبنان.
* أعلام الورى بأعلام الهدى: ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، ط١، ١٤١٧هـ، مؤسسة آل البيت - قم - إيران.
* أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين العاملي، بلا. ط، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣، دار التعارف

للمطبوعات ـ بيروت ـ لبنان .
* افتراءات المستشرقين على الإسلام والرد عليها : يحيى مراد ، بلا .ط ، بلا. ت ، دار الكتب العلمية ـ بيروت – لبنان .
* الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد : ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، ط٢ ، ١٩٨٦م ، دار الأضواء ـ بيروت ـ لبنان .
* آلاء الرحمن في تفسير القرآن : الشيخ محمد جواد البلاغي ، بلا. ط ، ١٩٣٣م ، مطبعة العرفان ـ صيدا ـ لبنان .
* إلزام الناصب في إثبات الحجة على الغائب : الشيخ علي اليزدي الحائري ، بلا . ط ، بلا . ت، مؤسسة الاعلمي ـ بيروت– لبنان .
* الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل : الشيخ جعفر السبحاني، ط٧ ، ١٤٣٠هـ ، مؤسسة الإمام الصادق ـ قم ـ إيران .
* الأم : محمد بن إدريس الشافعي ، بلا . ط ، ١٩٩٠م، دار المعرفة ـ بيروت – لبنان .
* الإمام المنتظر من ولادته إلى دولته : السيد علي الحسيني الصدر، بلا .ط ، ٢٠٠٢م ، مكتبة نرجس ـ قم المقدسة ـ إيران .
* الإمام المهدي المصلح العالمي المنتظر: محمد جواد الطبسي ، نقله للعربية عبد السلام الترابي ، ط٢، بلا . ت، دار الهدى .
* الإمام المهدي من المهد إلى الظهور: السيد محمد القزويني ، ط١، ١٤٠٥هـ – ١١٩٨٥م، مؤسسة الوفاء ـ قم – إيران .
* الإمام علي وإشكالية جمع القرآن : عبد الجبار ناجي ، ط١ ، ٢٠١٧م، دار الرافدين– بيروت ـ لبنان.
* إمامة علي بين العقل والقرآن : الشيخ محمد جواد مغنية ، وثق أصوله وعلق عليه : سامي الغراوي ، ط١ ، ٢٠٠٥م ، دار الكتاب الإسلامي ـ إيران .
* الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، بلا .ط ، بلا. ت ، مدرسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ـ إيران .
* الانتصار : علي بن الحسين بن موسى (الشريف المرتضى) ، تحقيق : مؤسسة النشر الإسلامي ، بلا. ط ، ١٤١٥هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم ـ إيران .
* أوائل المقالات :الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد ، تحقيق : الشيخ إبراهيم الأنصاري ، ط٢ ، ١٩٩٣م ، دار المفيد – بيروت – لبنان .
* إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون : إسماعيل باشا بن محمد أمين البغدادي ، بلا .

ط ، بلا .ت، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان .
* الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة : محمد بن الحسن الحر العاملي ط١ ،١٤٠٣هـ ،منشورات نويد ـ طهران – إيران .
* بحار الأنوار : العلامة محمد باقر بن محمد تقي المجلسي ، ط٢، ١٤٠٢هـ ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت – لبنان .
* بحوث في علم الرجال : محمد آصف محسني، ط١ ، ١٤٣٦هـ، مركز المصطفى العالمي ـ قم ـ إيران .
* بداية المعرفة : السيد حسن مكي العاملي ، بلا .ط ، ٢٠٠٩م ، دار المجتبى ـ النجف الأشرف ـ العراق .
* بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع : علاء الدين أبو بكر مسعود بن احمد الكاساني ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م ، دار الكتب العلمية ـ بيروت – لبنان .
* البرهان في ترتيب سور القرآن : احمد بن الزبير الغرناطي ، تحقيق : محمد العزاوي ، بلا .ط ، ١٩٩٠م ، دار الكتب العلمية ـ بيروت – لبنان .
* البرهان في علوم القرآن : محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ ، ١٩٥٧م ، عيسى البابي الحلبي وشركاءه ـ القاهرة ـ مصر .
* البيان في تفسير القرآن : أبو القاسم بن علي بن أكبر(السيد الخوئي) ، ط٨، ١٤٠١هـ –١٩٨١م مطبعة فرودين ـ إيران .
* تاج العروس في جواهر القاموس : محمد بن محمد بن عبد الرزاق الزبيدي ، تحقيق : علي شيري ، ط١ ، ١٤١٤هـ ، دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان .
* التاريخ الإسلامي الخلفاء الراشدون : محمود شاكر ، ط ٨ ، ٢٠٠٠م ، المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان .
* تاريخ الفقه الجعفري : السيد هاشم معروف الحسني ، قدم له محمد جواد مغنية ، بلا .ط ، بلا .ت ، دار النشر للجامعيين ـ بيروت ـ لبنان .
* تاريخ القرآن : أبو عبد الله الزنجاني ، تقديم: احمد أمين ، بلا. ط ، ١٤٠٤هـ ، منظمة الإعلام الإسلامي قسم العلاقات الدولية ـ طهران ـ إيران .
* تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية : محمد أبو زهرة ، بلا .ط ، بلا .ت ، دار الفكر العربي ـ القاهرة – مصر .
* تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام : السيد حسين الصدر ، بلا. ط ، ١٩٥١م ـ ، منشورات الاعلمي ـ بيروت ـ لبنان .

* تأويل مشكل القرآن : عبد الله بن عبد المجيد (ابن قتيبة) ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، بلا .ط ، بلا .ت ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.
* التبيان في تفسير القرآن : ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، تحقيق وتصحيح : أحمد حبيب قصير العاملي ، ط١ ، ١٤٠٩هـ ، مكتب الإعلام الإسلامي ـ قم ـ إيران .
* التبيان في تفسير غريب القرآن : عماد الدين بن الهائم ، تحقيق :ضاحي عبد الباقي محمد ،ط١، ١٤٢٣هـ ، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت – لبنان .
* تحرير المرأة : قاسم أمين ، بلا .ط ، ٢٠١٢م ، مؤسسة هنداوي ـ مصر .
* التحقيق في كلمات القرآن الكريم : الشيخ حسن المصطفوي ، ط١ ، ١٤١٧هـ ، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ـ طهران ـ إيران .
* تدوين القرآن : الشيخ علي الكوراني، ط١، بلا. ت ، مطبعة باقري ـ إيران .
* التشيع والاستشراق عرض نقدي مقارن لدراسات المستشرقين عن العقيدة الشيعية وأئمتها : عبد الجبار ناجي الياسري ، ط١، ٢٠١١م، منشورات الجمل ، بغداد – العراق .
* تصحيح اعتقادات الامامية :الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد ، تحقيق : حسين درگاهي ، ط٢ ، ١٩٩٣م ، دار المفيد – بيروت – لبنان .
* التفسير البنائي للقرآن الكريم : محمود البستاني ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ، مؤسسة الطبع التابعة للأستانة الرضوية المقدسة ـ مشهد ـ إيران .
* الكشف والبيان عن تفسير القرآن : احمد بن محمد (الثعلبي) ، تحقيق: أبي محمد بن عاشور ،ط١، ٢٠٠٢م، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان .
* تفسير الصافي : محمد محسن بن مرتضى (الفيض الكاشاني) ، صححه وعلق عليه : حسين الاعلمي ، ط ٢ ، ١٤١٦هـ ، مؤسسة الهادي ـ قم ـ إيران .
* التفسير العلمي في الميزان : عمر احمد أبو حجر، طبعة ١٩٩١ م، دار قتيبة ـ بيروت – لبنان.
* تفسير العياشي : ابو النظر محمد بن مسعود العياشي ، تحقيق : الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي ، بلا .ط ، بلا .ت ، المكتبة العلمية الإسلامية – طهران ـ إيران .
* تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) : محمد رشيد رضا ، ط ١ ، –١٩٩٠م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر .
* تفسير القرآن العظيم : عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير ، تحقيق : سامي محمد سلامة ، بلا. ط ، ١٩٩٩م ، دار طيبة ـ الرياض ـ السعودية .
* تفسير القمي : علي بن إبراهيم القمي ، تحقيق : مؤسسة الإمام المهدي ، ط١ ، ١٤٣٥هـ ، مؤسسة الإمام المهدي ـ قم ـ إيران .

* التفسير الكاشف : الشيخ محمد جواد مغنية ، ط٢ ، ١٩٧٨م ، دار العلم للملايين ـ بيروت – لبنان .
* تفسير المراغي : احمد بن مصطفى المراغي ،ط١ ، ١٩٤٦م ، مطبعة البابي الحلبي وأولاده ـ مصر .
* تفسير النسفي : أبو البركات عبد الله بن احمد النسفي ، تحقيق يوسف علي بديوي ، تقديم محي الدين مستو ، ط١ ، ١٩٨٩م، دار الكلم الطيب ـ بيروت ـ لبنان .
* تفسير فرات الكوفي: فرات بن إبراهيم الكوفي ، تحقيق : محمد الكاظم ، ط ١ ، ١٩٩٠م، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ـ طهران ـ إيران .
* تفسير نور الثقلين : الشيخ عبد علي بن جمعة الحويزي ، تصحيح : هاشم الرسولي المحلاتي ، ط ٤ ،١٤١٤هـ ، مؤسسة إسماعيليان ـ إيران .
* التفسير والتفاسير الحديثة : بهاء الدين خرمشاهي، راجعه : عصام حسين ، ط ١ ، ١٩٩١م ، دار الروضة ـ بيروت – لبنان .
* التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب : الشيخ محمد هادي معرفة، ط٢، ١٤٢٥هـ الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية ـ إيران .
* التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبي ، بلا .ط ، بلا. ت، مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ مصر .
* تفصيل الشريعة في شرح تحرير الوسيلة : الشيخ فاضل اللنكراني ، تحقيق : مركز فقه الأئمة الأطهار ، ط١ ، ١٤٢٣هـ ، مطبعة اعتماد ، مركز فقه الأئمة الأطهار ـ قم – إيران .
* تقريب القرآن إلى الأذهان : السيد محمد الحسيني الشيرازي ، ط١ ، ٢٠٠٣م ، دار العلوم – بيروت – لبنان .
* التقية : الشيخ مرتضى بن محمد بن أمين الأنصاري ، تحقيق :الشيخ فارس الحسون ، ط١، ١٤١٢هـ ، مؤسسة قائم آل محمد ـ قم – إيران .
* التمهيد في علوم القرآن : الشيخ محمد هادي معرفة ، بلا. ط ، ٢٠١١م ، دار التعارف للمطبوعات – بيروت لبنان .
* التنقيح في شرح العروة الوثقى : أبو القاسم بن علي بن أكبر(السيد الخوئي) ، بحث تقرير الميرزا علي التريزي الغروي ، بلا. ط ، بلا. ت ، مطبعة الآداب ـ النجف ـ العراق .
* تهذيب المقال في تنقيح كتاب رجال النجاشي : محمد علي الأبطحي ، ط٢ ، ١٤١٧هـ، مطبعة نكارش ـ قم ـ إيران .
* التيسير في القراءات السبع :ابو عمر عثمان بن سعيد الداني ، تحقيق : اوتوتريزل ، ط٢ ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ، دار الكتاب العربي – بيروت .

* الثمر الداني : صالح عبد الحميد الأزهري ، بلا. ط ، بلا. ت ، المكتبة الثقافية - بيروت- لبنان.
* جامع البيان عن تأويل آي القرآن : محمد بن جرير الطبري ، ط١، ٢٠٠١م، دار هجر- الرياض - السعودية .
* جامع الرواة : محمد علي الأردبيلي ، بلا. ط ، ١٤٠٣هـ ، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي - قم - إيران .
* جامع المقاصد : علي بن الحسين الكركي ، تحقيق وتصحيح : لجنة التحقيق في مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، ط ٢، ١٤١٤ هـ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام - قم- إيران .
* الجامع لأحكام القرآن : محمد بن أحمد الانصاري القرطبي ،تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ،ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، دار الكتب المصرية - القاهرة .
* جمع القرآن عند المستشرقين جون جلكرايست انموذجاً : رباح صعصع الشمري ، ط١ ، ٢٠١٤م ، دار الكفيل - كربلاء المقدسة - العراق .
* جمع القرآن نقد الوثائق وعرض الحقائق قراءة تحليلية جديدة : علي الشهرستاني ، بلا . ط ،بلا . ت، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية- النجف - الأشرف - العراق .
* جهاد الشيعة في العصر العباسي الأول : سميرة مختار الليثي ، بلا .ط ، بلا .ت ، دار الجيل الجديد - بيروت - لبنان .
* جوامع الجامع :أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، ط١، ١٤٢١هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم - إيران.
* جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام : محمد حسن النجفي، تحقيق وتصحيح: عباس قوچاني - علي آخوندي ، ط ٧، ١٤٠٤ هـ ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان .
* الحدائق الناظرة في أحكام العترة الطاهرة : يوسف بن احمد بن إبراهيم البحراني ، بلا. ط ، بلا . ت ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم - إيران .
* الحركة الاستعرابية مدرسة كوديرا أنموذجا: مصطفى الغديري ، ط١ ، ٢٠٠٣م ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الأول ، وجدة - المغرب .
* حقائق هامة حول القرآن الكريم : جعفر مرتضى العاملي ، ط٢ ،١٩٩٢م، دار الصفوة - بيروت - لبنان .
* الحقائق والدقائق في المعارف الإلهية : فاضل الصفار ، ط١ ، ٢٠١٥م ، دار المحجة البيضاء - بيروت - لبنان .

* الحقيقة السبئية وعمق صلتها بالفكر الشيعي : عبد الله سالم مليطان ، بلا .ط ، بلا .ت ، مكتبة مدبولي ـ القاهرة ـ مصر .
* حقيقة علم آل محمد وجهاته : السيد علي عاشور ، بلا. ط ، بلا. ت ، بلا. ب .
* حقيقة مصحف فاطمة عند الشيعة : الشيخ أكرم بركات العاملي ، ط١ ، ١٩٩٧م ، دار الصفوة ـ بيروت – لبنان .
* الحماية الجنائية للعلاقة الزوجية دراسة مقارنة : محمود احمد طه ،، ط١ ، ٢٠١٥ ، دار الفكر والقانون ـ المنصورة – مصر .
* الخصال : محمد بن علي بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق)، تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري ، بلا .ط ، ١٤٠٣هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسي ـ قم ـ إيران .
* خلاصة الأقوال في معرفة الرجال : الحسن بن يوسف ب المطهر (العلامة الحلي) ، تحقيق : جواد القيومي ، ط١ ، ١٤١٧هـ ، مؤسسة نشر الفقاهة ـ إيران .
* الخلاف : ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، تحقيق : جماعة من المحققين ، بلا. ط ، ١٤٠٧هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم ـ إيران .
* الدر المنثور في التفسير بالمأثور : جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ، دار الفكر ـ بيروت – لبنان .
* الدروس الشرعية في فقه الإمامية : محمد بن جمال الدين العاملي (الشهيد الأول) ، تحقيق : مؤسسة النشر الإسلامي ، ط٢ ، ١٤١٧هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم ـ إيران .
* دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن: محمد علي الرضائي ، تعريب : قاسم البيضاني ، ط ٤، ١٣٩٥ش -١٤٣٧ق، مركز المصطفى العالمي ـ إيران .
* دلائل الصدق لنهج الحق : الشيخ محمد حسين المظفر ، ط١، ١٤٢٢هـ ، مؤسسة آل البيت ـ قم – إيران .
* دور الأحداث التاريخية في بيان معتقدات أهل البيت : مصطفى مطهري ، ترجمة: اسعد الكعبي ، ط١، ٢٠١٤م، منشورات دار الكفيل ـ كربلاء المقدسة ـ العراق .
* الديانة الزرادشتية ملاحظات وآراء : أسامة عدنان يحيى ، ط١ ، ٢٠١٦، أشور بانيبال للكتاب ـ بغداد – العراق .
* ذخيرة المعاد في شرح الإرشاد : محمد باقر السبزواري ، بلا .ط ، بلا .ت ، مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث ـ قم ـ إيران .
* رجال ابن داود :الحسن بن علي ابن داود الحلي ، بلا ط ، ١٣٨٤ش ،ـ جامعة طهران ـ ايران .

* رجال ابن الغضائري : احمد بن الحسين بن عبيد الله الغضائري ، تحقيق : السيد محمد رضا الجلالي ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ، دار الحديث للطباعة والنشر – قم المقدسة ـ إيران .
* رجال الطوسي (الابواب) : ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، ط١، ١٤١٥هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم ـ إيران .
* رسائل السنة والشيعة : محمد رشيد رضا، ط٢، ١٣٦٦ هـ – ١٩٤٧ م، دار المنار ـ القاهرة– مصر.
* رسائل الشريف المرتضى : علي بن الحسين بن موسى (الشريف المرتضى) ، تقديم : السيد أحمد الحسيني ، بلا. ط ، ١٤٠٥هـ، مطبعة سيد الشهداء – قم ـ إيران .
* رسائل ومقالات : الشيخ جعفر السبحاني ، ط١ ، ١٤١٩هـ ، مؤسسة الإمام الصادق– قم ـ إيران.
* رياض الأبرار في مناقب الأئمة الأطهار : السيد نعمة الله الجزائري ، ط١ ، ١٤٢٧هـ ، مؤسسة التاريخ العربي ـ بيروت – لبنان .
* روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (الالوسي) ، تحقيق : علي عبد الباري عطية ، ط١ ، ١٤١٥هـ ، دار الكتب العلمية ـ بيروت – لبنان.
* زبدة التفاسير : الملا فتح الله الكاشاني ، تحقيق : مؤسسة المعارف ، ط١ ، ١٤٢٣هـ ، مؤسسة المعارف الإسلامية – قم – إيران .
* زواج المتعة : جعفر مرتضى العاملي ، ط١، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م ، المركز الإسلامي للدراسات ـ بيروت – لبنان .
* السرائر : محمد بن منصور بن احمد ابن إدريس الحلي ، تحقيق : لجنة التحقيق ، ط٢ ، ١٤١٠هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم ـ إيران .
* سنن ابن ماجة : محمد بن يزيد القزويني ، تحقيق وترقيم وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي ، بلا. ط ، بلا. ت ، دار الفكر ـ سوريا .
* السنن الصغيرة للبيهقي : أبو بكر احمد بن الحسين بن علي البيهقي ، تحقيق : عبد المعطي أمين قلعجي ، ط١، ١٩٨٩م، جامعة الدراسات الإسلامية ـ كراتشي – باكستان .
* السيرة النبوية : عبد الملك بن هشام المعافري ، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ،ط٢، ١٩٥٥ م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ـ مصر .
* السيرة النبوية وأوهام المستشرقين : عبد المتعال محمد جبري ، بلا .ط ، بلا. ت ، مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ مصر .

* شبهات وردود حول القرآن الكريم : الشيخ محمد هادي معرفة ، بلا. ط ، بلا . ت ، مؤسسة التمهيد ـ قم – إيران .
* شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام : جعفر بن الحسن بن يحيى(المحقق الحلي)، تحقيق وتعليق: السيد صادق الشيرازي ، ط٢، ١٤٠٩ هـ ، مطبعة أمير ـ طهران ـ إيران .
* شرح إحقاق الحق : السيد شهاب الدين المرعشي النجفي ، بلا. ط ، بلا .ت ، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي – قم – إيران .
* شرح أصول الكافي : صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي ، ط١، ١٤٢٥هـ ، مؤسسة الأبحاث الثقافية ـ طهران ـ إيران .
* شرح الأصول الخمسة : عبد الجبار بن أحمد المعتزلي ، تحقيق : عبد الكريم عثمان ، ط٣ ، ١٩٩٦م، مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ مصر .
* شرح المقاصد : مسعود بن عمر التفتازاني ، تحقيق : عبد الرحمن عميرة ، ط٢ ،١٩٩٨م ، عالم الكتب ـ بيروت ـ لبنان .
* شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة : الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي ، ط ١، ١٤٢٨هـ، مركز الحقائق الإسلامية ، قم – إيران .
* الشيعة في الإسلام : السيد محمد حسين الطباطبائي ، ط١ ، ١٩٩٩م ، بيت الكاتب ـ بيروت ـ لبنان.
* الشيعة والقرآن: إحسان إلهي ظهير بلا. ط ، بلا . ت، إدارة ترجمان السنة ـ لاهور – باكستان.
* الصحاح :إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، ط٤ ، ١٤٠٧هـ ، دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان .
* الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم : علي بن يونس العاملي ، حققه صححه وعلق عليه محمد باقر البهبودي ، ط١، ١٣٨٦ المكتبة الرضوية ـ إيران .
* صيانة القرآن من التحريف : الشيخ محمد هادي معرفة، ط٣ ، ١٤٢٨هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم ـ إيران .
* الطباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان: علي الالوسي ، ط١٤٠٥،١هـ – ١٩٨٥م، معاونية الرئاسة للعلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي ، طهران – إيران .
* الطبقات الكبرى : أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، ط١ ، ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية. بيروت – لبنان .
* العروة الوثقى : محمد كاظم اليزدي ، الشارح: السيد روح الله الخميني ،بلا. ط ، ١٤٢٢ هـ ، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني ـ طهران– إيران .

* عقائد الامامية : الشيخ محمد رضا المظفر ، تقديم : الدكتور حامد حفني داود ، بلا .ط ، بلا .ت ، منشورات أنصاريان - قم- إيران .
* عقيدة الشيعة : الميرزا علي الحائري ، ط٢ ، شبكة الفكر الالكترونية ، ٢٨/ ٢ / ٢٠٢٠ .
* علوم القرآن : السيد محمد باقر الحكيم ، ط٥ ، ٢٠١٠م ، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم - النجف الأشرف - العراق .
* عمدة القاري شرح صحيح البخاري : أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الحنفي ، بلا. ط ، بلا. ت ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان .
* العين : الخليل بن احمد الفراهيدي ، تحقيق : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، ط٢ ، ١٤٠٩هـ ، دار الهجرة - قم - إيران .
* عيون المعجزات : حسين بن عبد الوهاب ، ط١ ، بلا. ت ، مكتبة الداوري - قم - إيران .
* الغدير في الكتاب والسنة والأدب : العلامة عبد الحسين احمد الأميني ، ط١ ، ١٩٩٤م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان .
* غنية النزوع إلى علمي الأصول والفروع : علي بن حمزة بن زهرة الحلبي ، تحقيق : إبراهيم البهادري ، ط١ ، ١٤١٧هـ ، مطبعة اعتماد - قم - إيران .
* فرائد الأصول : الشيخ مرتضى بن محمد بن أمين الأنصاري ، تحقيق لجنة تراث الشيخ الأعظم ، ط١، ١٤١٩٠هـ ، مجمع الفكر الإسلامي - قم - إيران .
* فرق الشيعة : الحسن بن موسى النوبختي ، ط١، ٢٠١٢م ، منشورات الرضا ، بيروت - لبنان .
* الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة : الشيخ محمد الصادقي الطهراني ، بلا. ط ، بلا .ت ، دار الأميرة - لبنان .
* الفروق اللغوية : أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، تحقيق : مؤسسة النشر الإسلامي ، ط١ ، ١٤١٢هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران .
* الفصول المهمة في تأليف الأمة : السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي ، ط١ ، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م ، المجمع العالمي لأهل البيت ، بيروت - لبنان .
* فقه الحرية دراسة فقهية في الحرية وقيودها : حسن قدردان ملكي ، تعريب : السيد علي الموسوي ، ط١ ، ٢٠٠٨م ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي - بيروت - لبنان .
* فقه القرآن : قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي ، ط٢ ،١٤٠٥هـ ، مكتبة آية الله المرعشي النجفي - قم - إيران .
* فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر : احمد سمايلوفتش ، بلا .ط ،١٩٩٨م، دار

المعارف للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة –مصر .
* الفهرست : محمد بن اسحق بن النديم بلا .ط ، بلا . ت ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت – لبنان .
* الفهرست : ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي ، تحقيق : جواد القيومي، ط١، ١٤١٧هـ ، مؤسسة نشر الفقاهة ـ قم المقدسة ـ إيران .
* فهرست أسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي): أبو العباس أحمد بن علي النجاشي ، ط٥ ، ١٤١٦هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم المقدسة ـ إيران .
* الفوائد المدنية والشواهد المكية : محمد أمين الاسترابادي ، تحقيقي الشيخ الأراكي ، ط١، ١٤٢٤هـ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم ـ إيران .
* قاموس الرجال : محمد تقي التستري ، تحقيق : مؤسسة النشر الإسلامي ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم ـ إيران .
* قاموس المصطلحات الكنسية : القمص تادرس يعقوب ملطي ، بلا. ط ، بلا. ت ، مشروع الكنوز القبطية ـ مصر .
* قواعد المرام في علم الكلام : كمال الدين ابن ميثم البحراني ، تحقيق : السيد أحمد الحسيني ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ ، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي ـ إيران .
* القواعد والفوائد: محمد بن مكي العاملي ، تحقيق : السيد عبد الهادي الحكيم ، بلا. ط ، بلا. ت ، منشورات دار المفيد ـ قم ـ إيران .
* القول في عدد زوجات الإمام الحسن : وسام برهان البلداوي ، ط١، ٢٠٠٨ م ، قسم الشؤون الفكرية العتبة الحسينية ـ كربلاء المقدسة ـ العراق .
* الكافي : محمد بن يعقوب الكليني، تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري ، ط٥ ، ١٣٦٣ش ، دار الكتب الإسلامية – طهران ـ إيران .
* كتاب الخمس : أبو القاسم بن علي بن أكبر(السيد الخوئي)، بلا. ط ، ١٣٦٤ش ، المطبعة العلمية ـ قم ـ إيران .
* كتاب الخمس : عبد الله الجوادي الآملي ، المحقق: حسين الآزادى ، بلا . ط ١٤٢٢ ق . ١٣٨٠ ش، دار الإسراء ـ قم – إيران .
* كتاب المصاحف : أبي داوود عبد الله بن سليمان السجستاني ، تحقيق : محمد عبده ، ط١ ، ٢٠٠٢م ، الفاروق الحديثة ـ القاهرة ـ مصر .
* كتاب سليم بن قيس الهلالي : سليم بن قيس الهلالي ، ط١ ، ١٤٠٥هـ ، منشورات الهادي ـ قم – إيران .

* كتاب علي الجامعة : محمود قانصو العاملي ، ط١، ١٤٢٧هـ ، منشورات ذوي القربى ـ قم ـ إيران.
* كتابة البحث العلمي ومصادر الدراسات الإسلامية : عبد الوهاب إبراهيم ، ط٣ ، ١٩٨٦م ، دار الشروق ـ جدة ـ السعودية .
* الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل : أبو القاسم محمود بن عمر بن احمد الزمخشري ، ط٣ ، ١٤٠٧هـ ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت – لبنان .
* كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد : الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي ، ط١ ، ١٩٨٨ م ، منشورات الأعلمي ـ بيروت – لبنان .
* الكلام الإسلامي المعاصر : الشيخ عبد الحسين خسرو بناه ، ترجمة : محمد حسين الواسطي ، ط١ ، ٢٠١٦م ، دار الكفيل ـ كربلاء المقدسة ـ العراق .
* كمال الدين وتمام النعمة : محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق) ، ط٢،١٤٣٥هـ ، المكتبة الإسلامية ـ طهران – إيران .
* كنز الدقائق وبحر الغرائب : الشيخ محمد بن محمد رضا القمي المشهدي ، تحقيق : حسين درگاهي ، ط١ ، ١٩٩٠م ، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ـ طهران ـ إيران .
* كنز العرفان في فقه القران : المقداد بن عبد الله السيوري : تحقيق سيد محمد القاضي ، ط١ ، ١٤١٩هـ ، المجمع العالمي لتقريب الاذهان ، طهران –ايران
* كنه الاستغراب في فهمنا للغرب : علي بن إبراهيم النملة ، ط٢، ٢٠١٦م ، بيسان للنشر والتوزيع ـ بيروت – لبنان .
* الكنى والألقاب : الشيخ عباس القمي ، بلا. ط ، بلا. ت ، مكتبة الصدر–طهران ـ إيران.
* لطائف النساء : رضا لبيب عواضة ، بلا .ط ، بلا .ت ، دار الكتب العلمية ـ بيروت – لبنان.
* لسان العرب : محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي ، ط٣ ، ١٤١٤هـ ، دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان .
* لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم : الأمير شكيب ارسلان ، بلا .ط ، ٢٠١٧م، مؤسسة هنداوي ـ مصر.
* اللمعة الدمشقية : محمد بن جمال الدين مكي (الشهيد الأول) ، ط١ ١٤١١هـ ، مطبعة قدس ـ قم – إيران.
* ما وراء الفقه : محمد محمد صادق الصدر ، ط٣ ، ٢٠٠٧م ، دار المحبين ـ قم ـ إيران .
* مباحث في التفسير الموضوعي : مصطفى مسلم ، ط٣ ، ٢٠٠٠م ، دار القلم ـ دمشق ـ سوريا.
* مباحث في علوم القرآن : صبحي الصالح ، ط٢٤، ٢٠٠٠م ، دار العلم للملايين ـ بيروت–

لبنان.
* مباحث في علوم القرآن : مناع القطان ، ط٧ ، ١٩٩٥م ، مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ مصر .
* المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق : محمد حسين الصغير ، ط١ ، ٢٠٠٠ م ، دار المؤرخ العربي ـ بيروت – لبنان .
* المبسوط : محمد بن احمد بن أبي سهل السرخسي ، بلا. ط ، ١٩٩٣م ، دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان .
* مجمع البحرين : فخر الدين بن محمد علي الطريحي ، ط٢ ، ١٣٦٢ش ، منشورات مرتضوي ـ طهران ـ إيران .
* مجمع البيان في تفسير القرآن :ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، تحقيق وتعليق : لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين ، ط١ ، ١٩٩٥م ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات – بيروت – لبنان .
* محاسن التأويل : محمد جمال الدين بن محمد بن سعيد القاسمي ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، ط١ ،١٤١٨هـ ، دار إحياء الكتب العلمية ـ بيروت – لبنان .
* محاضرات في فقه الامامية الخمس : السيد محمد هادي الميلاني ، جمعها وعلق عليها فاضل الحسيني الميلاني، بلا .ط ، بلا. ت ، منشورات دانشكاه ـ مشهد ـ إيران .
* المحلى بالآثار : علي بن احمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ، بلا. ط ، بلا . ت، دار الفكر ـ بيروت – لبنان .
* المحيط في اللغة : الصاحب بن عباد ، ط١ ، بلا .ت ، عالم الكتب ـ بيروت ـ لبنان .
* مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر الرازي ، ضبط وتصحيح : أحمد شمس الدين ، ط١ ، ١٩٩٤ م ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .
* مختصر بصائر الدرجات : الحسن بن سليمان الحلي ، ط١ ، ١٩٥٠م ، منشورات المطبعة الحيدرية – النجف الأشرف ـ العراق .
* مدارك الأحكام في شرح شرائع الإسلام : محمد بن علي الموسوي العاملي ، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لأحياء التراث ، بلا. ط ، بلا. ت ، مؤسسة ال البيت عليهم السلام ـ قم – إيران.
* المدونة : مالك بن انس بن عامر الأصبحي المدني ، ط١ ، ١٤١٠هـ – ١٩٩٤م، دار المعرفة ـ بيروت – لبنان .
* مراتب فهم القرآن : طلال الحسن ، ط١، ٢٠١٥م، مؤسسة العرفان للثقافة الإسلامية ـ بيروت ـ لبنان.
* مسالك الإفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام : زين الدين بن علي العاملي (الشهيد الثاني) ، ط

١، ١٤١٣ هـ، مؤسسة المعارف الإسلامية- قم - إيران .
* المسائل الخمسون في أصول الدين : فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي ، تحقيق : أحمد حجازي ، ط٢ ، ١٩٩٠م ، دار الجيل - بيروت - لبنان .
* المسائل السروية : الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد ، ط١، ١٤١٣هـ ، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد - قم - إيران .
* مسائل فقهية : السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي ، بلا .ط ،١٣٧٠هـ، ١٩٥١م، مطبعة العرفان - صيدا - لبنان .
* مستدركات علم رجال الحديث : الشيخ علي بن محمد بن إسماعيل النمازي ، ط١ ، ١٤١٥هـ ، مطبعة حيدري - طهران - إيران .
* المستشرق المعاصر ايتان كوهلبرغ وحديث الإمامية : مصطفى مطهري ، ترجمة اسعد مندي الكعبي ، ط١ ، ٢٠١٤م، دار الكفيل - كربلاء - العراق .
* المستشرقون : نجيب العقيقي ، ط٣ ، ١٩٦٤م ، دار المعارف - مصر .
* المستشرقون في التاريخ الإسلامي : علي حسني الخربوطلي ، بلا. ط ، ١٩٨٨م الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر .
* المستشرقون والدراسات القرآنية : محمد حسين الصغير ، ط١، ١٩٩٩، دار المؤرخ العربي - بيروت - لبنان .
* المستشرقون وترجمة القرآن الكريم :محمد صالح البنداق ، ط١ ،١٩٨٠م، دار الآفاق الجديدة - بيروت - لبنان .
* مستند الشيعة في أحكام الشريعة : أحمد بن محمد مهدي النراقي ، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، ط ١، ١٤١٥ هـ ،مؤسسة آل البيت عليهم السلام - قم - إيران.
* المسح على الأرجل أو غسلها في الوضوء : السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي : بلا . ط ، بلا . ت ، منشورات مرتضى الرضوي الكشميري - النجف الأشرف - العراق .
* المسلك في أصول الدين : جعفر بن الحسن بن يحيى(المحقق الحلي) ، تحقيق : رضا الأستادي ، ط٢ ، ١٤٢١هـ ، مجمع البحوث الإسلامية - مشهد - إيران .
* مصادر الاستنباط بين الأصوليين والإخباريين : محمد عبد الحسين الغراوي ، ط١ ، ١٩٩٢م ، دار الهادي - بيروت - لبنان .
* مصباح الفقيه: رضا بن محمد هادي الهمداني ، تحقيق وتصحيح: محمد الباقري - نور علي النوري - محمد الميرزائي - نور الدين جعفريان، ط ١، ١٤١٦ هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي - قم- إيران .

* مصحف الإمام علي بين السنة والشيعة : عبد الله علي احمد الدقاق ، ط١، ٢٠٠٩م، دار الصفوة ـ بيروت ـ لبنان .
* معالم التنزيل في تفسير القرآن(تفسير البغوي) : الحسين بن مسعود بن محمد البغوي ، تحقيق :عبد الرزاق المهدي ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت – لبنان .
* معالم الدين وملاذ المجتهدين : حسن بن زين الدين العاملي ، تصحيح الشيخ علي محمدي ، ط١ ، ١٣٧٤هـ، دار الفكر ـ قم – إيران .
* معالم العلماء : أبو عبد الله محمد بن علي السروي (ابن شهر أشوب) ، مراجعة وتحقيق : السيد محمد صادق آل بحر العلوم، بلا. ط ، بلا. ت ، دار الأضواء ـ بيروت ـ لبنان .
* معالم المنهج التفسيري عند السيد عبد الأعلى السبزواري :كاظم عودة الأسدي ، ط١ ، ٢٠٠٩ م ، مؤسسة العهد الصادق ـ قم ـ إيران .
* معاني القرآن : يحيى بن زياد بن زكريا الفراء ، تحقيق :احمد يوسف نجاتي وآخرون ، ط١ ،بلا.ت ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ـ مصر.
* معجم أحاديث الإمام المهدي (عجل الله فرجه) : الشيخ علي الكوراني العاملي ، ط١ ، ١٤١١هـ ، مؤسسة المعارف الإسلامية – قم ـ إيران .
* معجم أسماء المستشرقين : يحيى مراد ، بلا. ط ، بلا . ت ، دار الكتب العلمية. بيروت – لبنان .
* معجم افتراءات المستشرقين : أنور محمود زناتي ، بلا. ط ، بلا. ت ، جامعة عين شمس ـ مصر.
* المعجم الأدبي : جبور عبد النور، ط١، ١٩٧٩م ، دار العلم للملايين ـ بيروت – لبنان .
* معجم البلدان : ياقوت الحموي ، بلا. ط ، ١٩٧٧م ، دار صادر ـ بيروت ـ لبنان .
* معجم التعريفات : عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني ، تحقيق : محمد صديق المنشاوي ، بلا. ط ، ٢٠٠٤م ، دار الفضيلة ـ القاهرة ـ مصر .
* معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية : محمود عبد الرحمن عبد المنعم ، بلا. ط ، بلا. ت ، دار الفضيلة ـ القاهرة ـ مصر .
* معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر: عادل نويهض ، ط٣، ١٩٨٨م، مؤسسة نويهض ـ بيروت– لبنان .
* المعجم الوسيط : إبراهيم مصطفى وآخرون ، بلا .ط ، ١٩٦٠م ، المكتبة الإسلامية للطباعة ـ القاهرة ـ مصر .
* معجم رجال الحديث : أبو القاسم بن علي بن أكبر الخوئي ، ط٥ ، ١٩٩٢م ، مركز نشر الثقافة الإسلامي ـ إيران .

* معجم لغة الفقهاء : محمد قلعجي، ط٢ ، ١٩٨٨م ، دار النفائس – بيروت– لبنان .
* معجم مصطلحات الفقه وألفاظه : ضرغام كريم الموسوي ، ط١ ، ٢٠١٩م ، دار الفرات ـ بابل ـ العراق.
* معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط١ ، ١٤٠٤هـ ، مكتب الإعلام الإسلامي ـ قم ـ إيران .
* المغني : عبد الله بن احمد المقدسي (ابن قدامة) ، بلا. ط ، ١٩٦٨م، مكتبة القاهرة ـ مصر .
* مفاتيح الغيب : محمد بن عمر بن الحسين الرازي ، ط٣ ، ١٤٢٠هـ ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان .
* مفردات ألفاظ القرآن : أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل (الراغب الأصفهاني) ، ط١ ، ١٤١٢هـ ، دار القلم الشامية ، بيروت دمشق.
* المفسرون حياتهم ومنهجهم : محمد علي ايازي ،ط١ ، ١٣٨٦هـ ، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ـ طهران ـ إيران .
* المفيد من معجم رجال الحديث : محمد الجواهري ، ط٢ ، ١٤٢٤هـ ، مكتبة المحلاتي – قم – إيران.
* مقتنيات الدرر وملتقطات الثمر : السيد مير علي الحائري ، بلا. ط ، ١٣٣٧ش ، مطبعة الحيدري ـ طهران ـ إيران .
* مقدمة في علم الاستغراب : حسن حنفي ، بلا.ط،١٩٩١م ، الدار الفنية ـ القاهرة ـ مصر .
* المقنعة : محمد بن محمد بن النعمان المفيد ، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي ، ط١ ، ١٤١٠هـ،مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم – إيران .
* الملل والنحل : محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، بلا. ط ، بلا. ت ، دار المعرفة – بيروت– لبنان .
* من لا يحضره الفقيه : محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق)، تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري ، بلا. ط ، بلا. ت ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم ـ إيران .
* من هدى القرآن : السيد محمد تقي المدرسي ، ط٢ ، ٢٠٠٨م ، دار القارئ ـ بيروت ـ لبنان.
* مناظرات في الإمامة : عبد الله الحسن ، ط١ ، ١٣٢٧هـ ، منشورات دليل ـ قم ـ إيران.
* مناقب آل أبي طالب : محمد بن علي السروي المازندراني (بن شهر أشوب) ، ط١، ١٤٢١هـ ، مؤسسة علامة للنشر ـ قم – إيران .
* المناهج التفسيرية في علوم القرآن : الشيخ جعفر السبحاني ، ط ٤، ١٤٣٢ق ، مؤسسة الإمام

الصادق عليه السلام - قم - إيران .
* مناهج اليقين في أصول الدين : الحسن بن يوسف بن المطهر(العلامة الحلي)، تحقيق : محمد رضا القمي ، ط١ ، ١٤١٦هـ ، مطبعة ياران - إيران .
* مناهل العرفان في علوم القرآن : محمد عبد العظيم الزرقاني ،ط٣، ١٩٤٣م ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاءه - القاهرة - مصر .
* منتهى المطلب في تحقيق المذهب : الحسن بن يوسف بن المطهر(العلامة الحلي) ، ط الجديدة ، بلا. ت ، مدرسة الفقاهة - قم - إيران .
* منهاج الصالحين : السيد علي الحسيني السيستاني، ط١ ، ١٤١٤هـ ، مطبعة مهر - قم - إيران.
* منهاج الصالحين: السيد محسن الحكيم ، تعليق: محمد باقر الصدر ، ط١، ١٤١٠ هـ ، دار التعارف للمطبوعات - بيروت - لبنان .
* المنهج التفسيري عند العلامة الحيدري : طلال الحسن ، ط١، ٢٠١٠ م ، دار جواد الأئمة - بيروت - لبنان .
* المهدي المنتظر رؤية استشراقية : رباح صعصع عنان الشمري ، ط١ ، ٢٠١٩م، مركز الدراسات الستراتيجية - النجف الأشرف - العراق .
* المهذب : القاضي عبد العزيز بن البراج، تحقيق: مؤسسة سيد الشهداء العلمية ، إشراف الشيخ جعفر السبحاني بلا ط ، ١٤٠٦هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم - إيران .
* مواهب الرحمن في تفسير القرآن : السيد عبد الأعلى بن علي رضا السبزواري ، ط٥ ، ٢٠١٠م، مطبعة نكين - قم - إيران .
* الموجز في أصول الفقه : الشيخ جعفر السبحاني ، ط١ ، ٢٠١١م ، دار جواد الأئمة - بيروت - لبنان.
* موسوعة الإمام المهدي عليه السلام تاريخ ما بعد الظهور : السيد محمد محمد صادق الصدر ، ط١ ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م ، دار الزهراء - قم - إيران .
* موسوعة الفقه الإسلامي : محمد بن إبراهيم التويجري ، ط١ ، ٢٠٠٩م ، بيت الأفكار الدولية - الرياض - السعودية .
* موسوعة المستشرقين : عبد الرحمن بدوي ،ط٣، ١٩٩٣م، دار العلم للملايين - بيروت - لبنان.
* موسوعة المصطفى والعترة : حسين شاكري ، ط١ ،١٤١٧هـ ، نشر الهادي - قم - إيران .
* موسوعة المصطلح في التراث العربي : محمد الكتاني ، ط٢، بلا .ت ، مطبعة دار الكتب - بيروت - لبنان .

* موسوعة المورد : منير البعلبكي ، ط١ ، ١٩٨١م ، دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان .
* موسوعة تأريخ أوربا : منير الزيدي ، بلا .ط ، بلا .ت ، دار أسامة ـ الأردن .
* موسوعة علوم القرآن : عبد القادر محمد منصور ، ط١، ٢٠٠٢م، دار القلم العربي ـ حلب ـ سوريا.
* الميزان في تفسير القرآن : السيد محمد حسين الطباطبائي ، بلا .ط ، بلا. ت ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم ـ إيران .
* نبوءات المعاد ونهاية العالم في الأديان السماوية : سومية حجاج ، بلا. ط ، بلا. ت ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.
* النجاة في القيامة في تحقيق أمر الإمامة : ابن ميثم البحراني ، ط١ ، ١٤١٧هـ ، مؤسسة الهادي – قم ـ إيران .
* نشوء المذاهب والفرق الإسلامية : حسين الشاكري ، ط١ ، ١٤١٨هـ ، مطبعة ستارة ـ قم ـ إيران .
* نقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية : ساسي سالم الحاج ،ط١ ٢٠٠٢م، دار المدار الإسلامي ـ بيروت – لبنان .
* نقد الرجال : مصطفى بن الحسين التفريشي ، تحقيق : مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث ، ط١ ، ١٤١٨هـ ، مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث – قم ـ إيران .
* النكت الاعتقادية : الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد ، تحقيق: رضا المختاري ، ط١ ، ١٤١٣هـ ، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ـ قم ـ إيران .
* نهاية الأفكار في مباحث الألفاظ : بحث تقرير أغا ضياء الدين العراقي ، تأليف :محمد تقي البروجردي ، بلا .ط ، بلا .ت ، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين ـ قم – إيران.
* نهاية الوصول إلى علم الأصول : جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر(العلامة الحلي) ، بلا .ط ، ١٤٢٥هـ ، مؤسسة الإمام الصادق ـ إيران .
* النهاية في مجرد الفقه و الفتاوى : ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، بلا .ط ، بلا. ت ، منشورات قدس محمدي ـ قم ـ إيران.
* النوادر : احمد بن محمد بن موسى الأشعري القمي ، ط١، ١٤٠٨هـ ، مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه ـ قم – إيران .
* نور الإفهام في علم الكلام : حسن الحسيني اللواساني ، تحقيق : السيد إبراهيم اللواساني ، ط١ ، ١٤٢٥هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم المقدسة ـ إيران.
* الوافي : محمد محسن بن مرتضى (الفيض الكاشاني) ، ط١ ، ١٤١٥هـ ، مكتبة الإمام أمير

المؤمنين علي عليه السلام العامة-أصفهان - إيران .
* وسائل الشيعة : محمد بن الحسن الحر العاملي ، تحقيق : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، ط٢ ، ١٤١٤هـ ، مطبعة مهر - قم - إيران .
ثانياً: المصادر المترجمة :
* أبحاث في السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات المهدية في ظل خلافة بني أمية : فان فلوتن، ترجمة إبراهيم بيضون ، بلا . ط ، ١٩٩٦م ، دار النهضة العربية - بيروت - لبنان .
* أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام (الخوارج والشيعة) : يوليوس فلهاوزن، ترجمة : عبد الرحمن بدوي، بلا . ط ، بلا . ت، مكتبة النهضة العربية - القاهرة - مصر .
* الإسلام : بيتر هاينة ، ترجمة : أسامة الشحماني ، ط١ ، ٢٠١٢م ، ديوان المسار للنشر - دبي - الإمارات .
* الإسلام : هنري ماسيه ، ترجمة: بهيج شعبان ، ط ٣ ، ١٩٨٨م، منشورات عويدات - بيروت- لبنان .
* الإسلام الأسس : كولين تيرنر ، ترجمة : نجوان نور الدين ، ط١ ، ٢٠٠٩م، الشبكة العربية - بيروت - لبنان .
* الإسلام الشيعي عقائد وأيديولوجيات : ايان ريشار ، ترجمة :حافظ الجمالي ، ط١ ، ١٩٩٦م ، دار عطية - بيروت - لبنان .
* الإسلام العقيدة السياسة والحضارة : دومنيك سوردل ، ترجمة :علي مقلد ، ط٢، ١٩٩٨م ، دار التنوير - لبنان .
* الإسلام مرآة الغرب محاولة جديدة في فهم الإسلام : كارين ارمسترونغ ، ترجمة : محمد الجورا ، بلا. ط ، ٢٠٠٢م ، دار الحصاد - دمشق - سوريا .
* الإسلام والعرب :روم لاندو، ترجمة : منير البعلبكي، بلا. ط ،١٩٦٢م ،دار العلم للملايين - بيروت - لبنان .
* الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر : مونتجمري وات، ترجمة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، بلا. ط، ١٩٩٨م، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر .
* أصول الفقه : جوزف شاخت ، ترجمة : دائرة المعارف الإسلامية ، بلا. ط ، ١٩٨١م ، دار الكتاب اللبناني - بيروت - لبنان .
* الإمام الثاني عشر: هنري كوربان ، ط١ ، ١٤٢٨ هـ- ٢٠٠٧م، دار الهادي - بيروت - لبنان .
* تاريخ الأدب العربي : بروكلمان، ترجمة : عبد الحليم النجار ، ط٥ ، ١٩٦٨م، دار المعارف - القاهرة - مصر .

* تاريخ العالم : لويس سيدو ، ترجمة : عادل زعيتر، بلا. ط ، ١٩٤٨م ، دار إحياء الكتب العلمية ـ القاهرة – مصر .
* تاريخ الفلسفة الإسلامية : هنري كوربان ، راجعه وقدم له : السيد موسى الصدر ، ط٢ ، ١٩٩٨م ، عويدات ـ بيروت ـ لبنان .
* تاريخ القرآن : نولدكة ، تعديل : فريدريش شفالي ، ترجمة : جورج تامر وآخرون ، ط١ ، ٢٠٠٤م ، كونرادادناور ـ بيروت ـ لبنان .
* تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية : ميرسيا اليا د ، ترجمة :عبد الهادي عباس ، ط١ ، ١٩٨٦ م ،دار دمشق ـ دمشق ـ سوريا .
* تاريخ حركة الاستشراق الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين : يوهان فوك ، ترجمة : عمر لطفي العالم ،ط٢، ٢٠٠١م، دار المدار الإسلامي ـ بيروت – لبنان .
* تدوين القران: كانون سل ، ترجمة مالك مسلماني، كتاب الكتروني.
* تراث الإسلام : جوزيف شاخت و كليفورد بوزورث ، ترجمة : محمد زهير السمهوري وآخرون ، بلا . ط ١٩٩٨م ، عالم المعرفة ـ الكويت .
* التشيع والتحول في العصر الصفوي : كولين تيرنر ، ترجمة :علي عبد الساتر، بلا. ط ، بلا. ت، منشورات الجمل ، بغداد – العراق .
* حاضر العالم الإسلامي : لوثروب ستودارد ، ترجمة : عجاج نويهض ، ط٣، بلا .ت ، دار الفكر ـ بيروت – لبنان .
* الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة : آدم متنز ، ترجمة : محمد عبد الهادي ، ط٥، بلا . ت، دار الكتاب الغربي ـ بيروت ـ لبنان .
* حضارة العرب : غوستاف لوبون ، ترجمة : عادل زعيتر ، ط٣، ١٩٦٧م، دار إحياء الكتب العلمية ـ القاهرة – مصر .
* حياة محمد : أميل درمنغم ، ترجمة : محمد عادل زعيتر ،ط٢ ، ١٩٤٩م ، دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة – مصر .
* حياة محمد : واشنطن أرفنج ، ترجمة :علي حسني الخربوطلي ، بلا . ط، بلا . ت ، دار المعارف – مصر .
* خلافة محمد بحث حول الخلافة في وقت مبكر : ولفرد مادلنوك ، عرض ونقد : هاشم الميلاني ، ط١ ، ٢٠١٥م ، دار الكفيل ـ كربلاء المقدسة ـ العراق .
* الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية "المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكة "

: رودي باروت ، ترجمة : مصطفى ماهر ، بلا .ط ، ٢٠١١م، الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة – مصر .
* الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية : سيرت .و أرنولد ، ترجمة : حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين وإسماعيل النحراوي ، بلا. ط ، بلا .ت ، مكتبة النهضة العربية ـ مصر .
* دلالة الحائرين : موسى بن ميمون ، عارضه بأصوله عن العربية والعبرية :حسين اتاي، بلا .ط بلا. ت ، مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة – مصر .
* ذرية إبراهيم مقدمة عن اليهودية للمسلمين : روبين فاير ستون ، ترجمة : عبد الغني بن إبراهيم ،بلا. ط ، بلا. ت ، معهد هاريت و ربرت للتفاهم الدولي بين الأديان ـ اللجنة اليهودية الأمريكية .
* رحلة إلى الرياض : لويس بيلي ، ترجمة : احمد اطفيش ، ط١ ، ٢٠١٠م ، هيئة أبو ظبي للتراث ـ الإمارات .
* سطوع نجم الشيعة : جيرهارد كونسلمان ، ترجمة :محمد أبو رحمة ، ط١ ، ١٩٩٢م ، مكتبة مدبولي ـ القاهرة ـ مصر .
* الشيعة في العالم : هاينزهالم ، ترجمة: محمود كيبو،ط١ ، ٢٠١١م،شركة الوراق للنشر ـ بغداد ـ العراق .
* الشيعة في العالم صحوة المستبعدين وإستراتيجيتهم : فرانسوا تويال ، ترجمة : نسيب عون ، ط١ ، ٢٠٠٧م، دار الفرابي ـ بيروت – لبنان .
* العقيدة والشريعة : جولد زيهر ، نقله إلى العربية وعلق عليه محمد يوسف موسى ، علي حسن عبد القادر، عبد العزيز عبد الحق ، ط٢، بلا. ت ، دار الكتب الحديثة ـ مصر.
* عقيدة الشيعة :دوايت دونالدسون ، ط٢، ١٩٩٠م ، مؤسسة المفيد ، بيروت – لبنان .
* على نهج محمد : كارل ايرنست ، ترجمة : حمزة الحلايقة ، ط١ ، ٢٠٠٨م، الدار العربية للعلوم ـ بيروت – لبنان .
* عن أسرار القرآن : جرجس سال ، ترجمة : هاشم العربي ، ط٣ ، ١٩١٤م ، مطبعة بولاق ـ مصر.
* الغنوصية في الإسلام : هاينزهالم ، ترجمة : رائد الباش ، ط١ ، ٢٠٠٣م ، منشورات الجيل ـ بيروت ـ لبنان .
* الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى اليوم : الفريد بل ، ترجمة : عبد الرحمن بدوي ، ط٣ ، ١٩٨٧م ، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت – لبنان .

* الفكر الشيعي المبكر في تعاليم الإمام الباقر ﷺ : الرزينة لالاني ، ترجمة : سيف الدين القصير ، ط١ ، ٢٠٠٤م ، معهد الدراسات الإسماعيلية ـ بيروت ـ لبنان .
* الفكر العربي ومركزه في التاريخ : دي لاسي أوليري ، ترجمة : إسماعيل البيطار، ط ١، ١٩٧٤م، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت – لبنان .
* في الإسلام الإيراني جوانب روحية وفلسفية الشيعة الاثنا عشرية: هنري كوربان، ترجمة : ذوقان قرقوط ، ط١، ١٩٩٣م ، مكتبة مدبولي القاهرة – مصر .
* في تاريخ التشريع الإسلامي : ج . ن . كولسون ، ترجمة : محمد احمد سراج ، ط١ ، ١٩٩٢م، المؤسسة الجامعية ـ بيروت ـ لبنان .
* قراءة نقدية في تاريخ القرآن للمستشرق تيودور نولدكة : علي حسن مطر الهاشمي ، ط١٤٣٥،١هـ – ٢٠١٤م، دار الكفيل ـ كربلاء المقدسة ـ العراق .
* القرآن نزوله تدوينه ترجمته تأثيره : ريجيس بلاشير ، نقله للعربية رضا سعادة ، ط١، ١٩٧٤م، دار الكتاب اللبناني – بيروت – لبنان .
* القرآن والتوراة والإنجيل والعلم الحديث : موريس بوكاي ، ترجمة :حسن خالد ،ط٣، ١٩٩٠م، المكتب الإسلامي ـ بيروت – دمشق .
* قصة الحضارة : وول ديورانت ، ترجمة : زكي نجيب محمود ، تقديم : محي الدين صابر، بلا . ط ، بلا .ت ، دار الجيل بيروت لبنان .
* قصة العرب في اسبانيا : ستانلي لين بول ، ترجمة : علي الجارم ، ط١، ٢٠١٤م ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ـ القاهرة – مصر .
* القفص الذهبي دراسة في تاريخ السحر والدين : جيمس فريزر ، ترجمة :نايف الخوص ، ط١ ، ٢٠١٤م ، دار الفرقد ـ دمشق ـ سوريا .
* محمد في مكة : مونتجمري واط ، ترجمة : شعبان بركات ،ط١ ، بلا. ت ، مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ مصر .
* محمد وخلفاءه : واشنطن ايرفنج ،ترجمة هاني يحيى نصري ،ط١، ١٩٩٩م، المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء ـ المغرب .
* مذاهب التفسير الإسلامي : جولد زيهر ، ترجمة : عبد الحليم النجار ، ط الأميرية ، ٢٠١٣م المركز القومي للترجمة ـ القاهرة – مصر.
* مقالة في الإسلام : جرجس سال ، تعريب: هاشم العربي، ط٣ ، ١٩١٣،مطبعة بولاق ـ مصر.
* نظرة جديدة في سيرة رسول الله : كونستانس فيرجل جورجو ، ترجمة : محمد التونجي ، ط١ ، ١٩٨٣م ، الدار العربية للموسوعات ـ بيروت ـ لبنان .

* النظم الإسلامية : ديمومين .غ .موريس ، ترجمة : صالح الشماع وفيصل السامر ، بلا .ط ، ١٩٥٢م، مطبعة الزهراء ـ بغداد – العراق .

ثالثاً : الرسائل والأطاريح :

* التفسير الموضوعي عند أبي الفضل الميبدي في كشف الأسرار وعدة الأبرار : إيمان كنفاني ، أطروحة دكتوراه ـجامعة ملايا ـ كوالالمبور ، ٢٠١٧م .
* عقيدة انتظار المهدي عليه السلام في الفكر السياسي المعاصر : ناهدة محمد زبون ، رسالة ماجستير جامعة بغداد ، كلية العلوم السياسية ،١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .

رابعاً: البحوث المنشورة :

* أصحاب الحق في التعويض عن الضرر الأدبي في حالة موت المصاب : محمد يحيى المحاسنة ، مجلة الحقوق ، جامعة الكويت ، السنة الرابعة والعشرون، يونيو ٢٠٠٠م، العدد الثاني .
* الإمام زين العابدين عليه السلام في فكر المستشرقين : كريم جهاد الحساني ، مجلة دراسات استشراقية ، العتبة العباسية المقدسة ، صيف ٢٠١٨ م ، العدد ١٥ .
* التفسير الموضوعي وإشكالية تحديد المصطلح : إقبال وافي ، مجلة جامعة بابل / العلوم الإنسانية ،٢٠١٧م ، مجلد ٢٥، عدد ٣.
* جمع القرآن من قبل النبي صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام من وجهة نظر المستشرقين وأهل السنة : عيسى متقي زادة وباب الله محمدي ، تعريب :علي حسن مطر ، مجلة دراسات استشراقية ،، العتبة العباسية المقدسة ٢٠١٤م، العدد الثاني .
* جمع القران الكريم وموقف المستشرقي السويديين منه : حكمت عبيد الخفاجي ، عصام هادي كاظم ، مجلة دراسات استشراقية ، العتبة العباسية المقدسة ، سنة ٢٠٢٠ م ،عدد ٢١ .
* حول دعوى بعض المستشرقين ورجاء إلى علماء المسلمين : لبيب السعيد، مجلة رسالة الإسلام ، دار التقريب بين المذاهب ، السنة الرابعة عشرة ، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م ، عدد ٦٠ .
* شبهة تحريف القرآن الكريم في نظر المستشرقين : علي أكبر ربيع نتاج ، مجلة المنهاج ، السنة الرابعة عشرة ،١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م ، ، العدد٥٥.
* شبهة تحريف القرآن دراسة تحليلية : محمد عباس نعمان ، مجلة دراسات إسلامية معاصرة ، ٢٠١٢م .
* شخصية الإسكندر المقدوني في الأدب الفارسي شاهنامة فردوسي أنموذجاً : أياد محمد حسين وأمير كاظم عباس ، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ، ٢٠١٧ ، مجلد ٧ ، عدد ١ .
* الشيعة الأوائل في التاريخ : ايتان كوهلبرغ، ترجمة: رضا يازينيا ، سيد مصطفى مطهري ، مجلة دراسات استشراقية ، العدد الثاني ، خريف ٢٠١٤م .

* صور من افتراءات المستشرق جراهام على الأحاديث القدسية : عزية علي طه ، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ، السنة الثامنة ١٩٩٣م ، العدد ٢١ .
* صورة الرسول في الاستشراق الإيطالي دراسة في النشأة والتطور والامتداد : محمد العمارتي ، بحث منشور على مؤسسة مؤمنون بلا حدود ، ٢٠١٦م ، الرباط ـ المغرب .
* الضرر المعنوي والتعويض عنه في القانون والقضاء الإداري المقارن دراسة تحليلية مقارنة : هيمن حسين احمد ، ٢٠١٨م، المركز العربي للنشر والتوزيع ـ القاهرة – مصر .
* الغدير والتأسيس لحكومة الإمام علي ﷺ في فكر المستشرقين : كريم جهاد الحساني ، مجلة دراسات استشراقية ، العتبة العباسية المقدسة ،السنة الثالثة ، ١٤٣٧هـ –٢٠١٦م، عدد ٨.
* الممانعة البنيوية الشيعية قراءة في رؤى المؤرخين والمستشرقين للتراث الشيعي : عبد الأمير كاظم زاهد ، مجلة كلية الفقه ، جامعة الكوفة ، عدد ٢٨ .

*** خامساً: المصادر الأجنبية :**

* Rev .clear tisdal " shiah additions to the Koran " in moslem world، no3 ، julay1913
* H.Masse ، L''Islam ،library armn colin،paris3، meed.1940 ،

سادساً: مواقع الانترنت :

* https//:ar.wikipedia.org/wiki
* .https//:ar.wikipedia.org/wiki
* .https//:www.iicss.iq?/id&14=sid235=
* .transat.google . com//:http
* ar .Wikipedia.org//:.http
* celestion# paf/ 4 archive.is//:http
* w ww. css.Iq//:.http
* https//:alrasd.net/arabic/articles484/
* https//:ar.wikipedia.org/wiki
* https//:www.marefa.org
* https//:www.yahosein.com
* vb.tafsir.net//:http
* www .syriucstudies .Com//: .http
* www.bible.com//:http

* http.//:www.muhammadanism.org.

*** سابعاً : المكتبات الالكترونية :**

* مكتبة أهل البيت عليهم السلام .

* المكتبة الشاملة .

* مكتبة الشيعة .

* مكتبة النور (جامع الأحاديث ٣،٥).

* مكتبة النور (جامع التفاسير ٢،٥).

المحتويات

الموضوع	الصفحة من	الى
المقدمة	١٠	١٦
الفصل الأوَّل: البعد النظري للبحث التفسيري عند الامامة في دراسات المستشرقين	١٧	٦٠
المبحث الأوَّل: التعريف بمفردات العنوان	١٨	٢٥
المبحث الثاني: مصطلحات ذات علاقة	٢٥	٣٢
المبحث الثالث: البحث التفسيري عند الامامية مفهومه نشأته مناهجه	٣٢	٤٧
المبحث الرابع: الاستشراق نشأته دوافعه	٤٧	٦٠
الفصل الثاني: مباحث التفسير العقدي عند الامامية في دراسات المستشرقين	٦١	١٣٤
المبحث الأوَّل: علم العقائد مفهومه ودراسات المستشرقين حوله	٦٢	٧١
المبحث الثاني: تفسير مبدأ الامامة في دراسات المستشرقين	٧١	٨٨
المبحث الثالث: تفسير مبدأ العصمة عند الامامية في دراسات المستشرقين	٨٨	٩٩
المبحث الرابع: تفسير مبدأ التقية عند الامامية في دراسات المستشرقين	٩٩	١٠٧
المبحث الخامس: تفسير مبدأ الرجعة عند الامامية في دراسات المستشرقين	١٠٧	١١٤
المبحث السادس: تفسير عقيدة المهدي عند الامامية في دراسات المستشرقين	١١٥	١٣٤

الفصل الثالث: مباحث التفسير الفقهي عند الامامية دراسات في المستشرقين....١٣٥ - ١٩٦

المبحث الأوَّل: علم الفقه مفهومه ودراسات المستشرقين حوله .....١٣٦ - ١٤٣

المبحث الثاني: بحث تفسير آية الوضوء عند الامامية في دراسات المستشرقين.....١٤٣ - ١٥٤

المبحث الثالث: بحث تفسير آية الخُمس عند الامامية في دراسات المستشرقين...١٥٤ - ١٦٣

المبحث الرابع: بحث تفسير آية المتعة عند الامامية في دراسات المستشرقين.....١٦٣ - ١٧١

المبحث الخامس: بحث تعدد الزوجات عند الامامية في دراسات المستشرقين....١٧٢ - ١٨٠

المبحث السادس: أحكام أهل الكتاب عند الامامية في دراسات المستشرقين....١٨١ - ١٩٦

الفصل الرابع: مباحث علوم القران عند الامامية في دراسات المستشرقين.....١٩٧ - ٢٧٠

المبحث الأوَّل: علوم القرآن مفهومها ودراسات المستشرقين حولها ..١٩٨ - ٢٠٩

المبحث الثاني: القراءات القرآنية عند الامامية في دراسات المستشرقين.....٢١٠ - ٢١٦

المبحث الثالث: جمع القرآن عند الامامية في دراسات المستشرقين.....٢١٦ - ٢٣١

المبحث الرابع : ترتيب القرآن عند الامامية في دراسات المستشرقين.....٢٣١ - ٢٤٥

المبحث الخامس: شبهة تحريف القرآن عند الامامية في دراسات المستشرقين....٢٤٥ - ٢٦٠

المبحث السادس: شبهة تعدد المصاحف عند الامامية في دراسات المستشرقين. ٢٦٠ - ٢٧٠

الخاتمة والنتائج و التوصيات.....٢٧١ - ٢٧٤

المصادر والمراجع .....٢٧٥ - ٣٠١